بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد الفقير لربه الراجي عفو ربه أحمد بن محمد بن يوسف الفاسي أصلح الله
حاله وقلبه وغفر ذنبه وستر عيبه وجمع شمله بالأحبة أعني محمدا صلى الله عليه وسلم وعلى آله
وصحبه تسليما إلى يوم الدين الحمد لله الكبير المتعال الواحد الصمد العزيز ذي الجلال المرتدي
رداء العظمة والكبرياء والكمال بارئ النسم ومبدي الحكم وفالق الإصباح وملهم
الأرواح غياثا من غياث الأحكام ومبدي أمة شريعة ذات سائر الأنام وجعل فيها ومنها
علماء وحكماء وصيرهم معالم الهدى ومصابيح الاهتداء فلا تزال فيها أئمة أعلام وموازين
واحدا عن واحد إلى وقت معلوم وقبه الملك العلام يوم يقوم الحجة ونصب الحجة حاملين أعباء
الخلق حائزين قصب السبق وقدم الصدق مضافين بالعصمة متمسكين بعروة الدين وشعار
الإسلام وصلى الله على النور الأول الذي منه أمدت الأنوار والسر الأكمل الذي منه انبعث
الأسرار النبي وآدم بين الماء والطين المرسل أولا وباطنا رحمة للعالمين والمبعوث آخرا
وظاهرا بشيرا ونذيرا للأحمر والأسود والجن والإنس أجمعين سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله
صاحب الكلمة الجامعة والرسالة المحيطة والوسيلة والدرجة الرفيعة والحوض المورود
واللواء المعقود والمقام المحمود لسنة التمام ومن له الفتح والختام الحائز للمقامات العلية بالتمام
وعلى آله وأصحابه أولي النهى والأحكام أعلام الأئمة ومصابيح الظلام ومن تبعهم بإحسان
وتابع تابعيهم ما دامت الليالي والأيام ﴿وبعد﴾ فلما كان القصيد المسمى بأنوار السرائر
وسرائر الأنوار للشيخ الإمام الحبر الهمام العالم العلامة البحر الفهامة المبارك المتقن الزاهد
العامل العارف الكامل المحقق المدقق الواصل أبي العباس تاج الدين أحمد بن محمد البكري
المعروف بالشريشي أفرغ الله عليه سابغ الرضوان وأسكنه أعلى فراديس الجنان من أجل
ما نظم في تدريج السلوك إلى حضرة ملك الملوك لكونها مع صغر حجمها غزيرا علمها ذات
عبارات رائقة وعذوبة في لفظها ومعان فائقة وحلاوة قد صحبها احتساب أبين ذلك في محله
قد احتوت على جملة من آداب الطريق ومهماته وتدرج سلوكه وذكر أحواله ومقاماته
وكان فقراء العصر ومن قبلهم يتعاطونها ويعولون عليها ويحثهم شيوخهم عليها ولم يكن لها من
ذلك شرح يرفع عن وجوه أسرارها حجب الامتناع وينشر في أيدي أحدابها حلل الانتفاع رأيت

أن أضع عليها شرحا يكمل به الانتفاع لا الوجه الذي تحقيقه وإيضاحه وجهد المقل يستحسن
ويشكر وإمساك المكثر ذنب لا يكاد يغفر والحامل لي مع ذلك عليه أيضا أن بعض الإخوان لم يزل
يلح علينا ويتردد بالمسئلة إلينا في وضع شرح عليها والله يغفر لنا وإياه بما جرى على أيدينا بسببه
وكنت أمتنع لقلة فهمي وعلمي وقصر باعي ووقوفي مع شاهدي ورسمي ثم ظهر لي أن الإجابة أوجب
وإلى الإصابة أقرب لانقراض العلم وذهاب أهله وظهور الجهل وكثرة الدعاوي الكاذبة وتسنم
الطريق لغير مستحقه وإتيان البيت من ظهره وقصده على غير وجهه فتعين جواب السائل على
قدر الاستطاعة والقائل راجعين في ذلك لما ينقل من معادنه أو يفتح الله به من كريم
خزائنه طالبين من ذوي العلم إصلاح ما يظهر من اختلاله وسائلين من فضلهم نظره بالشفقة
والإنصاف وإصلاح خلله بالتأويل والتصحيح والإسعاف فإن من صنف فقد استهدف ومن
أظهر علمه فقد ولى الناس حكمه ومن ستر مسلما ستره الله ومن تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته
والمؤمن يلتمس المعاذير والمنافق يتتبع العيوب والله سبحانه أسأل أن ينفع به من قصده ويوفق
للعمل به أو يعصمه من اعتمده وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم ويجعله حجة لنا لا حجة علينا ولا
حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد المصطفى الكريم
وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأزكى التسليم وحسبنا الله ونعم الوكيل ﴿مقدمة﴾ في
التعريف بالناظم رضي الله عنه حسبما رأيت في إثمد العينين وغيره هو أحمد بن محمد بن أحمد
ابن خلف القرشي التيمي البكري الصديقي سلوي الأصل حديثا شريشي ولد بسالي سنة إحدى
وثمانين وخمسمائة ونشأ بمراكش واستوطن الفيوم من مصر حرسها الله وبها توفي في ربيع
الأول سنة إحدى وأربعين وستمائة وقيل منتصف شهر صفر سنة ثلاث وأربعين وستمائة ولقبه
هناك تاج الدين وكنيته أبو العباس كان رضي الله عنه وافر الحظ من علم اللسان نحوا وأدبا شاعرا
محسنا محققا لعلم الكلام بارعا في أصول الفقه متقدما في التصوف وإليه انقطع وعليه عول وفيه
صنف ونظم في مقاصده وتدريج سلوكه قصيدته هذه التي سماها أنوار السرائر وسائر الأنوار
وأخذها الناس عنه وطارت كل مطار للإجادة في نظمها وضبطها وأحكام ما اشتملت عليه من هذا
الفن قال صاحب إثمد العينين إن هذه القصيدة حجة عند أهل هذه الطريقة ولم يزل المشايخ رضي
الله عنهم يحضون عليها ويوصون تلامذتهم بالعمل بها ثم نقل عن الشيخ أبي عبد الله محمد الدميري
رضي الله عنه أنه كان كثيرا ما يحرض عليها أصحابه وجميع تلامذته شديدا للعناية بها وما يلزم
الخير للمداوم عليها قال وكان هو يديم الكلام عليها ويشرح بعض مقاماتها وأخذ الناظم رضي
الله عنه عن جماعة بمراكش في طلب العلم وأخذ بفاس عن الإمام الأصولي العامل الزاهد أبي
عبد الله محمد بن علي بن عبد الكريم الفندلاوي المعروف بالكتاني والشيخ الإمام العالم العلامة
النحوي أبي ذر مصعب ابن الإمام النحوي أبي عبد الله محمد بن مسعود بن أبي وهب الخشني الإشبيلي
ثم الفاسي من ذرية أبي ثعلبة الخشني الصحابي رضي الله عنه والشيخ أبي العباس بن أبي القاسم بن
القمال ووصل إلى الأندلس فأخذ عن بعض أهلها ثم شرق وحج وروى ببغداد عن الإمام العالم
أبي صالح نصر ابن الإمام العالم أبي عبد الله عبد الرزاق ابن قطب الصديقين وحجة الله على
العارفين محيي الملة أبي محمد عبد القادر بن أبي صالح الشريف الحسني المعروف بالجيلاني والشيخ
المحدث التاريخي أبي الحسن محمد بن أحمد بن عمران القطيعي والشيخ أبي محمد قمص بن فيروز
ابن عبد الله الحنبلي وأخذ علم الكلام عن الشيخ الإمام الكبير تقي الدين بن أبي العز مظفر بن
عبد الله بن علي بن الحسن الأزدي الشافعي المعروف بالمقترح وأخذ أصول الفقه بالإسكندرية
عن الإمام عالم الأعلام شمس الدين أبي الحسن علي بن إسمعيل بن علي بن حسن بن عطية
الأبياري المالكي وأخذ التصوف ذوقا وإشرافا ببغداد عن شيخ شيوخ وقته وقدوة أهل عصره
ترجمان الطريقة سلطان أهل الحقيقة شهاب الدين أبي حفص ويكنى أيضا أبا عبد الله عمر بن

محمد بن عبد الله القرشي التيمي البكري الصديقي ثم الشافعي المعروف بالسهروردي صاحب
عوارف المعارف التي هي أصل هذه القصيدة والله أعلم وأخذ الطريق عن أبي شان وروى عنه
الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن ابراهيم العيسى السلوي نزيل تونس لقيه بالقوم من مصر
وحدث الشيخ أبو يعقوب يوسف البادلي رضي الله عنه صاحب التشوف عن [illegible] الناظم رضي
الله عنهما في موضعين منه ؛ ولنرجع الى ما كنا بصدده فنقول والله المستعان وعليه التكلان
لما أسس الناظم هذه القصيدة وجعلها في بيان الطريق قسمها على ثلاثة أركان وهي التوبة
والزهد ودوام العمل لله ظاهرا وباطنا وأما الشيخ فهو شرط في اتباع ذلك على ما يأتي ووصول
المريد في أسرع زمان وعلى أكمل وجه كما هو شيخ الركب في الحج لا يسار لمجهل المناهج
بدونه وسيأتي الكلام على الشيخ أنه يكون شرط وجوب وشرط كمال وجعل أذكارا ومقدمات
وهي الذكر والأسماء والنقطة ومتممات وهي المجاهدة والمحاسبة والمراقبة وأما الورع فهو عقد
مصحح للتوبة [illegible] ما فيها وتتمة ما بها على ما يأتي بيانه [illegible] الذي كله من عوارف المعارف الا ان
صاحب عوارف المعارف لم يذكر الورع لانه أحد المجاهدات عامة ويدخل فيها فاذا ذكر الناظم أول
الورع وعبر بالمراقبة والرعاية والناظم ذكرهما فيما يلي المريد في أول أمره ثم درجة المحاسبة ثم
درجة في المراقبة ثم ذكر بعد ذلك في الورع اما أحد لما بنى عليه الطريق من العوارف قال
فيها التوبة أصل كل مقام ودوام كل مقام ومفتاح كل حال وهي أول المقامات وهي بمثابة
الأرض للبناء فمن لا أرض له لا بناء له ومن لا توبة له لا حال له ولا مقام واني تتبعت على قدر وسعي
وجهدي أعرف المقامات والأحوال وثمراتها [illegible] يجمعها ثلاثة أشياء بعد صحة الايمان
وعقود شروطه مقارنة مع الايمان أربعة ثمرتها اثباتها الولادة المعنوية الحقيقية
المتابع الأربع التي جعلها الله اجزاء سنة معدة للولادة اللطيفة ومن تحقق بها في هذه
الاربع لج ملكوت السموات ويكاشف بالنور والآيات ويصير له دوق وفهم لكلمات الله
المنزلات ويحظى بجميع الأحوال والمقامات فكلها من هذه الاربع ظهرت وبها تهيأت
وبذلك فأحد الثلاث بعد الايمان التوبة النصوح والثاني الزهد في الدنيا والثالث تحقيق
مقام العبودية بدوام العمل لله ظاهرا وباطنا من الأعمال القلبية والقالبية من غير فتور ويستور
ثم يستعان على اتمام هذه الاربعة بأربعة أخرى بها تمامها وقوامها وهي قلة الكلام وقلة المنام وقلة
الطعام والاعتزال عن الناس واتفق المشايخ والعلماء الزاهدون على ان هذه الاربعة بها تستقر
المقامات وتستقيم الأحوال وبها صار الابدال ابدالا الا بتأييد الله تعالى وحسن توفيقه وبين بالبيان
الواضح ان سائر المقامات تندرج في هذه ومن ظفر بها فقد ظفر بالمقامات كلها ثم شرع في
بيان ذلك كما سيعلم كلامه ان شاء الله تعالى وأما ما جعل للتوبة من المقامات
والمتممات فسيأتي ان شاء الله تعالى ولنقدم أمام الشروع في المقصود التنبيه على شيء الاول
ان الناظم رضي الله عنه لم يذكر في أول قصيدته البسملة والحمدلة وقد وردت أحاديث في الحث
على بدء الأشياء المهمة بالحمد والبسملة أو ذكر الله مطلقا على حسب ما ورد في خبر رواه أبو داود
والنسائي وابن ماجه وأبو عوانة وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد فهو أقطع بل أجذم وهذا لفظ أبي داود ولفظ
النسائي وابن حبان كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع ورواه النسائي عن الزهري مرسلا
بلفظ كل كلام لا يبدأ فيه بذكر الله فهو أبتر قال والمرسل أولى بالصواب ووقع في الاربعين
للحافظ الرهاوي بلفظ لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع وله أيضا لا يبدأ فيه بحمد
الله والصلاة على محمد فهو أقطع أبتر ممحوق من كل بركة قال ابن حجر هذا الحديث أخرجه
أبو عوانة في صحيحه وصححه ابن حبان أيضا وفي اسناده مقال وعلى تقدير صحته فالرواية المشهورة
فيه بلفظ بحمد الله وما عدا ذلك من الألفاظ وردت في طرق الحديث بأسانيد واهية [illegible] على

ان ابن الصلاح وغيره قد حكم على هذا الحديث بالحسن ولعل الناظم رضي الله عنه اشدة تعطشه الى ذكر ما بين من المسالك ومحبة سرعة الائتمار للامر الوارد بذلك شرع في مقصوده من أول وهلة مكتفيا بحمد الله في نفسه اذ ذاك كان بحكم وقته أي لكونه مأخوذا عن نفسه مقتطعا عن دائرة حسه ناطقا لا بلسانه مسطرا لا ببنانه ومن كان كذلك فلا تسلط لشيء من تلك الاحاديث عليه ولا حق لها ثابت لديه لان التكليف مشروط بقدرة واكتساب والحكم لا يتوجه ما لم توجد الشروط والاسباب على ان ظاهر ما ورد من الاحاديث ليس فيه ما يقتضي انه لا بد من كتب الحمد المبتدا به على صفة ما أريد الشروع فيه من نظم أو نثر أو سجع بل الظاهر ان حمده باللسان يكتفى به وكتبه على غير صفة المقصود كذلك كان يكتب لفظ الحمد له ثم يشرع في نظم أو سجع والظن بالناظم كذلك فعل * الثاني اني لما رأيت هذه القصيدة متعقدة النظم غاية وتراكيبها معقدة النهاية ورأيت مع ذلك ان أكثر متعاطيها أرباب قلوب ومعاني لا اعتناء لهم ولا استعداد لتحقيق المباني حتى كثر في ضبطها بسبب ذلك التخليط ارتكبت فيها طريقا عدلا بين الافراط والتفريط فضبطت بعض ألفاظها وأعربت حل تراكيبها وقدرت غالب أبياتها تقديرا رددت فيه شواردها الى معاطنها وعقالاتها ليكون ذلك تميمة لها من عين التحريف ورقية من لسع عقرب التصحيف والافادة لذلك في كتب التصوف عسيف وبهت على تعيين مقصوده بوتيات من تشابهاتها كي لا يتسلط عليها أهل التشديق فيحملوها ما لا تطيق واعانة لمن طلب التحقيق والله ولي التسديد والتوفيق وهو المستعان وعليه التكلان ولما كانت التوبة مبدأ طريق السالكين ورأس مال الفائزين وأول اقدام المريدين ومفتاح استقامة المائلين ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين وجب تقديمها ولما كان أيضا لابد في ابتدائها من وجود زاجر بدأ به فقال رضي الله عنه

﴿اذا ما بدا من باطن حالة الزجر * فما هو الا البر من منح البر﴾

اذا ظرف مستقبل خافض لشرطه منصوب بجوابه وما بعده زائدة على القاعدة وبدا أي ظهر وفي نسخة بدت بالتأنيث ولا كلام على هذه النسخة لان فاعله مؤنث وما في الاصل صحيح أيضا كما سيبينه ان شاء الله تعالى لانه وان كان فاعله مؤنثا فليس بضمير ولا حقيقي التأنيث والاسناد اعتالزم فيهما وعلى تقدير لزومهما مطلقا فالمضاف قد يكتسب التذكير من المضاف اليه كقوله

رؤية الفكر ما يؤول اليه الأمر معين على اجتناب التواني

ولما لم يكن كلامه مع شخص معين قال من باطن بالتنكير أي أي باطن من المواطن ومن في كلامه يحتمل أنها بمعنى في على حد قوله تعالى من يوم الجمعة وهو الموافق للفظ العوارف ويحتمل انها على بابها من ابتداء الغاية ويكون انتهاؤها ظهور تلك الحالة على ظاهر العبد لان ظهور ذلك الزاجر لباطن العبد ما لم يظهر على ظاهره أثر من الانزجار والا فكأنه لا عبرة به وحالة الزجر فاعل بدا ولم يؤنث فعله مع انه مؤنث لانه مجازي التأنيث لا يجب تأنيث الفعل معه على ان مثل هذا التركيب لا يجب تأنيث الفعل فيه ولو كان الفاعل حقيقي التأنيث للفصل بينه وبين الفعل على أنه لو لم يكن بينهما فصل ما وجب التأنيث أيضا في مثل هذا لاضافة الفاعل المؤنث لمذكر فيكتسب منه التذكير على حد قول الشاعر

انارة العقل مكسوف بطوع هوى * وعقل عاصي الهوى يزداد تنويرا

وقال الآخر

رؤية الفكر ما يؤول اليه الأمر معين على اجتناب التواني

والزجر لغة المنع والنهي وعند القوم سيأتي وقوله فما هو الضمير عائد لحالة الزجر وذكره لان خبره مذكر وهو البر الخ والمبتدأ اذا كان ضميرا وكان بين معاده وخبره مخالفة بالتذكير والتأنيث يجوز تذكيره وتأنيثه والبر الاول بكسر الباء بمعنى الصلة والخير والتسارع الى الاحسان والثاني

عن أسمائه تعالى وتقدس ومنها نعمة المحسن الذي منه كل خير وإحسان الموصل ذلك
إلى خلقه بلطف وترحم من غير استشراف إلى جزاء وعوض منهم ونعمة مناسبة لأنعام والمنح العطايا
جمع منحة ومن قوله البر والبر التفسير المحرف مثل البرد والبرد من قولهم حبة البرد حبة
البرد وسمى بحرا لانحراف احدى الحبتين على الأخرى فقول والله أعلم أراد أوطهر لعبد
من باطنه على ظاهر أوفى باطنه الذي هو خزانة من خزائن الملكوت حال النهى عن المخالفة
والزجر عن الشهوات فيه والاخبار وغطيه من واهب الله وعطايا لديه لأنه ليس له في ذلك
كسب ولا عمل وانما هي عناية من الحق تعالى وتقدس سبقت له ومعونة من الله لحكمة ورحمة
من الله عز به فعلم أنه عنه مطورا فتداركه حين تعين طابع قلبه وتبدل قلبه واعتذار وزاجر
موعد وفى الخبر إذا أراد الله به خيرا جعل له زاجرا من نفسه وواعظا من قلبه وسمى عن
الاحوال مواهب وأصل الشيب فى العوارف ان ما يعده مقاما عن وصل أولها فالايمان المواهب
وهى فى مبدئها تعتمر إلى أحوال فانصحت تشتمل على مقامات وأحوال ولا بد فى ابتداء أمر
وجود زاجر ووجدان الزاجر حال لأنه موهبة من الله تعالى على ما تقرر أن الاحوال مواهب
وحال الزجر مفتاح المعونة ومبدؤها ولذا قيل رحل السر الجاني مالى أراك مهموما قال لأنى حال
ومطلوب طلب الطريق والمقصد وأنا مطلوب به ولو سبقت كشف الطريق إلى المقصد لطلبته
ولكن شبه الغفلة أرى ركبى وليس منها خلاص إلا أن أرى حوار حوال الأمن رأيت اعزاما
بالقصر تسكن عنه وهى تسل منها الماء لست أطمع عمل فقال لا إلا أن المتبسر حزين ولا
حين فمن لا يعرف ازاحة الباطن حال بهم الله تعالى ولا بد من وجود هذا المقام انتهى * ولنذكر
كلام صاحب العوارف فى الحال والمقام واختلف اشارات المشايخ فى ذلك ووجود الاشتباه لمكان
تشابههما فى نفسهما وتداخلهما فترى البعض الشئ حالا ويراه البعض مقاما وكلا الرأيين
صحيح لوجود تداخلهما ولا بد من ذكر ضابط يفرق بينهما على أن اللفظ والعبارة عنهما مشعران
بالفرق فالحال سمى حالا لتحوله والمقام مقاما لثبوته واستقراره وقد يكون الشئ بعينه حالا ثم يصير
مقاما مثل أن ينبعث من باطن العبد داعية المحاسبة ثم تزول الداعية بغلبات صفات النفس ثم
تعود ثم تزول فلا يزال العبد حال المحاسبة يتعاهد الحال ثم تحول الحال بظهور صفات النفس
إلى أن تتداركه المعونة من الله الكريم وتغلب حال المحاسبة فتقهر النفس وتنضبط وتتملكها
المحاسبة وتصير المحاسبة وطنه ومستقره ومقامه وتصير فى مقام المحاسبة بعد أن كان له حال
المحاسبة ثم ينازل حال المراقبة فمن كانت المحاسبة مقامه تصير له من المراقبة حال ثم تحول
حال المراقبة لتناوب السهو والغفلة فى باطن العبد إلى أن تتسع صفات السهو والغفلة
وتداركه الله عبده بالمعونة فتصير المراقبة مقاما بعد أن كانت حالا ولا تستقر مقام المحاسبة
فلا يزال الاستنزال حال المراقبة ولا تستقر مقام المراقبة إلا نازل حال المشاهدة فإذا صح العبد نازل
حال المشاهدة استقرت مراقبته وصارت مقامه ونازل المشاهدة أيضا تكون حالا تحول بالاستتار
وتظهر بالتجلى ثم تصير مقاما وتخلص شمسه عن كسوف الاستتار ثم فى مقام المشاهدة أحوال
وزيادات وترقيات من حال إلى حال أعلى منه كالترقى بالماء والتخلص إلى السماء والترقى من
عين النفس إلى حق النفس وحق اليقين بارق تخرق حجاب القلب وذلك أعلى فروع المشاهدة
ثم قال * ولما كان الاصل فى الأحوال هذه الحالة وهى أشرف الاحوال وهى محض موهبة
لا تكسب عقب كل المواهب والنوازل بالعبد أحوالا لأنها غير مقدور للعبد يكسبه فأطلق
القول ويداولت ألسنة الشيوخ أن المقامات مكاسب والاحوال مواهب وعلى الترتيب الذى
درجنا كلها مواهب إذ المكاسب محفوفة بالموهبة والمواهب محفوفة بالكسب فالاحوال
مواجيد والمقامات طرق المواجيد ولكن فى المقامات ظهر الكسب وبطنت الموهبة وفى
الاحوال بطن الكسب وظهرت الموهبة فالاحوال مواهب علوية سماوية والمقامات طرقها

وقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه سلوني عن طرق السموات فاني أعرف بها من طرق الارض اشارة الى المقامات والأحوال فطرق السموات التوبة والزهد وغير ذلك من المقامات فان السالك لهذه الطرق يصير قلبه سماويا وهي طرق السموات ومستنزل البركات وهذه الاحوال لا يتحقق بها الا ذو قلب سماوي قال بعضهم الحال هو الذكر الخفي وهذه اشارة الى شئ ماذكرناه وسمعت المشايخ بالعراق يقولون الحال ما من الله وكل ما كان من طريق الاكتساب والاعمال يقولون هذا ما من العبد فاذا لاح للمريد شئ من المواهب والمواجد قالوا هذا ما من الله وسموه حالا اشارة منهم الى ان الحال موهبة وقال بعض مشايخ خراسان الاحوال مواريث الاعمال وقال بعضهم الاحوال كالبرق فان بقي فحديث النفس وهذا لا يكاد يستقيم على الاطلاق وانما يكون ذلك في بعض الاحوال فانها تطرق ثم تستلمها النفس فاما على الاطلاق فلا والاحوال لا تمتزج بالنفس كالدهن لا يمتزج بالماء وذهب بعضهم الى أن الأحوال لا تكون الا دائمة اما اذا لم تدم فهي اللوائح والطوالع والبواده وهي مقامات الاحوال وليست باحوال ثم قال فعلى ماذكرناه يتضح تداخل المقامات والاحوال حتى التوبة ولا تعرف الا مقاما فيها حال ومقام وفي الزهد حال ومقام وفي التوكل حال ومقام وفي الرضا حال ومقام قال أبو عثمان الحيري منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته أشار الى أن الرضا يكون منه حال ومقام ثم يصير مقاما وفي المحبة حال ومقام ولا يزال العبد يتوب بطروق حال التوبة بالانزجار أولا قال بعضهم الزجر هاتف في القلب لا يسكنه الا الانتباه من الغفلة فيرده الى اليقظة فاذا تيقظ أبصر الصواب من الخطأ وقال بعضهم الزجر ضياء في القلب يبصر به خطأ قصده والزجر مقدمة التوبة على ثلاثة أوجه زجر من طريق العلم وزجر من طريق العقل وزجر من طريق الايمان فينازل التائب حال الزجر وهي موهبة من الله تعالى تقوده الى التوبة ولا يزال بالعبد طبعه وهوى النفس يمحوا آثار حال التوبة والزجر ثم يعاوده الحال حتى تستقر التوبة وتصير مقاما وهكذا في الزهد لا يزال يتزهد ينازله حالة تريه لذة ترك الاشتغال بالدنيا وتقبح له الاقبال عليها ثم تمحوا آثار حاله بدلالة شره النفس وحرصها على الدنيا ورؤية العاجلة حتى تتداركه المعونة من الله الكريم فيزهد ويستقر زهده ويصير الزهد مقاما ولا يزال ينازله هكذا حال التوكل ويقرع باب قلبه حتى يتوكل وهكذا حال الرضا حتى يطمئن على الرضا ويصير ذلك مقاما اه محل الحاجة منه فالزجر وقوع نطفة التوفيق في رحم القلب ثم بعده علقة الانتباه ثم بعد ذلك مضغة اليقظة ثم بعد ذلك عظام قرع باب التوبة ثم كسي تلك العظام لحم المجاهدة والمحاسبة والمراقبة ثم نشأ خلقا آخر بنفخ روح التحقيق في مقامات الانزال وغير ذلك الى الاستقرار في حضرة ذي الجلال والاكرام ثم أشار الى المقدمة الثانية مكتفيا عنها بذكر علاماتها فقال رضي الله عنه

﴿ومن حكم حال الانتباه اذا بدا	شهودك حال النفس في غاية الفقر﴾
﴿وتستغفر الرحمن من كل زلة	وتسأله عفوا يرى السر في الشر﴾
﴿وان ذكرت دنيا اعتبرت وان جرى	لأحوالك ذكر كنت منشرح الصدر﴾
﴿وان ذكر الجبار جل جلاله	نشرت على العلياء ألوية الفخر﴾

الانتباه خروج العبد من رقدة الغفلة ويقال شاهده اذا عاينه والمراد هنا المعاينة القلبية والنفس قال الشيخ أبو العباس أحمد بن البناء رضي الله عنه هو لفظ مشترك يطلق على نحو ثلاثمائة معنى قاله بعض الفضلاء اه وظاهره ان المراد هنا هو هذا المتسم بكثائفه ولطائفه والفقر الخلو من الشئ ضد الملء والاستغفار طلب الستر على الذنب والصون عن عذاب التحجيل والفضيحة وهو عذاب روحاني والعفو محو السيئات والتجاوز عن الخطيئات حتى يسقط العقاب عنه والمؤاخذة وهو عذاب جسماني والزلة الخطيئة والرحمن من أسمائه تعالى وتقدس مختص

به سبحانه وتعالى جرى مجرى العلم فيرشح اسم الله تعالى وإن كان الرحمن مشتقا من
الرحمة نطقا قال الامام أبو حامد رضي الله عنه فالرحمن هو العطوف على العباد بالايجاد أولا
وبالهداية إلى الايمان وأسباب السعادة ثانيا والاسعاد في الآخرة ثالثا والانعام بالنظر إلى وجهه
الكريم رابعا وفي التفسير نهاية مناسبة لا تخفى وفي جمعه بين الاستغفار وطلب العفو واسم
الرحمن إشارة إلى ما ذكره المفسرون في قوله تعالى واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا
من أن في الأول طلب سقوط العقاب والمؤاخذة وهو جسماني ثم في الثاني طلب الستر والخلاص
من الفضيحة والخجل وهو روحاني ثم في الثالث طلب الثواب الجسماني وهو نعيم الجنة ولذاتها
وطيباتها ثم في الرابع طلب الثواب الروحاني وغايته النظر إلى وجه الله الكريم وتجلي نور جلاله
وعلي كبريائه والبشر بكسر الباء وسكون الشين المعجمة الطلاقة في الوجه والبشرى له معان وهو
هنا الخبر السار وبين قوله البشر والبشرى جناس مركب من نوعين من الجنس فإن اختلفت
فيه إحدى الكلمتين بنقط نحو كلام من كلام بالفتح والكسر سمي جناسا محرفا والانحراف
إحدى الكلمتين عن الأخرى واختلاف حرف منهما فقط نحو دامس وطامس مع تقارب مخرج
الحرفين سمي جناسا مضارعا والبشر والبشرى بينهما اختلاف في الهيئة وفي الحرف مع تقارب
المخرج واغتفر من الاغتفار أو من الغفور والتجاوز وفي بعض النسخ اغتفر لك أي
تجمع تذللك وتقلبك على حسب تذللك ومنسرح أي منفسح وواسع والصدر أعلى مقدم كل شيء
والجبار من أسمائه تعالى ومعناه الذي تنفذ مشيئته على طريق الاجبار في كل أحد ولا تنفذ
فيه مشيئة أحد الذي لا يخرج أحد من قبضته وتقصر الأيدي دون حمى حضرته قاله الامام أبو حامد
رضي الله عنه فهو على هذا من الاجبار الذي هو إنفاذ الحكم قهرا على العباد قال بعض الشيوخ
وتفسيره من الاجبار أولى لأنه جاء في سياق أسماء الجلال والعز والملك فلزم أن يكون على وضعها
ومعناه أنه سبحانه يرد من فساد نوى أو أحوى إلى صلاح وإرشاد فعلى هذا يكون مشتقا
من الجبر الذي هو الاصلاح والتلافي وكلاهما لائق بالمحل والله أعلم فإن من ذكر أن سيده ينفذ
إرادته في الأشياء جبرا ولا تنفذ فيه مراد أحد له زهو وعز كامل

يوم يخالطهم زهو بسيدهم * والعبد يزهو على مقدار مولاه

وكذا من ذكر أي من شهد وسمع أن سيده له اعتناء بشأنه ولا بد لأمر أدركه أيضا نحو
ذلك لا محالة ولكن لما كان الكلام مع من انتبه من سنة الغفلة توجه إظهار الجذل وفيه
مسرات و[illegible] توقعه في غاية الشأن صح لنا أن نقول إن معنى الثاني هو أنسب بالمحل والله
أعلم وجل جلاله أي عظم عظمة حتى فاقت كل عظمة وشرف أي تقدس ويطلق
والعلياء ما ارتفع من الأرض والألوية الأعلام والمجد التمدح [illegible] وما ذكر في هذا الشطر
كناية عن إظهار الفرح ولا والمبالغة في الاستبشار والتمدح غايته أولاه نقول والله أعلم ومن
حكم حال الانتباه من رقدة الغفلة وآثاره وسائحة البدو وظهر للروح مطالعة الطوارق فهو ذلك
ووجدانك حال تفشل في غاية الفرح بهاته الخلو عن أعمال الخيرات ومن الثواب المرتب
عليهما من رب الأرض والسموات لكونك لم تكن الأمس مشتغلا في اتباع الشهوات وارتكاب
المحظورات وغير مفرح على فعل شيء من الطاعات والقربات ويحتمل أن يكون هذا العبد على
وضع المعرض ومن أهل القرب من أول مرة فلا يستعاذ عظيم أمر ربه وقوله تسمية منه نرى
نفسه في غاية الذل والافتقار إلى العزيز الغفار وهذا وصف شريف وحال منيف لأن أحب
أوصاف العبد إلى الله افتقاره إليه وأشرف أحواله ما رد عليه وعمل به عليه وقد قال الشيخ
تاج الدين رضي الله عنه في حكمه معصية أورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة أورثت عزا
واستكبارا وفيها أيضا ما طلب لك شيء مثل الاضطرار ولا أسرع بالمواهب لك مثل الذلة والافتقار
ومن حكم حال الانتباه أنها استعارة الرين من كل زلة وخطيئة ومؤلمة [illegible]

السرور والفرح في الحياة الثانية يوم يقوم الناس لرب العالمين بخلاصك من ألم العذاب وسقوط العقاب وعلى الاحتمال الثاني فيما قبله يكون لاستشعاره على ما هو عليه مولاه من الجلال والهيبة والكبرياء والعظمة يستعظم معصيته ويخاف سطوته فيستغفره سبحانه وتعالى من كل مخالفة صدرت منه ويلجأ الى الله ويفر منها اليه ويسأله عفوا يمحو سحاب الغفلة ويكشف سحاب الفترة بربه ذلك العفو البشري في القيامة حيث تحقق الحقائق وتتميز الطرائق ومن حكم حال الانتباه أيضا انك ان ذكرت عندك الدنيا اعتبرت فيها بأن تنظر الى سماجتها وقبح باطنها وكيف هي تتقلب بأهلها وكون ما لها للفناء ووجودها محجوب بالعناء ومباديها مقرونة بالبلاء فيوجب لك ذلك تجاوزها حيث يظهر لك بطلانها والزهادة فيها والتجافي عن غرورها وزهرتها وعلى ان اعتبرت من العبور والمجاوزة يكون المعنى لا تكاشفه في حاله ولو عنته وعصته اذا ذكرت عنده الدنيا أو ذكرها تجاوزها همته ولم يقف معها لكونه قد استولى عليه سكر ما هو فيه وغلب عليه وارد التنبيه من الحق وصار لا يرى غير حالته الراهنة حالا ولا يقدر لنفسه عنها انتقالا قد سكنت نفسه وضعفت دواعيها عن الميل الى زخارفها العاجلة وأما على نسخة اعتزلت فهو قريب من هذا المعنى ومن حكم حال الانتباه أيضا انك ان جرى لديك ذكر الأخرى كنت مسرورا القلب منشرح الصدر لذلك الذكر لانك لما حصل لك بسبب ذلك الانتباه من النور الكاشف عن حقائق الأمور ترى الآخرة قد قرب وصولها اذ كل آت قريب قطعا كالموجود في الحال وقد ادخر مولاك في جنته لك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من النعيم المقيم والنظر الى وجهه الكريم وهي دائمة غير منقضية ولا منقطعة فيتسع صدرك ويبتهج قلبك بما أعد مولاك لعباده فيها وتستبشر بها حيث كانت أقرب اليك مما ترحل اليها لحق بذلك عندك حقها ومن حكم حال الانتباه أيضا انك مهما ذكرت جبار السموات والارض طربت وفرحت واستغرقك الفرح بمولاك وأظهرت التمدح به والافتخار بعبوديته أولاك تحدثا بنعمته واشهار المنته حيث أهلك لخدمته والايواء لجنابه والوقوف ببابه وكانت لك منه عناية سابقة ومعونة لاحقة حتى أخرجك من سجن الغفلة وأظهر عليك ألطافه الخفية كنت عدما فصرت وجودا وكنت بائتا في الغفلة فصرت منتبها باليقظة وكنت في ظلمة الطبع فصرت في نور العقل وذلك كله من منة الله عليك ولطفه بك ولو شاء لخذلك وما كنت منه وأنت أهل لذلك ومستحق له كما فعل سبحانه ذلك بأمم لا تحصى وأظهر فيهم عدله وقسطه فالفخر المذكور هنا ليس المقصود به ما يعتمده أصحاب النفوس المتكبرة والمتجبرة من ان من سادهم لا يدعه تكبره وتجبره من ان يفاخر ويباهي بذلك من لم يسدوا وانما المقصود هنا التحدث بنعم الله واشهار أمرها واشادة ذكرها كما حقق ذلك الشيخ أبو عبد الله محمد بن عباد رضي الله عنه في رسائله الكبرى وانما قدرنا من مع كل علامة لان هذه الاشياء هي مجموع علامات الانتباه لا بعضها كما ذكره في العوارف فقال ثم بعد الانزجار يجد العبد حال الانتباه قال بعضهم من لزم مطالعة الطوارق انتبه وقال أبو يزيد علامة الانتباه خمسة اذا ذكر نفسه افتقر واذا ذكر ذنبه استغفر واذا ذكر الدنيا اعتبر واذا ذكر الآخرة استبشر واذا ذكر المولى افتخر اهـ فأنت ترى كيف جعل طلب المغفرة من الله على الذنب أمرا قائما بنفسه ولذلك جعلناه نحن كذلك وانما عطفه الناظم رضي الله عنه بالفاء دون سائر اخواته اشارة الى سرعة حصوله عقب شهود النفس في غاية الفقر وملازمته له والفاء تدل على الاتصال ولا كذلك الآخران فانهما ليس بينهما مثل ما بين هذين ومن وجد فيه بعض هذه الاشياء فعنده من الانتباه بقدر ذلك ثم أشار الى المقدمة الثالثة وانتقاله منها الى مقام التوبة وقال رضي الله عنه

﴿ومن بعد الحال الذي هو مطلق * وورود الكسر في غاية الحسن﴾
﴿مشاهد اتحاد الفنا تقتضي * على مهمه ما ليس بالمسلك الوعر﴾
﴿فيبدو مقام التوب وهو مهيد * فتوبك فافرع بانه فرع صادر﴾

ضمير بعد راجع للأسما والحال الذي هو مطلقه مبتدأ خبره في المجرور قبله وفي بعض النسخ الحال التي هي نعته ولا فرق لأن الحال يذكر ويؤنث وورود أي وارد وفيه المصدر بمعنى اسم الفاعل وهو ما ابدل من قوله الحال الخ أو عطف بيان له أو خبر مبتدأ مقدر هو وورد مضارع رد وفي بعض النسخ يرد بدو لا فرق وفي غاية الحسن أي غاية الاصلاح والملائق وفي بعض النسخ غاربه بدل قوله في غاية وغاربه ما ظهر لما ان الي في الكسر حسبه وغاربه أي مكسوفه باديه ويكون معناه يرد كسور المعتاد به الحسن أي ظاهره والله سبحانه أعلم على أن هذا النظم في سبعه اخلاف كثيرة فيه ما يخل بالمعنى والوزن أو بأحدهما ومنه ما لا يخل بهما وذلك لكون معانيها كاندة مما أهل مراده للمواطن عن وانه من مع الرسوم والظواهر وغالب هذه الطريقة السر فيه عوام فلا تجدهم يضبطون كتبهم بالرواية ويحو ذلك ولا سيما أهل المغرب هذا دأبهم ليس لهم اعتناء بالرواية وقوله مشاهد هي مقابلته واتحاد أي مقاصد والفنا بالحاء المهملة أي القاصدين ويقتضي أي يقصد وفي بعض النسخ الفنا بالجيم وفي بعضها تقتضي بالجيم أيضا وعليها يكون الاتحاد بمعنى المسلك أي مشاهد مسالك الفنا تقتضي ويطلق مهمها ما ليس فيه صعوبة وسعة الفنا بالجيم هي المواهب للواردين وعلى ثقة أي على سير والمسلك الطريق باعتبار المرور فيه والوعر أي الصعب ويبدو واو للسبعة عن مجموع المقدمات الثلاثة ويبدو أي يظهر والمهد الموطأ المبسوط المسهل والواو من قوله وهو مهيد واو الحال والتوب التوبة بمعنى الرجوع وهي الرجوع الى الله وقوله تستعمل في الحب والاغرا وهي إنما يفعل ومعناها هنا احد ومعمولها مقدر والكاف للخطاب والقرع دق الباب وضربه ونحو ذلك والضمير في بابه الظاهر والأولى انه عائد على التوبة ويحتمل ان يعود على الله سبحانه وان لم يتقدم ذكر مرة لأنه المعني عليه وذكر الاضمار قبله كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب فان الضمير للشمس في أحد التأويلين وان لم يتقدم ذكرها لكونها تفهم من السياق وذكر العشي مقتضيها والمعنى فالمظفر المصباح والملجأ واعلم ان أول طلوع رائد التوفيق الى القلب هو الزاجر واذا وجد أهل الأول وأحلصوا توجه خطر بحاله وظهرت عواقب ذلك على قالب ذلك الملهم من التجافي عن دار الغرور والانابة لدار الخلود وطلب العفو عما سلف ونحو ذلك وهو الانتباه فاذا أقام به وباشر ودخل الكسر بدائه مضيا كحلف عما من اعتقد تراخ عنها ما كان بها من عشاء ظلمة النفس واتباع الهوى ثم دارت يتصرح فيها في الأشياء ويدرك تفاوت ما بين ما ثم ادبوا له مطلقا فاذا أحطت بها ما ذكرنا وبان لك مناسبة ترتيب الناظم لما علمنا وبان سبب ذلك حسن موقع قوله مشاهد اتحاد الفناء السبب مقابلة (تقول) والله أعلم وينزل العبد بعد حال الانتباه من رقدة الغفلة حال المطلقة وهو وارد من الحق يهجم على قلبه فيرد ما كان فيه مكسورا لتقدمه المخالفة في غاية الحسن والملائق لا يتبان بطلة تلازم الانقياد والموافقة مشاهدة تفتضي بسبب هذا الوارد مقاصد القاصدين أي طرق الموحدين فيقصد منها على تيسير ومعرفة مثل ما يقصد به طريقا ومسلكا سهلا لا يرد فيه الا ليس فيه وعر ولا صعوبة وليس كل الناس منتفعين بهذا فكل أحد وما يليق باستعداده وقابليته وما يلزم عن تربيته فسا عن الاتصاف بما تقدم ذكره من المقدمات الثلاث على ما سبق بدو مقام التوبة حال كونه موطأ مهيدا ممكنا فتوبك حينئذ أي حينئذ مقام التوبة وافرع بابه ودق بسببه فرع مضطر صادق الرغبة في دخوله صاحب عطا وافتقار وذله وانكسار كالذي

غريق في بحر أوحال في تيه قفر لا ترى لغايتك الاموال ولا ترجو لحاجتك أحدا سواه ليس لك حول ولا قوة ولا شيء من الأسباب تستند اليه أو تعتمد عليه قال الشيخ أبو طالب رضي الله عنه قال بعض العارفين في قوله عز وجل أمّن يجيب المضطر اذا دعاه المضطر الذي يقف بين يدي مولاه يرفع يديه اليه بالمسئلة ولا يرى بينه وبين الله حسنة يستحق بها شيئا فيقول هب لي مولاي بلا شيء فتكون بضاعته عند مولاه الافلاس ويصير حاله مع كل الاعمال الاياس فهذا هو المضطر وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه اذا أردت الدعاء فقدم اساءتك بين يديك وقل يارب بلا شيء تجد الاجابة طوع يدك فاذا قرعت بابه على هذا الوصف تفتح لك الأبواب ولا يكون بينك وبين الله حجاب ويقبل معذرتك ويقيل عثرتك ويعجل طلبتك ويصير الرجوع الى الله تعالى وعدم التعريج على المخالفة وطلبك ومستقرك قال ذو النون المصري رضي الله عنه حقيقة التوبة ان تضيق عليك الأرض بما رحبت حتى لا يكون لك قرار ثم تضيق عليك نفسك كما أخبر الله في كتابه بقوله حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا وأصل هذه الأبيات قوله في العوارف قال بعضهم الانتباه أوائل دلالات الخير اذا انتبه العبد من رقدة غفلته أداه ذلك الانتباه الى التيقظ فاذا تيقظ ألزمه تيقظه الطلب لطريق الرشد فيطلب واذا طلب عرف انه على غير سبيل الحق فيطلب الحق ويرجع الى باب توبته ثم يعطى بانتباهه حالة التيقظ قال فارس أوفى الأحوال التيقظ والاعتبار وقيل التيقظ تبيان خط المسلك بعد مشاهدة سبيل النجاة وقيل اذا صحت اليقظة كان صاحبها في أوائل طريق التوبة وقيل اليقظة حركة من جهة المولى لقلوب النائمين تدلهم على طلب التوبة فاذا تم تيقظه نقل بذلك الى مقام التوبة فهذه أحوال ثلاثة تتقدم التوبة واعلم ان ما تقدم من أول النظم الى هنا جار في حق كل مسلم واتخاذ الشيخ خاص بمن أراد الانخراط في سلك عقد هذه الطائفة الشريفة أعني أنه قدم ما يعم وأتى بعده بما يخص والا فكون الشيخ لا يتخذ الا بعد تحصيل مقام التوبة ليس بضربة لازب اذ كل وكيف يتفق له ثم انه لما كان الانسان يتوب أولا توبة جملية اعتقادية فقط ثم يأخذ في تتبع ذلك تفصيلا وكان الأخذ في ذلك بالتفصيل لا أعون عليه مثل الاستناد لشيخ رباني لان التائب في أول أمره يكون متدرعا بصولة العزم راكما طية الندم والحزم فيغفل عنه اللعين اذ ذاك لمعرفته بخدع الحرب ثم تنكسر صولاته وتخمد شوكته ويرى انه قد حصل له رعب لديه ويأمن من كرته عليه فعند ذلك يجمع مردته ويحمل عليه حملة واحدة فان وجده مستندا الشيخ رباني عالم صمداني داخلا تحت نظره ولا مطمع له فيه بل يرجع من حيث ألم ويحجم من حيث أقدم والا أخذه على غرة واستوثق منه وقليل ان يخلص من يده ذكر الناظم أولا مقام التوبة ذكرا اجماليا هما في قوله فسدو مقام التوب البيت ثم ذكر الشيخ بقوله ومن بعده الشيخ لكن لما قال في وصفه انه يلقى مراد الحق في السر والجهر تسلف منه الى ما ذكر بعده من قوله فقم الى تمام خمسة أبيات اذ له نوع تعلق بذلك ثم رجع الى تكميل ما يتعلق بذكر الشيخ فذكر علامته وما يسئل عنه وكيفية التأدب معه ثم أخذ في بيان الأخذ في التوبة على سبيل التفصيل فذكر متمماتها من المجاهدة والمحاسبة والمراقبة والورع الخادم في ذلك هذا ما فتح الله في وجه ترتيب كلامه ثم قال رضي الله عنه

﴿ومن بعده الشيخ الذي هو قدوة * يلقى مراد الحق في السر والجهر﴾

الضمير في قوله ومن بعده يعود لمقام التوبة والشيخ مبتدأ خبره في المجرور قبله والقدوة مثلث القاف من يصح الاقتداء به ويلقى مراد الحق أي يبين ذلك ويوضحه وهو نعت ثان للشيخ وفي بعض النسخ يلقى مضارع التقى من الالقاء وواوه للحال وبعدها مبتدأ مقدر وهو يلقى الخ لان الجملة

الحالية المصدر بالمضارع المثبت اذا دخلت عليها الواو نوى مبتدأ أو يجعل ذلك المضارع
خبرا عنه وفي بعضها يلاقى مضارع لاقى وغاية ما ظهر لنا فيه الاشارة الى نفوذ بصيرته واصابة
رأيه وكمال بصيرته ونور سريرته حتى لا يوقف المريد الا فيما أحله الله تعالى له ولا يريد منه الا
ما أراده منه فلا فرق بين مراد المريد ومراد الله أى توافقه له فهو ولايته بالله فيما يأمر به وينهى عنه
ويحتمل ان يكون اشارة لما للشيخ من الاشراف على بواطن المريدين والتحكم فيها فانه يقول
فيه وبين حاله اذا اطلع عليه ويشغله اذا اطلع على غيبه حتى كأنه في الحضور يلاقى عنه الغير
والحق من أسمائه تعالى وتقدس ومعناه في حقه سبحانه الثابت الوجود لذاته الذي لا يقبل الزوال
والعدم ولا التغير لا أزلا ولا أبدا وقيل هو المحق للكائنات أى المثبت لذواتها وصفاتها ولولاه
لبطلت وبقيت على العدم أبد الآباد وقيل هو مظهر الحق بقوله الصدق وحكمه العدل قال الامام
أبو حامد رضي الله عنه وأهل التصوف لما كان الغالب عليهم رؤيته فناء أنفسهم من حيث ذاتهم
كان الجارى على ألسنتهم من أسماء الله عز وجل في أكثر الاحوال الاسم الحق لانهم يلحظون
الذات الحقيقية دون ما هو هالك في نفسه اه وفي بعض النسخ الله بدل الحق قال الشيخ أبو عبد
الله محمد المكي رضي الله عنه هو اسم الله علم على الذات الواجب الوجود وهو اسم مختص به تعالى
ولا يسمى به غيره شرعا ولا يقع جاريا مجرى الاخذ منه وبينها العقول السليمة على عدم المشاركة في
ذاته فكما لا مشاركة له في ذاته وصفا وعلما فكذا لا مشاركة له في المسمى وجودا وعينا ثم قال
واختلف هل هو اسم للذات من حيث هو أو اسم للذات من حيث الصفات وعلى هذا اختلفوا
هل هو مشتق أم لا فبالنظر الاول يكون غير مشتق وعليه جمهور العلماء من أهل علم الكلام
والحديث والتصوف وبالنظر الثاني يكون مشتقا اذا كان مشتقا فهو بمعنى مستلزم لسائر
الصفات الالهية فلذلك كان الاحسن في اشتقاقه أنه من اله بمعنى تحير فهو تعالى بمعنى مفعول
أى المحير فيه وذلك لان أفكار أولي الالباب تحير وتعرف عند ظهور شمس جلاله واندكت
جبال العقول عند تجلي نور جلاله وذلك يستلزم التميز عن سائر الممكنات بذاته والتعزز من أن
ينال شيء من حقيقة أفعاله فضلا عن صفاته وذاته وبالجملة فهذا الاشتقاق يشعر بالاتصاف
بصفات الجلال وصفات الاكرام التي لا يمكن المشاركة فيها وذلك صفة الالوهية أو مستلزم لها
أو يكون مشتقا من اله بمعنى عبد فهو تعالى أيضا بمعنى مفعول أى معبود لانه جل وعلا متصف
بجميع الصفات التي بها استحقاق العبادة وحقيقتها وكل ما كان كذلك فهو معاذ له ومستدل وكل
ما كان كذلك فهو معبود وهذان الوجهان أحسن ما ذكر في الاشتقاق وسائر وجوه الاشتقاق
المذكورة في الكتب المبسوطة ترجع الى أحدهما بالتأمل اه وفي قوله في السر والجهر من
أنواع البديع المطابقة ويسمى أيضا الطباق والتضاد وهو أن يجمع بين معنيين بينهما نوع من
أنواع التقابل حقيقيا كان أو اعتباريا كالليل والنهار والموت والحياة والنوم واليقظة والسر
والجهر (يقول) والله أعلم والشيخ الذي هو أهل للاقتداء به هو بكونه فيه التربية متمكنا
في العلم بالله أو في المعرفة محصلا للسلوك والجذب معا ولا يكتفي بأحدهما عن الآخر على أن الذي
تقدمت جذبته على سلوكه أعلى عند الاكثر وعليه صاحب العوارف وقد تكلم في ذلك بما لا
مزيد عليه فطالعه ان شئت وقال الشيخ أبو عثمان سعد الدين سعيد الفرغاني رحمه الله الذي
تقدمت جذبته على سلوكه أعلى مقاما من الذي تقدم سلوكه على جذبته مع اتفاقهما في جواز
الاقتداء بهما وبلوغهما رتبة التمكين في السلوك وجمعهما بين الكمال والخلافة ويعود للسواء
لكن الاول أمكن وأعلى لكونه عثر على المقامات واطلع فيها على بصيرة وبينة من ربه وأما
الثالث الذي يتحقق بالمقامات أكثرها ولم يتداركه عناية الجذبة لتمة كانت فيه بقية من احكام

نفسه واحكام حلبته فهو غير مؤهل للمشيخة والمرادية والاقتداء به لانه بعد عبد نفسه قال المكاتب عبد ما بقي عليه أقل من درهم والعبد لا يصلح لتصريف ادا لم يكن عند محضا للتصرف و واهب للتصرف واما المجذوب الذى ما تفرغ من الاشتغال بحاله فى مجذوبيته الى الرجوع من عالم الحق الذى هو عالم القدرة وارتفاع الوسائط وخرق حجب الاسباب الى عالم الخلق الذى هو عالم الحكمة وتحقيق الوسائط والاسباب والى الاشتغال بالسلوك والتحقق بالمقامات بواسطة شيخ مرشد أو بلا واسطة فهو أيضا غير مؤهل للمشيخة والاقتداء به لاشتغاله بحاله عن حال غيره وعدم تحققه بالمقامات اه واعلم ان سلوك الطريق وخصوصا لمريد الكشف والتحقيق لا يكون من غير التزام الطاعة والانقياد لشيخ محقق مرشد على الوصف المتقدم لان الطريق عويص وأدنى زوال يقع عن المحجة يؤدى الى مواضع فى غاية البعد عن المقصود قال الشيخ أبو الحسن الششترى رضى الله عنه ولابد ان يحكم لمن يأمره وينهاه ويبصره فان الطريق عويص قليل خطاره كثير قطاعه وقد يظن السالك انه على جادته وهو ولى ظهره لموضع توجهه منه وانه اذا خرج منه أنملة فقد خرج وانقطع وانصرف سيره على أشعة تلك الانملة فانه طريق دقيق ونفس متصرفة فى البدن وهو الراحلة وعادة مألوفة وشيطان هذا الطريق فقيه بمقاماته ونوازله اه قال أبو عمرو الزجاج رضى الله عنه لو ان رجلا كشف له عن الغيب ولا يكون له استاد لا يجىء منه شئ وقال ابراهيم بن شيبان رضى الله عنه من ليس له استاد فهو بطال وقال أبو على الثقفى رضى الله عنه لو ان رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال الا بالرياضة من شيخ أو مؤدب أو امام أو مؤدب ناصح ومن لم يأخذ أدبه من آمر له وناه يريه عيوب اعماله ورعونات نفسه لا يجوز الاقتداء به فى تصحيح العلامات وقال الشيخ أبو مدين رضى الله عنه من لم يأخذ الأدب من المتأدبين أفسد من يتبعه وقال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه كل من لا يكون له فى هذه الطريق شيخ لا يفرح به بل ولو كان وافر العقل منقاد النفس واقتصر على ما يلقى اليه شيخ التعليم فقط فلا يكمل كمال من تقيد بالشيخ المربى لأن النفس أبدا كثيفة الحجاب عظيمة الاشراك فلابد من بقاء شئ من الرعونات فيها ولا يزول عنها ذلك بالكلية الا بالانقياد للغير والدخول تحت الحكم والقهر حسبما ذكره الشيخ أبو عبد الله محمد بن عباد رضى الله عنه وكذا لو كان سبقت له من الله عناية وأخذه الله اليه وجذبه الى حضرته لا يؤهل للمشيخة ولو بلغ ما بلغ وقال الشيخ أبو الفضل أحمد تاج الدين بن عطاء الله رضى الله عنه فى لطائفه وكل من لم يكن له استاد يصله بسلسلة الاتباع ويكشف له عن قلبه القناع فهو فى هذا الشأن لقيط لا أب له دعى لا نسب له فان يكن له نور فالغالب عليه غلبة الحال عليه والغالب عليه وقوفه مع ما يرد من الله اليه لم ترضه سياسة التأديب والتهذيب ولم يقده زمام التربية والتدريب وقال الشيخ أبو عثمان سعيد المغربى رحمه الله المجذوب المتدارك الراجع من عالم الحق الى عالم الخلق لا يكمل ولا يصلح للاقتداء به ان لم يكن له مراد مرشد يهديه الى دقائق المقامات وان كان على بينة من ربه و بصيرة فى سلوكه فان المقامات الاسلامية والايمانية دقائق لا تدرك من حيث الحقيقة والاطلاع عليها متوقف على اطلاع من اطلع عليها بنظر حقيقته فلا يكتفى بالنسبة الحقيقية التى للمجذوب فان كان محتاجا الى المرشد فكلام الشيوخ فى الحض على اتخاذ الشيخ الربانى والتحذير من ضد ذلك كثير كما هو مسطر فى كتبهم وقد قال فى العوارف المقصود الكلى هو الصحبة والصحبة يرجى للمريد الخير روى عن أبى يزيد انه قال من لم يكن له استاد فامامه الشيطان وحكى الأستاد أبو القاسم القشيرى عن شيخه أبى على الدقاق انه قال الشجرة اذا نبتت بنفسها من غير غارس فانها تورق ولا تثمر وهو كما قال ويجوز انها تثمر كالأشجار التى فى الاودية والجبال ولكن لا يكون

لما كانها طم ما كمه السائر والغرس اذا نقل من موضع الى موضع آخر يكون أحسن وأكثر ثمر لدخول التصرف فيه وقد اعتبر الشرع وجود المعلم في الكلب المعلم وحل ما قتله بخلاف غير المعلم فمتى كثر امر المشايخ قول من لم يرهم الا ينفع وقد وقعت مشاجرة ومناظرة في آخر المائة الثامنة بين فقهاء الاندلس حتى تغاير بوا بالمقال وذلك هل يكفي مشاهدة الرسوم ومطالعة الكتب في طريق الصوفية أهل التوحيد الذوقي والمعرفة الخاصة الوجدانية أم لابد من الشيخ فكتبوا للبلاد فأجاب فيه كل واحد على قدر نظره كالشيخ أبي عبد الله محمد بن عباد رضي الله عنه وجوابه في رسائله الصغرى وكالشيخ أبي بكر محمد بن خلدون رحمه الله وقد افرد لهذه المسئلة بالتأليف سماه شفاء السائل وهو تأليف عجيب وقد ذكر حاصل ذلك الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه فقال ضبط النفس بأصل يرجع اليه في العلم والعمل لازم لمن قصد التعبد فلزم الاقتداء بشيخ قد تحقق اتباعه للسنة وتمكنه من المعرفة ليرجع اليه فيما يرد أو يراد مع التعلق بالفوائد الراجعة لأصله من خارج اذ الحكمة ضالة المؤمن وهو كالنحلة ترعى كل طيب ثم لا تبيت في غير خليتها والا لم ينتفع بعسلها وقد تشاجر فقهاء الاندلس من المتأخرين في الاكتفاء بالكتب عن المشايخ ثم كتبوا للبلاد فكل أجاب على حسب فهمه وجملة الاجوبة دائرة على ثلاثة أولها النظر لمشايخ فشيخ التعليم يكفي عنه الكتب للبيب حاذق يعرف موارد العلم وشيخ التربية يكفي عنه الصحبة لذي عقل ناصح وشيخ الترقية يكفي عنه اللقاء والتبرك وأخذ كل ذلك من وجه واحد ثم الثاني النظر لحال الطالب فالبليد لابد له من شيخ يربيه واللبيب يكفي الكتب في ترقيه لكنه لا يسلم من رعونة نفسه وان وصل لا يلائه العقد بروية نفسه والثالث النظر للمجاهدة والتقوى لا يحتاج الى شيخ لبيانها وعمومها والاستقامة يحتاج للشيخ في تمييز الاصلح منها وقد يكفي دونه اللبيب بالكتب ومجاهدة الكشف والترقية لابد فيها من شيخ يرجع اليه في فتوحها كرجوعه عليه السلام لورقة بن نوفل لعلمه بأخبار النبوة ومبادي ظهورها حين فاجأه الحق وهذه الطرق مفرقة بين الأولى والثانية فيها والله أعلم وقريب من قول الناظم ومن بعد الشيخ قول الامام ابي حامد رضي الله عنه فاذا قدم هذه الشروط الاربعة نفي الضرر من المال والجاه والتقليد والمعصية كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث وصار صالحا للصلاة فيحتاج الى امام يقتدي به فكذلك المريد يحتاج الى شيخ واستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه الى سواء السبيل فان سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة ومن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان لا محالة الى طرقه بسلك الى وادي المهلكة فمثله من غير شيخ يعتمد خاطر بنفسه وأهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فانها تجف على القرب وان بقيت مدة واورقت لم تثمر وقوله الى مراد الحق في السر والجهر يعني بين وتوضح مراد الله للمريد في ظاهره وباطنه اما في ظاهره فسلوكه به طريق الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يستقيم اقواله وأفعاله وتصح له متابعته ويقع في كل شئ معه موافقته قال بعضهم اصحبوا الله بسرائركم ولرسول الله صلى الله عليه وسلم بظواهركم وأما في باطنه فسلوكه طريق التزكية فيؤدبه ويهذبه ويعرفه آفات نفسه ويبدل اخلاقها ويقومها ويحكم اساس التقوى ويساعدها عما تهوى فتزكو نفسه وتتجلى مرآة قلبه فتنعكس فيها أنوار العظمة الالهية ويحدث احداق بصيرته الى مطالعة الكمالات الازلية وتخفى فيها الاشياء على هيئتها وما فيها فتنتفي له الدنيا عنها وتظهر له الآخرة بحسنها فيزهد في الفاني لما عاين من الباقي ويكشف له عوار هذه الدار ويزول عنه كامن الاغترار ويظهر له بواطن الاسرار ويبصر فيما قصدها وعندما قصدها واصل هذا الشطر قوله في العوارف ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس

محمد بيده لئن شئتم لأقسمن لكم ان أحب عباد الله الى الله الذين يحببون الله الى عباده ويحببون
عباد الله الى الله ويمشون فى الارض بالنصيحة وهذا الذى ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو
رتبة المشيخة والدعوة الى الله لان الشيخ يحبب الله الى عباده حقيقة ويحبب عباد الله الى الله ورتبة
المشيخة من اعلى الرتب فى طريق الصوفية ونيابة النبوة فى الدعاء الى الله فاما وجه كون الشيخ
يحبب عباد الله الى الله لان الشيخ يسلك بالمريد طريق الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن صح اقتداؤه واتباعه احبه الله قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله
ووجه كونه يحبب الله تعالى الى عباده لانه يسلك بالمريد طريق التزكية واذا تزكت النفس
انجلت مرآة القلب وانعكس فيها أنوار العظمة الالهية ولاح فيها جمال التوحيد وانجذبت احداق
البصيرة الى مطالعة جلال القدم ورؤية الكمال الازلى فاحب العبد ربه لامحالة وذلك ميراث
التزكية قال الله تعالى قد أفلح من زكاها ولاحها بالظفر بمعرفة الله تعالى وأيضا مرآة القلب
اذا انجلت لاحت فيها الدنيا بقبحها وحقيقتها وماهيتها ولاحت الآخرة ونفائسها بكنهها وغايتها
وينكشف للبصيرة حقيقة الدارين وحاصل المنزلتين فيحب العبد الباقى ويزهد فى الفانى فتظهر
فائدة التزكية وجدوى المشيخة والتربية فالشيخ من جنود الله تعالى يرشد به المريدين ويهدى
به الطالبين ثم قال فعلى المشايخ وقار الله تعالى وبه يتأدب المريدون ظاهرا وباطنا قال الله
تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فالمشايخ لما اهتدوا أهلوا للاقتداء بهم وجعلوا أئمة
المتقين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه اذا كان الغالب على عبدى الاشتغال
بى جعلت همته ولذته فى ذكرى فاذا جعلت همته ولذته فى ذكرى عشقنى وعشقته ورفعت الحجاب
فيما بينى وبينه لا يسهو اذا سها الناس أولئك كلامهم كلام الانبياء أولئك الأبطال حقا
أولئك الذين اذا أردت بأهل الارض عقوبة أو عذابا ذكرتهم فصرفته بهم عنهم اه ويحتمل
أن يكون أراد بالسر والجهر انه لما دخل الطريق المحق والمبطل وادعى المشيخة كثير ممن هو
عنها بمعزل وعزل المدعون بردة زور من نعوت أهل الكمال وأوهموا انسجاما على نيرى القرب
والوصال واستهدوا لذلك ضعفت العقول من النساء والرجال فتجد الواحد منهم يرصد بكلامه
الخلوات ويعمر من المساجد الأركان والزوايات وان رأى أحدا أمسك عن الكلام ويأمر
متبعه أن لا يطلع على ما لقنه به احدا من الأنام أشار الى ذلك بقوله يلقى مراد الحق فى السر
والجهر أى سرا وعلانية وفى الخلاء والملاء ولا يرد هذا اعتراضا من تخصيص المشايخ بعض من
فيه أهلية وقابلية بأمر لا يذكر لغيره لان ذلك يكون فى ثانى حال لخاص فى خاص على وجه
مخصوص والكلام فى مقام ابتداء دفع مريد الدخول فى الطريق فلا ينبغى ان يوصف له الا
بالاوصاف العامة المأمونة الغائلة والله أعلم ولما ذكر الشيخ أشار الى ما يفعل المريد اذا وجده
فقال رضى الله عنه

﴿فقم واجتنب ما ذمه العلم واجتلب * لما حسنه بالمدح فهو جنى الدر﴾

جانبه باعده واجتلبه ساقه وذمه عابه ويقال مدحه اذا أحسن الثناء عليه والجنى قال الهروى
ما يجتنى من التمر والرطب والعسل وغير ذلك ويسمى على ما ذكره الهروى والمفسرون جنى قبل ان
يقطف وبعده وقال الزبيدى وكل ما يجتنيه فهو جنى حتى القطن والكتان وكلاهما صحيح المعنى
والدر جمع درة وهو اللؤلؤة العظيمة وفى بعض النسخ الدبر بالباء الموحدة بعد الدال المهملة
مفتوحة وهو جماعة النحل والزنابير قاله فى القاموس والمراد به هنا على هذه النسخة ويدل
العلم الشرع وهو يطلق مصدرا لشرع بمعنى استفتح ويطلق اسما بمعنى الشارع والمراد به الحق
تعالى وتقدس اذ هو الشارع حقيقة قال تعالى شرع لكم من الدين والرسول صلى الله عليه وسلم

ادخو المليح ويطلق ويراد به القواعد الدينية والاحكام الشرعية وكلها مما يصلح له الا الاولى
(ويقول) والله أعلم فيهم ايها المريد بانك لا تجهدون في مرضاة ربك واجب مادمة العلم والشرع
من الاقوال والافعال والاحوال والاعتقادات واجلب منها ما احببته وافرد بالمدح والثناء
عليه والحث والترغيب فيه ودب في كل شيء على حدوده العلم من غير تأويل فهو حتى الذر أو الذر
ومعناها متقارب هذا المقصود تعظيم شأن ما مدحه العلم وتفخيم أمره غاية وتحليه بجانبه ترغيبه
لعزم المريد وشوقا لما له اليه وكأنه قصد بقوله فهو حتى الذر أو الذر أن يقول فهو في غاية
الرفعة والشرف لا يحصل بذلك مكنه من عمل الكامل عن الاحد فيه لم يجد في نفوس البشر
بحسب الجبلة له أعظم وأسنى والذر عودا من حتى الذر أو الذر فلذلك عبر به عن هذا الغرض
ويلزم منه بحسب المماثلة ان مادمة العلم في غاية ما يكون من النفاسة لانه على قدر ما يكون من
الملوك أحد المثل لمن يكون في الآخرة من الدناءة ولذلك قيل ان السوقة أرذل الناس منزلة أعني
من حيث الدنيا المقابلين بالملك الذي هو أعظم الناس منزلة في قول الشاعر
ياجار لا أرمين منكم بداهية * لم يلقها سوقة قبلي ولا ملك
فقد بالغ رضي الله عنه في الحث والترغيب وهو الامر في الطريق ثم ماذكر جار على كل من
التشبيه ويعمد تشبيه حتى الذر فانه لما كان حتى الذر أحسن شيء وأسره وأرغبه عند الغرائز
النفسانية ومدوح العلم أطيب شيء وأعذبه عند القوى العلمية الروحانية أسند اليه مجامع ماثم ما
من المرغوبة والمحبوبة ويعمد تشبيه الذر فانه لما كان حتى الذر سفاها للاسماح ومخصوص
العلم بالمدح فيه سفاها للقلوب والارواح حمله عليه بجامع ما بينهما من السعادة والمعنى في الجميع
آيل لما ذكرناه من قصد التعظيم والتفخيم لا رض المذكور ثم اذا أحكم المريد هذه الجملة واجب
مادمة العلم وأبعد ما مدحه وأتى به على وجهه حينئذ يأخذ لسلك الارادة والحكم للشيخ في نفسه
كما ذكر في المتن الذي بعده قال الاستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه فاول قدم المريد في
هذه الطريقة ينبغي أن يكون على الصدق ليصح له البناء على أصل فان الشيوخ قالوا انما حرموا
الوصول بتضييعهم الأصول كذلك سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق يقول يجب البداية تصحيح
الاعتقاد صافيا عن الظنون والشبه خاليا من الضلالة والبدع صادرا عن البراهين والحجج قال
ثم يجب على المريد ان يتأدب بشيخ فان من لا يكون له استاد لا يفلح أبدا هذا ابو يزيد يقول
من لم يكن له استاد فامامه الشيطان سمعت أبا علي الدقاق يقول الشجرة اذا تنبت بنفسها من
غير غارس فانها تورق ولكن لا تثمر كذلك المريد اذا لم يكن له أستاد يأخذ منه طريقته نفسا
نفسا فهو عابد هواه لا يجد نفاذا ثم اذا أراد السلوك فبعد هذه الجملة يجب ان يتوب الى الله عز
وجل من كل زلة ويدع جميع الزلات سرها وجهرها صغيرها وكبيرها ويجتهد في ارضاء الخصوم
أولا ومن لا يرضي خصومه لا يفتح له من هذا الطريق شيء وعلى هذا النحو جروا ثم بعد هذا
يعمل في حذف العلائق والشواغل فان بناء هذه الطريق على فراغ القلب وكان الشبلي رحمه
الله يقول للحصري رحمه الله في ابتداء أمره ان خطر ببالك من الجمعة الى الجمعة الثانية التي تأتي
شيء غير الله فحرام عليك ان تأتيني واذا أردت الخروج عن العلائق فأولها الخروج عن المال
فان ذلك الذي يميل به عن الحق ولم يوجد مريد دخل في هذا الامر ومعه علاقة من الدنيا الا
جرته تلك العلاقة عن قريب الى ما منه خرج فاذا خرج من المال فالواجب عليه الخروج من الجاه
فان ملاحظة الجاه مقطعة عظيمة ومالم يستو عند المريد قبول الخلق وردهم لا يجيء منه شيء بل
أضر الاشياء له ملاحظة الناس له بعين الاثبات والتبرك به لافلاس الناس عن هذا الحديث
وهو بعد لم يصحح قصده وبين الله تعالى بخروجه من الجاه واجب عليه لان ذلك سم قاتل

فاذا خرج من ماله وجاهه فيجب ان يصحح عقده بينه وبين الله تعالى ان لا يخالف شيخه في كل ما يشير به عليه فان الخلاف للمريد في ابتداء أمره عظيم الضرر لان ابتداء حاله دليل على جميع عمره اه وقد تكلم الشيخ أبو العباس رضي الله عنه في تدريج المريد وما يعامل به في كل وقت على حسب ما يليق به بكلام حسن ينبغي ان يثبت فقال بعد كلام فلما غلب الخبط على النفوس والتخليط على القلوب ظهر متأخروا الصوفية بالاصطلاح بالترتيب وترتيب المشيخة على ما هو معلوم من شأنهم مستندين لما ذكرناه من قوله تعالى واتبع سبيل من أناب الى ولأنه عليه السلام كان يربي أصحابه ويعطي كلا ما يليق به اذ قد أوصى واحدا بقوله لا تغضب وقال لغيره قل ربي الله ثم استقم وقال للآخر لا يزال لسانك رطبا بذكر الله وخص قوما بأذكار وعلوم كمعاذ بحديث من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق وحذيفة رضي الله عنه بالسر وتفقد عليا وفاطمة رضي الله عنهما لصلاتهما من الليل وعائشة رضي الله عنها تعترض بين يديه اعتراض الجنازة وقال لعبد الله بن عمر صم وأفطر وأقر على سرد الصوم حمزة بن عمرو الأسلمي الى غير ذلك من وجوه التربية فانهم ثم جروا في ذلك على مقتضى العلم والحقيقة فلم يدخلوا على المريد في مقام التقوى الذي هو فعل الواجبات وترك المحرمات سوى أخذ العهد قصدا للتوثق في التزام حصول التقوى مستندين لحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه الذي قال عليه السلام بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا الحديث ثم قال ولم يدخلوا عليه في مقام الاستقامة وهو حمل النفس على اخلاق القرآن والسنة من غير تعريفه بالاصلح له من غير زيادة ولا نقص لاتساع هذا الباب وجهل الانسان باللائق به وقيامه مع شهوته تفريطا أو افراطا مع ما يساعد ذلك من توسيع الرخص وتضييق الورع الذي قد يليق به وقد لا ويحمله عليه عدم علمه بحاله لاسترساله مع حاله كقوله عليه السلام لابي بكر لما ذكر اسراره بصلاة الليل ارفع قليلا ولعمر لما ذكر اعلانه اخفض قليلا فاخرجهما عن مرادهما وما تقتضيه طباعهما الى مراد الله ورسوله لهما تبرئة من الهوى وان كانوا براء منه فافهم والزموه في مجاهدة الكشف بما يوصل اليهما من الجوع والسهر والصمت والخلوة واضداد ذلك واضداد بعضه الى غير ذلك من مختلفات الامور التي لا تحصى ويجري النظر فيها بحسب جريانها والزموه اظهار ما عنده ليصل لما عندهم فيه فكان بين أيديهم كالميت بين يدي الغاسل كما هو معلوم في شرط المريد مع الشيخ ولكنهم لم يلزموه هذا حتى رأوا فيه أهلية الجمع والكمال اه ويحتمل انه لما كان المريد على ضربين أحدهما مريد حقيقي وهو من كملت أهليته للارادة فصمم عزمه من أول مرة على الالتزام بصحبة الشيخ والتحكيم له في نفسه وعمل على معانقة الاهوال وتحمل الانقال ومفارقة الاشكال ومعالجة الاخلاق وممارسة المشاق وتحمل المصاعب وركوب المتاعب وعلى هذا تكلم القوم وله وضع الناظم رضي الله عنه القصيدة والثاني مريد مجازي وهو الذي ليس قصده الا الدخول مع القوم والتزيي بزيهم والانتظام في سلك عقدهم والتكثير لسوادهم وهذا لا يلزم بشروط الصحبة وانما يؤمر بلزوم حدود الشرع ومخالطة الطائفة حتى تشمله بركتهم وينظر الى أحوالهم وسيرهم فيجب أن يسلك مسلكهم ويؤهل لما أهلوا له ذكر الناظم في هذا البيت مريدا التبرك وهو المجازي واذا تأهل للارادة وسمت نفسه اليها سيذكره في البيت الذي بعده قال في العوارف واعلم ان الخرقة خرقتان خرقة الارادة وخرقة التبرك والاصل الذي قصده المشايخ للمريدين خرقة الارادة وخرقة التبرك تشبه بخرقة الارادة فخرقة الارادة للمريد الحقيقي وخرقة التبرك للمتشبه ومن تشبه بقوم فهو منهم ثم قال بعد أن ذكر خرقة الارادة وهو ما استقل حمله على البيتين بعده فان خرقة التبرك يطلبها من مقصوده التبرك بزي القوم ومثل هذا لا يطالب بشرائط الصحبة بل يوصى بلزوم حدود الشرع ومخالطة هذه

الطاقة لتعود عليه بركتهم ويتأدب بآدابهم فيوفق بسبب ذلك الى الاخذ بطريقة الارادة وعلى
هذا خرقة التبرك مبذولة لكل طالب وخرقة الارادة ممنوعة الا من الصادق الراغب وعلى كلا
الاحتمالين البيت مستخرج من قول أبي يعقوب السوسي رضي الله عنه حيث سئل عن التوبة
فقال التوبة من كل شيء ذمه العلم الى ما مدحه العلم قال في العوارف وهذا وصف يعم الظاهر
والباطن لمن يكوشف بصريح العلم لانه لا بقاء للجهل مع العلم كما لا بقاء لليل مع طلوع الشمس
وهذا يستوعب جميع أقسام التوبة بالوصف الخاص والعام وهذا العلم يكون على الظاهر والباطن
ليطهر الظاهر والباطن وأحسن أوصاف التوبة وأعم أوصافها ثم قال رضي الله عنه

﴿وإن شئت عز الفقر فاسلك واطرح * ذواتها وجانبه مخافة الشر﴾

﴿وصنها عن حجر الشيخ طفلا فإنها * خروج بلا فطم عن الحجر والحجر﴾

ثم ترقى والفقر يطلق على طريق القوم وهو أنسب بالاحتمال الثاني في البيت قبله ويطلق
على التصوف وهو المراد والله أعلم على الاحتمال الأول على انهم اختلفوا واهل الفقر والتصوف
شيء واحد أو متغايران وعلى تغايرهما اهل الفقر أعلى أو التصوف والذي عليه صوفية الشام انه
لا فرق بين التصوف والفقر قالوا لان الله تعالى قال للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله وهذا
وصف الصوفية والله سماهم فقراء والذي عليه صاحب العوارف وجماعة ان التصوف أعلى
والصوفي أسنى لان التصوف عندهم اسم جامع لمعاني الفقر والزهد مع مزيد أوصاف لا يكون
الصوفي بدونها وان كان زاهدا فقيرا فانه يطلق عموما على من افتقر من المال وخصوصا على
من افتقر كليته الى الله في جميع الاحوال والتصوف يطلق على الفقر مع زيادة أوصاف فالفقر
نور الفقير في فقر متمسك به متحقق بفضله مؤثر على الغنى متطلع الى ما حصل من العوض عند
الله كما لاحظ العوض الباقي أمسك عن الحاصل الفاني وعانق الفقر والقلة وخشي زوال الفقر
لفوات الفضيلة والعوض وهذا عين الاعتلال في طريق الصوفي لانه يتطلع الى الاعواض ويترك
الاشياء لاجلها والصوفي يترك الاشياء لا للاعواض الموعودة بل للاحوال الموجودة فانه ابن وقته
وأيضا تركه الحظ العاجل واعتناؤه الفقر اختيار اختيار منه وذلك علة في حال الصوفي لانه قائم في الاشياء
بارادة الله لا بارادة نفسه فلا يرى فضيلة في صورة فقر ولا في صورة غنى وانما يرى الفضيلة فيما يوقفه
الحق فيه والذي عليه جماعة ان الفقر أعلى قال الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه اختلاف
النسب يكون لاختلاف الحقائق وقد يكون لاختلاف المراتب في الحقيقة الواحدة فيحتمل ان
التصوف والفقر والملامتية والتقريب من الاول وقيل من الثاني وهو الصحيح على ان الصوفي هو
العامل في تصفية وقته عما سوى الحق فاذا اسقط ما سوى الحق من يده فهو الفقير والزاهد
فيهما والذي لا يظهر خيرا ولا يضمر شرا كأصحاب الحرف والاسباب ونحوهم من أهل الطريق
والمقرب من كملت أحواله فكان بربه لربه ليس له عن سوى الحق اخبار ولا مع غير الله قرار
وقوله فاطرح أي اترك واقعد هوى نفسك أي ما تميل اليه نفسك واعلم ثم وصنها الضمير
راجع للنفس والطفل من لم يجاوز أربع سنين واعرابه هنا تمييز أو حال والحجر بالفتح يطلق على
ما بين يديك من ثوبك وعلى الحضن والمنع والمراد هنا حجر الشيخ والمعنى هنا من باب اطلاق
المشترك على معنييه ولكن هو في مقدم القميص أظهر لاجل المبالغة في الانقياد والملازمة
لا حقيقي واكد هذه المبالغة بقوله طفلا أي كما يوضع الطفل والدليل على ما ذكرنا من اطلاق الحجر
على معنيين قوله * فانها خروج بلا فطم عن الحجر والحجر * فان التجنيس ذلك بعد تقديم الحجر من
معان يظهر بالتأمل والذوق ثم قوله بين الحجر والحجر احدهما بفتح الحاء وهو الذي يراد به مقدم
القميص والآخر يراد به الحجر بتحريك حائه بثلاث حركات فان قرئ بالفتح كان في الكلام التجنيس

التام كالمين والعين أي عين الشمس والعين الباصرة أو عين الماء وعين الذهب والفضة وان قرئ بالكسر أو الضم كان في الكلام التجنيس المحرف لانحراف احدى الهيئتين عن الأخرى والفطام الصبر عن الرضاع ﴿يقول﴾ والله أعلم وان تسم نفسك نحو المقرر دوقا وتحققا فانه هواها وما تميل اليه وتختاره من سائر العادات والمألوفات ووجوه الطاعات وأنواع القربات وحافيه وباعدها بمجانبة الشر لانه أجمع لقلبك وأقرب لتأديبك وأثبت في خروجك من نفسك وأتقى لملك وعدم علمك بما هو اللائق بك والصالح لحالك فرعا صرك ما انتفع به غيرك كما دل على ذلك اختلاف أحوال الصحابة رضي الله عنهم ووصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ومعاملته معهم حسب ما تقدم وضعها أي نفسك بحجر الشيخ وتحت تحجيره كالطفل يربيك بعلمه المستمد من الله ويبطر ببصيرته الناقدة المنيرة في باطنك وقابليتك وما هو المقرب بسبيل وصولك الى ربك من الصلاة والصيام والذكر والتلاوة والتجرد والتسبب مثلا والانقطاع والخلوة والاختلاط بالاصحاب أو ببعض منهم ومن الخروج من جميع مالك والزهد فيه ومن ترك البعض وابقاء البعض ونحو ذلك ويسوس نفسك ويسلك بك صدق المعاملة حتى تطمئن وتطمأنينتها تنزع منها البرودة واليبوسة التي استصحبتها من أصل خلقتها وبها تستعصي على الطاعة والانقياد للعبودية وتصير جزء الشيخ في هذه الولادة المعنوية كما ان الولد جزء الوالد في الولادة الطبيعية فلا تنفك خروج عن حجر الشيخ بحيث لا تفارقه الا باذنه ومن تحجيره ونظره قبل ان تبلغ أوان الفطام وتفطم بالفعل وهو يعلم وقت ذلك قال الشيخ أبو عثمان سعيد الفرغاني رحمه الله كما ان اليتيم الصغير وان بلغ كان في حجر من جهة الشرع حتى يؤنس منه التحلي برشد في حركاته وسكناته وأقواله وافعاله وتصرفاته الموافقة للعقل والشرع كذلك السالك السائر وان بلغ رتبة الفتح بحل متبدلم يؤذن له بالاطلاق في التصرفات عموما حتى يؤنس منه رشد التمكين في أحواله وتلويناته والثبات على الستر وقوة كتمان الأسرار وقال الشيخ محيي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي رضي الله عنه ومن شروطه يعني المريد أن لا تكون له ارادة ومتى كانت للمريد ارادة فهو صاحب هوى وهو مع نفسه لا مع شيخه فينبغي للمريد أن يكون مع شيخه كالميت بين يدي غاسله لا تدبير له في نفسه ولا يدفع عن نفسه ما يريد به استاذه فيبقى المريد مع الشيخ على ما يريده الشيخ وكان الاولى أن لا يسمى مريدا اذ لا ارادة له مع شيخه وانما سمي مريدا باعتبار الابتداء لانه طلب الكمال الذي خلق له وهو التشبه بالاله عند هذه الطائفة يعني التخلق بالاخلاق الالهية وهذا المطلوب طريقه اليه مجهول عنده ولجهله به اضطر الى عالم بالله يعرفه اياه ولهذا يلزمه التسليم والانقياد وترك الاعتراض فلا يزال في حجر الابتلاء حتى يفتح له والشيخ اذا علم ان المريد قد انتقل وكملت تربيته وحان أوان فطامه وجب عليه أن يقطع عنه الامداد من جهته ويتركه مع ربه وان شاء أقعده ولا حكم عليه للشيخ بعد ذلك ولكن يلزم المريد ان ساوى شيخه أو جاوزه التأدب معه واحترامه للنسبة ولا يقعد للارشاد الا باذنه ما لم يأمره ربه فان أمره فما للشيخ عليه في هذا أمر أحد وقال الامام أبو حامد رضي الله عنه فيعتصم المريد بعد تقدم الشروط المذكورة بشيخه يعني بالشروط التجرد عن التقليد والمعصية والمال والجاه وليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ البحر بالقائد بحيث يفوض اليه أمره بالكلية ولا يخالفه في ورد ولا صدر ولا يبقي في متابعته شيأ ولا يذر ويعلم ان نفعه في خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب وأصل البيتين قوله في العوارف واعلم ان للمريدين مع الشيوخ أوان ارتضاع وأوان فطام وقد سبق شرح الولادة المعنوية فأوان الارتضاع أوان لزوم الصحبة والشيخ يعلم وقت ذلك فلا ينبغي للمريد أن يفارق الشيخ الا باذنه قال الله تعالى تأديبا للامة انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا

كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله
ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم وأي أمر جامع أعظم من أمر الدين فلا يأذن الشيخ للمريد
في المفارقة إلا بعد علمه بأنه آن له أوان الفطام وأنه يقدر أن يستقل بنفسه واستقلاله بنفسه أن يفتح
له باب الفهم من الله تعالى فإذا بلغ المريد إلى الخواطر والإلهام بالله والفهم من الله بعز فنائه
وسبحانه سبحانه وتعالى لعبده السائل الصالح فعند آن الفطام ومتى فارق قبل أوان الفطام
ناله من الاعتلال في الطريق بالرجوع إلى الدنيا ومتابعة الهوى ما ينال الفطيم لغير أوانه في
الولادة الطبيعية وهذا التزام خدمة المشايخ للمريد الحقيقي والمريد المتشبه يلبس خرقة الإرادة
ثم قال وسر الخرقة أن الطالب الصادق إذا دخل في صحبة الشيخ وسلم نفسه وصار كالولد الصغير مع
الوالد رباه الشيخ بعلمه المستمد من الله تعالى بصدق الافتقار وحسن الاستقامة ويكون للشيخ
… وبتصرفه الإشراف على البواطن فقد يكون المريد يلبس الخشن كثياب المتقشفين
المتزهدين وله في تلك الهيئة من الملبوس هوى واختيار كامن في نفسه ليرى بعين الزهاد فأخذ
ما على هذا الشاب الناعم وللنفس هوى واختيار في هيئة مخصوصة من الملبوس في قصر الكم
والذيل وطوله وخشونته ونعومته على حسبانها وهواها فيلبس الشيخ على هذا الراكن إلى
تلك الهيئة ثوبا يكسر بذلك على نفسه هواها وغرضها وقد يكون على المريد ملبوس ناعم أو هيئة
في الملبوس تشرف النفس بتلك الهيئة بالعادة فيلبسه الشيخ ما يخرج النفس من عادتها
وهواها فتصرف الشيخ في الملبوس كتصرفه في المطعوم وكتصرفه في صوم المريد ودوام إفطاره
وبتصرفه في أمر سنه إلى ما يرى له من المصلحة من دوام الذكر والنفل بالصلاة ودوام التلاوة
أو دوام الخدمة وكتصرفه فيه برده إلى الكسب أو الفتوح أو غير ذلك فللشيخ إشراف على
البواطن وتنوع الاستعدادات فيأمر كل مريد من أمر بما يناسبه ومعاد بما يصلح له ولتنوع
الاستعدادات تنوعت مراتب الدعوة قال الله تعالى ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن فالحكمة رتبة في الدعوة والموعظة كذلك ومن يدعى بالموعظة
لا تصلح دعوته بالحكمة فهكذا الشيخ … من هو على وضع الأبرار ومن هو على وضع المقربين ومن
يصلح لدوام الذكر ومن يصلح لدوام الصلاة ومن له هوى في الخشن أو في الناعم فيخلع المريد من
عادته ويخرجه من هوى نفسه ويلبسه باختيار ثوبا يصلح له ويمنعه ما يصلح له
ويداوي بالخرقة المخصوصة داء دواء ويوحي بذلك … إلى رضا مولاه فالمريد الصادق
الملتهب باطنه بنار الإرادة في بدء أمره وجدة إرادته كالمسوغ الحريص على من يربيه ويداويه
فإذا صادف شيخا ينعم من باطن الشيخ صدق العناية به لاطلاعه عليه وينعم من باطن
المريد صدق المحبة فتأتلف القلوب وتتناسخ الأرواح وظهر سر السابقة فيهما باجتماعهما لله
في الله انتهى ولما كان حال المريد كما وصفنا وأنه لا بد له من سلك الإرادة مع شيخه أشار إلى أن
من لا يكون كذلك لا يحصل له شيء من الطريق فقال رضي الله عنه

﴿ومن لم يكن سلك الإرادة وصفه * فلا يطمعن في شم رائحة الفقر﴾

من اسم شرط مبتدأ خبر جملة الشرط وقيل جملة الجزاء وقيل المجموع وسلك الإرادة أي الاختيار
خبر يكن ووصفه اسمها قدم والأولى لأنه المحدث عنه هذا والإضافة في سلك الإرادة للبيان إذ لا سلك
الإرادة من غير اعتبار الإضافة بها وقوله فلا يطمعن إلى آخر البيت جواب الشرط وقوله
كناية عن غاية … قطع الإياس من الفقر مع عدم الاتصاف بسلك الإرادة والإفلاس ولا رائحة
حسن وعبر كغيره بالشم دون غيره لأنه أضعف الإدراكات حسا ومعنى قال الشيخ أبو طالب
رضي الله عنه … في الخواطر والإلهام من خزائن الملكوت مثله كالمرآة المجلو

تقدح هذه الخواطر من حرائق الغيب فتؤثر في القلب وقبلا لا وبه التأثير فمنها ما يقع في سمع القلب ويكون فهما ومنها ما يقع في بصر القلب ويكون نظرا وهو المشاهدة ومنها ما يقع في لسان القلب ويكون كلاما وهو الذوق ومنها ما يقع في شم القلب فيكون علما وهو الفكر وهو الفعل المكتسب بنتائج العقل الغريزي وهذا أقلها انبثاثا وأيسرها عناء وما وقع في باطن القلب وحسه تخرق شغافه ووصل سويداءه فهو المباشرة وكان وجدا وهذا الحال من مقام المشاهدة ومن هذا قوله عليه السلام أسألك ايمانا يباشر قلبي والوصف ذكر الشيء بحليته ونعته وقد يستعمل الوصف في معنى الصفة وهو المراد هنا ﴿يقول﴾ والله أعلم ومن لم يكن من الطالبين لهذا الشأن والمريدين لسلوك طريق القوم متصفا ومتحليا بسلب الارادة والاختيار مع شيخه والاستسلام لرأيه واستصوابه في جميع تصاريفه واسلام نفسه اليه بحيث لا يتصرف في نفسه وجميع أموره الا بمراجعته وأمره فهو في غاية نهاية البعد عن أن يحصل له شيء من هذه الطريق أو يشم لها رائحة قال الاستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه وشرط المريد أن لا يتنفس نفسا الا باذن شيخه ومن خالف شيخه في نفس سرا أو جهرا فسيرى عنه من غير ما يحسه سريعا ومخالفة الشيوخ فيما يستشير ونه فيهم أشد مما يكابدونه بالجهد وأكثر لان هذا يلتحق بالجناية ومن خالف شيخه لا يشم رائحة الصدق فان بدا منه شيء من ذلك فعليه سرعة الاعتذار والافصاح عما حصل منه من المخالفة والجناية ليهديه شيخه الى ما فيه كفارة جرمه ويلتزم في الغرامة ما يحكم به عليه فاذا رجع المريد الى شيخه بالصدق وجب على شيخه جبران تقصيره بهمته فان المريدين عيال على شيوخهم فرض عليهم ان ينفقوا من قوة أحوالهم ما يكون جبرا بالتقصيرهم اهـ واعلم ان المريد اذا لم يحصر نفسه بذلك لا يستعد باطنه لقبول امداد الشيخ وسريانها فيه حتى يودعه نفائس الاحوال المرقية له الى ترك الاختيار مع الكبير المتعال المؤدي ذلك الى نيل مراتب القرب ومنازل الوصال اذ اصل كل خير ومبدؤه هو ان يعرف العبد قدره ولا يتعدى طوره ويكون عند نفسه عبدا كما هو كذلك حقيقة فيترك التدبير والاختيار مع مولاه ولا يعرج على أحد سواه ولما كان العبد أولا لا يعرف مولاه معرفة توجب له الاقدام والاحجام على مراده لغلبة أحكام الطبع والجهل عليه حتى صار عاملا بحكم طبعه واقتضاء نفسه وهواه ومراده أحيل عند ما عقل وأحس واراد السير من طبعه الى ربه بحكم شرعه على الشيخ العارف بالله وترك الاختيار معه ليكون عبدا مأمورا بمنعه الذي هو في الحقيقة مراد الله منه وتعقد حفظ حرمته وسلب الاختيار معه تكون معاملته للحق بعد حسب سنة الله الجارية ثم ان الشيخ لا يزال يحادثه ويرقيه بحاله ومقاله الى أن يسلب الاختيار مع مولاه ويصير عبدا محضا لسيده وربه قال في العوارف المريد الصادق اذا دخل تحت حكم الشيخ وتأدب بآدابه يسري من باطن الشيخ الى باطن المريد كسراج يقتبس من سراج وكلام الشيخ يلقح في باطن المريد ويكون مقال الشيخ مستودع نفائس الحال وينتقل الحال الى باطن المريد بواسطة الصحبة وسماع المقال ولا يكون هذا الا لمريد حصر نفسه مع الشيخ فانسلخ من ارادة نفسه ويفنى في الشيخ بترك اختيار نفسه فبالتألف الالهي يصير بين الصاحب والمصحوب امتزاج وارتباط بالنسبة الروحية والطهارة الفطرية ثم لا يزال المريد مع الشيخ كذلك متأدبا حتى يرتقي من ترك الاختيار مع الشيخ الى ترك الاختيار مع الله تعالى ويفهم من الله كما كان يفهم من الشيخ ومبدأ هذا الخير كله الصحبة والملازمة للشيخ اهـ هذا الكلام هو أصل هذا البيت والله أعلم واعلم ان ما ذكرنا من سلب الاختيار مع الشيخ وعدم التصرف الا باذنه لا يجري في الواجبات ولا في الضروريات لان الشيخ معزول عن النظر فيها والمريد ممنوع من الاختيار فيها للزومها له على كل حال فاستئذانه

جهل واشتراطه ضلال لوجوه ثلاثة أحدها أنه مخالف للسنة في المصطفى وما كان أصحابه رضي الله
عنهم يستشيرونه عليه السلام إلا في الأمور المهمة لتجدد اللازمة بكل حال الثاني أنه إما أن يكون
مع العزم على المخالفة إن أمر بخلاف المراد من ذلك شرعا وهذا كذب ظاهر لأن الاستئذان إنما
وضع للعمل على ما يشار به لا للمخالفة إن خالف وإما أن يكون على العزم على الموافقة ولو خالف
الشرع في مراد وهذا كفر إن اعتقد إباحة محرم به أو أجاز ممنوع شرع عليه وعصيان إن لم يعتقد
إباحته وقد قال صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وإما أن يكون مع العزم على
الرجوع للحق فيما يأمره وترك ما يراه الباطل منه وهذا لا فائدة فيه عند فعله على التمام وإن
كان ظاهر الأدب والاحترام والتفضيل والإعظام البالغ فإنه زيادة في ترك واجب فيمن
أو مندوب معنى كصلاة الجماعة وفضيلة أول الوقت ونحو ذلك ذكر هذه الجملة الشيخ أبو العباس
زروق رضي الله عنه بأبسط من هذا في بابه فيما دخل في هذه الطائفة من الدخل وبيان
الطريق الواضح السهل ثم قال رضي الله عنه

{وهذا وإن كان العزيز وجود • ولكنه في العزم خل من الغير}

الإشارة بهذا إلى الاتصاف بسلب الإرادة وقوله وإن كان العزيز وجود يحتمل أن يكون اسم
كان ضميرا عائدا لمدلول الإشارة قبله والعزيز خبره ووجود مرفوع بالعزيز لأنه صفة ويحتمل
أن يكون وجود هو اسم كان والعزيز خبرها وعلى كل حال ففي تعريف الخبر نوع من الحصر
فكأنه قصر عز الوجود على الاتصاف بسلب الإرادة أي وإن كان الأعز من وجود وضمير لكنه
عائد إلى مدلول الإشارة أيضا وفي العزم إما أن يكون في معنى عند أو حذف من الكلام مضاف أي
ولكنه عند العزم أو في حال العزم خال أي فارغ وهو خبر لكن ومن الغير متعلق به وفي بعض
النسخ الحزم بالحاء والزاي وهو بعيد في هذا المقام والله أعلم {تقول} والله أعلم والاتصاف
بسلب الإرادة وإن كان عزيز الوجود ولكنه عند ركوب مطية العزم وإدخال النفس في ذلك
بالرغم لا غرابة فيه ولا عسر بل يعود مدلول الوجود سهل الارتكاب وفي النفس ما حملتها تتحمل
لبقاء باطن المريد الصادق من اللوعة إلى تهون كل روعة حتى صار كأنه ميتا كالمسوع
الحريص على من يرضيه ويداويه إذا صادف شيخا سعت من باطنه صدق المحبة والانقياد
والاستسلام لرأيه واستمر أبدا لشرار ما يأمره وأوجد حلاوته فالمحبة روح الأشياء
والسبب المقتضي للاستهلاك والاستغراق وما أحسنه وسار عن الأمة بسر ذلك ولم يقدر عليك
لانتزاع الهوى فيه كامل على قدر أهل العزم تأتي العزائم ولعز المريد الحقيقي وغيره رسمه قال
الشيخ أبو عبد الله محمد بن عباد رضي الله عنه لا أدري أي الشيئين أعظم وجود الشيخ الحقيقي أو
المريد الصادق وقال الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد القادر بن عجيبة الحضرمي رضي الله عنه
لو طفت من أقصى بلاد المغرب في طلب مريد متمم الإرادة ظاهرا وباطنا بكل وجه ما وجدته
فكيف العارف الكامل • ولما أنهى الكلام على ما يلزم المريد من سلب الاختيار رجع إلى
تكميل ما يتعلق بالشيخ واستأنف ذكر علاماته ليكون المريد على بصيرة فيمن يسلب
الاختيار معه وهي ثلاث أحدها الجمع بين علمي الظاهر والباطن أعني ما يتوقف عليه السير
والسير فيهما وهو التصرف في علم الباطن إلى غير غاية وإتيان ما لا بد له منه في خاصة نفسه ويحتاج
إليه المريد في حال سفره وسيره من الظاهر ثانيها الأدب الشرعي ثالثها عدم الميل إلى الهوى
وأفادها بالتعبير عن أضدادها في الأبيات وصرح بالثالث فقال رضي الله عنه

{وللشيخ آيات إذا لم تكن له • فما هو إلا في ضلال الهوى يسري}

{إذا لم يكن علم لديه بظاهر • ولا باطن فاضرب به لجج البحر}

آبات مبتدأ خبره فى البحر وقبله واذا ظرف مستقبل وفاعل تكن ضمير عائد للآيات ولا خبر لها لانها تامة أى اذا لم توجد له تلك العلامات وفاء فما هو الخ البيت جواب الشرط وضمير هو للشيخ لكن لا بالمعنى المتقدم لان المراد بالشيخ فى قوله وللشيخ الخ مستحق المشيخة والمراد بالضمير فى قوله فما هو الى آخره المتصدر لذلك من غير استيفاء الشروط ففى الكلام من معانى البديع الاستخدامى وهو ان يراد بالظاهر معنى غير ذلك المعنى كقول الشاعر

اذا نزل السماء بأرض قوم * رعيناه ولو كانوا غضابا

فالمراد بالسماء المطر وبضمير رعيناه العائد اليه النبات واستعار الليالى للهوى لظلمته كما يستعار النهار للعلم لضوئه واذا ظرف مستقبل واسم يكن هو قوله علم وان كان نكرة لحصول الفائدة ولديه ظرف معمول لكون مقدر لانه خبر يكن وبظاهر ولا باطن معمول لقوله علم ويحتمل ان يكون مضارع كان التامة وعلم فاعله وبظاهر متعلق به أى اذا لم يوجد عنده علم بكذا وقد يقال ان الباء زائدة وظاهر الى آخره صفة لعلم أى اذا لم يكن عنده علم ظاهر ولا باطن فاضرب به أى ابعده واللجج جمع لجة أى وسط البحر وهذا البيت أعنى اذا لم يكن الى تمام ستة أبيات بدل تفصيل فى المعنى من قوله وللشيخ آيات البيت والعلم الظاهر قال الامام أبو حامد رضى الله عنه فى كتاب عجائب القلب من الاحياء هو ما يجرى على الجوارح من العبادات والعادات وفسر الباطن بانه علم ما يجرى على القلب من الصفات المهلكات والمنجيات وفسره فى كتاب العلم بانه علم المكاشفة بما حاصله يرجع الى كشوف الحق والخلق وقال الشيخ أبو عبد الله البلالى رحمه الله هو النظر فى تصفية الباطن رياضة وتهذيبا اه والحاصل ان كلام القوم فيه يرجع الى علم الطريقة عند البعض والى علم الحقيقة عند البعض وقد رسم هذه العلوم الثلاثة أبو عثمان سعيد المغربى رحمه الله فرسم علم الشريعة بانه علم بكيفية تعديل الهيئات البدنية الجسمانية بطريقة ازالة أحكام الانحرافات فى القول والعمل والحركات والسكنات وترك العادات ورسم علم الطريقة بانه علم بكيفية الرجوع الى الله وطريقه وعلم الآفات الطارئة على سائر هذا الطريق ودسائس النفس وشهواتها الخفية وشوبها الخفى من كل ما يبدو من الحسنات المعنى بما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين وبازالة الانحراف عن الاخلاق وتبديل مذمومها بمحمودها وبتحقيق المقامات والتوبة والزهد والمراقبة والتفويض والتسليم والثقة والتوكل والرضا ونحو ذلك قال وهذا هو علم الطريقة الذى يقال انه علم بالله وباسمائه وصفاته وكمالاته ﴿يقول﴾ والله أعلم وللشيخ الذى يطلبه المريد لطريق الله عز وجل والسير اليه بالقلب علامات يستدل بها على استحقاقه المشيخة والتربية اذا لم تحصل له تلك العلامات بأجمعها بحيث يكون متصفا ومتحققا بها فما هو يسرى فى ادعائه التربية بعقاله أو حاله بجلوسه للتربية الا فى ليالى الهوى لانه لما لم يكن مستحقا لها ولا مؤهلا لها بان يجتمع فيه شروطها ما حمله عليها الا حب الاستتباع وقبول الخلق عليه اذا لم يكن عنده علم ظاهر أى علم الشريعة ولا باطن أى علم الطريقة والحقيقة فابعده واخرجه من دائرة سعة المشيخة والقه فى لجج بحر النفاق بايهامه واظهاره خلاف ما هو به قال صاحب العوارف ومن شرائط أهل الولاية أن يكون عالما بالاوامر الشرعية وعاملا بها وواقفا على آداب الطريقة وسالكا فيها وكاملا فى عرفان الحقيقة وواصلا اليها ومخلصا بجميع ذلك حتى يتم له السلوك ويشرف بعلم الوصال فالله الله أيها الطالب الحذر من صحبة الاشرار فانهم قطاع الطريق واعتصموا بحبل القرآن والاحاديث النبوية وقال الشيخ أبو الحسن الششترى رضى الله عنه لا يقتدى فى طريقنا هذه بظاهر ولا باطن وانما يقتدى بمن جمع بينهما مع الزهد الظاهر والايثار والورع والعلم بالمنازلات والاحوال والمقامات والخواطر وقال أيضا لا يكون الشيخ الا

ذو علم بالظاهر والباطن قال المحققون لا تكفي الحديث وحفظ القرآن لا يقتدى به في هذا
الأمر فيجب على المريد أن لا يقتدي إلا بالعالم المتجرد عن الدنيا إلا أمل غيبا لم يترك نفسه من
يديه ملقا ويحكم له ولا يبقى الطالب لهذا الأمر أنه يلقيه بدايته أو ينظر في كتب الصوفية
والحكما ويعمل ويجتهد ويصلي لا والله ما الأمر هين قال الشيخ محيي الدين الحاتمي رضي الله عنه
فصفة الأستاذ أن يكون عارفا بالخواطر النفسانية والشيطانية والملكية والربانية عارفا بالأصل
الذي ينبعث منه هذه الخواطر عارفا بحركات الظاهر عارفا بما فيها من العلل والأمراض
القاطعة عن صحة الوصول إلى عين الحقيقة عارفا بالأدوية وأغذيتها عارفا بالأزمنة التي تحمل المريد
على استعمالها عارفا بالأمزجة عارفا بالعوائق والعلائق الخارجية مثل الوالدين والأولاد والأهل
والسلطان عارفا بنسب أسمائهم وتخليته المريد صاحب الإله من أيديهم هذا كله إذا كان المريد
له رغبة في طريق الله تعالى وإن لم يكن له رغبة فلا نتبعه اه واعلم أن ما شرط الناظم وجود
في الشيخ من العلم الظاهر والباطن هو ما يتوقف السير والسفر إلى الله بالطلب عليه فأما العلم
الباطن فالمطلوب منه التبحر التام إذ المقصود بالذات في الشيخ المستطلع عليه عند القوم
هو هذا العلم لأن المريد إنما يطلب الشيخ يسلكه ويعلمه علم الطريقة والحقيقة فيكون
عنده علم تام بالله وصفاته وأسمائه ومقاماتها وأحكامها وبواطنها وفوائدها وحكمها
وأسرارها وعلم تام بآفات الطريق ومكائد النفس والشيطان وطرق المواجيد
وعقبات المقامات قد حصل له ذلك على سبيل الذوق والوجدان بحيث إذا استخبر عن آفات
الطريق وعلاماته أو عن حقيقة المقاصد عبر عنه الأمر على ما هو عليه ويحصل له مع ذلك
قوة يمكن من رفع الموانع وقطع العوائق الظاهرة والباطنة ويتمكن بإذن الله من الطالب
المريدين والمسترشدين واستعداداتهم فيحمل كل أحد على ما يليق بقابليته واستعداده ويعين له
طريقا يقدر أن يمضي فيها إلى ربه وأما العلم الظاهر فالمطلوب منه في هذا الشيخ أن يكون عنده
ما يحتاج إليه في خاصة نفسه ويحتاج إليه المريد في حال سفره وسيره بقلبه إلى ربه وهو القدر
الذي لا بد منه من أحكام الطهارة والصلاة ونحو ذلك وعلى هذا يحمل كلام الناظم إذ كثير من
العلوم الظاهرة لا دخل لها في السير والسلوك إلى حضرة ملك الملوك كالدماء والحدود والطلاق
والعتاق والالتزامات فقد عرف بذلك كثير من فحول الطريق وأعلام الوجود والحقيق فقد كان
كثير منهم غير مطلع بعلوم الشريعة وكثير منهم ليس عنده إلا ما يخصه الذي لا بد منه وقد قال
الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه إنما يوجد علم كل شيء من أربابه فلا تعتمد صوفيا في
الفقه إلا أن يعرف قيامه عليه ولا فقيها في التصوف إلا أن يعرف تحققه له ولا محدثا فيهما إلا
أن يعلم قيامه بما يلزم طلب الفقه من قبل الفقهاء لا من قبل الصوفية وإنما يرجع لأهل الطريقة
فيما يختص بصلاح باطنه في ذلك ومن غير ذلك كان الشيخ أبو عبد الله محمد المرجاني رضي
الله عنه يأمر أصحابه بالرجوع إلى الفقهاء في مسائل الفقه وإن كان عارفا بها اه وقال
الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد الساحلي رحمه الله الثالث يعني من الشروط التي لا بد منها في
الشيخ أن يكون عنده من الكتاب والسنة ما يقوم به ما لا بد منه من الرسوم الشرعية وما يبنى
عليه وظائف سلوكه وإذا انضاف إلى ما فتح الله به عليه من الحكم في باطنه فإنه يكون له في ذلك
نور يمشي به في الناس ويهديه إلى فهم خطاب الكتاب والسنة إلى آخر كلامه في هذا المعنى
قال الشيخ عفيف الدين أبو محمد عبد الله اليافعي رضي الله عنه على قول الشيخ أبي عبد الله محمد
ابن خفيف رضي الله عنه اقتدوا بخمسة من شيوخنا والباقون سلموا لهم حالهم مخصصة الاقتداء بالجامعين بين علم
الظاهر وهو علم الشريعة وعلم الباطن وهو علم الحقيقة يحتمل أمره بذلك ثلاثة أوجه أحدها

الندب لا الوجوب اذ لا خلاف بينهم ان جميع السالكين العارفين بالله تعالى يجوز الاقتداء بهم سواء حصل السلوك قبل الدنية أو بعدها وسواء عرفوا جميع علوم الشرع المعروضة والمدونة أولم يعرفوا سوى فرض العين الذي لا بد لكل مكلف منه والوجه الثالث ان يكون قال ذلك احتيازا منه لقول من قال بوجوب الاقتداء والاخذ بقول الاعلم من المجتهدين لا بقول من قال بالتخيير بينهما والله أعلم اه وفي العوارف ماهو أوسع من هذا قال فيها وقال أبو يزيد البسطامي صحبت أبا علي السندي فكنت ألقنه ما يقيم به فرضه وكان يعلمني التوحيد والحقائق صرفا اه وأبو علي السندي هذا هو أستاذ أبي يزيد حسبما صرح به في الرسالة ومن المعلوم ان الشيخ أبا عبد الله محمد بن عباد رضي الله عنه لم يفتح له الا على يد رجل أمي على ان الشيوخ كما قال الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه ثلاثة شيخ تعليم وشروطه ثلاثة تحصيل عقد الباب المتكلم فيها والقدرة على الالقاء بلا تقصير والانصاف في الرد والقبول وشيخ تربية وشروطه ثلاثة علم المعاملة ظاهرا وباطنا والبصيرة النافذة والتجربة الحاصلة وشيخ ترقية وشروطه ثلاثة البصيرة النافذة والنور التام والهمة العالية فبالبصيرة يميز وبالنور يعدو بالهمة يرفع كما ان الذي قبله بالعلم يربي وبالبصيرة يرفع وبالتجربة يحقق كما ان الذي قبله بالتحصيل يفيد وبالعبارة يوصل وبالانصاف يحقق اه والى شيخ الهمة والترقية يشير ما روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان لله عبادا من نظر اليهم نظرة لا يشقى بعدها أبدا وكذا قول أنس رضي الله عنه ما نفضنا التراب عن أيدينا من دفنه صلى الله عليه وسلم حتى وجدنا النقص في قلوبنا قال الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه فأفاد ان رؤية شخصه الكريم كان نافعا لهم في قلوبهم فكذلك من له نسبة بطريق الوراثة العلمية ومن ثم كان النظر الى وجه العالم عبادة اه ومنه أيضا قول الشيخ أبي محمد عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه وبعدانه لا تصحب من يؤثر نفسه عليك فانه لئيم ولا من يؤثرك على نفسه فانه قل ما يدوم واصحب من اذا ذكر ذكر الله فالله يغني به اذا شهد وينوب عنه اذا فقد ذكره نور القلوب ومشاهدته مفتاح الغيوب وكذا ما وقع له مع أستاذه الشيخ أبي زيد عبد الرحمن المدني رضي الله عنه حسبما في بعض لطائف المنن قال الشيخ أبو الحسن عن شيخه أبي محمد عبد السلام سلك الشيخ أبو محمد بن عبد السلام وهو ابن سبع سنين وظهر له من الكشف أمثال الجبال ثم خرج الى السياحة وأقام بها ست عشرة سنة فدخل عليه يوما شيخ في مغارة فقال له من أنت قال أنا شيخك مذ كنت ابن سبع سنين وكلما يصلك من المنازلات فهي مني وهي كذا وكذا وحدثه بجميع ما جرى له من الاحوال وكان سكناه بالمدينة على ساكنها السلام وكان يجيء اليه ويعلمه ويمده فقلت له يا سيدي كان يأتيك طيا أو سفرا فقال لي ساعة يأتيني ويروح فقلت يا سيدي وكنت أنت تروح اليه قال نعم وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه كل شيخ لم تصل اليك الفوائد منه من وراء حجاب فليس بشيخ وقال أيضا رضي الله عنه والله اني لاوصل الرجل الى الله من نفس واحد وقال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه ما بيني وبين الرجل الا ان أنظر اليه نظرة وقد أغنيته وهذا ليس على اطلاقه وانما هو كما قال في العوارف ان نظر العلماء الراسخين والرجال البالغين ترياق نافع ينظر أحدهم الى الرجل الصادق فيستشف بنفوذ بصيرته حسن استعداد الصادق واستئهاله مواهب الله تعالى الخاصة فيقع في قلبه محبة المريد الصادق وينظر اليه بنظر محبة عن بصيرة وهم من جنود الله تعالى يكسبون بنظرهم أحوال الانسية ويهبون آثارا مرضية وماذا ينكر المنكر من قدرة الله تعالى ان الله سبحانه وتعالى كما جعل في بعض الافاعي من الخاصية انه اذا نظر اليها الانسان يهلكها بنظره قادر بان يجعل في نظر بعض خواص عباده انه اذا نظر الى طالب صادق يكسبه حالا

وجفا وقد كان يطوف بمسجد المدينة فقيل له في ذلك فقال إن لله عبادا إذا نظروا إلى شخص أكسبوه سعادة فأنا أطلب ذلك اهـ وقال الشيخ أبو الفضل تاج الدين بن عطاء الله رضي الله عنه في لطائفه إنما يكون الاقتداء بولي دلك الله عليه وأطلعك على ما أودعه من الخصوصية لديه فطوى عنك شهود بشريته في وجود خصوصيته فألقيت إليه القياد فسلك بك سبيل الرشاد يعرفك برعونات نفسك وكمائنها ودفائنها ويدلك على الجمع على الله ويعلمك الفرار عما سوى الله ويسايرك في طريقك حتى تصل إلى الله ويوقفك على إساءة نفسك ويعرفك بإحسان الله إليك فيفيدك معرفة إساءة نفسك الهرب منها وعدم الركون إليها ويفيدك العلم بإحسان الله إليك الإقبال عليه والقيام بالشكر إليه والدوام على ممر الساعات بين يديه وقال فيها أيضا ليس شيخك من سمعت منه إنما شيخك من أخذت عنه وليس شيخك من واجهتك عبارته إنما شيخك الذي سرت فيك إشارته وليس شيخك من دعاك إلى الباب إنما شيخك الذي رفع بينك وبين الله الحجاب وليس شيخك من واجهك مقاله إنما شيخك الذي نهض بك حاله شيخك هو الذي أخرجك من سجن الهوى ودخل بك على المولى شيخك هو الذي ما زال يجلو مرآة قلبك حتى تجلت فيه أنوار ربك نهض بك إلى الله فنهضت إليه وسار بك حتى وصلت إليه ولا زال محاذيا لك حتى ألقاك بين يديه فزج بك في نور الحضرة وقال ها أنت وربك فهنالك تحل الولاية من الله وتواطن الإمداد من الله وبساط التلقي من الله اهـ ولما كان أمر الشاذلية على هذا الحال الموصوف قال الشيخ أبو عبد الله الخروبي رحمه الله واعلم أن تربية الشاذلية إنما هي بالهمة والملاحظة فقد ذكر الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه عن أستاذه أنه أخذ عن تلميذ له ثم سأل أستاذه فقال يا سيدي وظف علي وظائف وأورادا فقال نعم الشيخ وقال أرسلنا يا وجيه الفرائض معلومة والمعاصي مشهورة فكن للفرائض حافظا وللمعاصي رافضا واحفظ قلبك من إرادة الدنيا وحب النساء وحب الجاه وإيثار الشهوات واقنع من ذلك بما قسم الله لك إذا خرج لك مخرج الرضا فكن لله فيه شاكرا وإذا خرج لك مخرج السخط فكن عنه صابرا وحب الله قطب تدور عليه الخيرات وأصل جامع لأنواع الكرامات وحصون ذلك كله أربعة صدق الورع وحسن النية وإخلاص العمل ومحبة العلم ولا يتم لك هذا إلا بصحبة أخ ناصح أو شيخ صالح ثم قال بعد أن ذكر كلام ابن الشاذلي وغيره في شروط الشيخ نحو ما تقدم وما يأتي لكنه باختصار وأوعب وكيف يدرج المريد ويعامل قال إنما ذكر من الشروط في الصحبة مع ذلك كله من يريد الجلوس على السجاد والتربية بدخول الخلوة والسلوك بطريق الأسماء وغير ذلك وقد تقدم أن طريق الشاذلية إنما هي بالهمة اهـ وقد قال الشيخ أبو العباس الحضرمي رضي الله عنه ارتفعت التربية بالاصطلاح في سنة أربع وعشرين وثمانمائة من جميع الأرض ولم يبق إلا الإفادة بالهمة والحال فعليكم بالكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان قال الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه عقب هذا الكلام ثم بكلامه هذا انقطعت الطرق التي بأيدي الناس اصطلاحه فلم أجتمع بأحد منهم جمعه ولا نظر عينه ولا رسم إلا بمجرد النسبة يعرف ذلك من تأمله في مشايخهم وحكمة ذلك أن الخصوص لما كانت هذه التربية من الحق محجوبة عنه بالاصطلاحات فلما بعدت عنه بغاية الفساد على الخصوص وكثرت الظلمات لم يبق فيها ذلك لاحتياجها لتمام النور فانتقل الأمر إلى الهمم والأحوال كما كان في الصدر الأول حيث كانت ظلمة الجاهلية غالبة ولم يغلبها إلا ظهور نور النبوة المذهب لكل ضلال وظلمة دون اصطلاح ولا غيره والاستظهار بالوراثة على نسبة فافهم قال رضي الله عنه

﴿وإن كان إلا أنه غير جامع • لوصفيهما جمعا على أكمل الأمر﴾

﴿وأقرب أحوال العليل الى الردى * اذا لم يكن منها الطبيب على خبر﴾
كان تامة وفاعلها ضمير ما قبلها أى وان وجد عند العلم الظاهر والباطن وضمير انه للمتكلم عليه وغير جامع خبر انه ولوصفيهما أى لهما فالاضافة بيانية وهو متعلق بجامع وجمعا مفعول مطلق وعلى أكمل الامر صفة لجمعا أى جمعا معتبرا وقوله وأقرب يحتمل انه جواب الشرط بناء على ان كلا من لفظى العليل والطبيب استعارة تحقيقية للمريد والمراد وعلاقتها السياق اذ الكلام فيما يتعلق بهما على هذا فادا من قوله اذا لم يكن منها الطبيب الخ للمضى بمعنى اذ على حد قوله تعالى اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة واذا حققنا المناط قلنا انه علة للجواب لا نفس الجواب وهو سائغ ومنه قول الشاعر
فان يكونوا برآء من جنايته * فان من نصر الجانى هو الجانى
والأصل فان يزعموا أنهم برآء من جنايته فقد كذبوا لان من نصر الجانى هو الجانى والاصل أيضا فى كلام الناظم فلست بأهل للمشيخة لان أقرب أحوال العليل الخ ويحتمل الاستعارة ويكون لا محالة أقام علة الجواب مقامه والاصل الاقرب عقلاء القاصر صدور أموره على رأيه الهلاك لان الشيخ بمثابة الطبيب والمريد بمثابة العليل وأقرب أحوال العليل الخ وحذف صدر العلة لوضوحه والشيخ فى منزلة الطبيب مما جرى مجرى الامثال بين أهل هذا الطريق وعلى هذا يحتمل الذى قبله فادا على بابها من الاستقبال و يقع فى بعض النسخ كما فى الاصل اذا لم يكن منها أى من أحوال العليل وفى بعضها اذا لم يكن منه أى من العليل والردى الهلاك والطبيب الحاذق بالطب والخبر بكسرهما و يفتحان العلم بالشئ ﴿يقول﴾ والله أعلم وان كان عندى المتصدر للتربية العلم الظاهر والباطن الا أنه غير جامع لهما جمعا تاما معتبرا ليس له تجربة فى الباطن ولا اتقان ما لابد منه من الظاهر فليس بشيخ لان أقرب أحوال المريد القاصر أمره عليه المتبع لما يشير به عليه الى الردى والانقطاع اذا لم يكن منه الشيخ على علم وتجربة و بصيرة فى أحواله لان الشيخ فى الامراض القلبية بمنزلة الطبيب فى الامراض البدنية فكما ان الطبيب اذا لم يكن عالما بالمرض من حرارته و برودته ودرجته وغير ذلك حتى يعالجه بضده ولم يكن له علم أيضا بالازمنة والامكنة والسن والصناعة وأعيان الاعشاب والعقاقير وكميته تركيبها واقدار الذى يعمل منها ساق العليل الى الهلاك وهو لا يدرى كذلك الشيخ اذا لم يكن عارفا بما يليق بقابلية المريد واستعداده ووضعه على سبيل التجربة والبصيرة النافذة والتحقيق لم يكن له علم بذلك تام حتى يعامل كلا بما يليق به و يضع كل شئ فى محله على قدر وجهه أفسد أكثر مما يصلح قال الامام أبو حامد رضى الله عنه وكما ان معيار الدواء مأخوذ من معيار العلة حتى ان الطبيب لا يعالج العليل ما لم يعرف ان العلة من حرارة أو برودة وان كانت من حرارة فيعرف درجتها أهى ضعيفة أم قوية فاذا عرف التفت معه الى أحوال البدن وصناعة المريد وسنه وسائر أحواله فعالج بحسبها فكذلك الشيخ المتبوع الذى يطبب نفوس المريدين و يعالج قلوب المسترشدين ينبغى ان لا يهجم بالرياضة والتكاليف فى فن مخصوص وطريق مخصوص ما لم يعرف أخلاقهم وأمراضهم وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم فكذلك الشيخ لو أشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكهم وأمات قلوبهم وقال الشيخ محيى الدين ابن العربى رضى الله عنه ومتى لم يكن الطبيب يميز أعيان الاعشاب والعقاقير عارفا بتركيب الادوية فانه مهلك للمريض فان العلم من غير معرفة العين لا يفيد ولا بد من عين اليقين الا ترى لو كان للعشاب غرض فى اهلاك المريض فاذا وصف الطبيب الدواء من جهة كونه عالما به ولا يعرف شخص الدواء وقلد العشاب فى ذلك وأعطاه العشاب ما فيه هلاك العليل وهو يقول هذا مطلوبك فيسقيه

الطبيب للمريض فيهلك فاعبه في عيوب الطبيب والمسايب فإن الطبيب كان الواجب عليه أن يداري الاعيان يعرف عيبه وعيبه فكذلك الشيخ اذا لم يكن صاحب ذوق واخذ العلم من الكتب لامن أقوال الرجال ويقعد يربي المريدين طلبا للرياسة والرياسة فإنه يهلك لمن لا يعرف موردا الطالب ولا يقدر لريدان يكون عند الشيخ دين الاشياء ويدبر امر سياسة الملوك وحينئذ مالة اسناده وقد ذكر في العوارف انه ينبغي للشيخ ان يعتبر المريد ويعامله على حسب صلاحيته وا ستعداده فقال ثم ينبغي للشيخ أن يعتبر حال المريد ويتفرس فيه سور الاعيان وفي العلم والمعرفة ما يأتي منه ومن صلاحيته واستعداده فمن المريدين من يصلح للتعبد المحض أحوال العوالم وطرق الابرار ومن المريدين من يستعد لصالح القرب وسلوك طريق المقربين المريدين لمعاملة القلوب والمعاملات ولكل من الابرار والمقربين من مبادي ونهايات ويكون الشيخ صاحب الاشراف على البواطن يعرف كل شخص وما يصلح له والعباد الصحراوي يعرف الارضين والغروس ويعلم كل غرس وأرضه وكل صاحب صنعة يعلم منافع صنعته ومضارها حتى المرأة تعرف ما يصلح منه والغزل دقيقه وغليظه ولا يعلم الشيخ حال المريد وما يصلح له كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم الناس على قدر عقولهم وأمر كل شخص بما يصلح له فمنهم من كان يأمر بالانفاق ومنهم من أمر بالامساك ومنهم من أمره بالكسب ومنهم من قرر على ترك الكسب كأصحاب الصفة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف أوضاع الناس وما يصلح لكل أحد فاما في رتبة الدعوة كان يعمم الدعوة لانه مبعوث لاثبات الحجة وايضاح المحجة يدعو على الاطلاق ولا يخصص بالدعوة من يتفرس فيه الهداية دون غيره ثم أشار الى العلامة الثانية وهي الاذن الخاص في الدعاء الى الله والارشاد الخاص فقال رضي الله عنه

﴿ومن لم يكن الا الوجود امامه • وأظهر مستورا أتو به الشعر﴾

﴿وأمل أرباب الارادة نحو • بصدق على المس في جلد الصخر﴾

قال الشيخ أبو اسحق بن دهاق رضي الله عنه اسم الوجود يطلق على العالم كله أي جميع أجزائه وعلى رب العالم سبحانه اهـ والمراد هنا ما يتعلق بالمحل من الاول وهو الناس ومن اسم شرط مبتدا ويكن فعل الشرط والوجود فاعل امامه ومستورا أتوبه الشعر فاعل اظهره فإن جرى الرد وان جرى النصب كان حالا وفاعل أظهره ضمير يعود على الوجود وقوله وأمل أرباب الارادة عطف على أظهر والمراد تؤدي بشرعه امالهم نحو عقدا كان الدال عليه وذلك لحسن وغيرهم لكونهم مقيدين رادهم مع الحس لم يفقدوا ابدا في تحصيل الحقيقة ويصدق متعلق بامل والارادة قال الاستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه هو نهوض الهمة لطلب القرب من الله وفي العوارف قال محمد بن خفيف الارادة سمو القلب لطلب المراد وحقيقة الارادة مداومة الجد وترك الراحة والصدق في امعي النية وجمعها المعاني العليا الى مرابط موافق الغرض اما في الحال واما في المال وعلى العزم والتصميم وعلى بالخاء المعجمة والمس هنا الاثر وفي بعض النسخ يحيل مضارع احيل والمس بدل الحس والمعنى واحد لان يحيل من قولهم أحال بالمكان وفي جلد الصخر متعلق بتعلق ور ومن النسخ جامد بدل جلد والصخر هو الحجر العظيم الصلب يكون من اصابة الندى التي فيه والجلد هو الصلب أي صلب الصخر والمعنى فيهما واحد وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقدير فهو كذلك أي غير مقبول قال الله تعالى واللائي لم يحضن اي فكذلك أي فعدتهن ثلاثة أشهر كالتي قبلهن وهي المأيسات من المحيض ان ارتبتم (فقول) والله أعلم ومن لم يكن له اذن خاص من ربه ولا من شيخه الذي

وسيأتي بعض ذلك ان شاء الله تعالى عند ما يتعلق بالكلام على الشيخ فقول

هو في الحقيقة اذن من الله سبحانه اما العدم وجود الانتفاع به من أجل كونه عقيما وان كان
كاملا في نفسه واما العدم تمكنه من حاله حتى يأمن النقص بمعاشرة الخلق ويكون بحيث لو ان
ملوك الارض وقفوا في خدمته ما شغله عن الله طرفة عين ولا لاطفهم ولا استطال ولو دخل الى قرب
يوقد ما ظهرت نفسه بصريح الانكار وما أثبته في التربية الا الناس بقبولهم عليه وصدق
رغبتهم فيه لما رأوا له من حسن المعاملة وأظهره أولئك الناس مشهورا اعلام التربية والامامة
للمريدين في سلوك طريقهم بما نشروا من صيته وعلوا من ذكره وقدموه على نفوسهم
وفوضوا اليه أمورهم وأقبل بسبب ذلك أهل نهوض الهمة لطلب القرب من الله بحسن نية
وعزم وتصميم حازم قوي ليس فيه ميل ولا ضعف ولا تردد لفرط تعطشهم الى من يوصلهم الى
ربهم فهو أي هذا الشيخ المتصدر للمشيخة بسبب اثبات الخلق له فيها كذلك أي غير مقبول
لتعرضه بخروجه للخلق بنفسه وظهوره لهم من غير اذن من ربه لما لم يكن أهلا له ولا جعل
مستحقه فكلامه وان كان حقا فهو محجوب بالهوى ومعلول بظهور نفسه فيه فهو عاص أو زاد في
الضرر كالمجذوم يريد ان يداوي مثله فلا يزيده القرب منه الا جذاما وسنة الله مع أنبيائه
وأوليائه أن لا يخرجوا للخلق الا باذنه فيكونون في حرز وحزبهم بالله واما هذا فالفساد اليه أسرع ولا
يحصل به منتفع وأصل البيتين قوله في العوارف أهم الآداب أن لا يتعرض الصادق للتقدم على
قوم ولا يتعرض لاستجلاب بواطنهم بلطف الرفق وحسن الكلام محبة الاستتباع فاذا رأى ان الله
بعث اليه المريدين والمسترشدين بحسن الظن وصدق الارادة يحذر ان يكون ذلك ابتلاء
واختبارا من الله تعالى والنفس مجبولة على محبة قبول الخلق والشهرة وفي الخمول السلامة فاذا
بلغ الكتاب أجله وتمكن العبد من حاله وعلم بتعريف الحق اياه انه مراد بالارشاد والتعليم
للمريدين فيكلمهم كلام الناصح المشفق كالوالد لولده بما ينفعه في دينه ودنياه وقال فيها أيضا ومن
جملة المقاصد بالسفر ايثار الخمول وترك حظ القبول بصدق الصادق قيم على حسن الحال ويرزق
من الخلق حسن الاستقبال وقلما يكون صادق متمسك بعروة الاخلاص وقلب عامر الا ويرزق
قبول الخلق حتى سمعت بعض المشايخ يحكي عن بعضهم انه قال أريد اقبال الخلق علي لا لأني أبلغ
نفسي حظها من الهوى فاني لا أبالي أقبلوا أم أدبروا ولكن لكون قبول الخلق علامة تدل على
صحة الحال فاذا ابتلي المريد بذلك لا يأمن من نفسه ان تدخل عليه بطريق الركون الى الخلق
وربما فتح عليه باب من الرفق وتدخل النفس عليه من طريق البر والدخول في الاسباب
المحمودة وتريه وجه المصلحة والفضيلة في خدمة عباد الله ببذل الموجود واستجلاء قبول الخلق
وربما تقوى بأعوانه يجره الى التصنع والتعمل ويتسع الخرق على الراقع وسمعت ان بعض الصالحين
قال لمريد له أنت الآن وصلت الى مقام لا يدخل عليك الشيطان من طريق الشر ولكن يدخل
عليك من طريق الخير وهذه مزلة عظيمة للاقدام وبالله تعالى يدرك الصادق اذا ابتلي بشيء من
ذلك برحمته بالعناية السابقة والمعونة اللاحقة الى السفر ففارق المعارف والموضع الذي فتح عليه
هذا الباب ويتجرد لله تعالى بالخروج الى السفر وهذا من أحسن المقاصد في الاسفار للصادقين
ثم قال اذا من الله تعالى على الصادق باحكام أمور بدايته وقلبه في الاسفار ومعه الحظ من
الاعتبار وأخذ نصيبه من العلم قدر حاجته واستفاد من مجاورة الصالحين وانتقش في قلبه فوائد
النظر الى حال المتقين وتعطر باطنه باستنشاق عرف المقربين وتحصن بحماية نظر أهل الله
وخاصته ولبس أحوال النفس واسفر السفر عن دقائق أخلاقها وشهواتها الخفية وسقط من
باطنه نظر الخلق وصار يغلب ولا يغلب كما قال الله تعالى اخبارا عن موسى ففررت منكم لما
خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين فعند ذلك يرده الحق الى مقامه ويعده بجزيل

أمامه وعمله أما المقتدى به فيقتدى بعلمه والمؤمن به يهتدى اهـ ومن هذا قول الشيخ تاج
الدين بن عطاء الله في لطائفه اعلم أن مبنى أمر الولي على الاكتفاء بالله والقناعة بعلمه والاستغناء
بشهوده قال الله سبحانه وتعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال سبحانه وتعالى أليس الله
بكاف عبده وقال عز من قائل ألم يعلم بأن الله يرى وقال جل جلاله أولم يكف بربك أنه على كل شيء
شهيد فبنى أمرهم ابتداء على الفرار من الخلق والانفراد بالملك الحق وإخفاء الأعمال وكتم
الأحوال تحقيقا لفنائهم وتثبيتا لزهدهم وعملا على سلامة قلوبهم وصدقا في إخلاص أعمالهم
لسيدهم حتى إذا تمكن اليقين وأيدوا بالرسوخ والتمكين وتحققوا بحقيقة الفناء وردوا إلى
وجود البقاء فهنالك إن شاء الحق أظهرهم هاديا لعباده إليه وإن شاء سترهم فاقتطعهم عن كل
شيء إليه وظهور الولي ليس بإرادة نفسه لكن بإرادة الله تعالى له بل مطلبه إن كان له مطلب الخفاء
لا الجلاء كما قدمنا فلما لم يكن الظهور مطلبهم وأراد الله سبحانه إظهارهم فأظهرهم تولاهم في
ذلك بالتسديد وإرفاق مزيد لقوله عليه السلام يا ابن عبد الرحمن بن سمرة لا تطلب الإمارة
فإنك إن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها ومن حقق معهم
بالعبودية لله لم يطلب ظهورا ولا خفاء بل إرادته وقف على اختيار سيده له وقال الشيخ أبو
العباس رضي الله عنه من أحب الظهور فهو عبد الظهور ومن أراد الخفاء فهو عبد الخفاء ومن
كان عبد الله فسواء عليه أظهره أو أخفاه وقد حذر الأئمة رضي الله عنهم في غير ما كتاب المريد
من الوثوب مع قبول الخلق والإصغاء إليهم والرجوع لهدايتهم قبل التمكين والرسوخ خوف النفس
لما يعتريه في ذلك من العلل القادحة في حاله وتوحيده ويكفي في ذلك ما للإمام أبي حامد رضي الله
عنه في كتابي رياضة النفس والغرور من الإحياء فإنه أوضح فيهما السبيل وأشفى العليل فراجعه
إن شئت وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه في قول أبي عثمان الحيري رضي الله عنه
من لم تصح إرادته ابتداء لا يزيده مرور الأيام إلا إدبارا قال فمن أراد أن تصح إرادته فليوصل أمره
على أن لم يرض الدخول على رب الأرباب بالإقبال على الآخرة وبلازم الخلوة ودوام الذكر فهنالك
تظهر عليه آثار الخصائص بالنور والبهاء في الوجه ويقبل الناس عليه من الرجال والنساء
الخواص والعوام ويسارعون إلى إكرامه والإقبال عليه والسلام والتعظيم فإن قبل
ذلك منهم قبل التمكين والتحقيق سقط من عين الله ورد إلى ما خرج عنه فترا فيمدح هذا ويقال
على هذا ويعرض عن هذا ويغضب على هذا فقد ظهرت عورة نفسه بإدبار عن ربه ورؤية
حظ نفسه فاحذر واحذر الداء العظيم فقد هلك خلق كثير واغتروا بالله ومن يعتصم
بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم وأما ما ذكرنا من الإذن من الله ومن الشيخ فقد تقدم في
كلام لطائف المنن وكذا النص على الإذن من الله فيه وفي العوارف عن الشيخ محيي الدين
الحاتمي رضي الله عنه ومن شروطه يعني الشيخ أن لا يتصدر للمشيخة إلا أن يقيده أستاذه
أو يعتقد ربه بما يلقى إليه في سره على الأمر المعهود له مع ربه في الأخذ عنه اهـ وقد صرح
الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد الساحلي رحمه الله في مواضع من كتابه بغية السالك بأنه لا بد من
الإذن من الشيخ وقال في مواضع في أثناء كلام ويخلص من نفسه على يد وارث آخر حتى
صار لي شيء من ربه وأهله الله لهداية غيره وخصصه بالمواهب المقتضية ذلك وحصل له الإذن الصحيح
الصريح ذلك من فوقه ومتى قصر عن هذه الأوصاف فهو معلول وفي موضع آخر بعد كلام في
تدريج المريد إلى أن يكمل قال عند ذلك ملكه القدوة زمام نفسه وأمنه على حفظ سره وأعلمه
أنه على شيء من ربه فإن كان ممن أهله الله لهداية غيره أذن له في ذلك وإلا اقتصر على نفسه
اهـ وفي هذا إشارة إلى ما ذكرنا من التمم مع كماله في نفسه وقد قال في العوارف فمن الآباء من

سعل

تنتقل الذرات في صلبه ومنهم من لم تودع في صلبه فينقطع نسله هذا في المشايخ من يكثر أولاده ويأخذون منه العلوم والاحوال ويودعونها غيرهم كما وصلت اليهم من النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة الصحبة ومنهم من يقل أولاده ومنهم من ينقطع نسله وقال الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه فكما ان في أرباب الأصلاب من يكون عقيما في الولادة مع توفر قواه كذلك من أرباب الحقائق من يوجد عقيما مع علو مقامه فتمسك عن تتبع به ودع ما وراء ذلك اهـ وما ذكره أبو عبد الله الساحلي من أنه لابد من الاذن الصريح من الشيخ هو الذي يقوى في النفس لان الشيخ اذا أذن للمريد فقد ارتفع الوهم والايهام لكمال معرفته بالله وتلقيه عن الله فاذنه اذن الله حقيقة وأما انه يستقل ذلك بما يجده من الخطاب في باطنه وغير ذلك فلا أراه لان المريد قد يكون له هوى كامن في ارادة ذلك وقد لا يشعر به فتنطبع حقيقته في قلبه وترتسم في خياله وتحدثه نفسه بذلك فيظن ان ذلك من قبل الحق تعالى وان الحق خلقه فيه لذلك فيفتتن ويفتن وليحذر المريد من هذا اذ ليس ذلك المقام ينبغي لكل أحد وانما هو لقوم صدقوا في التقوى وكمل زهدهم فيما سوى المولى وتحققوا بالعبودية وقاموا بحقوق الربوبية ولم يبق للهوى عليهم سلطان فصفت منهم الاسرار وعمرتهم الانوار فاذا وجدوا شيأ في بواطنهم من هذا القبيل أو غيره فروا الى الله منه حتى تبرأ ساحتهم من الهوى والهوى في بواطنهم ان ذلك حق بحيث لا يمكنهم تكذيبه ولا يصح منهم رده ولا يجب هوى وتثلج له صدورهم وتنشرح به قلوبهم ويسري في عوالمهم سرايه يفهمون بها حقيقته واعلم أن الوجود وان كان يطلق على اسم الحق وعلى الخلق كما تقدم لكن يتعين حمله هنا في البيت على الثاني ولا يصح حمله على الاول لان هذا التركيب الذي هو ومن لم يكن ان استقربته وحدته تارة لا يذكر فيه استثناء وتارة يذكر فيه الاستثناء التام فالاول لتصوير المسئلة ليس الا كقوله ومن لم يكن سلب الارادة الى آخر البيت ومن لم يكن يدري العروض البيت والثاني اذا كان الجزاء فيه صفة ثبوتية كما هنا على هذا المعنى بحسب الفهم القويم والطبع المستقيم الاكتفاء والقناعة بأدنى مسكة من الشيء ومن لم يكن يحسن الا الصفة فصلاته صحيحة وذلك يؤدي في هذا المقام الى سوء أدب وخشونة عبارة لا يجوز اطلاق مثلها في مثله بل يتضاءل الانسان ويستنكف عن ان يتشيع لها لان الخارج منها ان اقامة غير الله أتم من اقامة الله وهو فاسد مع كون الناظم أيضا أتى به في سياق هذه الابيات التي نص فيها على من لا توجد فيه شروط المشيخة وكذا في العوارف ذكر هذه المسئلة أولا كما قدمنا ثم أعقبها بما يأتي في قوله وآيته ان لا يميل الى هوى ثم على قوله وان كان الا انه غير جامع ثم ما يأتي على قوله وان كان ذا جمع وما يقال أيضا ان الوجود هم الناس ولكنه مقبول لكونه حيث نصر الله به المريدين على أهوائهم وشياطينهم يحتمل ان يكون كمله بعض رجال الغيب وان لم يكمله شيخه ولا اذن له لوفاته قبل ذلك فلا معول عليه لانه يفتح للمدعين بابا الى دعوتهم ويضرب للمبطلين طريقا الى هوسهم والخطأ في ألف محق بعدم الاتباع أخف من الخطأ في مبطل واحد بالاتباع وقد قدمنا عن أئمة هذا الشأن انه لابد من التمكين ثم الاذن من الله أو الشيخ الذي اذنه باذن الله ليكون في الاشياء بالله لا بنفسه حتى يكون معانا مؤيدا منصورا والخلق ليس لهم في هذا مدخل لا بنفي ولا باثبات واتباعهم لا يدل على شيء لان ذلك من صدقهم كما قال الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه المريد يتبع بصدقه وان كان الشيخ مخالفا ما لم يتبعه في مخالفته فيضل أعظم من ضلاله اهـ وقوله يحتمل أن يكون قد كمله بعض رجال الغيب أمر محتمل والمطلوب أن يكون المريد في الشيخ على بصيرة ويقين وان كان مبنى الطريق على ترجيح الظن الحسن عند موجبه وان ظهر معارض لكن في باب الاقتداء لابد من

النفس لأنه يقتدى به فيرغب في سلوك طريقه ويكون كمال أهلية الشيخ بعلمه وعمله وسمعه وقد قال الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه مبنى الطريق على التسليم والتصديق ومبنى الاقتداء على العقل والتمييز وهما متساويان في القصد ولابد منهما لمريد الاقتداء فإذا كمل التسليم عنده والتصديق أصله وحسن الظن أساسه والتمييز عمدته فإن وجد محلا للاقتداء اتبع وإن لم يجد سلم وترك وإن قام له عارض من الاقتداء نبذ أمره وفوّض أمره إلى الله طالبا منه ذلك ليحصل على سلامة الصدر وحسن الظن ﴿فائدة﴾ كثيرا ما نسمع في هذه الأعصار نسبة الأموات والأستاذية لهم وقد قال الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه التمسك بالأموات دون الاعتماد في الأحياء وذلك من نقص الهمة اللهم إلا أن يكون ذلك على سبيل التعرض لنفحات الرحمة في الزيارة لطلب الزيادة فقد المشيخ أقوى من فقد الحي لأنه في بساط الحق ولأن المتعلق به عري عن الأعراض والعوارض من الاستئناس ونحوه كما قال شيخنا أبو العباس الحضرمي رضي الله عنه وكرامة الله لأوليائه لا ينقطع عنهم بل تزداد كما هو معلوم في كثير منهم اهـ وكثيرا ما يقول مولاي الوالد رضي الله عنه إذا كان الشيخ الميت يدّعيه لا يحد المسترشد المريد أن يحصل له شيء من هذا الطريق الأصح حاله غير راجح لنفسه بأنس بهديه وتدريبه وتوضع دائما بما يغني عن ذكره ما كتب في ذلك وقال رضي الله عنه بعد كلام زمن لا يصح فيه ترك الشيخ مع وجود الحي وإن كان أفضل بعلمه وولايته إذ لا تكفي الأعمال طلبا به الإمداد المتصل بمشاهدة الشيخ الحي بعد دخول معه ونهج طريقه لما في ذلك من الاستئناس بالحس والرجوع إلى الحس لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته مع ما في ذلك من التأديب والتهذيب والتدريب بالهمة ومن الشيخ المسترشد المعوان يتوجه له أمر الاعتداد الإيمان بهديه أو كاد والله أعلم ومن الآيات ما يشهد لذلك ويدل بعمومه ألا له الخلق والأمر عالم الغيب والشهادة إلى غير ذلك من الآي واعتبرها وقس عليها وبالله التوفيق ثم أشار إلى العلامة الثالثة وهي عدم الميل إلى الهوى فقال رضي الله عنه

﴿وآيته أن لا يميل إلى هوى • فدنيا حظي وأخرى في سفر﴾

أي قال وآيته كذا مع أن المناسب أن يقول وأن لا يميل إلى هوى عطفا على الملابس وقابله ليشير إلى هذه العلامة لما كذا شرطها أمر له شيء فأتم بنفسه خارج عما قبله كما قال حا الرجال ورفقه ملاقوله وقد ساه فرعه على عدم اتباع الهوى لأن حب الدنيا ناشئة الميل للهوى وهي المستلزم في الشيء من حب هو نفسه وفي قوله فدنيا في طي وأخرى في نشر من أنواع البديع المطابقة وتسمى بالطباق والتضاد وهو الجمع بين معنيين متقابلين يكون بينهما نوع من أنواع المقابلة والمنافاة حقيقة أو اعتبارا ولو في بعض الصور ما كالضحك والبكاء والطي والنشر هذا إن اعتبرت الطي والنشر على الانفراد وإن اعتبرت مجموع الكلام فمقابلة لأنه قابل الدنيا والطي بالآخرة والنشر في الآخرة قابل الدنيا والنشر بقابل الطي وهذه حقيقة المقابلة يقول والله أعلم وعلامة الشيخ المؤهل للتربية أن لا يتبع ما فيه عدم الميل والانحراف إلى الهوى في دعائه الخلق إلى الله وتربيته لهم من تلك الاستعدادات وصرف الوجوه إليه وتحصيله وغير ذلك فيكون أبدا بساط دنياه مطويا ومال وهي أعظم أركانها مطويا بالإدبار عنها ورداء أخراه منشور مبسوطة لمن يريد سلوك طريق الكمال لا دنيا له عما يطلع إليه أولا وقولا وحالا كل شيء منه يدل على الله سبحانه قد أقبل على الله تعالى وقطع عن الدارين لأنه يريد منهما سوى الله تعالى وكمال معرفته بحقائق الوجود ما إضافه إلى جلال الله وكبريائه وعظمته فلا يدعو عباد الله إلى الله إلا بالله وبالله قال الشيخ

أبو عبد الله محمد بن عباد رضي الله عنه في نظمه للحكم

ان التواخي فصله لا ينكر * ولو خلا من شرطه لا يشكر
مقاله وحاله سيان * ما دعوا الا الى الرحمن
والشرط فيه ان تواخي العارفا * على الحظوظ وللحظوظ صارفا
أنواره دائمة السرايه * يمد قد حمت بك الرعايه
فهذه فائدة التواخي * ولا يكن منك بها تراخي
وقاصدا اماقد هذا الشرطا * صحبته يفقدها قد حطا
لكونه رأى بها محاسنه * ففيه ذات اعتذار دائمه

وقال الشيخ أبو عبد الله الساحلي الاول يعني من الامور التي تشترط في الشيخ أن يكون مخلصا من هواه قد ملك زمام نفسه بالطهارة حتى صارت نورا يهتدى بها وتجلى الحقائق فيها حين خرجت عن طور الاهواء الجسمانية حتى انه اذا تكلم تكلم بالله واذا صمت صمت بالله واذا نظر نظر بالله واذا تحرك تحرك بالله واذا سكن سكن بالله اه وأصل البيت قوله في العوارف فالقول كالبذر يقع في الارض فاذا كان فاسدا فمفسود الاريح وفاسد الكلمة يدخل الهوى فيها والشيخ ينقي بذر الكلام من عشوب الهوى ويسلمه الى الله تعالى ويسأل الله تعالى المعونة والسداد ثم يقول فيكون كلامه بالحق من الحق للحق فالشيخ للمريد أمين الالهام كما ان جبريل أمين الوحي وكما لا يخون جبريل في الوحي كذلك الشيخ لا يخون في الالهام وكما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى فالشيخ مقتد برسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا لا يتكلم بهوى النفس وهوى النفس في القلب شيآن احدهما استجلاب القلوب وصرف الوجوه اليه وما هذا من شأن الشيوخ والثاني ظهور النفس باستحلاء الكلام والعجب وذلك جنايته عند المحققين والشيخ فيما يجري على لسانه واقف النفس تشغله مطالعة نعم الحق في ذلك وأخذ الحظ من فوائده ظهور النفس بالاستحلاء والعجب ثم قال وكل مريد أو مسترشد ساقه الله اليه يراجع الله تعالى في معناه ويكثر الالتجاء اليه ان يتولاه فيه وفي القول معه ولا يتكلم مع المريد الا وقلبه ناظر الى الله تعالى ومستعين به في الهداية للصواب من القول سمعت شيخنا أبا النجيب السهروردي يوصي بعض أصحابه ويقول له لا تكلم أحدا من الفقراء الا في أصفى أوقاتك وهذه وصية نافعة لان الكلمة تقع في سمع المريد الصادق كالحبة تقع في الأرض وقد ذكرنا ان الحبة المفسودة تهلك وتضيع وفساد حبة الكلام بالهوى وقطرة من الهوى تكدر بحورا من العلم فعند الكلام مع أهل الصدق والارادة ينبغي ان يستمد القلب من الله تعالى كما يستمد اللسان من القلب وكما ان اللسان ترجمان القلب يكون قلبه ترجمان الحق عند العبد فيكون ناظرا الى الله تعالى مصغيا اليه ملقيا ما يرد عليه مؤديا للامانة فيه اه وربما أخذ من قول الناظم يميل بلفظ المضارع المقتضي للتكرار والدوام ان المخل في المشيخة كون اتباع الهوى شأنه وديدنه وهو كذلك لان وقوع الزلة والزلات والهفوة والهفوات لا يقدح والعصمة غير موجودة في حقه * ولما فرغ من علامات الشيخ التي يجب ان يتصف بها أشار الى التحذير من الاغترار والغلط فيمن خلا من العلامات المتقدمة ويظهر باطعام الطعام ليس الا ويتشرصبيته بذلك فقال رضي الله عنه

﴿وان كان ذا جمع لأكل طعامه * مريد ولا تصحبه يوما من الدهر﴾

قوله مريد هو منادى بحرف النداء وفي بعض النسخ بنصب مريد منونا وذلك يجري على انه لم يقصد مريدا معينا وفي بعضها البيت طعامه بدل لأكل طعامه وفي بعضها وان كان ذا بيت لأكل

طعامه وفي نعمتها وان كان ذا جمع زيت طعامه فزهده والمقصود تجريد المريد من الاغترار
بالظاهر باطعام ونحوه كان أو مقطلا عن مرتبة الهداية وراء ذلك ولكن بعض الشيخ أوضح
دلالة على المقصود من المعنى وقد تقدم المشيخة على ان من هذه القصد فلا عتب عليه الا الذي
كثيرا والمريد اضطرار جامع يهيئ همه في طلب القرب من الله وقال أبو عثمان رضي الله عنه
المريد الذي مات قلبه عن كل شيء دون الله فيريد الله وحده ويريد قربه ويشتاق اليه حتى
تذهب شهوات الدنيا عنه لشدة شوقه الى ربه وقال الواسطي رضي الله عنه أول مقام
المريد ارادة الحق باسقاط ارادته ويوما أي زمانا من الاوقات والدهر الزمان الطويل والابد
المحدود والمراد هنا زمان المريد ﴿قوله﴾ والله أعلم ان كان هذا الظاهر بالمشيخة ذا جمع أي لم
يكن عنده الا انه صاحب جمع لا كل طعامه ولا يحسنه ما يريد في طريق الله والوصول الى
حضرته وتمام ذكره لانه ليس مطلوبك الذي توصلك لمرادك ومرغوبك بل زعما وتشبيها
واقعد عليك مقصودك وكدر عليك مشربك ثم ان هذا الظاهر باطعام الطعام اما أن يكون
ذلك منه شبكة لامالة الخلق عليه وتزيينه للزيارة فهذا فاسق ممقوت لا يتبعه ولا يلتفت اليه
واما أن يكون ذلك منه لايصال الخير لعباد الله واراحتهم من هم العيلة وتفريج خواطرهم لعباد
الله فهذا مشكور ثوابه موفور وأجره مذخور ولكنه لا يصلح بالمريد ولا هو نعمة لكونه
ليس مطلوبه قوت الاشباح وانما مطلوبه قوت الارواح قال الشيخ أبو الحسن الشستري
رضي الله تعالى عنه والذي يظهر لي انه رتبة خادم وهو يظن انه في رتبة شيخ أو يظن فيه
المشيخة هو الذي ظهر باطعام الخبز والايثار ونحو من هذا ومعطي لهذا ولا يعرف المقامات
ولا المنازلات ولا يرى غير الادا كان على ترك الطريقة وأكثر مشايخ بلادنا اذا اعتبرتهم تجدهم
في عقد الرتبة أعني الموثر منهم وقليل ما هم اه وقد أشار في ... الى كل من القسمين
الظاهرين باطعام الطعام فقال في الاولى بعض ما قدمنا عند قوله وان كان الا انه غير جامع وكم
مغرور وقانع بالتشيخ ممن اتخذ ذلك رأس ماله واغتر بنفسه فليه واسترسل في الجارحة والخالطة
وحمل نفسه احمالا لا تليق بلمعة نور كل عبد وروى نوحة منه فيه ضده من ليس يضيق به الذي
ولا يتممه سلوك طريق الفقر فانتقض ... في حطة القصور ووقع في دائرة الغرور وقال
في الثاني الخادم يدخل في الخدمة راغبا في الثواب وفيما أعد الله تعالى للعباد ويقصد ولا يبالي
الراحة خاطر المقبلين على الله عن هموم معاشهم ويقبل ما يفعل لله نية صالحة والشيخ واقف
مع مراد الله والخادم واقف مع نيته فالخادم يفعل الشيء لله والشيخ يفعل الشيء بالله فالشيخ في
مقام المقربين والخادم في مقام الابرار وشعار الخادم البذل والايثار والانفاق من الاغيار للاخيار
و وطعمه وبيته مهيئة لخدمة عباد الله وفيه يعرف الفضل ويرجحه على نوافله واعماله وقد يتهم من
لا يعرف الخادم مقام الشيخ ويزعم جهل الخادم أيضا حال نفسه فنصب نفسه شيخا لقلة العلم
واندراس علوم القوم في هذا الزمان وشاهد كثيرا من الفقراء من المشايخ بالقمة دون العلم
والحال فكل من كان اكثر طعاما فهو عندهم أحق بالمشيخة ولا يعلمون انه خادم ليس بشيخ
والخادم في مقام حسن وحظ صالح من الله تعالى ثم قال فالخادم يحرص على حيازة الفضل
فيه وصل بالكسب تارة وبالاستقراض أخرى وباستجلاب الوقف الى نفسه تارة لعلمه انه في
بذلك صالح لا يصاله الى الموقوف عليهم ولا يبالي أن يدخل في كل مدخل لا يدعه الشرع لمراد
الفضل بالخدمة ويرى الشيخ لنقد البصيرة وقوة العلم ان الانفاق كذا يحتاج الى علم تام ومعاناة
تخليص النية عن شوائب النفس والشهوة الخفية ولو حصلت منه فارغب في ذلك لوجود مراده
فهو حاله ترك المراد وافاته مراد الحق ثم اشتغل بذكر الخادم والمستخدم الشبيه بالخادم بالظاهر

ذلك

دلك فيه وأصل البيت هو هذا الكلام المنقول من العوارف واعلم أن كلام الناظم وغيره انما يصب لمن خلا من شروط المشيخة وحصل له الصيت باطعام الطعام فقط فحذر وامنه المريدين لئلا يشتبه عليهم أمره ويخلطوا فيه وأما من كان أهلا للمشيخة محصلا لشروطها وقصده يجمع الخلق جمعهم على الله والحيلولة بينهم وبين ما سوى الله قد أخذه الله اليه واقتطعه عن دائرة حسه وعزله عن صفات نفسه وكاشفه بصريح المراد في حق الخطاب فعلم أن الحق يريد منه البذل والايثار والانفاق والاطعام فدخل في ذلك بغيبة صفات نفسه من قام فيه بربه لربه فليس مما أشاروا اليه في ورد ولا صدر اذ كلامهم ان أمعنت النظر فيه انما هو فيمن خلا من الشروط الداخل في ذلك بنفسه وهذا له في كل مدخل بيان وبرهان واذن من الله تعالى وقد كان شيخ وقته أبو محمد عبد الله بن محمد القيرواني رضي الله عنه يقول طريقنا طريق العائدة والمائدة والحكمة الزائدة وقد عقد لكل واحدة من هذه الكلمات بابا في ارجوزته فانظرها فيه ومن الاشارة الى ما قررنا ما ذكره في العوارف لما تكلم على السالك وانه لا يقدم ولا يؤهل للمشيخة الا من جمع بينهما وان المجذوب المتدارك بالسلوك هو الاعلى والاكمل فقال ومن صح في المقام الذي وصفناه هو الشيخ المطلق والعارف المحقق والمحبوب المعتق نظره دواء وكلامه دواء بالله ينطق وبالله يسلك كما ورد لا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا فبي ينطق وبي يبصر الحديث فالشيخ يعطي بالله ويمنع بالله بلا رغبة له في اعطاء ومنع بعينه لعينه بل هو مع مراد الحق والحق يعرفه مراده ويكون في الاشياء بمراد الله لا بمراد نفسه فان علم ان الله يريد منه الدخول في صورة محمودة دخل فيها المراد الله تعالى لا لكون الصورة محمودة بخلاف الخادم القائم بواجب خدمة عباد الله اهـ ولما استوعب الكلام على الشيخ أعني فيما يجب فيه من الشروط أشار الى أن ذلك فيه غنية للمريدين عن التفتيش على ما ينبه له فقال رضي الله عنه

﴿ وأما بان الشيخ عينه لما * وتعيينه يغني عن البحث والسير ﴾

قوله عينه هو جواب أما وحذف منه الفاء لضرورة الوزن وفاعل عينه ضمير يعود الى ما ذكر في الابيات قبله والبحث التفتيش والسير الذهاب ﴿ يقول ﴾ والله أعلم وأما بان الشيخ الذي يسلك طريق الله على يديه وشرحه على ما هو علمه فقد عينه لنا معشر الفقراء وأوضحه ما تقدم ذكره وذلك التعيين لكماله يغني المريد ويكفيه عن البحث عنه والسير الى من يسأل عنه ولما ذكر علامات الشيخ المغنية للمبتدئ عن ان يسأل عنه غيره ورأى ان من الناس من لا يستقل بنظره وان وجد الدليل لان العقول منها الصحيح والعليل سيما والامر باطن ولا بصيرة للمريد بنظره بها من حيث الباطن فقد يسمعه يتكلم في المنازلات والاحوال ولا يدري هل ذلك من بساط عقله وفهمه أو من بساط نوره وذوقه ذكر علامات من يسأل عنه وشرط فيه ان يكون لصاحبه بصيرة صافية صقيلة وقال ان من ليس كذلك ربما دل على ناقص يحسبه كاملا أو يعرض عن كامل يظنه ناقصا فقال رضي الله عنه

﴿ ولا تسألن عنه سوى ذي بصيرة * خلي من الاهواء ليس بمغتر ﴾

لا ناهية والفعل بعدها مؤكد بنون التأكيد الخفيفة وضمير عنه للشيخ وسوى ذي بصيرة استثناء وبيان لمستكمل شروط المسؤلية والبصيرة ناظر القلب كما ان البصر ناظر العين قاله غير واحد وفي العوارف هي قلب الروح ومنها تنبعث اشعة الهداية والعقل لسان الروح والمراد بالبصيرة السالمة النافذة المؤيدة بالنور دالا يخيل على القاصرة ولا المطموسة الغرور واعتقاد نقيض الحق وقوله خلي من الاهواء ليس بمغتر في قوة كلمة مفردة صفة لبصيرة مع أي صاحب بصيرة صافية حال صاحبها عن كل ما يدنس صقالها وذكرهما لا مهما شيء يطلب من صاحب

شفاعته لي انني أنا مذنب * كثير الخطايا قارعا باب ماسنا وان كنت قد عقت في كل حالة *

البصر مع دلالتها على البصر النافذ الكامل ﴿يقول﴾ والله أعلم ولا نسأل الا هو المرشد الشيخ الموصل للاقتداء الكامل الشروط الا من كان صاحب بصر نافذ وأصفها من واضح النور الكاشف فهو صاحب حقائق في الحقيقة حكم على الكامل بكماله وعلى الناقص بنقصانه فذو البصر النافذ الثاقبة لا يخفى عليه شيء فلا يهمها السالك مجرد ولا يحجب أبدا لمعرفته بعد كمالها وبأهلها وبعد وجود من يخبره ولا يعصب لأحد بالشهوة ولا يميل الى الغرض مع خلو عن التأهل للمشيخة لأن ما أيده الله به من بصيرة النور المضاد للهوى لا يدعه يتخلف عن موجب ما تجلى له وكشف له عن حقيقة الامور وحكمت به البصيرة قال الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه النور يكشف عن الفهم في اسم أو صفة تسري معانيها في كلية حتى يبصر الحق والباطل إبصارا لا يمكنه التخلف عن موجبه اهـ ولا يفسر أيضا ويقصد الكمال في ناقص أو النقص في كامل لكمال بصيرته ووضوح نور قال الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه فاذا أكمل النور حكمت البصيرة حكما في الامور واتبع القلب الصواب وترك الباطل واذا فقد النور حكمت البصيرة بغير الصواب أو به على غير وجهه فاتبعها القلب على حسب ما حكمت به بهوى الهوى وبعض الغرور اهـ هذا معنى كلام الناظم وأما كونه صاحب بصيرة غيرها ويعصب بالشهوة والميل للحظ ويهون في نفسه ولا يعقل شيئا لا يصلح وقد قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه البصير كالبصر أدنى شيء يقع فيها يعطل النظر والخطرة من الشر تشوش النظر وتكدر الفكر والارادة له تذهب بالخير رأسا والعمل به تذهب عن صاحبه سهم من الاسلام فمتى هو من أبي تصدى الخ وكذا كونه يكون صاحب بصيرة ويقصد الشيء على غير وجهه ويضعه في غير محله بغير تحسين المعاملة أو بالاشتراك في الصنعة لا يصلح أيضا لانه مخالف لما اقتضت حقيقة البصيرة النافذة الكاملة بل الذي تقتضيه حقيقة البصير المؤيد أنه لا يدل الا على المؤهل للمشيخة وكان من هو أعلى منه في حق التصنع ولما أيده الله به من بصيرة من النور لا يدل الا على ذلك لا على نفسه وقد قال الشيخ أبو عبد الله المدني رحمه الله ويرشد الى ما هو أسلك منه ما أمكنه بل قال الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه وعيب على الشيخ اذا رأى شيخا آخر وفيه أن ينفع نفسه ويلزم خدمة ذلك الشيخ الآخر ويلازمه وانه صلاح في حقه وحق أصحابه ومن لم يفعل هذا فليس عنده قط ولا ناصح لنفسه ولا صاحب همة بل هو ساقط الهمة صغيرها بل رعاع وتحت في الرياسة والتقدم وحسدا في طريق الله لنقص الا ترى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم كيف قال لو كان موسى حيا ما وسعه الا أن يتبعني والناس وعيسى يحشر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فهكذا شيخ الطريق ثم أشار الى عليه اشتراط الصفاء في البصر وبيان وجهه الذي هو قولنا أولا فقال لانه من ليس كذلك الخ لان العلة في نور المطلق والقول وقال رضي الله عنه

﴿فمن صدئت مرآة ناظر وهمه * أريه نوحه الشمس من كلف البدر﴾

الصدأ هو ضد الصفاء واضافة مرآة الى ناظر بيانية أي مرآة التي هي ناظر وهمه لأن المرآة ناظر القلب وعبر عن القلب بالفهم من باب تسمية المحل باسم الحال لأن القلب قابل الا هو ما ب وقوله أريه فاعله المرآة المصدئة والجملة جواب الشرط الذي هو فمن صدئت ونوحه الشمس مفعول ثان لأريه والشمس استعارة تحقيقية لمن جمع شروط المشيخة يجمع بين السلوك والجذب وسلم من الغيم والبدر هو القمر وهي هنا استعارة تحقيقية أيضا وقد تقدما تقدم من الاوصاف وقرينة الاستعارتين المقام والنابت نوحه وعائدة أي أريه من كلف البدر في نوحه الشمس والكلف السواد ﴿يقول﴾ والله أعلم فمن صدئت بصيرته التي هي ناظر قلبه وأظلمت

باتباع الهوى وارتكاب الشهوات انعكست الاشياء في حقه ورآها على غير ما هي عليه وظهر له الكمال المشروط المحصل للسلوك والجذب المتمكن من حاله بحيث يصرفها ولا تصرفه مستدرثا وناقصا لكونه مارآه مستهلكا في الحقيقة ظاهر عليه سناها كحال أرباب الجذب الذين مارجعوا بعد الى عالم الخلق وتحقيق الوسائط والاسباب وهو اعش بصيرته يظن ان ذلك هو الكمال أوكان عن بالصد أالبصيرة واقعا مع الرسوم والظواهر لا يرى الا عن يكون مستغرق الاوقات في الاوراد والجد والاجتهاد كحال العباد والزهاد وأرباب السلوك الذين ماخرجوا عن وهم المكابدة الى روح الحال وما درى الذى بغير عينه قد حصل له السلوك مع الجذب وصار في الاشياء بالله وجعله الحق برزخا بين بحرين بحر التشريع وبحر التحقيق لا يبغى هذا على هذا يضع كل شئ في محله وينزل كل أحد منزلته يعطى كل ذى حق حقه ويوفى كل ذى قسط قسطه لا يقف مع شئ ولا يتقيد بشئ لان ذلك الشئ غير محبوبه ومعبوده وقد صير الورد واحدا المولاه وكان بحكم ما يستعمله في عموم الاوقات بحكم مراده وهو اذ فطر قاته كلها صالحات وتصرفاته وآثاره حسنات وأفكاره وأذكاره مشاهدات فهو حاضر في تصرفاته متيقظ في تقلباته قال الشيخ أبو طالب رضى الله عنه بعد كلام في ماهية الورد للمريد ووصف حال العارف بالمزيد في العمال من كان يجعل الورد من أجزاء القرآن ومنهم من كان يجعله في اعداد الركوع ووقوق هؤلاء من العلماء كانوا يجعلون الاوراد من أوقات الليل والنهار فان قطع الوقت بآية أو ركعة أو فكرة أو شهادة فذلك ورده وأما العارفون فانهم لم يؤقتوا الاوراد ولم يقسموا الاوقات بل جعلوا الورد واحدا لمولاهم وجعلوا حاجتهم من الدنيا ضرورتهم وصيروا همتهم واحدا وتساووا بالسيدهم وتصريفهم لمصالحهم يدخل عليهم فوضعوا أرواحهم في ربقة العبودية ووضعوا أقدامهم في مصاف الخدمة فكانوا في كل وقت بحكم ما يستعملون ويوصف ما يطالبون ذلك وردهم وتلك علاماتهم عن حسن اختيار الله عز وجل لهم وجميل توليه اياهم لا يكلهم الى نفوسهم ولا يوليهم بعضهم وهو يتولى الصالحين مشاهدتهم ذكرهم وقرب الحبيب حسبهم ليس يشهدون فضيلة في غير محبوبهم ولا يشهدون قربة بغير معبودهم وهم به يتقربون اليه واليه يسعون به وعليه يتوكلون له ومنه يخافون عنه واياه يحبون منه لو أسقطوا الاعمال كلها غير ما يتعلق بالتوحيد ثم نويه ما نقص من توحيدهم ذرة ولو تركوا أوراد المريدين كلهم ما أثر في قلوبهم وأحوالهم بالاوراد فيعرفون النقصان والمزيد منها ولا تجتمع همومهم بسبب ويقوى يقينهم بطلب فيتشتت بفقد سبب ويضعف يقينهم لعمرى طلب هذه المعانى هى أحوال المريدين وجملة تعدهم في شيئين ضيقهم بالخالق فهر توامنه واتساعهم بالخلق فاستراحوا اليهم ولودام قربهم منه لدامت راحتهم به ولو وقعت شهادتهم عليه لما نظروا الى سواه فاما العارفون فقد فرغ لهم من قلوبهم واجتمعت المتفرقات بجامعها لهم وأقامهم القائم لهم بشهادتهم له فلهم بكل شئ مزيد ومن كل شئ توحيد فكل حظ لهم يردهم اليه وكل منظور يدلهم عليه وكل نظر وحركة طريق لهم اليه فتوحيدهم في مزيد ويقينهم في تجديد بغير تغيير ولا تصديد ولا انقاف وتجديد ولو طلب أحدهم التشتت بالاسباب فبرده مهارب الارباب لانه مراد بالاجتماع واعا استروح بالشتات لاستجماع ما هو في قلبه آت تمتنامنه بحبيبه وتمكنا عند محبوبه اذا علم انه طالبه فطارح نفسه لحمله فحمله عاتولاه ولم يكله الى نفسه وهواه مقامات لاهلها لا يعرفها سواهم ولا تصلح الا لهم ولا تليق الا بهم ولا يؤمن بها الا هم لا يقاس عليها ولا يدع مكانها ولا تنتظر فتترك لها الاوراد ولا تتوقع فيقصر لاجلها في الاجتهاد والمريدون بها مسلوكون طريقها ومواجهون بعلمها ومحولون اليها مطلوبون بها مزودون زادها وهى محروسة عليهم

مقصورة لهم وهم فيما يعون إلى آخر كلامه ويحتمل أن يكون الباء في قوله بوجه الشمس زائدة
على حد قوله لم يرأت سور القمر وبين كلف البدر لي بأنه وهو على حذف مضاف أي أنه
وجه الشمس من صاحب كلف البدر فيكون في الكلام من البديع النوع المسمى بالتجريد وهو
أن ينتزع من أمر ذي صفة آخر مثله في تلك الصفة مبالغة في قوة الصفة في المنتزع منه حتى صار
يصح أن ينتزع منه آخر مثله في الصفة كقوله فلي خليل من بني زيد صديق حميم أي بلغ من الصداقة
حدا صح معه أن يستخلص منه آخر مثله فيها أي الصداقة ونحوه في المعنى أن وجه الشمس كأنه
عن الكامل المسمى بالمشبه الجامع بين الجذب والسلوك وصاحب كلف البدر كأنه عن
المجذوب الصرف أو السالك الصرف وصدى القمر فيه تعريض جاري على المجذوب من حيث
الأحوال وعلى السالك من حيث الأعمال والأقوال وبطشه في غاية الكمال فبالغ في الدلالة
عليه وتكثير الأشياء ... وقد بلغ صاحب كلف البدر الذي هو المجذوب المجرد أو السالك المجرد
من الكمال في عين صدى القمر الذي بالغ في الدلالة عليه كل مبلغ حتى صار عنده كأنه معدن
للعارفين شروط الكمال منه ... وهذا يؤدي إلى ضرر عظيم وفساد جسيم فلذلك ساق
الناظم هذا الكلام على الأسلوب التجريدي المقتضي للمبالغة المذكورة زعم صدى القمر
تحذيرا وتنبيها على السبب لمن يسأل عن الشيخ وهذا البيت على هذا الاحتمال هو معنى
ولما قيل زعم الدليل على نقص نفسه كامل ثم قال رضي الله عنه

﴿ومن لم يكن يدري العروض فربما * يرى القبض في الطويل من أظهر الكسر﴾

من اسم شرط مبتدأ ويدري أي يعرف والعروض بفتح العين يطلق على الجزء الأخير من صدر
البيت ويطلق على الفن بأجمعه وهو المراد هنا والقبض عند أهل العروض عبارة عن حذف
الخامس الساكن من الجزء كالياء من مفاعيلن وقوله في الطويل أي في البحر الطويل
والطويل هو أحد أبحر الشعر الخمسة عشر وهو من الدائرة مركب من فعولن مفاعيلن أربع
مرات ... ومفاعلن الرابع وليس له إلا عروض واحدة مقبوضة أي محذوفة
الخامس الساكن وهو الياء فمن لم يكن عالما بالفن زعم وحسبها كذلك فيرى أن ذلك عيب
وكسر والعارف بالفن الخبير به عالم بأنها لا تستعمل إلا كذلك ما لم يدخل في البيت تصريع
ونحوه وهذا كله من باب التمثيل الذي مقصده إبراز المعاني العقلية في الصور الحسية تقصدا
لكمال البيان والمقصود أن حادي القمر ربما يعبر عن الكامل بحسبه بادعائه وذلك لأن
الكامل لما كان مردودا بالحق إلى الخلق ونازلا من سماء الحقائق إلى أرض الحظوظ وراجعا
من عالم الأمر إلى عالم الخلق والحكمة متحققا بالتأييد والتمكين والرسوخ في المقامات تعاطى في
الصور ما يتعاطاه العوام ويسمع أنواع الكلام ويجالس أصناف الأنام يخاف أن ...
لا لعدم استيلاء سلطان الحقيقة عليه ولكن لكمال معرفته وشهود مشيئة ربه التي لا يتوقف على
شيء ويتوقف عليها كل شيء فلا يلتبس أمر الأعلى ذي بصر ... كما قيل لأبي يزيد رضي الله عنه
ما أعظم آيات العارف فقال أن تراه يأكل ويشرب ويمازح ويضاحك ويبيع ويشتري وقلبه
في ملكوت القدس هذا أعظم الآيات وإلى هذا أومأ الناظم في البيت قبله وما هو من نحو هذا
البساط شعر ما قاله الجنيد رضي الله عنه من رآني في بدايتي قال صديق ومن رآني في نهايتي قال
زنديق وأخرج ابن أبي شيبة بسند صحيح عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال لم يكن
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متحرفين ولا متماوتين وكانوا يتناشدون الأشعار في مجالسهم
ويذكرون أمر جاهليتهم فإن أريد أحد على شيء من دينه دارت حماليق عينيه في وجهه كأنه
مجنون ... هذا البيت معنى قوله أولا ويعرض عن كامل ... وتختلف النسخ في تحرير هذا البيت

في حالها من أظهر الكسر وفي بعضها من أعظم وهي متقاربة المعنى * ولما فرغ من علامات الشيخ ومن يدل عليه وكان حفظ حرمة الربوبية وكذا الشيخ والاخوان استعمال الادب معهم كلا بما يليق به مبلغ غايته الادب ومصيبة ينتهي به الى العطب ذكر في ذلك فصلا حسنا عد فيه أشياء يتأكد على المريد الاتصاف بها والا كان كبنيان على غير أساس فيجب على المريد حفظه ويتأكد على كل قاصد خير تحصيله لانه للناهض جناح ولداخل ميادين النفس أحسن سلاح وان الانسان ليبلغ بالخلق وحسن الادب الى عظيم من الدرجات وهو قابل العمل ومن حرم الادب حرم الخير كله ومن أعطى الادب فقد مكن من مفاتيح القلوب قال أبو عثمان رضي الله عنه الادب عند الاكابر وفي مجالس السادات من الاولياء يبلغ بصاحبه الى الدرجات العلى والخير في الدنيا والعقبى ألا ترى الى قوله تعالى ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم وقال أبو حفص الحداد رضي الله عنه التصوف كله أدب لكل وقت أدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب فمن لازم الادب بلغ مبلغ الرجال ومن حرم الادب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يرجو الوصول وقال أيضا حسن الادب الظاهر عنوان حسن الادب الباطن وقال ذو النون المصري رضي الله عنه اذا خرج المريد عن استعمال الادب فانه يرجع من حيث جاء وقيل من حرم الادب فقد حرم جميع الخيرات وقيل من لم يتأدب للوقت فوقته مقت وقيل من حبسه النسب أطلقه الادب ومن قل أدبه كثر شغبه وقيل الادب سند الفقراء وزينة الاغنياء ونظم جل هذا الشيخ أبو عبد الله محمد بن البناء التجيبي السرقسطي رحمه الله تعالى في مباحثه فقال

والادب الظاهر للعيان * دلالة الباطن في الانسان

وهو أيضا للفقير سند * وللغني زينة وسودد

وقيل من يحرم سلطان الأدب * فهو بعيد ما تدانى واقترب

وقيل من تحبسه الانساب * فانما تطلقه الآداب

فالقوم بالآداب حقا سادوا * منها استفاد القوم ما استفادوا

ثم هذه الآداب التي يلزم المريد استعمالها مع الشيخ على قسمين قسم يلزمه تحصيله قبل اللزوم بصحبته وقسم بعده فالذي يلزمه قبل التلزم بصحبة الشيخ هو ما أشار اليه بقوله ولا تقدمن وأما قوله فان رقيب البيت فانه علة لما قبله والذي يلزمه بعد التلزم بالصحبة هو ما أشار اليه بقوله ولا تعترض الى آخر ما ذكر في ذلك ثم هذا القسم الاخير هو أيضا على قسمين قالبي وقلبي فأما القالبي فنحو قوله ولا ترقن البيت ولا تنطقن البيت ولا ترفعن البيت وشبهها فانه يلزمه ما دامت القوالب مجتمعة ويسقط عنه بافتراقها وأما القلبي فنحو ولا تعترض وشبهه فانه يلزمه مع الاجتماع والافتراق وفي الحياة وبعد الوفاة وقاعدة الأدب مع الشيخ ان يعظم ويجل ويتلى على القلب تفخيم أمره ورفيع قدره حتى يستغرقه التعظيم بحيث يستخرج منه أنواع الأدب بحسب الاوقات الا انه لا يلتزم شيء بعينه في جميع الحالات لان الدواء يعود داء باختلاف الصفات وكل ما ذكره الناظم رضي الله تعالى عنه من الادب هو اشارة الى صورة تفصيل هذه القاعدة الا انه استوعب ذلك لان أدب كل وقت هو ما يلقيه التعظيم لسالك وعليه فلا تقصر ان أخطأت عن أقله لان نية المؤمن أبلغ من عمله وأيضا ربما أداه التعظيم الى مخالفة أمره محافظة على قدره وقد روى البخاري في صحيحه عن البراء رضي الله تعالى عنه قال اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة فأبى أهل مكة ان يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على ان يقيم فيها ثلاثة أيام فلما كتبوا الكتاب كتبوا هذا ما قاضانا عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لا نقر بهذا ولو نعلم

ل رسول الله ما منعك ان تنساولكن أنت محمد بن عبد الله فقال أنا رسول الله وأنا محمد بن
عبد الله ثم قال لعلي بن أبي طالب امح رسول الله فقال لا والله لا أمحوك أبدا الحديث ولم يدع
لي كرم الله وجهه ما أمره به من تعظيمه صلى الله عليه وسلم أن يغيرا سمه ويمحو وإن كان
ر بذلك ويوافق هذا ما روي عنه أيضا كرم الله وجهه أنه كان حين كثر تطلق ابنه
لحسن رضي الله عنه فكان يعتذر منه على المنبر ويقول في خطبته ان حسنا مطلاق فلا تنكحوه
ي قام رجل من همدان وقال والله يا أمير المؤمنين لننكحنه ما شاء فإن أحب أمسك وإن أحب
ك فسر بذلك علي رضي الله عنه وقال

همدان أحلام ودين يزينها • وبشر إذا لاقوا وحسن كلام

فلو كنت بوابا على باب جنة • لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

ل الامام أبو حامد رضي الله عنه وهذا نبيه يدل على ان من طعن في حسبه من أهل أو ولد
وع حياء لا ينبغي أن يوافق عليه وقد الموافقة قبيح بل الأدب المخالفة ما أمكن فإن ذلك أمر
له وأوفق لباطن رأيه انتهى وكذلك أيضا ما في الموطأ عن سهل بن سعد الأنصاري رضي الله
ه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره
أشياخ فقال للغلام أتأذن لي ان أعطي هؤلاء فقال لا والله يا رسول الله لا أوثر بنصيبي منك أحدا
فقد خالفه الغلام لأجل الحرص على بركته صلى الله عليه وسلم وكذلك يجد المريد مثلا
يدرك مثل رجل الشيخ ويفهم عن الشيخ النهي له عن ذلك ويتمادى ولكن لابد من زيادة
يفهم من قرائن الأحوال فإنه قد أمر وينهى أمر جازم وينهى وقد يكون ذلك هكذا من جهة ط
وقد المريد والناس أقسام فإن فهم عنه الجزم فليمتثل فقد أمر بعض الشيوخ مريدا له أن
كسر ما وجب عليه فأبى استحياء منه واعطاما له ان يخل بحقه فقال ما منعك لو ركبت ما زل
. أو حكاية الشاب الذي كان يخدم أبا يزيد وقدم عليه ... في البلخي وأبو تراب الحسني رضي
عنهم فقدم الشيخ فقالا له كل معنا يا فتى فقال اني صائم فقال له أبو تراب كل ولك أجر
م سنة فأبى فقال أبو يزيد دعوا من سقط من عين الله تعالى فأخذ الشاب في السرقة بسببه
قطعت يده والحكايات في هذا المعنى كثيرة ثم ذكر الناظم رضي الله عنه مما يختص
منها بالشيخ فقط وهو قوله ولا تقدم النسب فإن رتب الألقاب النسب ومنها ما يستعمل مع
الشيخ ومن فيه مع غيره ممن هو أعلى مرتبة من المتأدب على حسب حال المتأدب معه وهو
قوله ولا تعترض الى قوله ومجاد النسب وأما قوله ومادمت النسبان تضايط وفاوت كلي
يجد رامي الاعتراض على المشايخ خصوصا وتنفيرا على المبادر الى انكار الأشياء تنفير عن
عموما وقوله ولا ترين في الأرض دونك مؤمنا النسب فإن ... ام الأمر النسب ولا تسطرن يوما
النسب ولا بد ممن يحسن الفعل عند النسب تجد رامي المنكر والرياء والعجب وقوله وان تطم
الحق النسب سوى الشيخ النسب وفي الكشف اا ... ولا تنفرد عنه الا ... وقر الله النسبان لما
يلزمه فيه الأدب مع الله تكفيه عن خلقه ومع الشيخ بعدم الانفراد والاستتار عنه به وأما
قوله ومن حل من صدق الأمانة النسب فهذا بيان لما يثمر التمكين من هذه المرتبة مع النية
على استحسان الفعل المؤدي الى العجب وهو عدم الصدق وفي الأمانة ... أحد طرفيها
أو كليهما الا بها الرجوع من الله الى الله حسبما يأتي فإذا انبنى هذا على حكمه فهلك فليشرح
تلك الأسباب وقد ابتدأ أولا بالقسم الذي يلزم تحقيق له قبل الدخول في صحبة الشيخ وهو اعتقاد
كمال أهليته واختصاصه لأنه أصل فيما بعده اذ بقدر اعتقاد ذلك يكون الاحترام والاعظام اللذين
هما ... ما طلب منه في هذا المقام فقال رضي الله عنه

﴿ولا تقدمن قبل اعتقادك انه * مرب وأولى بهامه في العصر﴾

﴿وكن رقيب الالتفات لغيره * يحول خصوص السراية ذا السر﴾

ويقصد ان معنى هذين البيتين مختص بالشيخ ولا يلزم مع غيره وأما اعرابهما ومعنى الفاظهما فلا باس به وتقدمن الظاهر انه مضارع أقدم من الاقدام على الشئ عند اقتحامه بلا حرج عنه والاعتقاد لغة افتعال من العقد أي الربط ثم نقل لتصميم القلب وهو المراد هنا والمربي لغة المصلح للاشياء القائم بها واصطلاحا هو المتكفل للمريد في طريق الله شيئا فشيئا والقائم بما يصلحه حتى يصل الى غاية ارادة الله تعالى منه والعصر مثلث العين الدهر والمراد هنا وقت الشيخ الذي أريد الدخول في صحبته والتزمها والمراد بالرقيب هنا المريد اي يراقب الالتفات لغير شيخه وقوله يحول نعت له ضمير عائد عليه أيضا والقول حالي ويحتمل ان يكون المراد بالرقيب الشيخ والاول أنسب بالمراد والالتفات النظر الى وراء وهو هنا معنوي وخصوص السراية أي السراية الخصوصة من اضافة الصفة الى الموصوف ﴿يقول﴾ والله أعلم ولا تتقدم أيها المريد على الشيخ بالدخول في صحبته والالتزام لعهده حتى تكون مصمما على حسب ما شهدت به سريرتك على انه أهل للتربية والترقية والتوصيل الى حضرة الربوبية والالوهية وانه المقدم على معاصريه في ذلك كي يجتمع قلبك عليه وينقطع تشوفك على غيره لان الشيخ المراقب لالتفاتك لغيره لتصرفه فيك واشرافه على باطنك فمهما رآك مترددا في حل ما كنت عقدت معه يقطع عنك المدد الذي كان يسري منه اليك وعلى الاحتمال الاول يكون المعنى لان مراقبتك الالتفات لغير شيخك والتردد فيه اي هل يا شيخ أولا يقطع عنك ما كان يسري اليك منه حيث كنت مجموعا عليه قاصرا نظرك عليه لانك صرت غير مستعد لقبول سراية حال الشيخ فيك فانه بقدر قوة عقيدة المريد في الشيخ وتعظيمه عليه ومحبته فيه يسري النور من الشيخ اليه وبقدر حل عروة من ذلك يضعف السريان بل ينقطع بالكلية قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد الساحلي رحمه الله الرابع يعني من الشروط التي تلزم المريد مع الشيخ الاقتصار على قدوة واحدة وهل الانقياد للقدوة الا كالانقياد للطبيب ولا شك ان العلاج اذا اختلف والمعاناة اذا تباينت كان الخلاص من العلل متعذرا ومن استند الى قيم قدوة هو القيم بالسياسة في تأديبه وتهذيبه وهو أدرى بذلك من غيره مع ان القدوة الكامل ربما تعذر وجوده اليوم فضلا عن ان يكون منهم عدد فاذا ظفر التلميذ بواحد فليعلم انه قد ظفر بمراده فلا يبغي بدلا ومهما مال عن قدوته بظاهره أو باطنه ولو لمحة فان ذلك وبال عليه ونقصان له وان صحبته لا تثمر ولا يستعد باطنه لسراية حال القدوة وان التلميذ كلما أيقن تفرد الشيخ بالمشيخة عرف فضله وقويت محبته والمحبة هي الواسطة بين القدوة والتلمذة وعلى قدر حسن ظنه به تكون محبته وعلى قدر محبته تكون سراية حال الشيخ عنده فالمحبة علامة التعارف الجنسي الداعي الى التآلف المعنوي والحسي انتهى وقال الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه الثالث يعني من الشروط اللازمة للمريد مع الشيخ حصر الأمل في حوزته لكل مهم دنيا ودينا لانه وسيلتك الى الحضرة المحمدية علما وعملا وحالا وهي وسيلة الى الله تعالى فتمسك به بكليتك يكن لك بكله حتى يريح الحق تعالى خاطره من التهمم بك ويقضي حاجته فيك وهذا معنى قولنا خاطرك أي لتكون على بالك لعل الحق ينظر الى قلبك فيرحمك في الأمل مني وكذا الشئ لما اذا قصد به الطلب والله أعلم انتهى وأصل البيتين قوله في العوارف ومن الادب ان لا يدخل صحبة الشيخ الا بعد علمه بان الشيخ قائم بادبه وتهذيبه وانه أقوم بالتأديب من غيره ومتى كان المريد يتطلع الى شيخ آخر لا تصفو صحبته ولا ينفع القول فيه ولا يستعد باطنه لسراية حال الشيخ اليه فان المريد كلما أيقن تفرد الشيخ بالمشيخة عرف فضله

وقوة محبته والمحبة والمآلف هي الواسطة بين المريد والشيخ وعلى قدر قوة المحبة يكون سرايته
الحال لأن المحبة علامة التعارف والتعارف علامة الجنسية والجنسية جالبة للمريد حال الشيخ أو
بعض حالها فهي ثم إن هذا الاجتماع على الشيخ قطع النظر والتشوف إلى غيره فهو شيخ
للكون كذلك مع الله وسلم إليه كما ذكرنا في سلب الاختيار فمن كان ثقته في الشيخ أقوى
واعتماده عليه أكثر وحجته عليه أدوم كان كذلك مع ربه والله يعامل العبد على حسب ذلك
وينزله حيث أنزله من نفسه كما ورد بذلك الخبر وقد كتب سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنهما اعلم يا عمر أن عون الله للعبد بقدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له ومن قصرت
نيته قصر عون الله بقدر ذلك وقال ابن السماك رضي الله عنه من أعرض عن الله بكليته أعرض
الله عنه جملة ومن أقبل على الله بقلبه أقبل برحمته عليه وأقبل بوجوه الخلق إليه ومن كان مرة
ومرة فالله يرحمه وقتا ما وهذا إنما يأتي من الآداب من ترك الاعتراض ونحوه وهو سبب وسلم لتركه
ذلك مع الحق سبحانه والعكس بالعكس فلعل المريد من الأحوال شيء من ذلك ثم هذا الأمر
فلا يصاب به والتعميم عليه إنما هو بركته وجمع قلبه فلا يقصر اعتقاده ذلك إن لم يكن
شيخه كذلك في نفس الأمر ما لم يخرجه إلى بعض المناكر كما هو حال كثير من أهل هذا العصر
قال الشيخ أبو الحسن الششتري رضي الله عنه ولا ينبغي للمريد أن يعتقد أستاذا إلا وهو يحقق
باطنه اعتقاد غيره أكبر منه فلا يسمع فيه ولا يسلم له غلو في صحبته ما لم يعص المشايخ أو يخرج
فيهم أو يخرج به الغلو إلى حد فاسد حتى يخرج به عن طور الشريعة واعلم أن هذا الأدب
لا يتقرر للعبد ولا يدوم إلا صاحبه ما لم يكن عن رابطة قلبية ووجدان حال يرى السر من
الشيخ وهو الذي أمرنا الله به ولما أولا على حسب ما سبق هديه يترك وكذلك أمر الشيخ للمريد
بأن لا يلزم صحبة شيخ والدخول في دائرته إلا إن وجد ذلك منه كما أشار إليه الشيخ أبو العباس
زروق رضي الله عنه في القواعد التي تستدل بها المريد على الشيخ الذي قصد أنه ينتفع به
فقال إلى أن يصل بين يدي من يشرق نوره على ذاته في نوره ويستطير خاتمه على عوالم ظاهره
فلم يبق منه كل ولا بعض ولا عظم ولا دم ولا شعر إلا دخل فيه حب وإجلال وتعظيم ومهابة
وإذلال في كل وجل وزيادة ولا يرجعها إليه الحال ولا يشير إليها بأن يحب يكون البسط منها
لأجلها والبسط موثرا في أحوالها وكلما ازداد بسطا ازداد عظمة وكلما ظهر بالجلال يأكذب
به يسع موانعه الحس طوعا وكرها دون توقف في الأمر ولا تلكؤ في النفس ولا علة داخلة فيها
ولا خارجة عنها لا من علم ولا عمل ولا من حال ولا من أنس ولا من استحسان عادي ولا طبعي ولا
ماما ولا غيرها لكن قابل معاطس سر أمر أهل خدمها قلم علل الصرعة ولا التخلف عن
مراده اهـ وقد قال الشيخ أبو مدين رضي الله عنه الشيخ من شهدت له ذاتك بالتقديم وسرك
بالتعظيم الشيخ من هذبك بأخلاقه وأدبك بإطراقه وأنار باطنك بإشراقه الشيخ من جمعك في
حضوره وحفظك في مغيبه وقد تقدم قول الشيخ تاج الدين رضي الله عنه في لطائفه في هذا
المعنى ومما يتبع هذا الأدب ما ذكر الشيخ محيي الدين رضي الله عنه في آداب الشيخ وأنه
لا ينبغي له أن لا يترك أصحابه يخالطون أصحاب غيره من الشيوخ ولا يزورون شيوخهم فإن في
ذلك من الضرر للمريد كانحلال هذا العقد من قلوبهم أو ما ذكر مما هو أعظم من ذلك وهو
اشتغالهم وقدر الاجتماع للشغل بواحد فيما ينظر فيه وكذا قال الشيخ أبو العباس زروق رضي
الله عنه ولا ينتقل عنه ولو رأى من هو أعلى منه فيحرم بركة الأول والثاني ولذلك كان المشايخ
يغارون على أصحابهم من صحبة غيرهم بل من زيارتهم كما قال الشاعر

خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به * في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

ثم قال اللهم الا أن يعترض أمر شرعي يمنع من وجود الاقتداء لضرر ربما يلحقك في نفسك يلحق غيرك في دينه أو دنياه فلك في التخلف وجهة هي تحقيق المناط اه وقد يكون الشيخ صاحب وقته ورابطة المريد معه متأصلة وامداده اليه سارية واصلة فليحذر ان جالس غير شيخه والحالة هذه من استنقاصه فاستنقاص المشايخ ضرر عظيم وخذلان وحفظ حرمهم واجب بكل لسان وقد كان الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه لكونه أرفع أهل زمانه مقاما وأعلاهم مراما وأعذبهم شرابا وأوضحهم طريقا يقول لأصحابه اصحبوني ولا أمنعكم من أن تصحبوا غيري فان وجدتم منهلا أعذب من هذا المنهل فردوا وما فقدتما هو الجادة واما هذا فهو عزيز الوجود جدا لا يحصل لكثير من المشايخ فقد وجدناه مع قلة خير هذا الزمان فالشكر لله المنان والحاصل ان زيارة المريدين لغير شيوخهم ليس بممنوع مطلقا في كل واحد ولا مأذون فيه لكل واحد وانما هو موكول لنظر الشيخ فمن رآه ذو رعقله وكمال معرفته ودكاء فطرته انما يعود عليه بالنفع ولا يلحقه ضرر بان يفرط فيستنقص شيخه أو يفرط فيستنقص الشيخ الذي قصده أذن له في الزيارة ومن رآه على العكس من الآخر يعود عليه بالضرر بان يفرط أو يفرط منعه وعلى هذا الذي ذكرنا جرى عمل الشيوخ رضي الله عنهم ثم أشار الى القسم الثاني الذي يلزمه بعد التلزم بصحبة الشيخ وابتدأ بالقسم القلبي منه فقال رضي الله عنه

﴿ولا تعترض يوما عليه فانه * كفيل بتشتيت المريد على هجر﴾

قد تقدم ان من هنا الى قوله وسعادة الصوفي البيت يستعمل مع الشيخ ويقتبس منه مع غيره ممن هو أعلى مرتبة من المتأدب على حسب حال المتأدب معه واما اعرابه وبيان مفرداته فلا ناهية والاعتراض مقابلة القول بالرد وأطلقه هنا على ما هو أعم من ذلك ويوما أي وقتا من الأوقات وضمير فانه للاعتراض وهو أبلغ من عوده الى الشيخ مع موافقته للعوارف والكفيل الضامن والتشتيت التفريق وتشتيت المريد متعلق بكفيل وعلى هجر متعلق بتشتيت والهجر الطرد والابعاد قلبا وقالبا ﴿يقول﴾ والله أعلم ولا تعترض أيها المريد على شيخك في أقواله وأفعاله وأحواله وقتا من الأوقات في ظاهرك وباطنك بعد ان أعطيته قيادك فان اعتراضك عليه كفيل بالتشتيت في دينك ودنياك على هجر وطرد وابعاد يلحقك بسببه من شيخك ثم هذا الطرد تارة يكون قالبا وقلبا بطرد الشيخ المريد عن منزله ويغلق بابه دونه وتارة يكون قلبا فقط وهو أضر بالمريد لكونه لا يشعر بنفسه انه مقام مقام البعد ولا ينتبه لحاله انه استوجب الطرد حتى يلجأ الى الشيخ بالتوبة والاستغفار والذل والانكسار ومن هذا السر قول الاستاذ أبي القاسم القشيري رضي الله عنه وان بقي من أهل السلوك قاصدا لم يصل الى مقصوده فليعلم ان موجب حجبه أعتراض خامر قلبه على بعض شيوخه في بعض أوقاته فان الشيوخ بمنزلة السفراء للمريدين وقال رضي الله عنه سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول بدء كل فرقة المخالفة يعني به من خالف شيخه لم يبق على طريقته وانقطعت العلاقة بينهما وان جمعتهما البقعة فمن صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة على ان الشيوخ قالوا عقوق الاستاذين لا توبة عنه اه ومن معنى الاول وهو ان يكون الطرد قلبا وقالبا قول الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه ويجب على الشيخ اذا علم ان حرمته سقطت من قلب المريد ان يطرده عن منزله بسياسة فانه من أكبر الأعداء ويجب اليه الاشتغال بظواهر الشريعة وطريق العبادة المحبوبة في العموم ويغلق الباب دونه وبين من عنده من أولاده فانه لا شيء على المريد أضر من صحبة الصدو أصل البيت قوله في العوارف بعد كلام على قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون الآية وشرط عليهم في الآية التسليم وهو الانقياد ظاهرا ونفي الحرج وهو

الا باذنا طنا وهذا شرط المريد مع الشيخ بعد التحكيم بلبس الخرقة بل اتهام الشيخ عن
باطنه في جميع تصاريفه ويحذر الاعتراض على الشيوخ فانه السم القاتل للمريدين وقل ان
يكون مريد يعترض على الشيخ بباطنه فيفلح وأن يذكر المريد في كل ما أشكل عليه من تصاريف
الشيخ قصة موسى مع الخضر كيف كان يصدر من الخضر تصاريف ينكرها موسى ثم لما
كشف له عن معناها بان لموسى وجه الصواب في ذلك فهكذا ينبغي للمريد ان يعلم ان كل تصرف
اشكل عليه صحته من الشيخ عند الشيخ فيه بيان وبرهان للصحة وقد بلغنا كلام في هذا
المعنى سأل بعض اصحاب الجنيد مسئلة من الجنيد فأجابه الجنيد فعارضه في ذلك فقال الجنيد
فان لم تؤمنوا لي فاعتزلون وقال بعض المشايخ من لم يعظم حرمة من تأدب به حرم بركة ذلك الأدب
وقيل من قال لأستاذه لا لا يفلح أبدا اهـ ثم قال رضي الله عنه

﴿ومن يعترض زاغ لم يعتزل * يرى المعنى في عين الكمال ولا يدري﴾

يقول مبينا ان هذا البيت يؤول الى تحذير من الاعتراض على المشايخ خصوصا وغيرهم عن
المبادرة الى انكار الاشياء بلا تبين واعرابه والله اعلم وبيان مفرداته من اسم شرط مبتدأ وهي
لتصور المسئلة ويعترض فعل الشرط ولم يعتزل جملة حالية ويرى آخره جواب الشرط
والمعنى مفعوله وفي عين الكمال متعلق بيرى او بالمعنى والمعتزل الناحية وعين الكمال أي
نفس الكمال ﴿يقول﴾ والله أعلم ومن يعترض والحال ان العلم بحقيقة ما يعترض عليه في ناحية
وهو في ناحية أخرى يرى النقص والعيب في عين ما هو كمال في نفس الامر ومحمود الصواب وهو
لا يدري لانه لما جهل حقيقة الامر وباطنه ووقف مع ظاهره ولم يتهم رأيه وينسب الجهل لنفسه
والقصور لنظره يرى لا محالة ما هو كمال في نفس الامر نقصا وكان الواجب عليه ان يحسن الظن
بشيوخه خصوصا وفي كل الاحوال ومن له في هذا الباب سابقة عموما ويسند الامر اليه في جميع
ما يصدر عنه بعين الكمال وان له فيه عذرا أو حكمة خفية ولا راجحة ولا يتهمه فيها فما كل الحكم
تظهر ولا أسرار الرجال تدرك لكافة وقد قال في العوارف وينبغي للمريد كلما أشكل عليه شيء
من حال الشيخ أن يذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام كيف كان الخضر يفعل أشياء
ينكرها موسى فاذا أخبره الخضر بسرها رجع موسى عن انكاره فما ينكر المريد لقلة علمه
بحقيقة ما يوجد من الشيخ فللشيخ في كل شيء عذر بلسان العلم والحكمة وهذا الكلام هو أصل
السنة والله أعلم وقال الشيخ أبو الحسن الششتري رضي الله تعالى عنه ولا يعترض على المشايخ
فيما يفعلون فانهم لا يتصرفون الا عن اذن بصير وليس هم ممن يدخلون تحت حس
العالم الاول أعني عالم الحجاب الذين لم يشرفوا الى عالم الملكوت ولم يشهد شهداء عقولهم الا
بالظواهر خاصة بل معهم كائنون بأسرار الحركات والسكنات والاجسام والاقوال واللسان
والحروف المنطوق بها كل ذلك مجالس مع العامة وهم محجوبون عنهم من وجه آخر ثم قال
فلا يعرف ما هم به عليه الا من كان منهم اهـ وممن أشار الى ما ذكرناه من ترك الاعتراض على
الاخوان الشيخ محي الدين رضي الله عنه تعالى ومن شروط أهل هذه الطريق ترك الاعتراض
الا ان يكون المعترض أعلى فانه أدب لا اعتراض وأما الادون فانه ينكر لعدم ذوقه فله ان
يصمت ولا ينكر ما لا يعرف فان أنكره فقد أبطل عقد طريقه فان من أصولهم انهم أهل صدق ولا
يتكلمون الا بما شاهدوا فاذا سمع ما ليس في همته من أحد فليعلم من فوره ان مشاهدة أخيه
أعظم وانه في حاله دونه فليطلب في نفسه ان كان والاولى به أن يتوجه بهمته الى الله تعالى حتى
يرزقه ما رزق صاحبه أو يبادله أو يخدمه فيسمح به هذا شرط الطريق اهـ ثم قال رضي الله عنه

﴿ومن لم يوافق شيخه في اعتقاده * يظل من الانكار في لهب الجمر﴾

به * فقل الغبي عما عما ولم يراع وهي كبير عوما عامة ... وشرحها بعض الاجلاء من

من اسم شرط مبتدأ والخبر في جملة الشرط والجواب والمجموع منهما هو الخبر ويوافق أي يلائم فعل الشرط وقوله شيخه مفعول يوافق وفي اعتقاده متعلق بيوافق وضميره للشيخ والنكير والمناكرة المقابلة والمحاربة وهجر الجراشة بالهاء إذا خلص من الدخان وقيل لسانها وكنى به عن القطيعة والفرقة ﴿يقول﴾ والله أعلم لما كان الشيخ لا يجلس لإرشاد عباد الله وهدايتهم إلى ما فيه صلاحهم وتوصيلهم إلى حضرة ربهم إلا بعد أن يعلم أنه على بينة من ربه مؤهل لذلك ومأذون فيه ولغزارة علمه وقوة معرفته قد تصدر منه أمور بعيدة عن المألوف ظاهرها ليس بمعروف وله في ذلك نظر صحيح واعتقاد سالم مليح فأقواله وأفعاله كلها مسددة صالحة وله فيها وجوه واضحة والمريد الموفق هو الذي تكون نيته وحسن ظنه أوسع من علمه فيوافق شيخه فيما يصدر منه من الأشياء البعيدة عن المألوف بحسن ظنه واعتقاده أنه لا يفعل شيأ بغير وجه عنده معروف ومن لم يوافق شيخه في اعتقاده فيما صدر منه بأن لم يحسن ظنه به يظل من الإنكار عليه في لهب جمر القطيعة والفرقة وذلك شؤم إنكاره واعتراضه على شيخه وسوء ظنه به ولو اعتقد كماله وأنه لا يفعل الشيء إلا عن بصيرة لم يقع فيما وقع فيه وقد قال الشيخ محيي الدين رضي الله عنه ومن شرط المريد أن يعتقد في شيخه أنه على شريعة من ربه وبينة منه ولا يزن أحواله غير أنه فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن والحقيقة فيجب التسليم وكم من رجل أخذ كأس خمر بيده ورفعه وقلبه الله في فيه عسلا والناظر يراه شارب خمر وهو ما شرب إلا عسلا ومثل هذا كثير وقد رأينا من يجسد روحانيته على صورته ويقيمها في فعل من الأفعال ويراها الحاضرون على ذلك الفعل فيقولون رأينا فلانا يفعل كذا وهو عن ذلك بمعزل وهذه كانت أحوال أبي عبد الله الموصلي المعروف بقضيب البان وقد عاينا هذا مرارا في أشخاص اه وما حملنا عليه الاعتقاد في البيت هو الذي يظهر من السياق وقد يحتمل أن يكون المراد به اعتقاد العصمة فإن الشيخ وإن كان كما ذكرنا على بينة من ربه ليس بمعصوم ولا يعتقد هو في نفسه وقد تصدر منه الهفوة والهفوات والزلة والزلات ولكن لا يصر عليها ولا تتعلق أبدا همته بغير الله ولا يركن إلى سواه فيقع له القصور في جانب الحق أي الشريعة لا في جانب الحقيقة أي ومن لم يوافق شيخه في اعتقاده في نفسه أنه غير معصوم بأن يفرط فيعتقد فيه العصمة كما يقع ذلك لبعض الغلاة يظل من الإنكار عليه إذا صدر منه ما يخالف نظره القاصر في لهب جمر القطيعة والطرد والإبعاد قال الشيخ محيي الدين رضي الله عنه ويجب على المريد أن يعتقد في شيخه العصمة في أحواله ثم قال وقد قال بعض السادات يعني الجنيد لما قيل له أيزني العارف فقال وكان أمر الله قدرا مقدورا وصحب تلميذ شيخا فرآه يوما قد زنى بامرأة فلم يتغير من خدمته ولا اختل في شيء من مرسومات شيخه ولا ظهر له نقص في احترامه وقد عرف الشيخ أنه رآه فقال له يوما يا بني عرفت أنك رأيتني حين فسقت بتلك المرأة وكنت أنتظر نزارك عني من أجل ذلك فقال التلميذ يا سيدي الإنسان يتعرض لمجاري أقدار الله عليه وإني من الوقت الذي دخلت إلى خدمتك ما دخلت على أنك معصوم وإنما خدمتك على أنك عارف بطريق الله تعالى عارف بكيفية السلوك عليه الذي هو طلبي وكونك تعصي أو لا تعصي شيء بينك وبين الله عز وجل فقال له الشيخ وفقت وسعدت هكذا وإلا فلا وبرع ذلك التلميذ بعد ذلك وجاء منه ما تقر به العين من حسن الحال وعلو المقام انتهى ثم قال رضي الله عنه

﴿وذو العقل لا يرضى سواه وإن نأى * عن الحق نأي الليل عن واضح الفجر﴾

العقل قال الحارث بن الأسد المحاسبي رضي الله عنه هو غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم وقال سهل ابن عبد الله رضي الله تعالى عنه للقلب تجويفان أحدهما باطن وفيه السمع والبصر وكان

تسمى بذلك لطلب القلب والنحو بعد الآخر طاهر القلب وبه العمل ومثل العمل في القلب مثل النطرق الذي هو فعال الموضع المخصوص به نزله الذي في سواد العين وهو سواء عاند لما يصدر من السمع أو السمع على الاحتمالين في البيت قبله وقابل بأي أي بعد كذلك والحق يطلق على غير معان وبأسمه تعالى يكون احد غير والمراد منها الثابت الموجود أي سريعه وطريقه والواضح المعبر من اضافة الصفة الى الموصوف والواضح البين والعبر عمود الصبح الذي يسطع وينتشر ﴿ قوله ﴾ والله أعلم فيه والعمل الكامل السالم من آفات عليه أبى الهوى وحكم الطبع السقيم لا يرضى سوى سمعه صاحبا ولا عمل بعينه لعين لما شاهد منه سر وان بعد سمعه عن الحق في بادي الرأي عند النقل عن الفجر الواضح البين وعلى الاحتمال الاول يكون معنا فيه والعمل لا يرضى سوى ما صدر من سمعه بالسلم وحسن الظن وحمل الاعتقاد وان بعد ما صدر عن السمع في الظاهر بعد النقل عن الفجر الواضح البين لكونه لكمال عزته واطلاعه قابلية واعتداله وطريقه لا يقف مع ظواهر الاشياء بل ينفذها و ظهر الى بواطنها ويسمع رجح الحق والحقيقة من ذلك ولولم يكن الا الاعتبار فما وراءه فهمه وان له حقيقة غير ما ظهر لبادي الرأي بعد ان للسمع في ذلك عذرا لسان العلم والحكمة وقد تكلم الشيخ أبو عبد الله بن عباد رضي الله عنه في رسائله الكبرى على ورود هذه الاشياء المشكلة الظاهر من الشيوخ فالامر بعد عليه به لرضي الله عنه وسالم في كلام الآخر عن المسئلة التي ذكرها صاحب المقامات رحمه الله ورضي عنه ولك المسئلة اشار الى حال الخضر مع موسى عليهما السلام سياقها كالدليل على ما هو بسبيله من تقرير ان ثم أمورا تفرد بها الخواص قد جاوزت الاحوال والمقامات وفارقت العوارف والعلامات وذلك ان الحق كالمرء في بابه وصف المدوّنة وحقيقة الحق وراحة الله باجماع من أهل هذه الطريق وكل ما هو من بعض العبد محجوب بالعلل ولذلك أبعد الابدال منها كما لو ذكرها لك ان جماع الكلام فيه يدور على قطب واحد وهو بذل المعروف وكف الاذى واكثر ما يجري في ذلك القصة خارج عن مقتضى ما ناله في حقيقة الحق ليس منه في شيء ومن العبث في المعلم والمسترشد وهو موسى عليه السلام حين قال له الخضر عليه السلام فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا وهو انما يعنيه تعليما مسترشدا ومن المعاهد على المعلم والسائل وهو موسى عليه السلام حين قال له الخضر عليه السلام انك لن تستطيع معي صبرا الى قوله هذا فراق بيني وبينك ومن خرق سفينة المساكين وقتل الغلام وغير ذلك فأنت ترى هذه المسائل كيف جاوزت مقام الحق الذي هو حاصل أمر التصوف حتى ليس منه في شيء ولا يشكل لاحد ان ينكرها ولا يستقبحها وان لم يظهر له وجهها واذا عرف هذا لم يستبعد ان تفرد الخواص بامور جاوزت الاحوال والمقامات التي من جملتها الحق وهو ما اراد رحمه الله ان يقرره وان لم يذكر من مسائل الخضر عليه السلام اقامة الجدار اذ ليس من هذا الباب وقد ذكر في باب الحق في الدرجة الثانية في الحق مجاوزة الاخلاق وهو خاصة الخاص وهو ما أشار اليه ههنا ولما كان الحق من نعت العبد وصفه كان مجاوزة الحق ليس من نعت العبد وهي نعت العبد له ما لم ينقطع عن نفسه واذا انقطع عن نفسه زال عنه النعت ولم يكن له اسم ولا رسم فيصير حينئذ من أهل القبضة وأهل القبضة هم خاصة الخاصة المشار اليهم بقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه عز وجل من قوله واذا احببته كنت سمعه وبصره وكذا وكذا فعلمهم يجري على أيديهم أشياء مستنكرة في ظاهر العلم وباطنها حق محض اذا ظهر وجهه اعترف بحقه وحقيقته كما فعل الخضر عليه السلام بعد تفسيرها لموسى وهؤلاء عن غير نفسهم مأخوذون عن مقتضيات رسومهم فكانت التصاريف والتصرفات

الجارية عليهم غير منسوبة اليهم وكل مالم ينسب اليهم لا يسمل لاحد أن يسأل عنه سؤال اعتراض وانتقاد فليس الا التسليم وحمل الانقياد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وقد نبه الخضر عليه السلام على هذا المعنى بقوله وما فعلته عن أمرى وقوله فى اقامة الجدار فأراد ربك وانما أسند الارادة الى نفسه فى مسئلة السفينة والغلام دون المسئلة الأخرى تأدبا لما فى ظاهرهما من الشناعة واحمل على هذا الاسلوب الذى ذكرناه فى معنى هذه المسئلة كل ما ينسب الى الاكابر من أحوال شنيعة وجوز أن يكون ذلك من هذا القبيل التسليم من التهمة وسوء الظن بالاكابر الذى لا تقال فى ذلك عثرة عاثر كقول النبى صلى الله عليه وسلم اوغيره والشك من عندى لبعض الناس أصابتك عين من عيون الله وما أشبه هذا فهذا ما ظهر لى من الكلام على هذه المسئلة التى سأل عنها على طريقة القوم نفعنا الله بهم اهـ واعلم أن هذه الامور التى تصدر من المعتقدين على قسمين أحدهما أن تكون مما يحسن فيه التأويل على ما فعله المعتقد وذلك كأخذ مال من شخص لاحتمال استحقاقه وضربه لاحتمال وجوبه عليه وقتله لاحتمال تعلقه عليه والثانى أن تكون مما لا يحسن فيه التأويل كاللواط والزنا بعينه وادمان شرب الخمر قال الشيخ أبو العباس زروق رضى الله عنه فلو أتى بأمر لا يباح ولا تأويل الا عصيانه أو فسقه وما لا يباح بوجه هو اللواط والزنا بعينه وادمان شرب الخمر ونحوه لا قتل أو أخذ مال ونحوه مما له وجه فى الاباحة عند حصول شرطه وانما التوقف عند الاحتمال باطنا ولا توقف فى الحكم الظاهر قال وذلك لا يصرفه عن مرتبته الا فى الحال لحديث لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن أى كامل الايمان وفيما بعد ذلك تعود حرمته بتوبته فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له اهـ فهذا ما يلزم فيما يصدر منه فى خاصة نفسه وأما فيما يأمر به فقال الشيخ أبو العباس زروق رضى الله عنه يجب فان الحق والباطل فليس الا الفعل أو الترك وان خالف ذلك أمر الشيخ أو مراده أو قصده اذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وحيث أشكل واحتمل فبصيرة الشيخ مقدمة والاتباع لازم والاعتراض حرمان وعليه ينزل قولهم من قال لاستاذه لا لم يفلح أبدا فعنى انه لا يبعد لانه ينتفى عنه الفلاح أصلا وفصلا والله أعلم وهذا كله بعد تحقق رتبة المشيخة اهـ وذلك ان الشيخ اذا أمر المريد بما يخالف الحق فليحتل فى حسن التخلص حتى لا يعمل بمنكر ولا يستظهر بمخالفته فيتغير قلبه عليه ثم أشار الى القسم الثانى من الادب الذى يلزمه بعد الولوج فى دائرة الشيخ والدخول فى صحبته فقال رضى الله عنه

﴿ولا تعرضن فى حضرة الشيخ غيره * ولا تملأن عينا من النظر الشزر﴾

لا ناهية وتعرضن مؤكد بالنون الخفيفة وحضرة الشيخ مجلسه وغيره مفعول تعرضن ولا تملأن مثل ولا تعرضن وعينا مفعول ويقال شزره نظر منه فى أحد شقيه أو نظر الغضبان بمؤخر العين أو هو نظر فيه اعضاء أو النظر عن يمين وشمال وكلها مرادة هنا الا الاخير ولو قيل بتلازم الاول والثانى ما بعد وأما الاخير وهو النظر عن يمين وشمال فهو داخل فى قوله ولا تعرضن فى حضرة الشيخ غيره لانه حث على الاقبال على الشيخ بالقلب والقالب ﴿يقول﴾ والله أعلم ولا تشغل ظاهرك وحواسك وباطنك ومعانيك فى حضرة الشيخ بغيره من الالتفات اليه أو تكليمه أو النظر اليه ولو قل ونحو ذلك أو اعمال الفكر فيه أو غير ذلك بل غب فيه بكليتك غيبة من لا شعور له بغيره ولا تملأن عينا من النظر فيه أى فى الشيخ نظر شزر بوجوهه الثلاثة الاول فانها كلها مذمومة هنا فاما الاول والثانى فهما يدلان على تسخط فى الباطن وذلك مخالف لما يجب ان يكون عليه المريد مع الشيخ من الشفقة عليه والرحمة والرأفة به وأما الثالث فهو المسمى بالغمز وفيه سوء أدب أيضا لما فيه من قلة الاحترام للشيخ والتعظيم له اذ لا يفعله الانسان بحضرة من يعظمه

لما فيه من سوء الأدب معه فضلاً عن أن يفعله معه وعن علي كرم الله وجهه أنه قال من حق العالم عليك أن تسلم على الناس عامة وتخصه دونهم بالتحية وأن تجلس أمامه ولا تشيرن عنده بيدك ولا تغمزن بعينك ولا تقولن قال فلان خلافاً لقوله ولا تغتابن عنده أحداً ولا تسارر في مجلسه ولا تأخذ بثوبه ولا تلح عليه إذا كسل ولا تعرض أي تشبع من طول صحبته اهـ وهو الذي جعلناه عليه كلامه من أن قوله ولا تغلان عينا من النظر اليه رهو باعتبار الشيخ وهذا الصواب لأن معاني النظر اليه رأجمعها باعتبار غير الشيخ فقد ألم بالنهي عنها قوله ولا تعرن في حضرة الشيخ غير لأنه كما قدمناه صاحب على الإشراق بلساوقالبا واستلاء على الإقبال عليه حساً ومعنى وقد وردت الأخبار في الحث على هذا الأدب ترهيباً وترغيباً وتبشيراً فالأول ما رواه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني رضي الله عنه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تمثل العلم بين أمرد فيهم إذ غضب أبصارهم عنه فقال ما أغض أبصاركم عني ومن الثاني ما رواه أيضاً عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله يطلع على عباد فيقول انظروا عبادي هؤلاء يذكروني ويخشوني بالغيب لم يروني اذ نظروا اليهم فأخصه أبصارهم الى رجل منهم نفس عليهم آباتي طوبي لهم أشهدكم أني غفرت لهم ذنوبهم ومن الثالث ما رواه أيضاً عن أسامة بن شريك قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله كأنما على رؤوسهم الطير وقال الشيخ محي الدين رضي الله عنه ومن شرط المريد الإطراق وعدم الالتفات وفضول النظر لأنهم كانوا يكرهون فضول النظر كما كانوا يكرهون فضول الكلام حتى لو سئل أحدهم عن صفة جليسه ما دري ما صفاته فكيف به لو سئل عن صفة شيخه فإن المريدين ينبغي أن يكونوا بين يدي شيخهم كأنهم لصوص قد ورد عليهم السلطان فهم للعقوبة خائفون كما قيل

كأن الطير منهم فوق رؤوسهم * لا خوف ظلم ولكن خوف إجلال

ثم إن هذا الأدب من الجمع على الشيخ والإشراق فيه منهم غاية لأنه سلم ومرقاة للجمع على الله والغيبة فيه عما سواه والحاصل أن كل أدب يستعمله مع الشيخ يرتك من مقابله أدبا مع الله واعلم أن هذا الأدب وما بعده من الآداب لا ينبغي المريد على استعمالها ويداوم عليها إن لم يكن ذلك عن وجدان هيبة للشيخ في قلبه وإجلال وتعظيم له فإن القلب إذا سكن فيه هيبة الشيخ ومحبته ظهر أثر ذلك على الجوارح من غير اختيار ولا شك أن الولي إذا أراد الله إظهاره لا بد أن يخلع عليه خلعة الهيبة والمحبة ومن أراد الله خيراً على يديه يحدد ذلك فيه ليكون باعثاً له على الطاعة والانقياد قال الشيخ أبو الفضل بن عطاء الله رضي الله عنه في لطائفه واعلم رحمك الله أن من أراده الله تعالى به أن يكون داعياً من أوليائه فلا بد من إظهاره للعباد إذ لا يكون الدعاة الى الله إلا كذلك ثم لا بد أن يكسوه الحق كسوة الجلالة والبهاء إما الخلق له فيعظمه العباد فيقفوا على حدود الأدب معه ويصح له في قلوب العباد هيبة ينتشر بها النعمة على القائم له بالقهر قال الله سبحانه الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور وهي من إظهار إعزاز الحق لعباده المؤمنين قال الله سبحانه وتعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وهذه الهيبة التي جعلها الحق في قلوب العباد لأوليائه خوف إليهم لا انبساطاً الا من وقع عليهم ألم منع قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر الشهر الذي هو هيبة وأظهر عليهم إجلال عظمته كلما نزلوا الى أرض العبودية رفعهم الى سماء الخصوصية فهم الملوك وإن لم يخفق عليهم البنود والأعلام وإن لم يسر أمامهم الجنود ولله در القائل في مالك بن أنس رضي الله عنه

يأبى الجواب فما يراجع هيبة * والسائلون نواكس الاذقان
أدب الوقار وعز سلطان التقى * فهو المطاع وليس ذا سلطان

ثم قال والكسوة الثانية التي يكسوها الحق لاوليائه اذا أظهرهم كسوة البهاء وذلك أنه يلقي في قلوب عباده فينظرون اليهم بعين الشفقة والمحبة فيكون ذلك باعثا لهم الى الانقياد اليهم أفلا ترى كيف قال الله سبحانه وتعالى في سيرة موسى عليه السلام وألقيت عليك محبة مني وقال سبحانه وتعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا فحلاهم بحلية البهاء والهيبة نعرهم جبهم الى حب الله تعالى والحب في الله يوجب المحبة من الله لقوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله تعالى وجبت محبتي للمتحابين في اه ثم قال رضي الله عنه

﴿ولا تنطقن يوما لديه فان دعا * اليه فلا تعدل عن الكلام النزر﴾

لا ناهية وتنطقن مؤكد بالنون الخفيفة ويوما أي دقيقة من الزمان ولديه أي عنده وبحضوره فان دعاك فاعل دعا الشيخ ومعناه طلب معنى الجنوح والميل ولذلك عدى بعلى وضمير اليه للكلام والنطق وفلا تعدل لا ناهية وتعدل مجزوم بها أي لا تمل ولا تخرج عن الكلام القليل وقد يكون من معنى قوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون أي لا تأخذ بالكلم النزر عديلا والجملة جواب الشرط والكلام اسم جنس جمعي يفرق بينه وبين مفرده بالتاء كحسنة وسق والنزر القليل ﴿يقول﴾ والله أعلم ولا تنطقن أيها المريد امام شيخك وقتا من الاوقات بكلام ما ولو حسنا فانه سوء أدب وقلة احترام للشيخ وهيبة له فان دعاك الى الكلام وطلبه منك فلا تعدل ولا تحد ولا تخرج عن الكلام القليل الى الاسهاب والتطويل والحاصل لكن كلامك جوابا بقدر الضرورة والحاجة قال الشيخ ضياء الدين السهروردي رضي الله عنه في آداب المريدين ولا يتكلم الا ان يسأله عن شئ فيجيبه عن سؤاله ونظم هذا المعنى الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد البناء التجيبي السرقسطي رحمه الله في مباحثه فقال

وان للقوم هنا آدابا * أن يجعلوا كلامهم جوابا
فان تعاطى الشيخ منهم قولا * قالوا والا فالسكوت أولى

وبيت الناظم قد ألم بهذا كله زيادة في التنصيص على التحذير من أن يعمل اذ ذاك فيسترسل في الكلام فهو مع وجازته قد أحاط بالمقصود التام وهذا شأن من يكتب من محبرة الجمع فانه يكتب طويل طويل طويل قصير قصير قصير كما قال الشيخ أبو العباس الحضرمي رضي الله عنه فقوله طويل طويل طويل يعني به والله أعلم انه لكونه في عين الجمع وتحققه بقوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه تعالى وتقدس فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا وقلبا وعقلا ويدا ومؤيدا الحديث بأخذ بقسط من قوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي الآية وقوله تعالى ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر الآية فلا ينفد له كلام وقوله قصير قصير قصير يعني به والله اعلم انه ايضا لكونه كما قدمنا بأخذ بحظ من قوله صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم فيختصر له الحكم ويصير يدمج المعاني الكثيرة في قليل من الكلام كما في هذا المحل ويكون كلامه اذ ذاك جامعا يشتمل على معان لا تعد ولا تحصى من لطائف العلوم وغرائب الفهوم وهذا هو شأن آيات الكتاب الحكيم وكلام الانبياء وأكابر الاولياء كل كلمة من كلامهم مشتملة على معان لا تتناهى وقد ذكر الشيخ صدر الدين محمد بن اسحاق القونوي رضي الله تعالى عنه أن الامام الحافظ أبا حاتم محمد بن حبان التميمي البستي رضي الله تعالى عنه صاحب الصحيح المسمى بالتقاسيم والانواع ذكر في قوله صلى الله عليه وسلم لاخي أنس بن مالك رضي الله تعالى عنهما حين مات نغره أي عصفور صغير كان يلعب به فحزن عليه يا أبا عمير

ما نقل الفقير سماعه وجمع من المعاني والفوائد على أن هذا غير مستحدث وأكثر ما ذكرته
الإمام أبو العباس أحمد بن أبي أحمد الطبري المعروف بابن القاص الفقيه الشافعي في بعض مسائله وزاد غير
عليها ما سيقف على الفقير وهذا الذي ذكرناه من تقليل الكلام بحضرة الشيخ ما لم يفهم من
الشيخ أنه أراد منه المباسطة فإن أذن وفتح باب الإكثار من الحديث ما سكنا عن الهيبة
والوقار مراعياً حال الشيخ فلا يخفى خطر من الإكثار وكلام الناظم صادق بهذا إلا أن يراد بقوله
فلا يميل عن الكلام المرتب به المريد وصيانته عن أن يلقيه بالكلام أو الإلقاء وسوء سؤال يخرج
عن المقصود والإطالة بالكثير بحسب المقام وقد يقتضي مقام كلمة أو كلمتين والزيادة فيه عدل
عن الكلام العادل وآخر يقتضي عشر كلمات مثلاً وعموم هذا البيت مخصوص بقوله بعد وإن
نطق الحق الأبيات الخمسة فإنك هناك تبدو بالكلام وتنطق لديه بحسب المقام وأصله في العوارف
ونحن نورد كلامه بحثاً لتتميم الفائدة وتكثير الإفادة قال فيها بعد أن ذكر أولاً في قوله
تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وقيل نزلت في أقوام كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى
الله عليه وسلم فإذا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء خاضوا فيه وتقدموا بالقول والفتوى
فنهوا عن ذلك وهكذا أدب المريد في مجلس الشيخ ينبغي له أن يلزم السكوت ولا يقول شيئاً
بحضرته من كلام حسن إلا إذا استأذن الشيخ ووجد من الشيخ فسحة في ذلك وشأن المريد في
حضرة الشيخ كمن هو قاعد على ساحل البحر ينتظر رزقاً يساق إليه فتطلعه للاستماع وما يرزق
من طريق كلام الشيخ يحقق مقام إرادته وطلبه واستزادته من فضل الله تعالى وتطلعه إلى
القول يرده عن مقام الطلب والاستزادة إلى مقام إثبات شيء لنفسه وذلك جناية المريد وينبغي
أن يكون تطلعه إلى ما يهم من حاله يستكشف عنه بالسؤال من الشيخ على أن الصادق لا يحتاج
إلى السؤال باللسان في حضرة الشيخ بل يبادئه الشيخ بما يريد لأن الشيخ يكون منبسطاً
نطقه بالحق وهو عند حضور الصادقين يرجع قلبه إلى الله تعالى ويستمطر ويستسقي لهم
فيكون لسانه وقلبه في القول والنطق مأخوذين إلى مهم الوقت من أحوال الطالبين المحتاجين
إلى ما يقع عليه لأن الشيخ علم تطلع الطالب إلى قوله واعتداده بقوله ثم قال يكون الشيخ
فيما يجري به الحق سبحانه وتعالى على لسانه مستمعاً كأحد المستمعين وكان الشيخ أبو السعود
رضي الله عنه يكلم الأصحاب فيما يلقى إليه ويقول أنا في هذا الكلام مستمع كأحدكم فأشكل ذلك
على بعض الحاضرين فقال إذا كان القائل يعلم ما يقول كيف يكون مستمعاً لما يعلم حتى سمع
فرجع إلى منزله فرأى ليلته في المنام كأن قائلاً يقول له أليس الغواص يغوص في البحر لطلب
الدر فيجمع الصدف في مخلاته والدر حاصل معه ولكن لا يراه إلا إذا خرج من البحر ويشاركه
في رؤية الدر من هو على الساحل فنبه في المنام لإشارة الشيخ في ذلك فأحسن آداب المريد مع
الشيخ السكوت والخمود والجمود حتى يبادئه الشيخ بما فيه المصلحة قولاً وفعلاً اهـ ثم قال رضي
الله عنه

{ولا ترفعوا أصواتكم فوق صوته * ولا تجهروا جهر الذي فوق قفر}

لأنه يورث الحرمان وضمير للمريدين والهاء عائد على الشيخ الذي ثبتت ولايته ووجب
احترامه وخدمته وأصواتكم مفعوله ولا تجهروا أمثل ولا ترفعوا وجهر الذي هو فوق قفر مفعول
مطلق عامله تجهروا والقفر الخلاء من الأرض {يقول} والله أعلم ولا ترفعوا أيها المريدون
أصواتكم فوق صوت شيخكم لأن في ذلك إلقاء لجلباب الوقار ودلالة على خلو الباطن من هيبة
الشيخ وتعظيمه ولا تجهروا له بالقول بأن تطلقوا له في الخطاب وتنادوه بالأسماء والألقاب
كجهر أهل القفر والجفا من أهل البوادي والأعراب لغلظ طبعهم وقساوة قلوبهم وجهلهم
بما يلزم من الآداب مع الأكابر والأحبار ولكن عظموه ووقروه وقولوا يا سيدي ويا أستاذي

ح • ذيه وسادتي ثم أعلى رؤس الأشهاد فإن كانت صحبته بهذه الهيئة ما عند الله   ويا ولي

ويا ولى الله وما أشبه ذلك (وروى) الحافظ أبو نعيم الاصبهانى رضى الله عنه عن صفوان بن عسال المرادى رضى الله عنه قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر اذ ناداه اعرابى بصوت له جهورى يا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فقد نهيت عن رفع الصوت ﴿وروى﴾ أيضا عن عبد العزيز بن سعيد الشامى عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من غض صوته عند العلماء جاء يوم القيامة مع الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وأصل البيت قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون وقال القاضى أبو محمد عبد الحق بن عطية رضى الله عنه روى ان سببها كلام أبى بكر وعمر المتقدم فى أمر الاقرع والقعقاع والصحيح انها نزلت بسبب عادة الاعراب من الجفاء وعلو الصوت ثم قال وقوله تعالى كجهر بعضكم لبعض أى كالجهر كم فى حمائه وكونه مخاطبة بالاسماء والالقاب وكانوا يدعون النبى صلى الله عليه وسلم يا محمد يا محمد قال ابن عباس وغيره فامرهم الله بتوقيره وان يدعوه بالنبوة والرسالة والكلام اللين فتلك حالة الموقر وكره العلماء رفع الصوت عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم وبحضرة العالم وفى المساجد وفى هذه كلها آثار اه وقال فى العوارف ومن تأديب الله تعالى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى كان ثابت بن قيس بن شماس فى أذنيه وقر وكان جهورى الصوت وكان اذا تكلم جهر بصوته وربما كان يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته فانزل الله الآية تأديبا له ولغيره ثم قال بعد ان ذكر رواية فى سبب نزولها وانها نزلت فى منازعة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما بحضرته قال فكان عمر بعد ذلك اذا تكلم عند النبى صلى الله عليه وسلم لا يسمع كلامه حتى يستفهم وقيل لما نزلت الآية آلى أبو بكر أن لا يتكلم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كاخى السرار فهكذا ينبغى للمريد مع الشيخ لا ينبسط برفع الصوت وكثرة الضحك وكثرة الكلام الا اذا باسطه الشيخ فرفع الصوت القاء جلباب الوقار اذا سكن القلب عقل اللسان وقد ينال باطن بعض المريدين من الحرمة والوقار من الشيخ ما لا يستطيع ان يشبع النظر الى الشيخ ثم قال ابن عطاء فى قوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم زجر عن الادنى لئلا يتخطى أحد الى ما فوقه من ترك الحرمة وقال سهل فى ذلك لا تخاطبوه الا مستفهمين وقال أبو بكر بن طاهر لا تبدؤه بالخطاب ولا تجيبوه الا على حدود الحرمة ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم أى لا تغلظوا له فى الخطاب ولا تنادوه باسمه يا محمد يا أحمد كما ينادى بعضكم لبعض ولكن فخموه واحترموه وقولوا يا نبى الله يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هذا القبيل يكون الخطاب للمريد مع الشيخ واذا سكن الوقار القلب ظهر على اللسان كيفية الخطاب ولما كلفت النفوس محبة الاولاد والازواج تمكنت أهوية النفوس والطبائع واستخرجت من اللسان عبارات غريبة هى تحت وقتها صاغها كلف النفس وهواها واذا امتلا القلب حرمة ووقارا تعلم اللسان العبارة ثم قال بعد ان ذكر ما فعل ثابت بن قيس رضى الله عنه لما نزلت الآية من تقييده نفسه وما شهد له به رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ من عيشه سعيدا وموته شهيدا ودخوله الجنة وما آل اليه أمره من نزول قوله تعالى فيه ان الذين يغضون الآية والشهادة والوصية بعد الموت واجازة أبى بكر رضى الله عنه لها قال فهذه كرامة ظهرت لثابت بحسن تقواه وأدبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فليعتبر المريد الصادق واعلم ان الشيخ تذكرة من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وان الذى يعتمده مع الشيخ عوض ما كان فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتمده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام القوم بواجب الادب أخبر الحق عن حالهم واثنى عليهم فقال أولئك الذين امتحن

الله قلوبهم للتقوى أي اختبرها وأخلصها كما يخلص الذهب بالنار فيخرج خالصا فكان اللسان ترجمان القلب ويهذب اللفظ لتأدب القلب فهكذا ينبغي أن يكون المريد مع الشيخ قال أبو عثمان الأدب عند الأكابر وفي مجالس السادات من الأولياء يبلغ بصاحبه الى الدرجات العلى والخير في الدنيا والعقبى الأخرى الى قوله تعالى ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم ثم قال بعد كلام في قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية وفي هذا تأديب للمريد في الدخول على الشيخ والاقدام عليه وترك الاستعجال وصبره الى أن يخرج الشيخ من موضع خلوته اهـ ثم قال رضي الله عنه

﴿ولا يرعش بالتحلل صوتك عنده * فلا تبع الادون ذلك فاسمر﴾

ولا يرعش مثل ولا يتطش والتحلل انفتاح التنفس عن الانسان لسبب تعب تعتهيه كان أو سمنا وهو حمقه في الانسان يخارق الماء والنوار والسماء والشمس ويعود ذلك بحامع الانفتاح والاتساق والمراد هنا التحلل المعنوي لا المجازي لان الخطاب للانسان لا تصف منه وقد فسر عياض التحلل بانه حالة تعتري توجها سرور وتعلب فينبسط له عروق القلب فيجري فيها الدم فيسري الى سائر عروق الجسد فيتورد للحرارة فينبسط لها الوجه وتنفى عنها الغم وتمنع وهو التسم فاذا رأت السرور وعادى ولم تنبسط الانسان نفسه تهتمه وصغر عند الشيخ فلا تبع لا وافعها وتبع اتبعها والادون بدل الشحرها فاسمر أي فتتبع ﴿يقول﴾ والله أعلم ولا يرعش أيها المريد صوتك بالتحلل عند الشيخ أي امامه وبحضرته فلا تبع مصاف لشيء من الآداب الظاهر الأخص من ذلك ويحبه تسبيح صورة سوء الادب الظاهر حرمته حرمته فلا يحد هنا الا أقل من ذلك مما عاملناو وقد وردت أخبار وآثار في ذم التحلل مطلقا منها ما رواه الحافظ أبو نعيم رضي الله عنه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكثر والتحلل فان كثرة التحلل تميت القلب وفي الآثار وتنفعه رفعة الاعتدال في التحلل والتحلل من خصائص الانسان وتمييز عن جنس الحيوان ولا يكون التحلل الاعن سانحة تعجب والعجب يستدعي الفكر والتفكر شرف الانسان وخاصيته ومعرفة الاعتدال منه شأن من يرجع بدينه في العلم ولهذا قيل وأما كثرة التحلل فانه يميت القلب وقيل كثرة التحلل من الرعونة وروي عن عيسى أنه قال ان الله يبغض الضحاك من غير عجب والماشي من غير أرب ثم قال وقد حمل أبو حنيفة رحمه الله عليه القهقهة من الذنب وحكم ببطلان الوضوء بها وقال ثم الامام مقام خروج الخارج اهـ وأما الصلاة فانها تبطل بها عنده وعند غيره كما هو معلوم وقد نمطها او اذا انضم الى ذلك كونه بحضرة الشيخ تكبر محيثه فشأن المريد في مجلس الشيخ ان يكون بسكينة ووقار واحترام للشيخ واعظام والتحلل يخالف لذلك بعانيه واعتماد با كلامه بالآداب الظاهر لان الاخلال بشيء من آداب الباطن كالاحتواء على مخامر اعتراض للقلوب ويطلع لغير شيخه من أعظم الذنوب والعيوب وأقبح من كل قبيح وأشنع من كل شنيع وأشنع من كل تصنيع لا يرضى بها أصلا لانه سوء لمدد الارادة من أصلها وحل لعقدة الصحبة من عندها الا مريد طول ملازمته للشيخ بالظاهر والحالة هذه الا ادبارا ولا يكتسب غرورا الا نام معه على هذه الصحبة الا نفارا ولا يطمع وان طال مكثه معه في شأن لابد ولهم من سبب نمت شروط نفعه الموا ثم قال رضي الله عنه

﴿ولا تبعدن قدامه متربعا * ولا بادنا رجلا فتادرالى السير﴾

ولا تقعدن مثل ولا ترعش وقدامه أي امامه والتربيع معلوم ولا بادنا أي كاشفا ورجلا مفعوله وفاء فتادر الخ جواب شرط مقدر أي وان وقع منك الفعل فبادر وقت متعلق الى السير ومتربعا حال من فاعل تقعدن وبادنا عطفا على متربعا ﴿يقول﴾ والله أعلم ولا تقعدن أيها المريد

قدام شيخك وامامه جلوس من تربع ولا مكشوف الرجل كشفا محضا الحال أدب الوقت فانه سوء أدب وقلة احترام للشيخ واعظام له وان صدر ذلك منك عملة ومادر بنفس تتقاطك الى الستر والتغطية لها وما هي عنه من جلوس التربع هو كذلك لانها جلسة المتكبرين وشأن المريد وحاله تخالف فان وصفه اللازم له لاسيما بحضرة شيخه الذل والانكسار والتواضع والتحقق بالعبودية قال الشيخ أبو طالب رضي الله عنه وقد كان من هدى العلماء في قعودهم ان يجتمع أحدهم في جلسته وينصب ركبتيه ومنهم من يقعد على قدميه ويضع مرفقيه على ركبتيه وكذلك كان من شمائل كل من تكلم في هذا العلم خاصة من عهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن زمان الحسن البصري رضي الله عنه وهو أول من تكلم في هذا العلم وفتق الألسنة به الى وقت أبي القاسم الجنيد قبل ان تظهر الكراسي وكذلك روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقعد القرفصاء ويحتبي بيديه وفي خبر آخر كان يقعد على قدميه ويجعل يديه على ركبتيه ثم قال انما كان يجلس متربعا الجبون وأهل اللغة وأبناء الدنيا من العلماء المفتين وهي جلسة المتكبرين ومن التواضع الاجتماع في الجلسة اه فللمريد أسوة حسنة في النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده من العلماء الزاهدين أهل المعرفة واليقين ثم قال رضي الله عنه

﴿ ولا باسطا سجادة بحضوره * فلا قصد الا السعي للخادم البر ﴾

﴿ وسجادة الصوفي بيت سكونه * ولا وكر الا ان يطير عن الوكر ﴾

السجادة هي الزاوية وهي تتخذ من قطن أو كتان كذا هي في البلاد المشرقية وباسطا خبر كان محذوفة مع اسمها أي ولا تكن باسطا ويجوز عطفه على متربعا من قوله ولا تقعدن قدامه متربعا وسجادة مفعول بباسطا وبحضوره متعلق بباسطا ولا قصد لا واسمها والسعي منصوب على الاستثناء والسعي يرد بمعنى المشي والجري والعمل والمراد هنا الأخير على أي وصف وقع من الوصفين قبله أو غيره والخادم للمقترب والبر هنا بفتح الباء الصادق والصوفي هذا يكون دائم التصفية لا يزال يصفي الأوقات عن شوب الاكدار بتصفية القلب عن شوب النفس قال في العوارف وأطلق هنا الصوفي على المتوسط في السلوك الذي شأنه التصفية وتأهل للخلوة ونحوها ومداومة الذكر كما أطلق البادي على المبتدي الحديث العهد بالدخول في الطريق الذي ما انتهت نفسه للاحوال السنية والأعمال القلبية وبيت سكونه مرفوع على انه مبتدا لخبر محذوف تقديره ومحل سجادة الصوفي وأقيم المضاف اليه مقامه ويحتمل أن يكون منصوبا على اسقاط الخافض وهو في أي بيت سكونه والوكر عش الطير وان لم يكن فيه وأطلقه هنا على الشيخ باعتبار ان المريدين اليه يأوون والى جاهه يفزعون أو على المجلس يعني انه يكون له مجلس معلوم بين الجمع حسبما يأتي ﴿ يقول ﴾ والله أعلم ولا تكن أيها المريد باسطا سجادة بحضور الشيخ وبمجلسه الا لوقت الصلاة كنت مبتديا أو متوسطا بل اقعد قعود المستوفز لانه لا قصد ولا غرض للخادم البر الصادق الذي لم تنتبه نفسه للاحوال السنية الا السعي في حوائج شيخه واخوانه والتبتل لخدمتهم والانقطاع لاعانتهم على عبادة ربهم حتى يجذب بذلك قلوبهم وتشمله بركتهم ويكتسب الأوصاف الحميدة والأحوال الجميلة ويؤهل لما أهلوا له ومحل سجادة المتوسط في التصفية التي تنبه لسلوك المقامات الزكية وتأهل لمنازلة الأحوال السنية بيت اقامته وموضع خلوته لان ذلك أقرب لتأدبه مع شيخه وأسلم له من اللغو واللغط واجمع لقلبه واحفظ لسره ولا مجلس للمريد مألوف وموضع معروف في بيت الجماعة كحال الشيوخ وأرباب التمكين والرسوخ الا ان ينفصل عن مجلس شيخه ويستقل بنفسه ويبلغ أوان الفطام والفصال ويؤذن له في التعليم والمقال وأصل البيتين ما ذكره في العوارف

في موضعين أحدهما قال فيه ومن آدابهم الظاهرة أن المريد لا يبسط سجادته مع وجود الشيخ
الا لوقت الصلاة فإن المريد من شأنه التشمر للخدمة وفي السجاد إيماء إلى الاستراحة والتعزز
والثاني قال فيه والرباط يحتوي على شبان وشيوخ وكهول وأصحاب خدمة وأرباب خلوة
فالشباب بالزوايا أليق لتطرق الفساد بدعوى النفس من النوم والراحة والاسترسال في الحركات
والسكنات فالنفس تتشوف إلى التفرد والاسترسال ثم وجود الرفق والشاب يخشى عليه غائلة
النفس بالتفرد في بيت الجماعة والانكشاف لنظر الأغيار لكثرة الوقوف عليه فيتقيد ويتأدب
ولا يكون هذا إلا إذا كان جمع الرباط في بيت الجماعة مهتمين بحفظ الأوقات وضبط الأنفاس
وحراسة الحواس كما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه
كان عندهم من هم الآخرة ما يشغلهم عن اشتغال البعض بالبعض وهكذا ينبغي لأهل البدايات
والتوبة أن يكون اجتماعهم غير مضر بهم فإذا تخلل أوقات الشباب اللغو واللغط فالأولى
أن تلزم الشباب الطالب الوحدة والعزلة ويؤثر الشيخ الشاب بزاوية وموضع خلوة ليحبس
الشاب نفسه عن دواعي الهوى والخوض فيما لا يعنيه ويكون الشيخ في بيت الجماعة لقوة حاله
وصبر على مداراة الناس عليه وتخلصه من تبعات المخالطة وحضور وقار بين الجمع فيسقط
به اللغو ولا يتكدر هو وأما الخدمة فشأن من دخل الرباط مبتدئا ولم يتذوق طعم العلم ولم ينتبه
لنفائس الأحوال فيؤمر بالخدمة لتكون عبادته خدمة ويجذب بحسن الخدمة قلوب أهل
الله فيشمله بركة ذلك ويعين الإخوان المشتغلين بالعبادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
المؤمنون إخوة يطلب بعضهم إلى بعض الحوائج فيقضي بعضهم لبعض الحوائج يقضي الله لهم
حاجاتهم يوم القيامة فيحفظ بالخدمة عن البطالة التي تعيب القلب والخدمة عند القوم من جملة
العمل الصالح وهي طريق من طرق المواجيد يكسبهم الأوصاف الجميلة والأحوال الحسنة
فالناظم رضي الله عنه على ما قرر ينهى المريدين عن بسط السجاد بحضرة شيوخهم لما فيه
من سوء الأدب معهم لأنه كما تقدم إيماء إلى الاستراحة والتعزز مع كونه أيضا إشارة للتساوي مع
الشيوخ ثم عرف كل أحد ما يليق به بذكر الشطر الثاني من البيت الأول حال المبتدي وفي
الأول من الثاني حال المتوسط ثم عرفهما معا أنه لا يخلص لهما كمال الشيوخ إلا أن ينفصلوا
عن شيوخهم ويكمل تربيتهم ويؤهلوا لتربية غيرهم وهذا مبني على أنه أراد بالوكر المجلس وأما
على أنه عبر به عن الشيخ مجازا كما قدمناه وأشار لبيان المعنى للمشيخة وإن كان قد قدم
ذلك أولا لكن في هذا التقسيم مناسبة لذكره فمعناه على هذا ولا تشيخ أي أيها المريدون
وخرج إلى حما المسترشدين والقاصدين إلا أن تنفصلوا عن شيخ على مثل تلك الحال
ويحصل له منه الاستقلال والتمكن من الحال والإذن في الإرشاد الخاص والعام ولما عبر عن
الشيخ بالوكر عبر عن الاستقلال بالطيران للمناسبة مع توجيه لما ذكر بأن الاستقلال إذ
الفرخ ما دام غير مستقل بنفسه ومستكمل للطيران لا ينفطم عن والديه وعلى هذا التقرير
الثاني كان تقرير شيخ شيخه أبو محمد عبد الله بن محمد الغزواني رضي الله عنه ثم أشار إلى التأدب
مع مرتبة المشيخة اللازم له التأدب مع الشيخ فقال رضي الله عنه

﴿وما دمت لم تفطم فلا ترخينه * عليك ولا تلف عليها المعصر﴾

ما دمت دام واسمها وجملة لم تفطم خبرها وذو رحمة لا واسمها وهي العاملة عمل ليس وتلف أي
وحده وهو مجزوم بلا والمستتر على النبي صاحب الجرأة والجسارة عليه ﴿يقول﴾ والله أعلم ومد
كونك أيها المريد غير منفطم عن رضاع التربية لعدم بلوغك الاستقلال بنفسك فليستحي لك
لبس الخرقة ولا تخرقها ولا تلف ولا توجد بذي خرقة وجسارة عليها لا يهامين ترى الشيوخ

المؤهلين للمشيخة فلبسك لها جهل بقدرك وتعد لطورك وميل الى الرياسة والاستمتاع قال الشيخ أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى رضى الله عنه ويكره لبس المرقعة أيضا الا للمشايخ فانها بمنزلة الطيلسان والسجادة والطيالس للمشايخ والبرانس للمريدين اهـ وهذا الحكم جار فى كل ما هو من زى الشيوخ لان العلة واحدة وذلك لا يختلف باختلاف الأعراف ثم أشار الى التحذير من التكبر على الخلق ورؤيتهم بعين الازدراء فقال رضى الله عنه

﴿ولا ترين فى الأرض دونك مؤمنا * ولا كافرا حتى تغيب فى القبر﴾

الواو للعطف ولا ناهية وترين مؤكد بالنون الخفيفة وفى الأرض متعلق بترين ودونك ظرف منصوب بترين واصل دون أدنى مكان من الشئ ومنه الشئ الدون وهو الدنئ الحقير ودون الكتب اذا جمعها لان جمع الأشياء ادناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها يقال هذا دون وذلك اذا كان أحط منه قليلا ثم اختصر واستعير للتفاوت فى الأحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو فى الشرف والعلم ومنه قول من قال لعدوه وقد رآه يثنى عليه أنا دون هذا وفوق ما فى نفسك ثم اتسع فيه فاستعمل فى كل من تجاوز حدا الى حد وتخطى حكما الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أى لا تتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقوله مؤمنا مفعول ترين وقوله ولا كافرا عطف عليه ولا زائدة والمؤمن هو المتصف بالايمان كما أن الكافر هو المتصف بالكفر على انهم اختلفوا فى المقابلة بين الايمان والكفر هل من مقابلة الضدين أو مقابلة العدم والملكة فاختار الامام الكبير أبو عمرو ابن الحاجب رحمه الله الأول فقال الايمان عبارة عن تصديق الرسل فى كل ما علم بالضرورة مجىء الأنبياء به على الأصح وعبر بالانكار واختار غيره الثانى فقال الكفر هو عدم الايمان عما من شأنه أن يكون مؤمنا والايمان يقال لغة ويقال شرعا اما لغة فيطلق ويراد به التصديق والاعتراف ويتعدى بالباء آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه ويطلق ويراد به الاذعان والانقياد ويتعدى باللام فآمن له لوط وهو افعال من الأمن يقال أمنته غيرى ويقال آمنه اذا صدقه وحقيقة آمنه التكذيب والمخالفة واما شرعا فاختلف أهل السنة والجماعة فيه على ثلاثة أقوال وهى هل هى الأمر القلبى المعبر عنه بالاذعان والتصديق فقط والنطق بموافقته انما هو شرط لان تجرى عليه الأحكام الشرعية الاسلامية فى الدنيا حتى انه لو مات ولم ينطق وآمن بقلبه فهو مؤمن فى نفس الأمر وهو مذهب جمهور المحققين واختيار أبى منصور الماتريدى شيخ متكلمى ما وراء النهر والامام أبى حامد وهذا ما لم يكن عاجزا ولا آبيا وهو الأمر القلبى مع النطق بحيث يكون الايمان مركبا منهما حتى انه لو لم ينطق ومات كذلك وهو غير عاجز ولا آب وهو المحكوم له بالايمان على القول الأول فهو كافر فى نفس الأمر وهو قول الأشعرى وجماعة من أصحابه وقال بعض العارفين مشيرا الى ترجيح هذا القول ان الحق جل وعلا سمى باسمائه الحسنى فلا بد للايمان من شيئين شئ يتعلق بالمسمى وهو الأمر القلبى والنطق باللسان مع العمل بالجوارح بحيث يكون مجموع الثلاثة هو الايمان وان لم يعمل لم يسلب عنه الايمان وهو قول المحدثين وجماعة من الصوفية وهو مشكل للزوم نفى الماهية عند نفى جزئها الا ان يتأول بالايمان الكامل لا بمطلقه ثم ان ذلك الأمر القلبى اختلف فيه هل يرجع الى العلم أو يرجع الى كلام نفسى تابع للعلم فمنهم من رده الى المعرفة وهو أحد قولى الأشعرى ومنهم من رده الى الكلام النفسى وهل هو كلام النفس المفسر بحديث النفس أو ربط القلب أو نسبة شئ الى شئ نسبة مطابقة للواقع وهو المسمى بالتصديق وهو ظاهر قول امام الحرمين وغيره وهو التسليم والاذعان وهو قول جماعة من المحققين وحجة الاسلام وعول عليه السعد التفتازانى والحق عند الصوفى انه أمر قلبى وليس هو المعرفة ولا يوجد دونها فهو عنده

يرجع إلى نور يلقيه الله في قلب العبد يرعيه بالسكينة والإذعان ولذلك يقال فيه الإيمان سكينة
الملك لوجود أمر الرب الباعث في استعمال النفس في الأعمال الصالحة والأخلاق الزاكية
قال الله تعالى هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم وإن كان نورا
فهو يقبل الزيادة والنقصان وكيف لا وهم قاطعون بأن إيمان الأنبياء ليس كإيمان الناس على
أنه اختلف في المسألة على ثلاثة أقوال الأول لا يزيد ولا ينقص وهو قول أهل النظر من الأشاعرة
وعمدتهم في ذلك أن الإيمان يرجع إلى معنى بسيط قلبي وذلك أمر إن حصل فهو الإيمان وإن لم
يحصل فلا إيمان وأما أن يقال إن الإيمان هو الإقرار مرة وأخرى إذ هو لا يقبل النقص ولا يقبل
التفاوت كما هو مقرر في محله الثاني أنه يزيد وينقص وهو قول السلف والفقهاء والصوفية
وقد تقدم الكلام عليه مع كون ظواهر الآيات والأحاديث تشهد له قال الله تعالى فأما الذين
آمنوا فزادتهم إيمانا الثالث يزيد ولا ينقص وهو قول مالك على أنه اختلف قوله كما هو في رواية
ابن القاسم على الاحتمالات الثلاثة وكونه يزيد ولا ينقص أعاد ذلك توقف مع ظواهر القرآن حيث
أخبر بالزيادة ولم يخبر بالنقصان والأظهر يزيد وينقص لا محالة وهذا كله إن لم يجعل الأعمال
جزءا من الإيمان وأما إن جعلت جزءا منه فزيادته ونقصانه ظاهران وقد ذكرت وجوه أخرى في
الزيادة والنقصان ككونه من حيث المراتب ومن حيث كونه يكون بدون الاستحضار ويكون
به وإن لم يقل باشتراط الاستحضار في التصديق ومن حيث الوصول بعد علم اليقين إلى عين اليقين
ومن حيث الترقي من عين اليقين إلى حق اليقين وهذان الوجهان مخصوصان بأهل العرفان
﴿قوله﴾ والله أعلم ولا ترى أيها المريد في الأرض مؤمنا أو كافرا أدنى منك منزلة واحتقر
نفسك عند الله مرتبة بل ترى نفسك أذل الموجودات وأدنى المخلوقات واستمر على ذلك إلى وقتك
وحلولك في رمسك حتى تسلم من ادعائك غيرك وصفك وعلمك بقدر نفسك إذ وصفك اللازم لك
الذلة والافتقار ووصف ربك العز والاستكبار ومن ادعى صفة ربه تعالى يكون كاذبا وقد عظم
الله شأن ذلك فقال فيما حكى عنه النبي صلى الله عليه وسلم الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن
نازعني واحدا منهما قصمته وفي رواية قذفته في نار جهنم أي رميته فيها وقال الفضيل رضي الله
تعالى عنه من رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب وقال أبو سليمان رضي الله عنه لا يتواضع
العبد حتى يعرف نفسه وقال أبو يزيد رضي الله عنه ما دام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه
فهو متكبر فقيل فمتى يكون متواضعا قال إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل أحد على قدر
معرفته بنفسه وربه وقال في العوارف قال يوسف بن أسباط وقد سئل ما غاية التواضع فقال أن
تخرج من بيتك فلا تلقى أحدا إلا رأيته خيرا منك ورأيت شيخنا ضياء الدين أبا النجيب وكنت
معه في سفر إلى الشام وقد بعث بعض أبناء الدنيا له طعاما على رؤوس الأسارى من الإفرنج
وهم في قيودهم فقدمت السفرة والأسارى ينتظرون الأواني حتى ترجع فقال للخادم أحضر
الأسارى حتى يقعدوا على السفرة مع الفقراء فجاء بهم وأقعدهم على السفرة صفا واحدا وقام
الشيخ من سجادته ومشى إليهم وقعد بينهم كالواحد منهم فأكل وأكلوا وظهر لنا على وجهه ما نزل
بباطنه من التواضع لله والانكسار في نفسه وانسلاخه من التكبر عليهم بإيمانه وعلمه وعمله
وقال الشيخ أبو الحسن علي بن عيسى بن موسى القرطبي رحمه الله تعالى إنه رأى الشيخ الفقيه أبا
محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد وكان من الفقهاء العلماء يوما وهو يمشي في يوم شات كثير
الطين فاستقبله كلب يمشي على الطريق التي كان عليها قال فرأيته قد لصق بالحائط وجعل
للكلب طريقا ووقف ينتظر جوزه وحينئذ يمشي هو فلما قرب منه الكلب قال رأيته قد نزل
من مكانه الذي كان فيه ونزل أسفل وترك الكلب يمشي فوقه قال فلما جاز الكلب وصلت إليه فوجدته

عليه كأنه فقلت له يا سيدي رأيتك صنعت الآن شيئاً استغربته كيف رميت نفسك في الطين وتركت الكلب يمشي في الموضع النقي فقال لي بعد ان علمت له طريقاً نقياً تفكرت وقلت ترفعت على الكلب وجعلت نفسي ارفع منه بل هو والله أرفع مني وأولى بالكرامة لاني عصيت الله تعالى وأنا كثير الذنوب والكلب لا ذنب له فنزلت عن موضعي وتركته يمشي عليه وأنا الآن أخاف المقت من الله الا ان يعفو عني لاني رفعت نفسي على من هو خير مني وهذه الحكاية فيها المام من شرح هذا البيت والذي بعده واعلم ان منشأ الكبر اما هو من جهل العبد نفسه ربه كما ان التواضع منشؤه معرفة العبد بعيب نفسه أو شهود عظمة ربه وهذا أكمل من الأول لأنه لا يمكن ارتفاعه ومن هنا كان تواضعا حقيقيا دون كما قال الشيخ تاج الدين رضي الله تعالى عنه في حكمه التواضع الحقيقي ما كان ناشئا عن شهود عظمته وتجلي صفته يعني لأنه لا بقاء لآثار الخلق عند ظهور وصف الحق قال ذو النون رضي الله عنه من أراد التواضع فليوجه نفسه الى عظمة الله فانها تذوب ومن نظر الى سلطان الله تعالى ذهب عنه سلطان نفسه لان النفوس كلها حقيرة عند هيبته ومن أشرف التواضع ان لا ينظر الى نفسه دون الله تعالى فاذا حصل العبد على هذا المعنى من التواضع تواضع للخلق لا محالة لرؤيته بينهم حق الله تعالى ولذلك قال في العوارف ومتى لم يكن للصوفي حظ من التواضع الخاص على بساط القرب لا يتوفر حظه من التواضع للخلق وأشار أيضا لهذا المعنى مولاي الوالد رضي الله عنه حيث سئل قديما هل يجوز ان يرى الانسان شخصا ومزية له على غيره ولو كافرا أم لا وهل يواجهه بالطرد واللعنة ان كان شخصا معينا أم لا وهل يصح التمييز بين الشخصين أم لا فقال بعد كلام اعلم يا أخي ان الناس في ذلك على مذهبين مذهب المنقطعين والمتوجهين الى الله تعالى ومن له قدم في الارادة عدم الرؤية لذلك لانه لم يحصل لهم التمييز على الحقيقة والمؤمن والكافر من كان كذلك عند الله وهذا انما انفرد الله بعلمه عن الجمهور وهو من عالم الغيب لا من عالم الشهادة فتوقف لذلك وامسك اللسان عنه لانه لم يعلم نفسه من حيز السعادة أو الشقاوة وهل هو مقبول أو مردود وغير ذلك من الأوصاف المضادة فتحير أمره وأمسك اللسان سكونا تحت مجاري الأقدار ذهولا من هيبة الواحد القهار ولكن ذلك لا يصله الانسان الا بعد ترقيه من عالم العادة الى عالم الحكمة ومن عالم الحكمة تصادمت تجليات الأسماء والصفات فخضع لذلك لكل ذرة في العالم لا لها ولكن للسر الموجود بها افافهم واعرف قدرك ولا تتعد طورك ولا تقف ما ليس لك به علم الآية وهذا بداية السالكين وأول اقدام المتوجهين ووراء ذلك أمر لا يسعه فهمكم وتتاه عقولكم ويختل منه ذهنكم قال مولانا جل جلاله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه الآية والحامل لي على ذلك افادتكم واراحة لقلوبكم وشفاء لصدوركم وان أشياء وراء فهمكم ومحجوبة عنكم على غير ما يقتضيه نظركم ويكفيكم في ذلك ما أشار اليه صاحب الشريشية رضي الله تعالى عنه حيث قال ولا ترين في الأرض دونك البيتين انتهى محل الحاجة منه وقد ذكر نحو هذا الأدب المذكور في البيتين الشيخ محيي الدين رضي الله عنه حيث قال ومن آدابهم مع الله تعالى وقليل فاعله ان يعتقد الانسان ان لله نظرات في كل زمان الى قلوب عباده فيمنحهم فيها من لطائفه ومعارفه ما شاء فاذا فارق شخصا ساعة واحدة وأعرض عنه نفسا واحدا وهو معه مجالس ثم عاد اليه فانه يتهيأ للقائه بالخدمة والتعظيم بعد نظرة حصلت له من تلك النظرات حصل بها فوقه فان كان الأمر كذلك يعني بأن حصلت له نظرة من تلك النظرات فقد وفي معه الأدب وان يكن غير ذلك يعني بان لم يحصل له شيء من تلك النظرات فقد تأدب مع الله تعالى حيث عامله بما تقتضيه المرتبة الالهية وهذا مقام عزيز

قل أن يرى له داعياً وكذلك أيضاً إذا استبدوا واضافي حال غشيانه ثم زال عن تلك المعصية فإنهم
لا يعتقدون فيه الإصرار ويقولون لعله تاب في سره ولعله ممن لا تضر المعاصي لاعتناء البارئ به
في شيء أمر ولا يعتقدون في أحد سوء الظن إليه إلا من كشفهم الله تعالى على سر وماله قد
يقدرون أن ينكروا ما عرفوا لكنهم لا يعرفون أحداً ولا يسمون به ومن نظر بنفسه خيراً من أحد
من غير أن يعرف قربه من ربه ذلك الآخر بالعناية بالوقت به وجاهل بأنه غر وخل مخدوع
لا خيرة ولو أعطي من المعارف ما أعطي ولم يكن هذا من شأن القوم رضي الله عنهم والازدراء
بالعالم من جانب الحقيقة هو الازدراء بالله تعالى وهو نفس الولاية ثم أشار إلى وجه الخلاص من
هذه الآفة التي تنهى المريد عنها فقال رضي الله عنه

﴿وإن ختام الأمر عنك مغيب * ومن ليس ذا حزم يخاف من المكر﴾

نبه هذا البيت لما قبله أنه علة له وذلك أنه لما رأى أن سامع البيت الذي قبله ربما يفهم
بعضه مطلقه وليس كذلك قال إن سألت عن ذلك فهو كذا ولكنه طوى ذكر الشرط وذلك
طروق والفاء المتصدر بها البيت إذا فتحه والمكر أخت الخدع والخدع أن يوهم صاحبه
خلاف ما يريده من المكر ومن قولهم ضب خادع وخدع إذا أمن الحارس يد على باب
جحر أو جهة أماله عليه ثم خرج من باب آخر فمكر الله استعارة لأخذ العبد من حيث لا يشعر
به واستدراجه فإن الاستدراج من الدرج وهو أخذ الشيء قليلاً قليلاً ولا يهجم لا يشعر به
ومنه درج الصبي لأنه يقطع عرض البيت قليلاً بخطا متقاربة شيئاً فشيئاً ودرج الكتاب أي
طيه شيئاً فشيئاً إلى نهايته والدرج الذي يرقى به ﴿يقول﴾ والله أعلم ينهاك أيها المريد
عن أن ترى في الأرض أدنى منك منزلة لأن الأمور بخواتيمها وختام أمرك وأمر غيرك عنك
مغيب ولا تسكن إلى علم ولا إلى عمل ولا تقطع على النجاة بشيء من العلوم وإن علت ولا بشيء
من الأعمال وإن جلت ولا تزدر أحداً من خلق الله طائعاً كان أو عاصياً مؤمناً كان أو كافراً
لعدم علمك بحقيقة الخاتمة فقد يبطل أعاظم من الأعمال خواتيمها وقد يكون الحق نظر الملك
نظر المعدات يزداد بعملك عدداً فإذا انقطعت الآجال أشهدت الأعمال بما هبت في الأبعاد
بخلاف دار البعد فالخاتمة هي مكر الله الذي لا يوصف ولا يفطن له ولا علمه توقف ومن ليس ذا حزم
وجد لا يخاف من مكر الله في كل شيء لأن القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف
يشاء ولاطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عظيم صنع الله تعالى في عجائب القلب وتقلبه
كان يكثر أن يقول لا ومقلب القلوب وقد روى جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان كثيراً ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقيل يا رسول الله أتخاف علينا وقد
آمنا بك وبما جئت به فقال إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وأشار
إلى السبابة والوسطى وهو من باب التمثيل والتصوير وهو إبراز المعاني المعقولة في الصور الحسية
تقريباً للأفهام وذلك هنا كناية عن سرعة تقلبها وعدم استمساكها على ذلك لأن ما يكون بين
أصبعين في الحس هو كذلك ولك أن تقول هو من باب التعبير بالسبب عن المسبب فإن الأصبع
سبب القدرة على التحريك والتقليب إذ هما آلة التقليب فعبر بهما عن القدرة التي هي المراد
منهما ولك أن تقول عن روح الأصبعين أي الأصبع المعقولة الروحانية بمعنى أن روح الأصبع
بأنه تيسير تقليب الأشياء وقلب الإنسان بين يديه الملك وله السلطان وبهما يقلب الله القلوب فكنى
بالأصبعين عنهما وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم للقلب ثلاثة أمثلة فقال مثل القلب
مثل العصفور يتقلب في كل ساعة وقال مثل القلب في تقلبه كالقدر إذا اجتمعت غلياناً وقال مثل
القلب كمثل ريشة بأرض فلاة تقلبها الرياح ظهراً لبطن ومن الأحاديث التي وردت في تحويل

أمر الخاتمة ما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا شبر وفي رواية الا فواق ناقة فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار وقال الامام أبو حامد رضي الله عنه وفواق الناقة لا يحتمل عملا بالجوارح وانما هو خاطر يختلج في القلب عند الموت فيقتضي خاتمة السوء انتهى قال الشيخ أبو طالب رضي الله عنه ومن خوف العارفين علمهم بأن الله عز وجل يخوف عباده ممن شاء من عباده الاعلين يجعلهم نكالا للادنين ويخوف العموم من خلقه بالتنكيل لبعض الخصوص من عباده حكمة له وحكما منه وعند الخائفين في علمهم ان الله عز وجل قد أخرج طائفة من الصالحين نكالا خوف بهم المؤمنين ونكل بطائفة من الشهداء خوف بهم الصالحين وأخرج جماعة من الصديقين خوف بهم الشهداء والله أعلم بما وراء ذلك ثم قال وصار من أهل كل مقام لمن دونهم موعظة لمن فوقهم وتخويف وتهذيب لأصحابهم وهذا داخل في وصف من أوصافه وهو المالك فما أظهر من العلوم والاعمال فلم يسكن عند ذلك أحد من أهل المقامات في مقام ولا نظر أحد من أهل الاحوال الى حال ولا أمن مكر الله عز وجل عالم به في كل الاحوال قال الامام أبو حامد رضي الله عنه وانما كان خوف الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم لانهم لم يأمنوا مكر الله ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون حتى روى أن النبي وجبريل صلى الله عليهما بكيا خوفا من الله سبحانه وتعالى فأوحى الله اليهما مالم تبكيان وقد أمنتكما ومن يأمن مكر الله وكأنهما اذ علما ان الله تعالى علام الغيوب وانهما لا وقوف لهما على غاية الامور لم يأمنا ان يكون قوله تعالى قد أمنتكما ابتلاء لهما وامتحانا أو مكرا لهما حتى ان سكن خوفهما ظهر انهما أمنا من المكر وما وفيا بقولهما قال ولما ضعفت شوكة المسلمين يوم بدر قال عليه السلام اللهم ان كسرت هؤلاء لم يبق أحد على وجه الارض يعبدك فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه دع مناشدتك ربك فانه واف لك بما وعدك فكان مقام الصديق مقام الثقة بوعد الله تعالى وكان مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام الخوف من مكر الله تعالى وهو أتم لانه لا يصدر الا عن كمال المعرفة بأسرار الله تعالى وخفايا أفعاله ومعاني صفاته التي يعبر عما يصدر عنها من المكر وليس لأحد من البشر الوقوف على كنه صفات الله تعالى ومن عرف حقيقة المعرفة وعرف قصور المعرفة عن الاحاطة بكنه الأمور عظم خوفه لا محالة ولذلك قال عيسى عليه السلام لما قيل أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك أنت علام الغيوب قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ففوض الامر الى المشيئة وأخرج نفسه بالكلية من الامر لعلمه أنه ليس له من الامر شئ وان الأمور مرتبطة بالمشيئة ارتباطا يخرج عن حد المعقولات والمألوفات ولا يمكن الحكم عليها بقياس وحدس وحسبان فضلا عن التحقيق والاستيقان وهذا هو الذي قطع قلوب العارفين اذ الطامة الكبرى هي ارتباط أمرك بمشيئة من لا يبالي بك ان هلكت فقد أهلك من لا يحصى من أمثالك لم يزل في الدنيا يعذبهم بأنواع الآلام والأمراض ويمرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق ثم يخلد العذاب عليهم ابد الآباد ثم يخبر سبحانه وتعالى عن ذلك ويقول ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فكيف يخاف ما حق من القول في الازل ولا مطمع في تداركه ولو كان الامر أنفا لكانت الاطماع تمتد الى حيلة فيه ولكن ليس الا التسليم واستقراء حقي السابقة من جلي الاسباب الظاهرة على القلب والجوارح فمن يسرت له أسباب الشر وحيل بينه وبين أسباب الخير واحكمت علاقته مع الدنيا فكأنه كشف له على التحقيق سر السابقة التي سبقت له بالشقاوة اذ كل ميسر لما خلق له وان كانت الخيرات كلها ميسرة والقلب بالكلية عن

الدنيا منقطعا وبظاهره وباطنه على الله مقبلا كان هذا أن يمضي بحق الخوف لو كان
الدوام على ذلك موثوقا به ولكن خطر الخاتمة وعسر الثبات يزيد نيران الخوف اشتعالا ولا يمكنها
للانطفاء وكيف يؤمن تغير الحال وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن فإنه أشد تقلبا
من القدر في غليانها وقد قال مقلب القلوب ان عذاب ربهم غير مأمون فأجهل الناس من
أمنه وهو ينادي بالحذر من الامن والغرور ولولا أن الله عز وجل لطف بعباده العارفين
اذ روح قلوبهم بروح الرجاء لاحترقت قلوبهم من نار الخوف فأسباب الرجاء رحمة من الله تعالى
وأسباب الغفلة رحمة على عوام الخلق من وجه اذ لو انكشف الغطاء لزهقت النفوس وتقطعت
القلوب من خوف مقلب القلوب قال بعض العارفين لو حالت بيني وبين من عرفته بالتوحيد خمسين
سنة اسطوانة فمات لما قطعت له بالتوحيد لأني لا أدري ما ظهر له من التقلب وقال بعضهم
لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام على باب الحجرة لاخترت الموت على الاسلام
لأني لا أدري ما يعرض لقلبي من باب الحجرة الى باب الدار وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يحلف
بالله ما أحد أمن على ايمانه أن يسلبه عند الموت الا سلبه وكان سهل رضي الله عنه يقول خوف
الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وكل حركة وهم الذين وصفهم الله تعالى اذ قال
تعالى وقلوبهم وجلة قال وكان سهل يقول المريد يخاف أن يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف أن
يبتلى بالكفر وقال أبو يزيد اذا توجهت للمسجد فكان في وسطي زنار أخاف أن يذهب بي الى البيعة
أو بيت النار حتى أدخل المسجد فينقطع عني الزنار فهذا دأبي كل يوم خمس مرات قال ولسوء
الخاتمة أسباب تتقدم على الموت مثل البدعة والنفاق والكبر وجملة من الصفات المذمومة
انتهى وما ذكر عن سهل ان العارف يخاف الكفر والمريد يخاف المعاصي كل ذلك لاستيلاء
العارف على ما قد تقدم ذكره وايقانه بما شهد بأمره فجعل خوف الابتلاء بالكفر عن خوف
الابتلاء بالمعاصي بل لو وجد العارف من الاول عين الوقوع في الثاني كان ذلك عنده غنيمة كمن
بات محموما يجد العلل والاعرف لو وجد سبيلا أن يتبع الاول ويضرب الثاني وأنت تعلم
كيف كان يكون درجته والمريد لما لم يطلع نظره لما وراء الستر وقف مع الحاصل ذلك مبلغهم
من العلم وأيضا النفس أغيار يدور ويحاول أن يقعد على كل أحد ما سد وذلك كالطاعات للمريدين
ومقامات التوحيد للعارفين قال الشيخ أبو طالب رضي الله عنه والعدو يدخل على العارفين من
طريق الالحاد في التوحيد والشبهة في اليقين والوسوسة في صفات الذات ويدخل على المريد
من طريق الآفات والشهوات ولذلك كان خوف العارفين أعظم من قبل ان العدو يدخل على
كل عبد من معنى همته ومسكنه في الدين كما زين لهذا الشهوات وأجمل قوله ومن ليس بخاسر
الخ قوله تعالى ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون فانه في قوة قضية قائلة آمن مكر الله خاسر
وعكس نقيضها من ليس بخاسر ليس بآمن من مكر الله وهو معنى قوله ومن ليس بخاسر خائف
من المكر وكل قضية تلزمها عكسها وعكس نقيضها كما هو مقرر في محله ولما نهى المريد عن التكبر
على الخلق والازدراء بهم حذر من الافراط في الجانب الآخر كي لا يعظمهم فيلهو برؤيتهم
بأعماله وينظر اليهم في أحواله وغير ذلك مما ينافي تعظيمهم وأما برهم فحسن أمر لهم
الله فقال رضي الله تعالى عنه

﴿ولا تنظرن يوما الى الخلق انه * يخلي طلق المعشوق كدر الامر﴾

ولا تنظرن نهي مؤكد بالنون الخفيفة ويوما أي حينا من الاحيان والى الخلق متعلق
بتنظرن وضمير انه ... وذلك تقدير اليوم من الفعل أي ان النظر اليهم يخلي الحجة ان وطلق
الشيء من اضافة الموصوف الى الصفة أو عكسه أي يخلي الطلق الصافي والكدر العكر

ضد الصفو والأسر هنا الشد والضعف ونحو ذلك وأل في الأسر معاقبة للضمير العائد الى المصدر المفهوم من الفعل أي في كدر أسره أي أسر النظر اليهم ﴿يقول﴾ والله أعلم ولا تنظرن أيها المريد دقيقة من زمانك في أقوالك وأفعالك وأحوالك وشؤنك من عبادات وعادات الى أحد غير الله تعالى فان النظر في عباداتك وعاداتك الى الخلق والتقيد بهم والتوجه نحوهم والتطلع الى معرفتهم بحالك يخلي الطليق الصافي من الاوقات وما يدونها من الاعمال والحالات في كدر أسر النظر اليهم والالتفات نحوهم فتصير عباداتك وعاداتك مدخولة لأنك حيث أسرك نظر الخلق وتقيدت بهم وأقبلت عليهم والتفت اليهم واعتبرتهم يدخل عليك الرياء والتصنع والتزين لهم وتحسين مواضع نظرهم منك لامحالة ولهذا قال الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه من لم يقنع في أقواله وأفعاله بسمع الله ونظره دخل عليه الرياء لامحالة ثم لايزال بك ذلك الى ان يحركك الى أنواع من الكبائر والرذائل سوى ما أنت فيه من الانحطاط في أهوائهم والتكبر عليهم ومعاشرتهم بالنفاق والدهان وتخالف السر والاعلان هذا باب عظيم من الخذلان والعياذ بالله وعذاب أليم استعجلته في دنياك اذ يفوتك بذلك راحة قلبك وطيب عيشك ويسلبك ثوب الصفاء والعزة ويلبسك لباس الطمع والذلة فتردى بذلك هتكك وتقل قيمتك ولعذاب الآخرة أكبر ثم مع هذا من لك بحصول ما أردته منهم وأغراضهم مختلفة وطباعهم متباينة ورب ما استحسنت من نفسك شيأ لم يستحسنه غيرك ورب ما ارضى شخصا مالا يرضى آخر وأنت ربما عملك تعمل فيما يسقطك عند الناس وأنت ساع فيما يضرك عندهم مع مقاساة التعب والنصب في نفسك وهذا كله شؤم نظرك الى الخلق والتفاتك اليهم وادبارك عن باب الحق مع فوات حظك من الله وخسران آخرتك وذهاب دينك ولهذا قال بشر بن الحرث رضي الله عنه ما أعرف رجلا أحب أن يعرف الا ذهب دينه وافتضح وقال أيضا لايجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس وقال بعضهم لا تطمع في المنزلة عند الله وأنت تريد المنزلة عند الناس وقال في العوارف وهذا أصل يفسد به كثير من الأعمال اذا أهمل وينصلح به كثير من الأحوال اذا اعتبر وهذا الكلام هو أصل هذا البيت مع قوله فيها ومتى تمسك المريد بالصدق والاخلاص بلغ مبلغ الرجال ولا يحقق صدقه واخلاصه كشيئين متابعة أمر الشرع وقطع النظر عن الخلق فكل الآفات داخلة على أهل البدايات لموضع نظرهم الى الخلق وبلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا انه قال لا يكمل ايمان المرء حتى يكون الناس عنده كالأباعد اشارة الى قطع النظر عن الخلق والخروج منهم وترك التقيد بعاداتهم ثم قال ورب ما استصغر المريد مجرد النظر الى الناس ويستصغر بحصول النظر أيضا وفضول المشي فيقف من الأشياء كلها على الضرورة فينظر ضرورة حتى لو مشى في بعض الطريق يجتهد أن يكون نظره الى الطريق الذي يسلكه لا يلتفت يمنة ويسرة ثم يتقي موضع نظر الناس اليه واحساسهم منه بالرعاية والاحتراز فان علم الناس منه بذلك أضر عليه من فعله ولا يستحقر فضول الشئ فان كل شئ من قول وفعل ونظر وسماع وحركة خرج عن حد الضرورة جر الى الفضول ثم يجر الى تضييع الأحوال قال سفيان انما حرموا الوصول لتضييعهم الأصول وكل من لا يتمسك بالضرورة في القول والفعل لا يقدر ان يقف على قدر الحاجة من الطعام والشراب والنوم ومن تعدى الضرورة تداعت عزائم قلبه وانحلت شيأ فشيأ وقد قال سهل بن عبد الله من لم يعبد الله اختيارا يعبد الخلق اضطرارا ويفتح على العبد أبواب الرخص والاتساع ويهلك مع الهالكين اه ولما كان اذا عمل المريد بمقتضى هذا الأدب وأعرض عن الخلق وأقبل بكليه الهمة على الملك الحق وأخلص لله في عبادته واكتفى به وقنع بعلمه واغتنى بشهوده حتى تركت نفسه واستنار بنور الاخلاص قلبه وأحرق العادة

في نفسه أخرق الله له العادات ومنحه أنواعا من الكرامات وكاشفه بالمغيبات كما قال صلى الله عليه وسلم من أخلص لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ذكر ما لزم من ظهرت على يديه هذه الأمور من الأدب عقب هذا فقال رضي الله عنه

﴿وإن نظم الحق الكرامات أسطرا * فلا تبد من حرف العبير لك من سطر﴾

﴿سوى النسخ لا تكتمه سرا فإنه * ساحة كشف السر تجري على بحر﴾

النظم الجمع والحق من أسمائه تعالى وتقدس وقد تقدم والكرامات جمع كرامة وهي أمر خارق للعادة يظهر على يد رجل ظاهر الصلاح ليس شيئا في الحال ولا في المآل ثم الصحيح عن القاضي إمام الحرمين وجماعة المتأخرين أن الفرق بين المعجز والكرامة هو المقارنة بدعوى النبوة وأن الكرامة يكون من جنس المعجز الإمامات اختصاصه به عليه الصلاة والسلام كالكتاب المبين والصحيح أيضا أنه يصح إظهار الكرامات من الولي وأنه يجوز أن يتعدى على ولايته وأن ما تعدى به لا يدل على ولايته إلا ظاهرا بخلاف النبي هذا من حيث القواعد العلمية وبسطه في الكتب الكلامية وأما من حيث الطريق فقد قال الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه وإظهار الكرامات وإخفاؤها على حسب النظر لأصلها وفرعها فمن غيرهم من بساط إحسانه أمهته الإمام معرفته ومن غيرهم من بساط إحسان الله إليه لم يضف إذا ساء وقد صح إظهار الكرامات من قوم وترك العمل في إخفائها من قوم كالشيخ أبي العباس المرسي في الإظهار وابن أبي جمرة في الإخفاء رضي الله عنهما ثم قال من الناس من يغلب عليه الفناء بالله فيظهر له الكرامات وينطلق لسانه بالدعوى من غير احتشام ولا توقف وقد يخفى عن حق الحق كالشيخ أبي محمد عبد القادر رضي الله عنه وأبي يعزى وعامة متأخري الشاذلية ومنهم من يغلب عليه الفقر إلى الله فيكل لسانه ويوقف مع جانب الورع كابن أبي جمرة وغيره ومن الناس من يختلف أحواله فتارة وتارة وهو أكمل الكمال لأنه حاله عليه السلام إذا أطعم الطعام صاع وشد الحجر على بطنه فافهم والسطر لغة بالسين وبالصاد الكتاب والخط والكتابة ولم يرد هنا إلا السين والسرهنا ما كتم وفي بعض النسخ بدله سيئا والساحة الناحية وفضاء بين دور الحي قال ساحة الدار أو الدار ونحو ذلك أي عرصها وجمعها ساح وسوح وساحات وهي هنا بمعنى المحل تسمية للشيء باسم ما يئول إليه والمعنى في تجري على بحر حال لازمة ﴿يقول﴾ والله أعلم وإن جمع الحق تعالى وتقدس أنواعا من الجمع والكرامات وخوارق العادات فلا تظهر شيئا من ذلك لغيرك لأنه من أعظم المواطع والعوائق عن الله لاستيلاء الخلق عليك بذلك وانصرافه وجوههم الملك مع عدم تمكنك من حالك ولو علمت أن تعلق ولا تعلق فلا تزالون بك إلى أن تسمع وترى لهم وغير ذلك من الآفات والميل إلى تحصيل شهواتهم واحفظ سرك من زرك وادفن وجودك في أرض خمولك فيكمل سائك وينمو ساحلك وآثر الأدنى من كل شيء حتى يأتيك من أمر الحق ما يطلعك على عذره فيه ولا ضرر به فيكون به حميدا لا مفسدا وقد قيل الخمول في البداية مقصود وفي النهاية محمود وكمل الشهرة كاد كرنا عاما عن كل أحد سوى شيخك لا تكتمه سرا من أسرارك كرامة كانت أو غيرها مما يجري عليك ومما ينزل بك فإنه في محل أن يكشف له الأسرار ويطلع على خفايا الأحوال وكمثل أو الحال أنه على الدوام ويمر الليالي والأيام في سه من قرابته على بحر من العلم عالمون بلدات كل نازلة تنزل بك فقبل بأسباب سرك لما عنده به وتحصل لك الدواء والنفع ومهما كتمت عنه شيئا من أحوالك تعذبت على نفسك ونحته في حق محبته وتضرر ذلك وبال عليك قال الأستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه ثم يجب عليه يعني على المريد الملازم بصحبة الشيخ حفظ سر حتى عن زر الآخرين سمعه ولو كتم

بسامى أنفاسه عن شيخه فقد خانه فى حق صحبته قال الشيخ العارف بالله محيى الدين أبو العباس البونى رضى الله عنه واياك ان تحقر فعلا يخطر لك الآن تلقيه للشيخ طاعة كان أو معصية على أى نوع برز لك ولو احتلف عليك ألف مرة فى الساعة احتلفت اليه ألف ساعة فى الخاطر ليعلمك الدواء الذى تريحه به أو يحمل عنك بهمته وقال الامام أبو حامد رضى الله عنه بعد كلام فيما يعرض للمريد من الشبه فى حال سلوكه فينبغى ان يعرض ذلك على شيخه بل كلما يجد فى قلبه من الأحوال من فترة أو نشاط أو التفات الى علقة أو صدق فى ارادة فينبغى ان يظهر ذلك لشيخه ويستره عن غيره فلا يطلع عليه أحدا ونظم هذا المعنى الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف التجيبى ثم السرقسطى الفاسى الدار المعروف بابن المارضى الله عنه فى مباحثه فقال

وقيل ان تكتم من الأحوال * شيأ سلكت سبل الضلال

فليس عند القوم باللبيب * من لم يصف شكواه للطبيب

وهذا هو الذى يقرر للخاص والعام من قاصد حضرة الملك العلام والاوقد قدمنا ان المريد الصادق المجمع على الشيخ بالكل والبعض يبادئه الشيخ بما فيه قبل ان يسأله ويكشف له عن حاله قبل ان يستكشفه وهذا الا يتعلم وانما يذكر كى لا ينكر على أهله وهو أساس مشيد ولكونه كثيرا العطب لمن رام دخوله بلا ادخال عن الحق وأصل البيتين قوله فى العوارف ومن الأدب ان لا يكتم عن الشيخ شيأ من حاله ومواهب مواد فضل الله عنده وما يظهر له من كرامة أو اجابة ويكشف للشيخ من حاله ما يعلم الله تعالى منه وما يستحيى من كشفه يذكره ايماء وتعريضا فان المريد متى انطوى ضميره على شئ لا يكشفه للشيخ تصريحا أو تعريضا يصير على باطنه منه عقدة فى الطريق وبالقول مع الشيخ تنحل العقدة وتزول ثم قال فى آداب الشيخ ومن جملة مهام الأدب حفظ أسرار المريدين فيما يكاشفون ويمنحون من أنواع المنح وسر المريد لا يتعدى ربه وشيخه ثم يحقر الشيخ فى نفس المريد ما يجده فى خلوته من كشف أو سماع خطاب أو شئ من خوارق العادات ويعرفه ان الوقوف مع شئ من هذا يشغل عن الله تعالى ويسد باب المريد بل يعرفه ان هذه نعمة من الله تعالى تشكر ومن ورائها نعم لا تحصى ويعرفه ان شأن المريد طلب المنعم لا النعمة حتى يبقى سره محفوظا عند نفسه وعند شيخه ولا يذيع سره فاذاعة الأسرار من ضيق الصدر الموجب لاذاعة السر يوصف به النسوان وضعفاء العقول من الرجال وسبب اذاعة السر للانسان قوتان آخذة ومعطية وكلتاهما تتشوف الى الفعل المختص بها ولولا ان الله تعالى وكل المعطية باظهار ما عندها ما ظهرت الأسرار فالكامل العقل كلما طلبت القوة الفعل فيدها وزبها بالعقل حتى يضعها فى مواضعها فجل قدر حال الشيوخ عن اذاعة الأسرار لرزانة عقولهم وينبغى للمريد ان يحفظ سره من رزه فى ذلك صحبته وسلامته وتأييد الله تعالى يتدارك المريدين الصديقين فى موردهم ومصدرهم اه هذا تقرير كلامه والله أعلم ويحتمل انه لما كان المريد اذا بلغ الى محل ظهور الكرامات وجرى خوارق العادات يطلب بشيئين كتم ذلك جهد الاستطاعة عن غير الشيخ واظهار ذلك للشيخ فان خالف واخل بشئ من ذلك فهو الجانى على نفسه لان الشيخ له تبصر بأحواله واشراق على باطنه فان رآه قد خان فى أحد الطريقين قطع عنه الامداد وعوضه من القرب الابعاد وتركه وهواه أشار بقوله * فلا تبدين حرفا لغيرك من سطر سوى الشيخ الى بيان ذينك الشيئين المطلوب بهما من ظهرت عليه تلك الكرامات وقوله فانه بساحته الخ علة للنهيين معا ولكنه يحتاج الى بيان ذلك بان ساحة الشيخ كما قدمنا مع حواليه ملازم ساحة الشيخ فى العادة هو حارسه والناظر عليه ومعناه على هذا وان نظم الحق الكرامات أسطرا فلا تبدين حرفا من سطر من تلك الأسطر

اعترك الا الشيخ ولا يسكنه سرا ولا ـ ردعمه شيء فانه باطن وخارق ساحة سرك على بحر من علم
بأحوالك واشراف على باطنك فان رأى فيك احد لا يواحدهم دسك الى ... فلا يحمل
الامداد وعوضك من العرب الابعاد فقوله ساحة على هذا متعلق بقوله تجري ويحتمل ان
يكون حالا من ضميره اى يجري الخير عن دوله فانه وحال كونه كاشا ساحة كشف السر ـ ...
في بحر سفينة من فراسته وبه ورد تفسير على بحر من علم بحالك واشراف على باطنك هذا
ما امكن في الوقت في ايضاح تركيب هذا البيت وبه صفوته واما المقصود به فهو واضح بين واعلم
ان الكرامات على قسمين قسم يكون بخرق العادات في الحس كمشي الماء والطيران في الهوا
ونحو ذلك وهو المراد هنا وسيأتي ... وبلدان واعمال اهلها ونحو ذلك وهو ما اتى بعد
ذلك وكل هذا يكون حتى لعوام الطائفة ومنها ما هو لخواصهم كاحياء الموتى وايجاد المعدوم وقلب
الاعيان ونحو ذلك وقسم يكون في حصول الاستقامة والوصول الى كمال صحة الايمان بالله
عز وجل واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا وهذه اعلى وهي المطلوبة عند
العارفين المحققين وقد ... بعض هذا الذي ذكرناه ... الكرامات الى ظهورها في الولي
لنفسه والى ظهورها لغيره وقال ذلك الشيخ ابو الفضل تاج الدين رضي الله عنه في لطائفه
وقال ثم ان هذه الكرامات قد تكون بطي الارض او مشيا على الماء او طيرانا في الهواء او اطلاعا
على كوائن كائنات وكوائن ... لم يكن من غير طريق العادة او تكثير طعام او شراب او اثمار
ثمر في غير ابانها او اتباع ما من غير حجر او تسخير الحيوانات عادية او اجابة او دعوى باتيان
مطر في غير وقت او نصرا على الاعداء بمخرج عن طور العادة او اخبار بظاهر محسنة وكرامات
هي عند اهل الله افضل منها واجل وهي الكرامات المعنوية كالمعرفة بالله والخشية له ودوام
المراقبة والمسارعة لامتثال امره ونهيه والرسوخ في اليقين والقوة والتمكين ودوام المشاهدة
والاستماع من الله سبحانه وتعالى والفهم عنه ودوام النعمة وصدق التوكل عليه وسمعت شيخنا
ابا العباس رضي الله عنه يقول الطي على قسمين طي اصغر وطي اكبر فالطي الاصغر لعامة هذه
الطائفة ان طوى لهم الارض من مشرقها الى مغربها في نفس واحد والطي الاكبر طي
اوصاف النفوس وصدق رضي الله عنه فان طي الارض لو اشرك عنه واعتد ... ما نقص
ذلك من رتبتك عند ... له بالوفاء في الوجود وطي اوصاف النفوس لو لم يقدم عليه
لكنت من المغبونين وخسرت في زمر الغافلين وقال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه انما هما
كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الايمان بزيادة الايقان وشهود الله بالعيان وكرامة العمل على
الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوي والمخادعة فمن اعطيهما ثم جعل يشتاق الى غيرهما فهو عبد
مفتر كذاب او ذو خطأ في العلم والعمل بالصواب كمن اكرم بشهود الملك على نعت الرضا فجعل
يشتاق الى سياسة الدواب وخلع الرضا وكل كرامة لا يصحبها الرضا عن الله تعالى ومن الله سبحانه
فصاحبها مستدرج مغرور او ناقص او هالك مثبور ثم قال واعلم ان الكرامات تارة تظهر للولي في
نفسه وتارة تظهر لغيره فان ظهرت للولي في نفسه فالمراد ... قدر الله وقدرته واحديته
وان قدرته لا تتوقف على الاسباب وان العوائد وحاكم عليها السبب في ... واعا فعل
العوائد والوسائط والاسباب تحت قدرته وتحت شمس احديته ... فيها
اليه وبالعناية موصول وقال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه فائدة الكرامة ... من
الله تعالى بالعلم والقدرة والارادة والصفات الازلية تجمع لا تفرق ... كانها صفة واحدة
قائمة بذات الواحد ... من يعرف الله اليه ... الى الله بعمله ولا ... انها ...
لمن اظهرت له ... واحدها اهل البدايات في بداياتهم ... ارباب النهايات ... انهم

اذ ما عليه أهل النهايات من الرسوخ في اليقين والقوة والتمكين لا يحتاجون معه الى مثبت وهكذا كان السلف رضي الله تعالى عنهم لم يحوجهم الحق سبحانه وتعالى الى وجود الكرامات الحسية لما أعطاهم من المعارف الغيبية والعلوم الاشهادية ولا يحتاج جبل الى مرساة فالكرامة أو بعة لزلزلة الشك في المقوم معروفة بفصل المتقين أظهرت عليه وشاهدة له بالاستقامة مع الله سبحانه وتعالى والناس في الكرامة على ثلاثة أقسام قوم يجعلونها آية الأعرفان وجحودا عظموا من أظهرت عليه وان فقدوها لم يتوجهوا بالتعظيم اليه وقسم قالوا وما هي الكرامات انما هي خدع يخدع بها أهل الارادة ليقعوا على حدودهم حتى لا يلجوا مقاما ليس هو لهم حتى قال أبو تراب النخشبي لأبي العباس الرقي ما يقول أصحابك في هذه الأمور التي يكرم الله بها عباده فقلت ما رأيت أحدا الا وهو يؤمن بها فقال أبو تراب من لم يؤمن بها فقد كفر انما سألتك من طريق الأحوال فقلت ما أعرف لهم قولا قال أبو تراب بل قد زعم أصحابك انها خدع من الحق وليس الأمر كذلك انما الخدع في حال السكون اليها فأما من لم يقترح بها ولم يساكنها فتلك مرتبة الربانيين وكان هذا من أبي تراب بعد ان عطش أصحابه فضرب بيده الأرض فنبع الماء فقال أريد ان اشربه في قدح فضرب بيده الأرض فناوله قدحا من زجاج أبيض فشرب وسقى أصحابه قال أبو العباس الرقي وما زال القدح معنا الى مكة قال الشيخ أبو الحسن رضي الله تعالى عنه والقول الفصل في ذلك انه لا ينبغي ان تطلب أدبا مع الله ومن أظهرت عليه عظم لأنها شاهدة له بالاستقامة مع الله القسم الثالث وهو ان تظهر الكرامة فيه لغيره فالمراد بذلك تعريف ذلك العبد الذي شاهدها بصحة طريق هذا الولي الذي أظهرت على يديه الكرامة اما أن يكون جاحدا فيرجع الى الاعتراف أو كافرا فيعود الى الايمان أو شاكا في خصوصية هذا العبد فاظهرت عليه ليعرفه الله بما فيه من ودائع الاحسان ثم قال رضي الله عنه

﴿وفي الكشف ان كوشفت راجعه انه * لا يصاح سر الكشف مبتسم الثغر﴾

﴿ولا تنفرد عنه بواقعة جرت * ففي غشا عيناك والسمع في وقر﴾

الكشف حسي ومعنوي فالحسي من مغيبات الأكوان والمعنوي من حقائق العرفان والمراد هنا الحسي وهو ان تنجلي الكوائن للعبد وتظهر لبصره الظاهر على ما هي عليه لا في لبسة مثال والواقعة قال الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه هي ما يرد على القلب من ذلك العالم يعني من عالم الغيب من أي طريقة كان من خطاب أو مثال ونحوه للشيخ أبي الحسن الششتري رضي الله عنه قال هي ما يرد على القلب من خطاب أو مثال من الغيب ولا يخفى ان قوله

* ففي غشا عيناك والسمع في وقر * على هذا التفسير للواقعة علة راجعة ولا أرجحية لأحد الطرفين على الآخر في العلية وأما ما ذكره صاحب العوارف حسبما يأتي من أن الواقعة من كشف الحقائق في لبسة مثال فيكون قوله والسمع في وقر أجنبي في هذا المقام فيما يظهر اذ لا توصل لأن السمع ليس له دخل في الكشف على انه ليس في كلام العوارف حصر للواقعة فيما ذكرنا عنه حسبما يأتي وقد قسم الشيخ سعد الدين الفرغاني رحمه الله تعالى الكشف الصوري الحسي الى ثلاثة أقسام وأدخل فيه الواقعة فقال الكشف ينقسم بالقسمة الأولى الى قسمين صوري ومعنوي ولكل واحد منهما آلة مخصوصة فآلة الادراك في الكشف الصوري البصر الظاهر وآلة الادراك في الكشف المعنوي البصيرة الباطنة اما الصوري فهو ثلاثة أقسام أولها ان لا تمنع الحجب والحوائل بين الرائي ونظره الظاهر وبين المرئي عن رؤيته مثل بعد المسافة والجدار والحوائط ونحوها بحيث يراه بعد المسافة كأنه بين يديه كما رأى عمر رضي الله عنه مع سارية والقسم الثاني ان تظهر حقيقة معنوية أو روحانية أو مثالية في صورة مثالية لنظر

فهذا الرأي مثل ظهور جميعها إلى الماء وفي صور الآتي زمن ظهور جبريل عليه السلام في
صورة دحية الكلبي ومثل تمثل الجنة والنار في عرض الحائط لنظر النبي صلى الله عليه وسلم
يوم كسوف الشمس وفي هذا القسم الثاني ربما يحتاج إلى التأويل بالعقل مثل تأويل الرؤيا
حتى إذا وقع فيه غلط يكون للنفس جهة التكشف وأما القسم الثالث من الكشف الصوري
أن يسمى نفس المكاشف وهو كأنها صور مثالية عند ... عند ذلك الفرع
اختيار أغيار بذاتها في محل الخاصية ويقول صاحب الكشف توهم أن يقوله راجعه وإن
كوشف بشرط في ذلك وشهر رأيه البار للشيخ والمسمى لتزيد المخاطب وإنه لا يجعله قوله
راجعه ولا يصاح سر الكشف على بقوله مستقيم الفقر وهو وجدان من قوله أنه والسر فيه أن
الذي وفى النسبة منهم وبأخذ ظاهر عقد تركهما والانسام بذاته الفضل وهو الذي لا يصون
له والفقر ما اتبع هذا الفهم والأسباب وكفى بذلك عن فرح الشيخ بانفتاح ذلك ورضا به وإقباله
على المريد وطلبه منه أنا فاستبدال كله محرض للمريد على مراجعة الشيخ في الكشف
المذكور وتوقفه عليه ولا ينفرد عنه بحضرة الشيخ وتوافقه أي ينفرد وحده أي
برأيه والمسموع منه لو أنه ... غشاوة جواب لقوله ولا ينفرد ... صفة البصر
والوقر مثل في الأذن ونقل ذهاب السمع كله وفي قوله في غشاوة والسمع في وقر العلة
وقد عرف من البيان أنه أن يمنعه من مطالعة غير نفس العلة ... والانفراد ومعنى ذلك فيما
لابد من المطالعة إلى نفس المريد على عدم افتراقه بواسطة واستقلاله بها ويدعو إلى امتثال
ما أمر به من مراجعة الشيخ فيها ... في تركه وذلك لأنهما إن الغشاوة والوقر فقد استوعبا
العين والأذن حتى صارا ... صارا الغشاوة والوقر طرفين لهما فلا تسمع ولا تبصر
﴿قل والله أعلم﴾ وراجع أيها المريد ... فيما يكشف به من المسائل والقدر والآيات
إن كوشف بشيء من ذلك لأنه متهم الفقر لا يصاح سر الكشف أي فرح بذلك مسرور له
ولا يهم من رجوعك الشيخ ولا تعجل من ترددك لقوله عليه ... ما اصطلح
بك ويروح فيها حتى لا يعتمد على شيء دون الله تعالى و ... ولا ينفرد عن
الشيخ ولا يستقل دونه بواقعة ... وظهرت لك فإن عليك في غشاوة وعليك في وقرة إحاطة
تلك الغشاوة والوقر ... بالإحاطة النور بالمدينة حتى ... من الفرق ... وحالا
بينهما وبين إدراك الحق في ذلك من الباطل والواقعة ... جنس الفقر بين
كون الإرادة والهوى ... فلابد من رجوعك إلى الشيخ وعرضك عليه ما يظهر لك من الوقائع
والكشوف وأصل النص قوله في العوارف ومن آداب المريد مع الشيخ أن لا يستقل بواقعة
وكشفه دون مراجعة الشيخ فإن الشيخ علمه أوسع وبابه المفتوح إلى الله تعالى أكثر فإن كان واقع
المريد من الله تعالى يوقفه الشيخ ويعينه له وما من عند الله لا يختلف وإن كان فيه شبهة يزول
شبهة الواقعة بنظر من الشيخ ويكتسب المريد علما بحقيقة الوقائع والكشوف فالمريد لعله في
واقعة يخامر كون إرادته في النفس فيشك كون الإرادة بالواقعة فيما كان أو بعضه ولهذا
... ولا ... المريد باستيصال ... الكامن في النفس وإذا ذكر للشيخ ... المريد
كون إرادة النفس فيه ... الشيخ فإن كان من الحق ... بنظر الشيخ وإن كان
... إلى كون هوى النفس يزول ... المريد ... الشيخ مثل ذلك
حاله ... إلى ... الحق ... ما ذكره في
العوارف أيضا قال ومن لطائف ما ... من أصحاب ... أنه قال ... يوم لأصحابه ...
... إلى شيء من العلوم فارجعوا إلى حلوائكم واسألوا الله تعالى ... الله تعالى عليكم

علمت أن السادة الصوفية ... على الكتاب المجيد أثرى

القوى بنفسه فعلوا ثم جاءه من يومه شخص يعرف باسمعيل الشاشي ومعه كاغذ فيه ثلاثون
دائرة وقال هذا الذي وقع لي في واقعتي فأخذ الشيخ الكاغذ فلم يكن الا ساعة واذا الشخص
دخل ومعه ذهب فقدمه بين يدي الشيخ ففتح القرطاس واذا هو ثلاثون صحيحا وبرئت كل صحيح
على دائرة وقال هذا فتوح الشيخ اسمعيل أو كلام هذا معناه والذي يرى انما كشف والواقعة ويفرق
بينهما اذا ذكره حيث تكلم على فتوح الأربعينية واورده بحالته لانه كله مهم فهذا قال
في اعداد ذكر ما يحصل للذاكر من تجلي الذات المقدسة وما يفتح عليه من العلوم الالهامية
وقد تتجلى له الحقائق في لبسة الخيال أو ربما يكشف الحقائق له ثم في لبسة الخيال كمن رأى في
المنام انه قتل حية فيقول المعبر تظفر بالعدو وظفره بالعدو كشف كاشفه الحق به وهذا الظفر
روح مجرد صور ملك الرؤيا جسدا لهذا الروح من خيال الحية فالروح الذي هو كشف الظفر
اخبار الحق ولبسة الخيال الذي هو بمثابة الجسد مثال انبعث من نفس الرائي في المنام من
استصحاب القوة الوهمية والخيالية من اليقظة فتألف روح كشف الظفر مع جسد مثال الحية
فافتقر الى التعبير ولو كشف بالحقيقة التي هي روح الظفر ويصح الظفر وقد يتجرد الخيال
باستصحاب الخيال والوهم من اليقظة في المنام من غير حقيقة فيكون أضغاث أحلام لا يعبر وقد
يتجرد لصاحب الخلوة الخيال المنبعث من ذاته من غير أن يكون وعاء لحقيقة فلا ينبني على ذلك
ولا يلتفت اليه فليس واقعة وانما هو خيال واما اذا غاب الصادق في ذكر الله تعالى حتى يغيب
عن المحسوس بحيث لو دخل عليه داخل من الناس لا يعلم به لغيبته في الذكر ومع ذلك قد
ينبعث في الابتداء من نفسه مثال وخيال ينفخ فيه روح الكشف فاذا عاد من غيبته فاما يأتيه
تعبيره من باطنه موهبة من الله واما يعبره له شيخه كما يعبر المعبر المنام فيكون ذلك واقعة لانه
كشف حقيقة في لبسة مثال وشرط صحة الواقعة الاخلاص في الذكر أولا ثم الاستغراق في
الذكر ثانيا وعلامة ذلك الزهد في الدنيا وملازمة التقوى لان الله تعالى جعل ما يكاشف به
في واقعته مورد الحكمة والحكمة تحكم في الزهد والتقوى وقد تتجرد للذاكر الحقائق من غير
لبسة المثال فيكون ذلك كشفا واخبارا من الله تعالى اياه فيكون ذلك تارة بالرؤية وتارة بالسماع
وقد يسمع من باطنه وقد يطرق ذلك من الهوى لا من باطنه كالهواتف يعلم بذلك أمرا يريد الله
احداثه له ولغيره فيكون اخبار الله تعالى اياه بذلك مزيدا ليقينه أو يرى في المنام حقيقة الشئ
نقل عن بعضهم انه أوتي شراب في قدح فوضعه من يده وقال قد حدث في العالم حدث ولا
أشرب من هذا دون ان أعلم ما هو فانكشف له ان قوما دخلوا مكة وتكلموا فيها * حكي عن أبي
اسمعيل الخواص قال كنت راكبا حمارا لي يوما وكان يؤذيه الذباب فيطاطئ رأسه فكنت
أضربه بخشبة كانت في يدي فرفع الحمار رأسه الي وقال اضرب فانك على رأسك تضرب فقيل
له يا أبا سليمان وقع لك ذلك أو سمعته فقال سمعته كما سمعتني ثم قال وقد يكاشف الله بآيات
وكرامات تربية للعبد وتقوية ليقينه وايمانه ثم قال بعد ان ذكر كرامات ومكاشفات وقعت
لجملة من أهل الله وكل هذه مواهب الله تعالى وقد يكاشف بها أو يعطى وقد يكون فوق هؤلاء
من لا يكون له شئ من هذا لان هذه كلها تقوية لليقين ومن منح صرف اليقين لا حاجة له الى شئ
من هذا وكل هذه الكرامات دون ما ذكرناه من تجوهر الذكر في القلب ووجود ذكر الذات
فان هذه الحكمة فيها تقوية للمريدين وتربية للسالكين ليزدادوا بها يقينا ويجذبون به الى مراغمة
النفوس والسلو عن ملاذ الدنيا ويستنهض بذلك ساكن عزمهم لعمارة الأوقات بالقربات
فيترقون بذلك ويرون بطريقه ومن كوشف بصرف اليقين من ذلك لمكان ان نفسه
أسرع اجابة وأسهل انقيادا واتم استعدادا استغنى بذلك منهم ما استوعى واستكشف منهم

ما ستر وقد لا يقع صور ذلك الرهبان والبراهمة من هو غير منهج سبل الهدى وراكب طرق الردى لكون ذلك يجعلهم مكرا واستدراجا لشقاوة حالهم وستر آفات عارا الطرد والبعد اعماء لهم فيما أرادهم من العمى والضلال والردى والوبال حتى لا يغتر السالك بشيء يجري على يده ويعلم أنه لو مشى على الماء والهواء لا يعتد بذلك حتى يؤدي حق التقوى والزهد فإنما من نفوس تحال أو وقع بحال ولم يحكم أساس حلويه بالاخلاص يدخل الخلو بالزور ويخرج بالغرور ويفوت من أنه اداب ويحقر بها وسلبه الله تعالى لذ المعاملة ويذهب عن قلبه هيبة الشريعة ويفتضح في الدنيا والآخرة وقال بعد هذا وقد غلطت الفئة على قوم دخلوا الخلوة بغير شروطها وأقبلوا على ذكر من الاذكار وأسمعوا أنفسهم بالعزلة عن الخلق وتفرغوا السواغل من الحواس كفعل الرهبان والبراهمة والفلاسفة والوحدة وجمع الهم له تأثير في صفاء الباطن مطلقا فما كان من ذلك بغير سياسة الشرع وصدق المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنتج نور القلب والزهد في الدنيا وحلاوة الذكر والمعاملة بالاخلاص من الصلاة والتلاوة وغير ذلك وما كان من ذلك من غير سياسة الشرع ومتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ع صفا في النفس يتطلعان بها إلى اكتساب علوم رياضية كما في الفلاسفة والذين حذا لهم الله كلما أكثر من ذلك كثر البعد من الله ولا يزال الميل على ذلك بغوية الشيطان بما كسب من العلوم والرياضة أو عاقبة يتراءى له من صدق الخاطر وغير ذلك حتى يركن إليه كل ركون ويظن أنه قد ظفر بالمقصود ولا يعلم أن هذا الفن من الفائدة غير ممنوعة من النصارى والبراهمة ولـ[illegible] هي المقصود من الخلوة تقول عنهم يعني أنها على الروحاني الذي يريد منه الاستقامة وأن يطلب منه الكرامة وقد يقع على الصادقين شيء من خوارق العادات وصدق الفراسة وليس ما يحدث للمبطل وقد لا يقع عليهم ذلك ولا يقدح في حالهم ذلك وإنما يقدح في حالهم الانحراف عن حد الاستقامة فما يقع من ذلك على السالكين صادر عن مزيد علومهم والداعي لهم إلى صدق المجاهدة والمعاملة والزهد في الدنيا والتخلق بالاخلاق الحميدة وما يقع من ذلك على من ليس تحت سياسة الشرع يصير سببا لمزيد بعده وغروره وعجبه واستطالته على الناس وازدرائه بالخلق ولا يزال به حتى يخلع ربقة الاسلام عن عنقه وينكر الحدود والاحكام والحلال والحرام ويظن أن المقصود من العادات ذكر الله وترك متابعة الرسول ثم يتدرج من ذلك إلى الحدود والزندقة نعوذ بالله من الضلال وقد تلوح لأقوام حالات يطلبونها وتابع وبتبعها أتباع المشايخ من غير علم بحقيقة ذلك ولما ذكر أنه لا ينبغي أن يعرض المريد على الشيخ ما يقع له من خوارق العادات وما يحصل له من الحقائق ووقائع أو كشوفات وكان المطلوب عرضه أعم من ذلك عمم الحكم وأمر أن يعرض عليه مهماته الدينية والدنيوية فقال رضي الله تعالى عنه

﴿وفر إليه في المهمات كلها * فإنك تلقى النصر في ذلك الفر﴾

ويسمى هذا البيت إذا تأملته عطف عام على خاص كأنه لما ذكر صورا تأتيها مما يحب رفعه لتأكد الأمر فيها ورأى أن ما يجب رفعه للشيخ أوسع من ذلك تكثر قال وإذا عسانا أعدك الحاصل فر إليه في كل مهم وقوله فرأى اهرب بحوائجك أمر وضمير إليه للشيخ وفي متعلق بفعل الأمر قبله وفي المهمات متعلق به أيضا وكلها تأكيد للمهمات وفإنك جواب الأمر ﴿يقول﴾ والله أعلم واهرب أيها المريد إلى شيخك ومعتمدك في جميع مهماتك الدينية والدنيوية حتى تفرغ قلبك منها إلى سلوك الطريق والوقوف على الصدق فإنك إن هربت إلى شيخك فيها أصبت الاعانة منه والنصر في ذلك الفرار والهروب إليه لأنه لما رأيا

ب المقدس حتى يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحب بيت المقدس ساعله

شاغلة لك عن سبيل ربك الذي أعظمت اليه قيادك لأجله يهتم بها ويبرلها بالله ويستغيث اليه فيها أو الحق تعالى وتقدس يطلع على قلب عبده المخصوص ولا يجده مهتما بحاجة الا قضاها له وأراح باطنه لغيرته عليه ان يشتغل بغيره قال الشيخ أبو العباس زروق رضى الله عنه غيرة الحق على أوليائه من سكون غيره تلو بهم وشغلهم الغير عنه هو الموجب لقضاء مهماتهم وانه من حوائجهم وحوائج غيرهم حتى قيل يعني به الشيخ أبا العباس المرسى رضى الله عنه ان الولى اذا أراد اغنى ومنه قول الناس عط خاطرك أى لا يكون على بالك لعل الله ينظر الى فيما انك فيه ليريح خاطرك منى ومن ثم كان أكثر الاولياء فى بداياتهم يسرع أكثر مقاصدهم فى الوجود لاشتغالهم عما يعرض بخلاف النهاية فان الحقيقة مانعة من اشتغال قلوبهم بغيره ولا هم الامن حيث أمرهم فينتفع بهم المريدون فى طلب الحق لاغيرهم كما يحكى عن الشيخ أبى مدين رحمه الله انه كان يفتح للناس على يديه ويصعب عليه أقل حاجته وقد قيل انهما اثنان ولى وصفى فالولى من يتحقق له كل ما يريد والصفى من يتسلط على الرضا بما يجرى ما بهم وأصل البيت قوله فى العوارف ويعتقد المريد ان الشيخ باب فتحه الله الى جناب كرمه منه يدخل واليه يرجع وينزل بالشيخ سوانحه ومهامه الدينية والدنيوية ويعتقد ان الشيخ ينزل بالله الكريم ما ينزل المريد به ويرجع فى ذلك الى الله كما يرجع المريد اليه وللشيخ باب مفتوح من المكالمة والمحادثة فى النوم واليقظة ولا يتصرف الشيخ فى المريد بهواه فهو امانة الله عنده ويستغيث الى الله بحوائج المريد كما يستغيث بحوائج نفسه ومهام دينه ودنياه قال الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب بالالهام والهواتف والمنام وغير ذلك للشيوخ والراسخين فى العلم ثم ما ذكره من انزال المهمات الدنيوية كذلك هو مقيد بالمهمات الا انه قد يكون الشئ مهمات حق بعض غير مهتم فى حق آخرين لأنه لا يخلو اما أن يكون المريد لما حصل له من اليقين والاطمئنان لا تؤثر فيه هذه العوارض ولا تشغله ولا يهتم بها بل قد لا يدرى بها مع وجودها وهذا لا كلام عليه واما أن يكون ذلك وصارت له هذه العوارض قواطع وموانع من سلوك الطريق وشاغلة عن بلوغ التحقيق فهذا تكون فى حقه مهمة ويجب عليه رفعها للشيخ وبرلها به فالانقطاع اليه أقرب والنكوص على العقب أسرع ثم يجب عليه فى رفعها استعمال أدب وهو ان لا يستعجل فى الاقدام على مكالمة الشيخ ولا يرصد له الوقت الذى يراه مستعدا لسماع كلامه قال فى العوارف ومن الآداب مع الشيخ ان المريد اذا كان له كلام مع الشيخ فى شئ من أمر دينه أو أمر دنياه لا يستعجل بالاقدام على مكالمة الشيخ والهجوم عليه حتى يتبين له من حال الشيخ انه مستعد له ولسماع كلامه وقوله ٧ فكما ان للدعاء شروطا وآدابا لأنه من مخاطبة الله تعالى فللقول مع الشيخ أيضا آداب وشروط لأنه من معاملة الله تعالى ويسأل الله تعالى قبل الكلام مع الشيخ التوفيق لما يجب من الأدب ولما فرغ من الكلام على آداب ما ينشأ عن التحقيق بالاخلاص من الكرامات وخوارق العادات وما استتبعها به من رفع المهمات أشار الى التحذير من آفة تلحق المريد بعد اخلاصه وهو ان لم يتداركه واهب القدر والارادة ومجرى العلوم والاعمال وجميع القربات فقال رضى الله عنه

﴿ولا تك ممن يحسن الفعل عنده * فيفسد الا أن تمر الى الكبر﴾

لا ناهية وتك محذوف النون دلالة لغة فى مضارع كان اذا جزم وممن متعلق بتك ويحسن الخ صلة ومن ضمير عنده عائد لمن وافرده مراعاة للفظ من فانه مفرد مذكر وجمعها عن مراعاة لمعناها لانها تصدق على الواحد والاثنين والجماعة بصيغة واحدة وفاء فيفسد جواب النهى ولذلك نصب الفعل بعدها بان مضمرة والكبر الرجوع ضد الفر يقال فر واع وهرب وكر عليه

عطف وعنه رجع وفي بعض النسخ بعيدا بالخطاب وفي بعضها بائنا بالغيبة وكلاهما ظاهر
وفاعل بعيدا يحتمل أن يكون ضميرا عائدا الى الله أي لا يمكن من قولا بعيد بعدك والاستثناء
على أن يكون متصلا على ما يأتي بيانه ويجوز أن يكون منقطعا أي لكن ان هربت الى الرجوع
الى الله زال البعد على ما يأتي فلا بعد لك حينئذ وقيل عند ذلك ويحتمل أن يكون فاعل بعيدا ضميرا
عائدا الى من قوله أي لا يمكن من حسن فعله عنده بعيدا واستحكمت به الامارة والشيطان
فكما في أوديه من الخذلان والحرمان ﴿قوله﴾ والله أعلم لا يمكن أيها المريد من الذين
يحسن أعمالهم عندهم ويحسبونها فإن الملاذ المتقدم ويحمل بحسب الأثر أن تهرب وتفزع
بعض الأحايين بلواذع ذلك وروائحه الى الرجوع الى ربك والالتجاء اليه في أن ينجيك منه
حتى ترى انه المتصرف فيك والمجري ذلك عليك [illegible] من الأ وعنه لأمر يبدل [illegible]
من لم يجر عليه شيء من ذلك ولو ساء أكثر الأمر بينكما وترى نفسك فيما صدر منك من
الاستحسان لكن تقصر بعمل غيره فبذلك يحصل الحياء من الله والخوف من نقمه والشكر له
على جزيل نعمه أو تهرب الى الرجوع ليحصل ان لم يكن من أهل المرتبة الأولى فيتصل في
ذلك كما تقدم ويقول منه [illegible] من منازل تلك فلا بعد حينئذ والحالة هذه لتسرع مبادرا الى
تدارك ذلك وتلافيه وتحزن لمكسورك وهذا على أن الاستثناء متصل ويجوز أن يكون منقطعا
كما تقدم أي لكن ان هربت الى الرجوع لما ذكر فلا بعد له حينئذ بعد ذلك بناء على انه متصل
لا بعد له بعد لسرعة تداركه بما ذكر وعلى انه منقطع يكون لا بعد له في الأصل وأما
ما يحسنه واستحسنه عنده بعيد ففيه دلالة على عدم قبوله من أصله وقد قال بعض
العارفين من علامة قبول العمل نسيانك اياه وانقطاع نظرك عنه بالكلية بدلالة قوله تعالى
والعمل الصالح يرفعه قال فلا يمكنه رفع الحق لذلك العمل انه لا يبقى عندك منه شيء فانه اذا بقي في
نظرك منه شيء لم يرفعه الله اليه فهو بعد عندك وعند نفسه وقال زين العابدين علي بن الحسين
رضي الله عنهما كل شيء من أعمالك اذا اتصلت به رؤيتك فذلك دليل على انه لم يقبل منك لأن
المقبول مرفوع مغيب عنك وما انقطعت عنه رؤيتك فذلك دليل القبول وعلى الاحتمال الثاني
وهو أن يكون فاعل بعيد ضميرا عائدا الى من قوله ممن الخ فمعناه لا يمكن ممن حسن فعله عنده
بعيدا أي احملك [illegible] به فيبعد وبعيده وقرع نفسه وقل احتياطه وجرى به حب استحكمت به
الامارة وجرت الشهوة لا كه يتوارى وعليه فقوله الا أن تهرب الى الشكر معناه الا أن يرجع الى
معاودة الامر من أوله واستئناف البناء من أصله ويحرث في أرض استعداده أدلة [illegible] احدا
سالما من التشويش فالسلامة من التشويش ويكونه حينئذ ثمرة ما يصلح زاد السفر
ليعبر الباري العرفان الطريق [illegible] وأوهاد والزاد ما لم يكن حينئذ لسرع اليه العناد ومن لم
يحج بدايته كان كبناء على جرف هار كلما زاد لبنه لعلو بناء غاص في الأرض ثم [illegible] الى
بيان ما ثمرة التمكن من مقام الانابة مع الاعتناء الى بيت استحسان العمل المؤدي الى الخيبة
[illegible] عدم الصدق في الانابة فقال رضي الله عنه

﴿ومن حل من صدق الانابة منزلا * يرى العيب في أعماله وهو مستتر﴾

من اسم شرط مبتدأ وحل أي نزل فعل الشرط ومن صدق الانابة متعلق به والانابة فعل هي باقي
درجتها [illegible] هي الرجوع الى الله على كل حال قال شيخ الاسلام أبو اسماعيل عبد الله
الانصاري ثم الهروي رضي الله عنه في منازل الانابة ثلاثة أشياء الرجوع الى الحق اصلاحا كما رجع
اليه اعتذارا والرجوع اليه وفاء كما رجع عهد الله اصطلاحا فلانه أشياء الخروج من التبعات
والتوجع للعثرات واستدراك الفائتات وأما تسمية الرجوع اليه وفاء فلانه أشياء الخلاص

ادراكه وتبيينه ولم يرجحه ما تعلونه في الكتب المعتمدة
من

من لذة الذنب وترك استهانة أهل الغفلة تخوفا عليهم مع الرجاء لهم بسلك والاستقصاء فى رؤية عال الخدمة وانما يستقيم الرجوع اليه حالا بثلاثة أشياء بالاياس من عملك ومعاينة اضطرارك وشيم برق لطفه بك وقوله مبرأ هو مفعول بقوله حل ويرى جواب الشرط والعيب أى النقص ولو هم مفعوله وفى أفعاله متعلق به وفى بعض النسخ بدل العيب النقص وهو بمعناه وقوله وهو مستتر السين والتاء فيه زائدتان وهو جملة حالية وخبر المبتدأ فى جملة الشرط والجزاء وفى الجميع على الخلاف فى ذلك ﴿يقول﴾ والله أعلم ومن حل ونزل مبرأ من صدق الانابة الى الله والرجوع اليه الرجوع الكلى يرى العيب فى أفعاله التى تقرب بها الى مولاه وهو برىء من ذلك لكونه قد أتى بها على ما ينبغى شريعة وحقيقة فى ظاهره وباطنه وبالغ فى مناصحة مولاه جهد استطاعته لكنه لكمال رجوعه وانابته دائم الاتهام لنفسه لا يأمن ان يكون قد خفى عليه شئ من دسائسها وآفاتها المفسدة للاعمال من الحظوظ الباعثة عليها او المخالطة لها المانعة لها من القبول والصعود الى حضرة الملك الغفور وقد قال أبو يعقوب اسحق بن محمد النهرجورى رضى الله عنه من علامة من تولاه الحق فى أحواله ان يشهد التقصير فى اخلاص أحواله والغفلة فى أذكاره والنقصان فى صدقه والفتور فى مجاهدته وقلة المراعاة فى فقره فتكون جميع أحواله عنده غير مرضية ويزداد فقرا الى الله فى قصده وسيره حتى يفنى عن كل ما دونه وقال أبو عمر اسماعيل بن نجيد رضى الله عنه لا يصفو لاحد قدم فى العبودية حتى تكون أفعاله عنده كلها رياء وأحواله كلها دعاوى فالنفس مجبولة على ضد الخير لولا فضل الله علينا ورحمته قال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا وقال عز من قائل وما أبرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء وقال بعض السادات ما هناك الا فضله ولا نعيش الا فى ستره ولو كشف الغطاء لكشف عن أمر عظيم ولهذا تبرأ الاكابر من أعمالهم الصحيحة فضلا عن غيرها حتى قال أبو يزيد لو صفت لى تهليلة واحدة ما باليت بعدها بشئ واصل هذا البيت والذى قبله قوله فى العوارف واذا صحت التوبة صحت الانابة قال ابراهيم بن أدهم اذا صدق العبد فى توبته صار منيبا لان الانابة ثانى درجة التوبة وقال أبو سعيد القرشى المنيب الراجع عن كل شئ يشغله عن الله الى الله وقال بعضهم الانابة الرجوع منه اليه لا من شئ غيره فمن رجع من غيره اليه ضيع أحد طرفى الانابة والمنيب على الحقيقة من لم يكن له مرجع سواه فيرجع اليه من رجوعه ثم يرجع من رجوع رجوعه فيبقى له شبح الاوصاف قائما بين يدى الحق مستغرقا فى عين الجمع ومخالفة النفس ورؤية عيوب الاعمال والمجاهدة تحقق بتحقق الرعاية والمراقبة وقال أبو سليمان ما استحسنت من نفسى عملا فاحتسبته وقال أبو عبد الله السجزى من استحسن شيأ من أحواله فى حال ارادته فسدت عليه ارادته الا ان يرجع الى ابتدائه ويروض نفسه ثانيا ومن لم يرن اعماله بميزان الصدق فيما له وعليه لا يبلغ مبلغ الرجال ورؤية عيوب الاعمال من ضرورة صحة الانابة وهو فى تحقيق مقام التوبة انتهى ولما فرغ من الكلام على الشيخ وما التبسه من الكلام على لواحقه من سلب الارادة معه ثم آداب مع الله تعالى وغير ذلك مما يحتاج الى استعماله فى سلوك الطريق وختم ذلك بمقام الانابة الذى هو ثانى درجة التوبة رجع لما بقى من الكلام على التوبة وهو بيان الاخذ بها على سبيل التفصيل وذلك هو المعنى بتممات التوبة فى ذكرها وهى ثلاثة المجاهدة والمحاسبة والمراقبة وبعد ذلك يذكر الورع لانه خادم فى تكميل الجميع وابتداء المجاهدة فقال رضى الله عنه

﴿وان مقام التوب فيه حفظه * مجاهدة لا تنحى سوى الصبر﴾

﴿فصبر على المفروض وقت ادائه * وصبر مع الازمان عن مورد الحظر﴾

﴿وصبر على المندوب فى كل حالة * وصبر على المكروه من غير ما قهر﴾

في قوله وإن تمام الوقت السبب ... بعد تطهر باعرابه ورد كل لفظة منه محله فقوله وإن تمام
الوقت متعلق بقوله بعد مجاهد ولذ علة مبتدا او اللام الداخلة عليه لام الابتداء ولام ان في
الخلاف في نحو ذلك ومجاهد منصوب على اسقاط الخافض وهو خبر المبتدا اى حفظه كائن
بمجاهدة والجملة من المبتدا وخبره خبران والمجاهدة حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة
الهوى والمجانبة التجنب على كل حال وقوله لا يبغي سوى الصبر صفة لمجاهدة وباء بنفي صفة
مجاهد والصبر لغة الحبس وعند القوم حبس النفس على المكروه وعقد اللسان عن الشكوى
وقيل ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى وقيل الصبر هو الثبات بين يدي مجاري الاقدار
وقيل غير ذلك وتفسير العاقبة زائدة على مذهب الاخفش وهو مع ما بعده بدل بعض من
الصبر في قوله سوى الصبر مجرورة وما بعده من لفظه بحسب أوجه العربية الاتباع لما قبله
في الاعراب والقطع الى الرفع وهو الموجود في النسخ أو النصب ولم أر على كثرة ما رأيت من النسخ
وعلى المفروض متعلق بصبر والمفروض والواجب شرعا بمعنى واحد وهو الفعل المطلوب
طلبا جازما في فعله الثواب وفي تركه العقاب وأوجبه والفقهاء يطلقون الفرض على
المقطوع به والواجب على المظنون ووقت أدائه أي الزمان المقدر له شرعا وهو ظرف الصبر
ومضاف اليه ما قبله ومعنى المحافظة على الاتيان بالمفروض في الوقت الذي عين لادائه ومع
مع الازمان ... عطف على صبر ومع ظرف لصبر والازمان مضاف اليه وهو جمع زمان وعلى
كل ... يدل على استصحاب الصبر مع كل لحظ ... لا يأتي ...
محظور وهو المطلوب ... ان قوله مع الازمان في غاية التمكن ... وورد المحظر متعلق
بصبر والمورد موضع الورود والمحظر الممنوع والممنوع وهو المطلوب تركه طلبا جازما في تركه
الثواب وفي فعله العقاب وصبر على المندوب صبر عطف على الذي قبله وعلى الاول على الخلاف
في ذلك وعلى المندوب متعلق به والمندوب لغة المطلوب وفي أصول الفقه المندوب والمستحب والتطوع
والسنة أسماء لمعنى واحد وهو الفعل المطلوب طلبا غير جازم في فعله الثواب وليس في تركه
العقاب وأما الفقهاء فانهم يفصلون في ذلك وفي كل حالة متعلق بصبر وصبر على المكروه يجري
فيه ما يجري في الذي قبله من الاعراب والمكروه هو المطلوب تركه طلبا غير جازم وليس في فعله
العقاب والاقتضاء عقاب وفي مواقعه الثواب وقوله من غير ما قهر ... لمكروه وذلك لأن
القهر المنع والكراهة يكون للتحريم ولما دونه فكأنه قال على المكروه الذي لم يبلغ المنع واما
... أي صبر غير مصحوب قهر عليه ومورد الاحتمالين واحد لأنه اذا لم يكن مقهورا من
الشارع على ذلك الصبر فالمصبور عنه ليس مطلوبا تركه طلبا جازما وهو المكروه الذي لم يبلغ
درجة المنع لأنه لو طلب منه الترك طلبا جازما لكان مقهورا على الصبر عنه أي واجب ذلك عليه
وما في قوله من غير ما قهر زائدة وذلك أحد محامله وفي بعض النسخ القسر بالسين بدل الهاء
والمعنى واحد (قوله) والله أعلم وحفظ مقام الوقت يكون بمجاهدة في نحوه ويكمله من يفطم
النفس عن المألوفات ومنعها من الاهمال في الشهوات وحملها على موافقة الحق في عمر
الاوقات لانه يشتد ... على النفس ... الا بالتدرج ... والعطف
عطفه الصبر المنوي ... الاحوال ... دأب الله ... قال عيسى
على نبينا وعليه الصلاة والسلام انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون وقال علي
كرم الله وجهه اعلموا ان الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد لا جسد لمن لا رأس له ولا ايمان
لمن لا صبر له وقال أيضا رضي الله عنه بني الاسلام على اربع دعائم على اليقين والصبر والجهاد
والعدل وقال الشيخ أبو محمد عبد الجليل بن موسى الاوسي القصري رضي الله عنه المكاره التي حف

ل قوله وعند القوم كلامهم في ... بالاصطلاح

بها الجنة هي المأمورات والمندوبات التي دعى العبد الى القيام بها شاقة على النفس ولا ينال شئ منها الا بالصبر الكثير وكذلك الشهوات التي زجر الخلق عن موافقتها ولا ترجع النفس عن المنهيات الا بالصبر الكثير وهو أي هذا الصبر بالمحافظة على الاتيان المفروض في الوقت الذي جعله الشارع محلا لفعله بجميع شروطه وكمالاته وآدابه الظاهرة والباطنة لا يقدمه عن وقته ولا يؤخره عنه وملازمه أيضا أي الصبر المذكور مع كل لحظة ونفس كي لا تجمع به النفس الامارة فترد به منها لا من موارد الخطر ظاهرا كان المحظور أو باطنا بالمثابرة على فعل المندوبات والتعطش لتحصيل نوافل الخيرات على أي صفة كان بحيث لا يشغله ولا يذهله عنها مؤلمات ولا ملائمات ويتدرع به أيضا أي الصبر المذكور على ان يهجم له العدو على حظيرة من حظائر المكروهات التي تبلغ درجة النهي على الترك كسائر المحظورات وعلى الاحتمال الثاني وانه صفة لصبر أي صبر غير محبوب يقهر عليه لان المكروه لما كان الوقوع فيه لا يعد دسا خفف أمره شيأ مالم يشدد في طلب الصبر عنه كما شدد في طلب الصبر على المفروض والمندوب وعن المحظور ولكنه قد يقال ان الجمع في حق المريد سواء لانه مترق عن درجات العوام وأخذ في التشمير وشدد الحزام وعامل في التصفية والتنقية والنهي ابرول الاصلال وكما يظهر للمندوب في ذلك أثر فعلا وتركا كذلك يظهر للمكروه مثله والتمرية كافية في ذلك وقد قال الشيخ في ذلك تاج الدين بن عطاء الله رضي الله عنه في لطائفه كل مأمور به أو مندوب اليه يلزم الجمع على الله وكل منهي عنه أو مكروه يتضمن التفرقة عنه فان مطلوب الله من عباده وجود الجمع عليه لكن الطاعات هي اسباب الجمع ووسائله فلذلك أمر بها والمعصية هي أسباب التفرقة ووسائلها فلذلك نهى عنها انتهى واعلم ان الصبر بحسب القواعد العلمية بحسب ما يصبر عنه وعليه فما هو فرض فالصبر عليه أو عنه فرض وما هو فضل فالصبر عليه أو عنه فضل قال الشيخ أبو طالب رضي الله عنه ان الصبر فضل وفضل ذلك يعرف بمعرفة الاحكام فما كان أمرا وايجابا فالصبر عليه أو عنه فرض وما كان حثا وندبا فالصبر عليه أو عنه فضل وأصل هذه الابيات قوله في العوارف أصل ما نقلنا في البيت الذي قبلها ولا تستقيم التوبة الا بصدق المجاهدة ولا تتم المجاهدة الا بوجود الصبر روى فضالة بن عبيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المجاهد من جاهد نفسه ولا يتم ذلك الا بالصبر وأفضل الصبر الصبر على الله بعكوف الهم عليه وصدق المراقبة له بالقلب وحسم مواد الخواطر والصبر ينقسم الى فرض وفضل فالفرض كالصبر على اداء المفروضات والصبر على المحرمات ومن الصبر الذي هو فضل الصبر على الفقر والصبر عند الصدمة الاولى وكتمان المصائب والاوجاع وترك الشكوى والصبر على اخفاء الفقر والصبر على كتمان المنح والكرامات ورؤية القدر والآيات ووجوه الصبر فرض وفضل كثيرة وكثير من الناس يقوم بهذه الاقسام من الصبر ويصعب الصبر على الله بلزوم صحة المراقبة والرعاية ونفي الخواطر واذا تحققت الصبر كائن في التوبة لكينونة المراقبة في التوبة والصبر من أعلى مقامات الموقنين وهو داخل في حقيقة التوبة قال بعض العلماء أي شئ أفضل من الصبر وقد ذكره الله تعالى في كتابه العزيز في نيف وتسعين موضعا وما ذكر شيأ هذا العدد وصحة التوبة يحتوي على مقام الصبر مع شرفه ومن الصبر الصبر على النعمة وهو لا يصرفها في معصية الله وهذا أيضا داخل في صحة التوبة وكان سهل رضي الله عنه يقول الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء وروى عن بعض الصحابة بلينا بالضراء فصبرنا وبلينا بالسراء فلم نصبر ومن الصبر رعاية الاقتصاد في الرضا والغضب وقال في موضع آخر وقيل لكل شئ جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر فالصبر عرك النفس وبالعرك تلين والصبر حارث الصابر يجري الانفاس لا يحتاج الى الصبر عن كل

معنى ومكرر ومدمر طاهرا وباطنا والعلم بدل والسر بعمل ولا يسمع دلالة دمر قول الشيخ رضي
كان العلم بامسه في الظاهر والباطن لا يتم لهذا الا اذا كان السر مستمر وممكنه والعلم
والسر ملازمان كالروح والجسد لا يستقل أحدهما عن الآخر ومصدرهما العرش الا عليه وهما
متلازمان لاتحاد مصدرهما وبالسر يتكامل على النفس وبالعلم يرقى الى الروح وهما الدرج
والمرقاة بين الروح والنفس ليستمر كل واحد منهما في سيره وفي ذلك صرح العدل وضعه
الاعتدال وبانفصال أحدهما عن الآخر أعني العلم والسر وفصل أحدهما عن الآخر أعني النفس
والروح وبان ان تدني بالملك سرب الصبر وقوله تعالى اعاذوا في النار ومن أحرمهم بغير
حساب فكل أجر أجر يحاسب الا أجر الصابرين بغير حساب وقال تعالى لنبيه واصبر وما صبرك
الا بالله أضاف الصبر لنفسه ليعرف مكانه وكمل الاية واعلم ان كلام الناظم رضي الله عنه
قابل لان يحمل على نفس الكلام الاول المنقول من العوارف وان احتملت صيغتها الا ان صاحب
العوارف ذكر التوبة ومعه ما بعدها كالمقامات والناظر للتمام التوبة في أثنائها يحتاج الى
المحاسبة ثم استقل بذكرها ووجه الكلام بباب المراقبة ثم تكلم بعدها على الانابة ثم
علما كلامه بباب المراقبة وقال فيها ورؤية عيوب الاعمال والمجاهدة تحقيق بحقيقة
الرعاية والمراقبة ثم الشارح الكلام عليها ولا يتم التوبة الا بعد المجاهدة وذكرها
ماء على المراد وسرها كالذي عند الناظم في أول الورع والناظم رضي الله عنه لما كان
ندرج السلوك الى حصر ملك السلوك أحد ما ذكر في المجاهدة ما يلزم المريد أول أمره
ثم ارتقى به الى المحاسبة والرعاية حتى يكون مستغرق الاوقات في العبادات مؤثرا لها ثم
ارتقى به الى المراقبة ثم ذكر الورع ما يكون مكملا لذلك كله ولما فرغ من المقدمة الاولى أشار
الى الثانية فقال رضي الله عنه

﴿وصحبة بذاك الله يحفظ نفسه • محاسبة للأوزار في منع الاثم﴾
﴿على غفلة للانفاس في كل لحظة • وصون الحواس الخمس بالضبط والحصر﴾
﴿وان سلك للاوقات راع ومؤثرا • لكل مقيم في السماحة والعذر﴾

مبتدأ عائد لمقام التوبة قبله وبذلك يعني مع الاستمرار بحفظ المجاهد قبله والحفظ
عطف بيان أو بدل له والحفظ هو المراقبة وحفظ مقامه مبتدأ خبر ما قبله ومحاسبة اما عطف
أو منصوب على اسقاط الخافض للاوزار الخ بيان لما يكون به المحاسبة او مفعول مطلق
اي يكون هذه المحاسبة تعطيل الخ وفي نفس النسخ بعدك أي احتمالك وهو راجع في
المعنى اليه والانفاس مفرد تحفظ والانفاس جمع نفس وهي الروح الدائر المار بالعلو
فالنفس أدل المراد حسب أنفاسي في اليوم والليلة فوجدها أربعة وعشرين ألف نفس
قال الشيخ أبو طالب رضي الله عنه وقال ان الطرفات ضعف ذلك لان كل نفس طرفتان
وفي كل لحظة متعلق بحفظ أنفاسا وصون الحواس الخمس وصف عطف على حفظ والحواس
مضاف اليه وهو جمع حاسة صفة لحسة وهي الصور الوزن والحس صفة للحواس والمراد بالحس
هنا الاذن والعين والفم والذوق واللمس وبالضبط متعلق بصون والحصر عطف عليه والضبط
هنا التهذيب والقصد والحصر السد والتسيير ومعنى هذا الشطر انه لما يجب صح ان يسمى
لها اسم من الضبط والحصر أي مضبوطة مستورة لا يرى منها شيء صح ان يسمى له منه اسم
وهي قاعدة لغوية وفي كلامه تمع لها وان بك الخ عطف على حفظ من دوله تجملك أي وبان
بك والاصل ان يكون ولكنه حذف النون على حد قول الشاعر • فما لو الى ان يأتي السد يحطب •
فحذف الواو لالتقاء الساكنين وعدم منه الى حذف النون وذلك لغة في مضارع كان

أمورا من التصوف حتى تنطق جدارة أو حد ومولع • بابتكار أسرار العلوم الدقيقة اذا

اذا حرم وقال تعالى ولم ألث دنيا ولاتلث فى سبق والاوقات متعلق بتلث وهو جمع مفرده وقت وهو ظرف السكون وراع خبر تلث وعلامة نصبه فتحة فوق الياء لكن أجراه مجرى المخفوض والمرفوع للضرورة ومؤثرا عطف على راع لانه منصوب المحل ولكل مهم متعلق بمؤثرا والسماحة هنا السهولة وهى متعلقة بمؤثرا والقهر عطف عليها ﴿ يقول ﴾ والله أعلم و يحتاج فى مقام التوبة مع الحفظ المتقدم بالمجاهدة الى حفظ ثان يكون بمحاسبة من صفتها ما الاتبقى و ربا بين عينى قلب صاحبها السكون به حسم المادة من أصلها وقدم الشريعة التى تمنع الواصل وتحفظ صحة المفاصل وتكون هذه المحاسبة بحفظ الانفاس وحراستها فى كل لحظة وطرفة عن كل مالا يعنى بحيث لايخرج عنك نفس فى أدنى وقت الافى ذكر لمذكور أو شكر على نعمة منعم أوصبر على محنة عظيمة أو رضا عند شدة شديدة وحفظك حواسك الخمس بل وغيرها مبسوطة محصورة على الطاعات وتحليتها بدل ذلك بأنواع البر والمواقعات وذلك بأن تصون سمعك عن الفحش والغيبة والنميمة وغير ذلك من المحظورات ومالا يعنى وتحصل بدله الاستماع الى كتاب الله عز وجل وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم والوعظ والحكمة ومايعود اليك بالفائدة دنيا وأخرى وتغض طرفك عن المحرمات والمنكرات ومالا يعنى وتنظر بدل ذلك بعين الفكر والاعتبار المنتج معرفة عظمة الجبار وتنظر بعد ذلك بعين التفكر فى كتابه تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك وتمسك فمك عن الكلام فى كل محرم ومالا يعنى من الجدال والخصومة والغيبة والنميمة والطعن وآفاته كثيرة وتطلقه بدل ذلك فى ذكر الله وتلاوة كتابه والدعاء للاخوان وبذل النصيحة لهم وغير ذلك وتمسكه أيضا عن كل محرم وشبهة أو وصول من مأكول أو مشروب بل تأكل به ملا لابد من الحاجة و بنية التقوى على الطاعة وكذا سائر حواسك وتكون مع ذلك راعيا وقتك وحافظا أنفاسا لأوقاتك فلا يمر عليك أدنى وقت الافى ضرب من ضروب الخير والمراد فرض وتطوع و عمل أو قراءة قرآن أو ذكر الله عز وجل أو شكر على نعمة أو صبر على بلية أو طلب قوت من وجه حلال أو أكل أو لبس أو قيلولة تستعين بذلك على عبادة ربك وتشهده فيها حال التلبس بها فلا يخرج عليك وقت الاوانت مراع له ومؤد حقه وتكون مع ذلك مؤثرا لكل مهم على غيره باعتباره حالا من أحوالك ووقتا من أوقاتك فى حال الرضا والغضب والعسر واليسر كان خفيفا أو ثقيلا وذلك ان أوقاتك أيها المريد ثلاثة اما وقت فرض تؤديه أو نفل حث عليه الحق سبحانه وندب اليه فتسابق اليه وتبديه أو مباح فيه صلاح جسمك وقالبك فتنظر بيقظتك فى أدنى وقت هل لله عز وجل عليك فيه من أمر أو نهى فتجتنب النهى بعلم يردك وورع يحجزك وتفعل الأمر وتؤديه على حسب ما أمرك به فان لم تجد فانه لايخلو من نوادب وفضائل فتبتدئ بالأفضل وتقدم مايختص به الوقت ولايوجد الا فيه ويفوت دركه بفوات وقته ولاتشتغل بالفاضل حتى تفرغ من الافضل ولابالأفضل حتى تفرغ من الفرض فهذا حالك أبدا فاذا احتجت الى ضرورة مباح وهو أدنى أوقاتك وأحوالك فلتكن مشاهد المنعم لئلا يذهب وقتك فارغا ولايعود عليك بشئ من ذكر مولاك ولايخرجك رضاك ويسرك الى غير مهم ولاغضبك وعسرك عن مهم لاتأخذك فى الله لومة لائم ولاتك مخالفا للحق موافقا للهوى واذا عرض لك أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة فآثر الآخرة على الدنيا فاذا فعلت هذا كنت قد حاسبت نفسك فى كل ساعة وراقبت حسيبها فى كل وقت وان قصرت عن هذه المحاسبة لاجل الحسيب ولم يكن لك مقام المراقبة للرقيب فلا يفوتك ان تتفقد مامضى من عملك فى يومك أو ليلتك مرة أو مرتين أو عند كل صلاة فان رأيت نعمة شكرت وان رأيت بلية استغفرت فتنظر الى طول عملك فى يومك وليلتك وسوء معاملتك وما فعلته من أعمالك كيف فعلتها ولم فعلتها ومار كت من سكوتك وعملك لم تركته

وإن تركه ينظر لعله هل ملك وصف من أوصاف المنافقين أو خلق من أخلاق الجاهلين
فيفر من أجله ويتوب منه ويعمل على حسن الاستغفار جميل الاعتذار وإن كتب على
الصدق تحقيقا أن كل حركة تصدر منه أو سكون فضل الله عز وجل وبه فاعمل في الشكر
على نعمة التوفيق والتأييد وحسن العصمة من الهلكة وأصل هذه الأسباب قوله في العوارف
ثم التوبة في استقامتها تحتاج إلى المحاسبة ولا تستقيم التوبة إلا بالمحاسبة نقل عن أمير المؤمنين
عمر رضي الله عنه أنه قال حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض
الأكبر على الله يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية والمحاسبة تحفظ الأنفاس وضبط الحواس
ورعاية الأوقات وإيثار المهمات وتعلم أن مما من الله به إلى أن حث عليه هذه الصلوات الخمس
في اليوم والليلة رحمة منه سبحانه وتعالى لعبده واستيلاء الغفلة عليه كي لا تستمده
الهوى وتستر فيه الدنيا فالصلوات الخمس سلسلة تجذب النفوس إلى مواطن العبودية لأداء حق
الربوبية ويراقب العبد نفسه بحسن المحاسبة من كل صلاة إلى صلاة أخرى ويسد مداخل
الشيطان بحسن المحاسبة والرعاية ولا يدخل في صلاة إلا بعد حل عقد القلب بحسب التوبة
والاستغفار لأن كل كلمة وحركة على خلاف الشرع ينكت في القلب نكتة سوداء وتنعقد عليه
عقدة والمتعهد المحاسب يرى الباطن للصلاة بتصفية الجوارح وبقي مقام المحاسبة فيكون عند
ذلك لصلاته نور يشرق على أجزاء وقته إلى الصلاة الأخرى ولا يزال صلاته منورة نامية بنور توبته
ووقته منور بنور توبته وصلاته وكان بعض المحاسبين يكتب الصلوات في قرطاس ويدع بين كل
صلاتين بياضا وكلما تكلم بخطيئة من كلمة أو أمر أخرج خطيئة كلما تحرك فيما
لا يعنيه خط خطة ليعتبر ذنوبه وحركاته فيما لا يعنيه ليتحقق بالمحاسبة مساوي الشيطان والنفس
الأمارة بالسوء ليصح صدقه في حسن الاعتقاد وحرصه على تحقيق مقام العباد وهذا مقام المحاسبة
والرعاية تنبع من صدور صحة التوبة قال الحسن حسب رعايته اتسعت ولايته وسئل الواسطي
أي الأعمال أفضل قال مراعاة السر والمحاسبة في الظاهر والمراقبة في الباطن ويكمل أحدهما
بالآخر وبها تستقيم التوبة انتهى ولما كانت التوبة النصوح تشتمل على المقامات كلها أو جلها
أشار إلى أسمائها على النص فقال رضي الله عنه

ففي التوب حال الخوف والصبر والرضا * فأكرم به للحق من تائب بر
وفيه مقام الخوف والصبر والرضا * كذاك الرجاء المبتدا أولى من الصبر

حال الخوف مبتدأ ومضاف إليه والصبر والرضا معطوفان على الخوف وفي التوب خبر المبتدأ
والخوف ألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال قال الإمام أبو حامد رضي الله عنه
والرجا انتظار محبوب تمهدت أسبابه الاختيارية والاعتبار ورسمه ويتور الصبر تقدم والرضا
سكون القلب تحت جريان الحكم قاله الحارث المحاسبي رضي الله عنه وقال ذو النون رضي الله عنه
الرضا سرور القلب بمر القضاء وقوله فأكرم به تعجب أي ما أكرمه من تائب برحمة اشتملت
توبته على ما ذكره وفيه تقديم وتأخير والأصل

وفي التوب حال الخوف والصبر والرضا * وفيه مقام الخوف والصبر والرضا
كذاك الرجاء المبتدا أولى من الصبر * فأكرم به للحق من تائب بر

والحق من أسمائه تعالى وقد تقدم والبر التقي هو الصادق الكثير الخير وإعراب صدر البيت
الثاني كإعراب صدر الأول خبرا وتحرير الرجا مبتدأ وكذلك خبر والإشارة لما تقدم من كون
الخوف وأخويه تكون أحوالا ومقامات وقوله المبتدا أولى من الصبر زاد بيانا في معناه الإشارة
على أنه توبة وهو إن نطق لفظه معنيان قريب وبعيد ويريد المبتدأ اعتمادا على قرينة

حقيقة وذلك موجود هنا فان المتبادر من سماع هذا التركيب كون المد والقصر من صفتي اللفظ
والمقصود ان مقام الرجا مده وجعله حالا ومقاما في التوبة أولى من قصره على المقام فقط وقرينة
الساقط تعين هذا المعنى البعيد وكون هذين المعنيين ليسا مدلولي اللفظ من أصله وانما حدث له
باعتبار التركيب لا يصير في التورية على ان المقام ليس من مواضع التورية لان المقصود بها
ايقاع السامع في الوهم بانه ع المعنى القريب لكنه قصد بها المتكلم وما كان موضعه البيان
كهذا التصنيف ينافي ذلك ولكن التورية وقعت في القرآن وهو عش البيان فما بالك بغيره
﴿يقول﴾ والله أعلم وحال الخوف وحال الصبر وحال الرضا مندرج في التوبة النصوح وثابت
فيها ومقام الخوف والصبر والرضا مندرج أيضا فيها والرجاء أيضا كذلك ومده بجعله داخلا في
التوبة حالا ومقاما أولى من قصره على كونه مقاما فقط لانه لابد للمقامات من رائد الأحوال فلا
مقام الا بعد سابقة فما أكرمه على الله من تائب صادق في توبته كثير الخير بما اشتملت عليه توبته
من الأحوال والمقامات وما ذكر من كون التوبة مشتملة على هذه الأحوال والمقامات بين
عند من له عقل رشيق ضروري عند من أحد في سلوك الطريق وذلك لان خوفه هو الذي حمله
على التوبة ولولا رجاؤه وطمعه في الله وفيما عنده ما خاف ولولا صبره ما قدر على ترك ما ألف من
سيئ العادات ولولا صحة توبته واطفاء نيران نفسه المتأججة بمتابعة الهوى ما اطمأنت نفسه
واطمأنت بها سكنت تحت مجاري الأقدار ورضيت بما فعل الحق سبحانه ويختار فالرضا داخل
في التوبة من حيث كونه نتيجة عنها وأصل البيتين قوله في العوارف وحقيقة الصبر تظهر من
طمأنينة النفس وطمأنينتها من تزكيتها وتزكيتها بالتوبة فالنفس اذا تزكت بالتوبة النصوح
ذهب عنها الشراسة الطبيعية وقلة الصبر بوجود الشراسة للنفس والاباء والاستعصاء فيها والتوبة
النصوح تلين النفس وتخرجها من طبعها وشراستها الى اللين لان النفس بالمحاسبة والمراقبة
تسعد وتنطفي نيرانها المتأججة بمتابعة الهوى وتبلغ طمأنينتها محل الرضا ومقامه وتطمئن في مجاري
الأقدار قال أبو عبد الله الباجي لله عباد يستحيون من الصبر يتلقون مواقع اقداره بالرضا تلقيا
وكان عمر بن عبد العزيز يقول أصبحت ومالي سرور الا مواقع القضاء قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لابن عباس حين وصاه اعمل باليقين في الرضا فان لم يكن فان في الصبر خيرا كثيرا وفي
الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير ما أعطي الرجل الرضا بما قسم الله تعالى له والأخبار
والآثار والحكايات في فضيلة الرضا وشرفه أكثر من أن تحصى والرضا ثمرة التوبة النصوح وما
تخلف عبد عن الرضا الا لتخلفه عن التوبة النصوح فاذا تجمع التوبة النصوح حال الصبر ومقام
الصبر وحال الرضا ومقام الرضا والخوف والرجاء مقامان من مقامات أهل اليقين هما كائنان في
صلب التوبة النصوح لان خوفه حمله على التوبة ولولا خوفه ما تاب ولولا رجاؤه ما جاء فالرجاء
والخوف متلازمان في قلب المؤمن وبفعل الخوف والرجاء التائب المستقيم في التوبة دخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في سياق الموت فقال كيف تجدك قال أجدني
أخاف ذنوبي وارجو رحمة ربي فقال ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموضع الا أعطاه الله ما رجا
وأمنه مما يخاف وجاء في تفسير قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة هو العبد يذنب الكبائر
ثم يقول قد هلكت لا ينفعني عمل فالتائب خاف وتاب ورجا المغفرة ولا يكون التائب تائبا الا
وهو راج خائف اهـ فقد بان لك من تصفح شرح هذا البيت ان مقام التوبة هو فوق
المقامات وقطب سني الأحوال ورفيع الدرجات فاحقه ان يقارفه ما اشتهر بين أهل الأمصار
والقرى من قولهم كل صيد في جوف الفرا واعلم ان ماذكرنا من كون الحال رائد المقام وانه
لا مقام الا بعد حال هو كذلك لانه كما قدمنا أول ما يبدو للعبد بالحال ثم لا يزال يتحول ويعود الى ان

ويصيران مقامين يترقى فيهما تحقيقه مقام التوبة ويستقيم التوبة على الكمال بهما تصارف
المحاسبة والمراقبة والرعاية من صدور مقام التوبة أخبرنا أبو زرعة إجازة عن ابن خلف أبي بكر
الشيرازي قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمي قال سمعت الحسين الفارسي قال سمعت الجريري
يقول أمرنا هذا مبني على فصلين وهو أن تلزم نفسك المراقبة لله تعالى ويكون العلم على ظاهرك
قائما وقال المرتعش المراقبة مراعاة السر لملاحظة الحق في كل لحظة ولفظة قال الله تعالى
أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وهذا هو علم المقام وذلك ثم علم الحال ومعرفة الزيادة
والنقصان وهو أن يعلم مقدار حاله فيما بينه وبين الله تعالى وكل هذا لازم لصحة التوبة وصحة
التوبة ملازمة له لأن الخواطر مقدمات العزائم والعزائم مقدمات الأعمال لأن الخواطر تبعث
إرادة القلب والقلب أمير الجوارح ولا تتحرك إلا بحركة القلب والإرادة والمراقبة تحسم مواد
الخواطر الرديئة فصار من تمام المراقبة تمام التوبة لأن بحسم الخواطر تزكو توبة الجوارح لأن
المراقبة استئصال عروق إرادة المكاره من القلب وبالمحاسبة استدراك ما انفلت من المراقبة
أخبرنا أبو زرعة عن ابن خلف عن السلمي قال سمعت أبا عثمان المغربي يقول أفضل ما يلزم
الإنسان في هذه الطريق المحاسبة والمراقبة وسياسة العمل ثم قال ترتيب التوبة مع المراقبة
وارتباط أحدهما بالآخر أن توبة المبتدئ يستقيم في التوبة حتى لا يكتب عليه صاحب
الشمال شيئا ثم يرتقي من تطهير الجوارح من المعاصي إلى تطهير الجوارح مما لا يعني فلا يسمع
بكلمة فضول ولا حركة فضول ثم ينتقل من الرعاية والمحاسبة من الظاهر إلى الباطن ويتولى المراقبة
على الباطن وهو الحق إلا أن التمام لمحو خواطر المعصية على باطنه ثم خواطر الفضول فإذا تمكن
من رعاية الخواطر عن مخالفة الأركان والجوارح تستقيم توبته • قال الله تعالى فاستقم كما
أمرت ومن تاب معك أمر الله تعالى بالاستقامة في التوبة إثر التوبة ولا استقامة وقد لا يكون
المريد مريدا حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال شيئا عشرين سنة ولا يلزم من هذا وجود
العصمة ولكن الصادق التائب بالنادر إذا ابتلي بذنب يمحى أثر الذنب عن باطنه في ألطف
ساعة لوجود الندم في باطنه على ذلك والندم توبة فلا يكتب عليه صاحب الشمال شيئا اهـ
وقد تقدم من كلامه على قول الناظم إذا ما ادعى باطن البيت ما سوى العقل في أن المحاسبة سلم
للمراقبة وهي أي المراقبة نتيجتها وكذلك المراقبة سلم للمشاهدة والمشاهدة نتيجتها واعلم
أن المراقبين ينقسمون إلى الصديقين وإلى أصحاب اليمين فهي أيضا على درجتين وقد حققهما
الإمام أبو حامد رضي الله عنه وقال بعد كلام الدرجة الأولى مقام المقربين من الصديقين وهي
مراقبة التعظيم والإجلال وهو أن يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة
فلا يبقى فيه متسع للالتفات إلى الغير أصلا وهذه مراقبة لا نطول النظر في تفصيل أعمالها فإنها
مقصورة على٧ • أما الجوارح فإنها تتعطل عن التلفت إلى المباحات فضلا عن المحظورات
وإذا تحركت بالطاعة كانت كالمستعملة بها فلا تحتاج إلى تدبير وتثبت في حفظها على سنن السداد
بل يسددها الرعية من ملك كلمة الراعي والقلب هو الراعي فإذا صار مستغرقا بالمعبود صارت
الجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف وهذا هو الذي صار همه
واحدا فكفاه الله تعالى سائر الهموم ومن نال هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصر
من يحضر عنده وهو فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال له مع أنه لا صمم به وقد يمر على إنسان فلا يكلمه
حتى كان بعضهم يجري عليه ذلك فقال لمن عاتبه إذا مررت بي فحركني ولا تستبعد هذا فإنك
تجد نظير هذا في القلوب المعظمة للملوك حتى أن خدم الملوك قد لا يحسون بما يجري عليهم
في مجالس الملوك لشدة استغراقهم بل قد يشتغل القلب بمهم حقير من مهمات الدنيا فيغوص

الرجل في المكر به وشى فربما يخطئ الموضع الذى قصده وينسى الشغل الذى نهض له ثم قال بعد ان ذكر حكايات من أهل هذه الدرجة تشهد لصحته ما ذكر الدرجة الثانية مراقبة الورعين من أصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله تعالى على ظاهرهم وباطنهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة الى التلفت الى الاحوال والأعمال الا انها مع ممارسة الأعمال لاتخلو عن المراقبة نعم غلب عليهم الحياء من الله تعالى فلا يقدمون ولا يحجمون الا بعد التثبت فى ذلك ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به فى القيامة فانهم يرون الله تعالى فى الدنيا مطلعا عليهم ولا يحتاجون الى اطلاع القيامة ويعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدة فانك فى خلوتك قد تتعاطى أعمالا فيحضرك صبى أو امرأة فتستحيي منه فتحسن جلوسك وتراعى أحوالك لا عن اجلال وتعظيم بل عن حياء فان مشاهدته وان كانت لاتدهشك ولا تستغرقك فانها تهيج الحياء منك وقد يدخل عليك ملك من الملوك أو كبير من الاكابر فيستغرقك التعظيم حتى تترك ما أنت فيه شغلا به لا حياء منه وهكذا تختلف مراتب العباد فى مراقبة الله عز وجل ومن كان فى هذه الدرجة فيحتاج الى ان يراقب جميع حركاته وسكناته وخطراته ولحظاته وبالجملة جميع اختياراته اهـ والمراد بهاهذه الدرجة الثانية ولما فرغ من المتممات الثلاثة أعنى المجاهدة والمحاسبة والمراقبة شرع فى ذكر الورع الخادم فى تكميل الجميع فقال رضى الله عنه

﴿وهذا مقام لا يفوز بدركه * سوى ورع فى صفو باطنه يسرى﴾

هذا اشارة لمقام التوبة بلواحقه وسوابقه وهو مبتدأ ومقام خبره ويفوز مضارع فاز أى ظفر بالمقصود وسوى ورع فاعله ويسرى مضارع من سرى الزيت ونحوه فى الاناء غاص فيه وداخله ومازجه وفاعله ضمير الورع المفهوم من ورع وفى صفو باطنه متعلق به والمراد بصفو باطنه سويداء القلب فانه خالص الباطن وصفو كل شئ خالصه ويحتمل ان يكون من اضافة الصفة الى الموصوف أى باطنه الصافى والجملة صفة لورع ﴿يقول﴾ والله أعلم وهذا أى مقام التوبة بمقدماته ومتمماته لا يفوز بدركه ويظفر بلحاقه وتحصيله على الحقيقة الا عبد ورع سرى الورع فى باطنه الصافى بما تقدم من المحاسبة والرعاية والمراقبة سريان الزيت ونحوه فى المحار الخ أوسرى الورع كذلك فى خالص فؤاده وصميمه وسويدائه وخالطه وعمره وتمكن منه تمكنا أوجب له الاقدام والاحجام على موجبه بلا كلفة وسهل عليه لذلك ترك كل ما حاك فى الصدر وخرج الى البين الذى لا اشكال فيه فيما يتعلق بظاهره من سمع وبصر وكلام وذوق وشم وبدو رجل وبطن وفرج وسائر جسده وما يتعلق بباطنه من الخواطر المشتبهة والاعتقادات التى لم يقطع قاطع على أحد الطرفين فيها فيمرها على ظاهر ما جاءت به ويكل معناها الى الله تعالى بعد تنزيهه عن المعنى المحال فيها فيميز اقواته واقواله وافعاله واحواله وعلومه ويخلصها من الاشتباه ومتى لم يسر الورع فى باطن فؤاده وسويدائه لم يتمكن منه وكان تارة وتارة لان الشئ اذا لم يداخل القلب ويخالطه ويستوعبه حتى لا يبقى فيه متسع للغير لم يتمحض له وحده وقد قال بعض العارفين اذا كان الايمان فى ظاهر القلب كان العبد محبا للآخرة والدنيا وكان مرة مع الله تعالى ومرة مع نفسه فاذا دخل الايمان باطن القلب بغض العبد دنياه وهجر هواه وفى لفظ آخر اذا تعلق الايمان بظاهر القلب أحب الدنيا والآخرة وعمل لهما فاذا بطن الايمان فى سويداء القلب وباشره أبغض الدنيا فلم ينظر اليها ولم يعمل لها وأما ما اشار اليه الناظم من كون الورع أصلا

في صحة النية التي هي أساس الطاعات وقوامها وقد وردت أخبار وآثار تدل لذلك منها قوله صلى
الله عليه وسلم ملاك دينكم الورع وفي رواية خير دينكم الورع وقال عبد الله بن عمر لو صليتم حتى
تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالأوتار ما قبل منكم إلا بالورع الحاجز وقالت عائشة
رضي الله عنها إنكم لتغفلون عن أفضل العبادة وهو الورع وبهذا يستعمل الورع في الأبواب وغيرها
وأما تخصيص القوت ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه المعدة حوض البدن والعروق إليها
واردة فإذا صحت صدرت العروق عنها بالصحة وإذا سقمت صدرت بالسقم ومثل الطعمة من الدين
مثل الأساس من البنيان فإذا ثبت الأساس وقوي استقام البناء وارتفع وإذا ضعف الأساس
واعوج انهار البنيان وقد قال تعالى أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن
أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم الآية وحيث كان الورع من الدين بهذه
المثابة فيجب السؤال عنه والتعويل فيه على كل من أراد أن يبلغ مبلغ الرجال فأي محال أو رام
لمن لا دين له وقد قال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه لم يدرك من أدرك إلا من كان يعقل ما يدخل
جوفه وكان سهل بن عبد الله رضي الله عنه يقول لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يأكل الحلال
بالورع وقال من لم يكن مطعمه من حلال لم يكشف له الحجاب عن قلبه ولم ترفع العقوبة عنه
وما بالى بصلاته وصيامه إلا بتقوى الله عز وجل وقال من أحب أن يرى خوف الله عز وجل
في قلبه ويكاشف بآيات الصديقين فلا يأكل إلا حلالا ولا يعمل إلا في سنة أو ضرورة وكان يقول
إنما حرموا مشاهدة الملكوت وحجبوا عن الوصول بسبب سوء الطعمة وأذى الخلق وكان
يقول بعد بلاء بما به لا يصح لأحد توبة قبل ولم قال يفسد الخبر وهم لا يشعرون عنه وهذا
كله يدل على طيب الطعمة وهو سبب تيسير العبد مطلوبا بالعمل المبلغ إلى أعلى الدرجات
والعكس بالعكس وقد قال سهل رضي الله عنه من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى علم
أو لم يعلم ومن كانت طعمته حلالا أطاعت جوارحه ووفقت للخيرات وقيل كل ما شئت فمثله
تفعل حتى قيل ما أكل بالغفلة استعمل فيها ومن أكل مشتبها كان في عمله تخليط قال الإمام
أبو حامد رضي الله عنه ويقال من أكل الشبهة أربعين يوما أظلم قلبه وهو تأويل قوله تعالى
كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه الطاعة خزانة من
خزائن الله تعالى ومفتاحها الدعاء وأسنانها اللقمة الحلال وقد روي أن المهدي والد الرشيد
دخل عليه بعض العلماء فهيأ له قصدا فقال له لا بد أن تجيبني إلى خصلة من ثلاث خصال قال
وما هي قال إما أن تلي القضاء أو تعلم أولادي وتحدثهم أو تأكل عندي أكلة ففكر ساعة وقال الأكلة
أخفها على نفسي فاحتبسه وتقدم إلى الطباخ وأمر أن يصنع له ألوانا من المخ المعقود بالسكر
والعسل وغير ذلك ففعل وقدمه إليه فلما فرغ من الأكل قال له الطباخ والله يا أمير المؤمنين
لا أفلح الشيخ بعد هذه الأكلة أبدا قال الفضل بن الربيع ووجد المهدي يحدثهم والله ذلك العالم
بعد ذلك وعلم أولادهم وولي القضاء لهم وأصل هذا كله ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال
كن ورعا تكن أعبد الناس وقال من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع
الحكمة من قلبه وفي رواية زهده الله في الدنيا والآخرة وقال كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به
فإنه دليل لتيسير لعمل أهل النار أحب أم كره وفي قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا بتقديم الأمر بالأكل من الطيبات دليل العمل الصالح لا بعد طيب الطعمة التي
يمكن معها ذلك بتيسير لأنه سبحانه تفضل على هذه الأمة المحمدية بأن لم يكلفها بما يمكن ولا يمكن

شاق فقد بان لك سر ترتيب الآية وقد يكون من هذا قول ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه أطب مطعمك وما عليك أن لا تقوم الليل ولا تصوم النهار وانه حث واغراء وتحريض على تحصيل ملاك الصيام والقيام وارشاد لا تيان الشئ من بابه لانه استخفاف بغير تطييب الطعام على انه كان مشهورا بالورع وكل مشهور بشئ تجد كلامه يقتضي ان ليس وراء ذلك شئ لا تحقيرا لغير ماهو فيه بل قياما بعض حق مقامه الغالب عليه وهذا أمر مركوز في جبلة ابن آدم فانه اذا غلب على القلب شئ ضاعت النفس لذلك ألفاظا نطق بها اللسان بحكم الطبع واعلم ان الورع في المطعوم والملبوس على درجات ذكرها الامام أبو حامد رضي الله عنه وجعلها أربعا الاولى الورع عن الحرام المطلق وهو الورع الثانية الورع عن كل شبهة لا يجب اجتنابها بل يستحب الدال به قوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى مالا يريبك وهو ورع الصالحين الثالثة ورع المتقين الدال عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يترك مالا بأس به مخافة مابه بأس الرابعة ورع الصديقين فالحلال المطلق عندهم كل مالا يتقدم في أسبابه معصية ولا يقصد منه في الحال والمآل قضاء وطر بل يتناول لله تعالى فقط وللتقوى على عبادته واستبقاء للحياة لاجله وهؤلاء هم الذين يرون كل ماليس لله تعالى حراما وامتثالا لقوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وهذه رتبة الموحدين المتجردين عن حظوظ أنفسهم المنفردين لله تعالى بالقصد والحاصل ان أول الورع هو الامتناع مما حرمته الفتوى ومنتهاه ورع الصديقين وهو الامتناع عن كل ماليس لله مما أخذ بشهوة أو توصل اليه بمكروه أو اتصل بسببه مكروه وبينهما درجات في الاحتياط اطر بسط هذا كله في الاحياء وقسم صاحب منازل السائرين وصاحب شعب الايمان الورع مطلقا الى ثلاث درجات على حسب المقامات الثلاث اسلام وايمان واحسان فانظر ذلك فيهما وقد تكلم الشيخ أبو عبد الله محمد بن عباد رضي الله عنه في ورع الخصوص بكلام حسن بديع جمع فيه من كلام الائمة ما يحسن وقوعه ويعظم نفعه فقال رضي الله عنه قال في التنوير وتفقد وجود الورع من نفسك أكثر مما تتفقد ماسواه من الطمع في الخلق فلو تطهر الطامع فيهم بسبعة أبحر ما طهره الا الاياس منهم ورفع الهمة عنهم قال وقدم علي بن أبي طالب البصرة فدخل جامعها فوجد القصاص يقصون فأقامهم حتى جلس الى الحسن البصري رضي الله عنه فقال يا فتى اني سائلك عن أمر فان أجبت عنه أبقيتك والا أقمتك كما أقمت أصحابك وكان قد رأى عليه سمتا وهديا فقال الحسن سل عما شئت فقال ما ملاك الدين قال الورع قال فما فساد الدين قال الطمع قال اجلس فمثلك يتكلم على الناس قال وسمعت شيخنا رضي الله عنه يقول كنت في ابتداء أمري بثغر الاسكندرية جئت الى بعض من يعرفني فاشتريت منه حاجة بنصف درهم فقلت في نفسي فلعله لا يأخذ مني فهتف بي هاتف السلامة في الدين بترك الطمع في المخلوقين قال وسمعته يقول صاحب الطمع لا يشبع أبدا الا ترى ان حروفه كلها مجوفة الطاء والميم والعين ثم قال بعد ذلك فعليك أيها المريد برفع همتك عن الخلق ولا تدل لهم فقد سبقت قسمته وجوده وتقدم ثبوته ظهورك واسمع ما قال بعض المشايخ أيها الرجل ما قدر لماضغيك ان يمضغاه ولا بد ان يمضغاه فكله ويحك بعز ولا تأكله بذل قلت تقدم الآن من كلامه في التنوير ذكر الورع في مقابلة الطمع وكذلك جواب الحسن لعلي رضي الله عنهما لما سأله مستخبرا له عن صلاح الدين وفساده في الكلام الذي حكاه عنهما ولا شك ان الورع الظاهر لعامة الناس وهو ترك الشبهات والتحرز عن اقتحام المشكلات لا يقابل الطمع كل المقابلة وقد ذكرنا الطمع

ما هو واقع بما له ورع الخاصة وقد وعدهم صحبة النبي وكمال المعاني برب العالمين ووجود السكون اليه وعكوف الهم عليه وطمأنينة القلب به ولا يكون له ركون الى غيره ولا التفات الى خلق ولا كون فهذا هو الورع الذي يقابل الطمع المفسود به يصلح كل عمل معرب وحال مفسد كما نبه عليه الحسن رضي الله عنه وقال الورع على وجهين ورع في الظاهر أن لا تتحرك الا لله وورع في الباطن وهو أن لا يدخل قلبك الا الله ثم قال وان كان للعبد استشراف الى خلق أو سمعه نظر اليهم في مجيء الرزق أو بعد فقد نقض هذا الورع والواجب في حق الادب أن لا يبل نفسه سائما أنه على هذه الحال عقوبة لنفسه في نظره الى اسباب حسيه كقصة أيوب الجمال مع أحمد بن حنبل رضي الله عنهما وهي معروفة وكما روي عن الشيخ أبي مدين انه اتاه جمال يمسح ما رعمه بنفسه وقال له ما ترى من أين هذا فقال لها أنا أعرف من أين هذا يا عدو الله وأمر بعض أصحابه ان يدفعه الى بعض الفقراء عقوبة لها لركونها الى الخلق وقلة رؤية الحق تعالى وقد قيل احل الحلال ما لم يخطر لك على بال ولا سألت فيه أحدا من النساء والرجال وقد صرح بهذا المعنى الذي ذكرنا وأوضح الغرض الذي قصدنا شيخ الطريقة وامام الصوفية من المتأخرين أبو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه فانه قال اعلم ان الورع أن لا يكون بينك وبين الخلق نسبة في أخذ أو عطاء أو قبول أو رد وان يكون السعي لله تعالى وهو أن يأتي الله طاهرا من جميع الاشياء والعلم والعمل بالله تعالى ولقد جمعوا بأن ذلك كما حلفنا كم أول مرة وقال أيضا الورع ان لا تخطر الرزق بالبال ولا يكون سعيه من الخلق نسبة لا في التحصيل ولا عند الماشي لانه لا يدري أيأكله أم لا وقال أيضا الورع أن لا تتحرك ولا تسكن الا وترى الله في الحركة والسكون فاذا رأى الله ذهبت الحركة والسكون وبقي مع الله فالحركة طريق لما فيها كما قال ما رأيت شيأ الا ورأيت الله فيه فاذا رأى الله ... وقال أيضا أجمع العلماء أن الحلال المطلق ما أخذ من يد الله بسقوط الوسائط وهذا مقام التوكل ولهذا قال بعضهم الحلال هو الذي لا ينسى الله فيه الى غيره هذا من العارفين الى غير هاتين هذا الذي ثم قال وقال سهل رضي الله عنه ليس مع الايمان أسباب انما الاسباب في الاسلام قال الشيخ أبو طالب رضي الله عنه معناه ليس في حقيقة الايمان رؤية الاسباب والسكون اليها سار و بها من الطمع في الخلق بوجه في الاسلام وقد عقد المؤلف رحمه الله يعني ابن عطاء الله في لطائف المنن فصلا في هذا المعنى وجعله لجميع وظائف الآداب الدينية أصلا ومنى قرأته بعد فه في هذا الموضع من صواب العمل المتكمل ان شاء الله تعالى نحاح الامل قال رضي الله عنه واعلم رحمك الله تعالى ان ورع الخصوص لا يفهمه الا قليل فان من جملة ورعهم تورعهم عن ان يسكنوا الغير أو يعلقوا بالخير أو يمدوا اطماعهم بالطمع في غير فضله وخيره ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع الوسائط والاسباب وخلع الانداد والارباب ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع العادات والاعتماد على الطاعات والسكون الى أنوار العلمات ومن ورعهم ورعهم عن ان يفهم الدنيا أو يفهم الآخرة تورعوا عن الدنيا وفا وأعرضوا عن الوقوف مع الآخرة صفاء قال الشيخ عثمان بن عاشوراء خرجت من بغداد أريد الموصل فاذا أنا أسير واذا بالدنيا تعرضت على بعزها وجاهها ورفعها ومراكبها وملابسها ومرتباتها ومستهاها فأعرضت عنها ثم تعرضت لي الجنة بحورها وقصورها وأنهارها وثمارها فلم أشتغل بها فقيل لي يا عثمان لو وقفت مع الاولى لحجبناك عن الثانية ولو وقفت مع الثانية لحجبناك عنا فها نحن لك وقسطك من الدارين يأتيك وقال الشيخ ابن عبد الرحمن

المغربي وكان مقيما بشرق الاسكندرية نحو ستة من السنين فلما قضيت الحج عزمت على الرجوع الى الاسكندرية فاذا على يقال لي انك العام القابل عندنا فقلت في نفسي اذا كنت العام القابل هنا اولا أعود الى الاسكندرية فخطر لي الذهاب الى اليمن فاتيت عدنا فاذا يوما على ساحلها واذا التجار قد أخرجوا بضائعهم ومتاجرهم ثم نظرت فاذا رجل فرش سجادة على البحر ومشى على الماء فقلت في نفسي لم أصلح للدنيا ولا للآخرة فاذا على يقال لي من لم يصلح للدنيا ولا للآخرة يصلح لنا وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه الورع نعم الطريق لمن يكمل ميراثه وأجل ثوابه فقد انتهى بهم الورع الى الأخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهم في عموم أوقاتهم وسائر أحوالهم لا يدبرون ولا يختارون ولا يريدون ولا يتفكرون ولا ينظرون ولا ينطقون ولا يبطشون ولا يمشون ولا يتحركون الا بالله ولله من حيث يعلمون هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فهم مجموعون في عين الجمع لا يتفرقون فيما هو أدنى وأما أدنى الادنى فالله يورعهم عنه ثوابا الورعهم مع الحفظ لمنازلات الشرع عليهم ومن لم يكن لعلمه وعمله ميراث فهو محجوب بدنيا أو مصروف بدعوى وميراثه التعذر لخلقه والاستكبار على مثله والدلالة على الله بعمله فهذا هو الخسران المبين والعياذ بالله العظيم من ذلك والاكياس يتورعون عن هذا الورع ويستعيذون بالله منه ومن لم يزدد بعلمه وعمله افتقارا لربه واحتقارا لنفسه وتواضعا لخلقه فهو هالك فسبحان من قطع كثيرا من الصالحين بصلاحهم عن مصلحهم كما قطع كثيرا من المفسدين بفسادهم عن موجدهم فاستعذ بالله انه هو السميع العليم قال فانظر وهملك الله سبل أوليائه ومنّ عليك بمتابعة أحبابه هذا الورع الذي ذكره الشيخ رضي الله عنه هل كان وهملك يصل الى هذا النوع الاترى قوله قد انتهى بهم الورع الى الاخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل بالله ولله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهذا ورع الابدال والصديقين لا ورع المتنطعين الذي نشأ عن سوء الظن وعلة الوهم وانما ذكرناه هنا تتميما للفائدة وتكثيرا للفائدة الذي هو دأبنا في هذا التعليق وبالله سبحانه التوفيق ولما كان الصبر له موقع عظيم من الورع ونسبته منه نسبة الرأس من البدن فكما انه لا وجود لبدن بلا رأس فكذلك لا ثبات لورع بلا صبر أشار لذلك فقال رضي الله عنه

﴿ولا ورع حق ولا متورع * اذا لم يكن بالصبر معتضد الازر﴾

صدر البيت على حذف مضاف أي ولا ذو ورع والورع هو الحبس على الهموم والاقدام والوقوف عند المشكلات وهو يختلف باختلاف المقامات حسبما تقدم وحق أي ثابت وموجود صفة لورع ومتورع عطف على المضاف المقدر وهو الذي أحوج لتقديره لان اسم الفاعل لا يعطف على المصدر ولا في الموضعين ما يفهم من السياق اذا لم يكن الشخص ومعتضد الازر خبرها وبالصبر متعلق به ومعتضد أي معان ومنصور ومشدود فهو بصيغة اسم المفعول بل هو هو حقيقة والازر بفتح الهمزة هنا الظهر ﴿يقول﴾ والله أعلم ولا ثبوت لمتصف بصريح الورع ولا المحاول له ومتكلف حصوله اذا لم يكن الشخص مشدود الظهر بالصبر ومعانا ومنصورا أو مجملا له وقد قال المسيح عيسى بن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام انكم لا تدركون ما تحبون الا بالصبر على ما تكرهون وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يكون فيه هذه الاربع خصال أداء الفرائض بالسنة وأكل الحلال بالورع واجتناب النهي من الظاهر والباطن والصبر على ذلك الى الموت وقد قدمنا قول على

كرم الله وجهه الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد الخ والصبر مقام عظيم لا يثبت عليه
الا خاصة الله من عباده وما أوتي الخلق فيما يردون مواجهته من الحالات والآفات الامن قلة الصبر وهو
داخل في جميع الاحوال الباطنة والاعمال الظاهرة فمن أراد الله به خيرا قواه على الصبر حتى
يقهر باعث الهوى الموجب لارتكاب الشهوات والشبهات من الاقوال والافعال والاعتقادات
وغيرها لكمال معرفته وعلمه لان الهوى عدو قاطع لطريق الله تعالى ومضاد لاسباب
السعادة في الدنيا والآخرة فيصح جميع أموره الظاهرة وأحواله الباطنة على ما ينبغي باعث
الدين وتم ورعه ولحق بالصالحين الورعين ومن واجهه الخذلان من الحق سبحانه يكون على
العكس من ذلك فيلحق بالفاسقين الخاسرين ثم فصل ما أجمل في هذا الصبر الى قسمين وهو
الصبر على السراء والصبر على الضراء فقال رضي الله عنه

﴿ويصبر على النعماء منه اذا امتحن * السالك هو الطريق في البر والبحر﴾

قوله يصبر الفاء فيه زائدة على مذهب الاخفش في جواز زيادتها وهو مع ما بعده بدل مفصل
من الصبر المتقدم في البيت قبله مجرور فيه وفيما بعده من لفظه بحسب أوجه الاعراب ما تقدم في
المجاهدة وقوله على النعماء متعلق بصبر ومنه صفة النعماء أي الكائنة منه أي الحق تعالى
وتقدس وهو وصف كاشف لا مخصص لان الانعام ليس الا منه في التحقيق وقوله اذا امتحن
أي اختبر وهو مضمن معنى أسدت ولذلك تعدى بالباء في قوله السالك وقوله في البر والبحر
يعني من أي جهة أسديت اليك من البر والبحر وهو كناية عن كثرتها كما قال فلان جاءه
دنيا برا وبحرا وفيه من أنواع البديع المطابقة وتسمى أيضا الطباق والتضاد وهو ان يجمع
بين أمرين متقابلين في الجملة من أنواع المقابلة والتقابل حيثما كان أو اعتباريا ولو في صورة ما والبر
خلاف البحر والبحر الماء الكثير وقيل المالح فقط وقوله بها والمبر مفعول مطلق فيصبر وهو
كناية عن سرعة اتيانها هذا بعد ويحتمل ان يكون مفعولا اذا امتحن وأسديت من الحق تعالى
وتقدس الملك منزعه فيما تحبه حال كونك كما يأتي بر المعاملة والاعمال وبحر التعمق في
مقامات الانوار وقوله منه على هذا متعلق بقوله يصبر على ما تقدم من اشرابه معنى الاسداء
وليس صفة للنعماء كالحل الاول ويحتمل ان يكون مفعولا واصبر على رؤية النعماء منه أي احبس
نفسك عن ان تغفل عن ذلك اذا امتحنك السالك من بر الارزاق والالطاف أو بحر المنازلات
والكرامات وقوله منه على هذا الحل متعلق بمقدر وهو رؤية المصرح به في تقدير مضاف وهذا
نص في المقدر ووقع في أساليب التعبير والانا المقصود واحد وهو البحر بنص على الوقوف على
حدود الادب في السراء وان لا تخرجه النعمة الى الاشر والبطر وقد مر ومن الحاصل انه يقول
والله أعلم وبيان كونه محدود الظهر بالصبر ان يصبر على أنواع الرزق والاكرام وضروب
الامتنان والانعام ولا يزدري بشيء من ذلك بواحد من الانام وسواء كانت هذه النعمة من جنس
ما ذكر أو من خلوص المعاملة والاعمال أو بحر التعمق في مقامات الانزال أو غير ذلك من
النوال فيقوم بواجب حق الله عليه فيما انعم به عليه من النعم الظاهرة والمنح الباطنة
ويصرف كل شيء في محله وينزله منزلته ويأتي به على ما أمره الله به ولا يخرجه الى البطر
والطغيان ويتعدى حدود الله في السر والاعلان لا الى اظهار ما منحه مولاه وأكرمه به وأمره
باخفائه وكتمه وصونه عن بذله ولا يحرم الادب ويستحق العطب وهذا الامر عليه الاقدام لانه
صبر مقرون بالقدرة ومن القدرة ومن العصمة ولهذا قال بعض العارفين البلاء والفقر يصبر عليهما المؤمن

والعوائق لا يصبر عليها الا صديق وكان سهل رضي الله عنه يقول الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء وكذلك قالت الصحابة رضي الله عنهم لما فتحت الدنيا عليهم قالوا من العيش واتسعوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر فعظموا الاختبار بالسراء على الاختبار بالضراء وهذا اشارة منهم رضي الله عنهم الى تفاوت الحالتين وفرق ما بين المنزلتين في السراء والضراء لانهم لم يصبروا حقيقة وانما المعنى وقاربنا أن لا نصبر وقد ذكر الشيخ أبو طالب رضي الله عنه ما أشرنا اليه من أنواع ما يصبر عليه في حال كلامه على الصبر ونحن نذكره بحذف ما يحلله قال رضي الله عنه ومن الصبر الصبر على العوافي وان لا يجريها في مخالفة والصبر على الغنى لا يبذله في هوى والصبر على النعمة لا يستعين بها على معصية فحاجة العبد الى الصبر في هذه المعاني ومطالبته بالصبر عليها كحاجته ومطالبته بالصبر على المكاره والفقر وعلى الشدائد فمن صبر على السراء وهي العوافي والغنى في الاموال والاولاد وغير ذلك وأخذ الاشياء من حقها ووضعها في حقها فهو من الصابرين الشاكرين لا يزيد عليه أهل البلاء والفقر الا بحقيقة الرضا والزهد ومن الصبر احياء أعمال البر ومنع النفس الفاكهة والتمتع بذكره واحياء المعروف والصدقات والصبر أيضا على اظهار الكرامات وعن الاخبار بكشف القدر والآيات داخل في حسن الادب من المعاملات وهو في معنى الحياء من الله عز وجل وهذا طريق المحبين وهو حقيقة الزهد وأصل البيت ما تقدم من كلام العوارف من نحو هذا في المجاهد فراجعه هناك ثم قال رضي الله عنه

﴿ وصبر على الضراء يبلغ ان يرى * سواء اليه وارد النفع والضر ﴾

صبر عطف على الذي قبله وعلى الضراء متعلق به ويبلغ فعل مضارع وفاعله ضمير الصبر وهو على حذف المتعلق أي يبلغ ذلك الصبر به أي بصاحبه والجملة صفة لصبر وان يرى منصوب على اسقاط الخافض الجار أي يبلغ به الى أن يرى وهو من المواضع التي يطرد فيها حذفه ووارد النفع مفعول أول ليرى والضر عطف على النفع وفيه من أنواع البديع ما تقدم في البيت قبله لتقابل النفع والضر كالبر والبحر وسواء مفعول ليرى واليه معمول لسواء والى بمعنى عن وهو أحد معانيها في لسان العرب وفي بعض النسخ بدل اليه لديه وهو ظرف منصوب به أي بسواء

﴿ يقول ﴾ والله أعلم ومن تتمة بيان كونه مشدود الظهر بالصبران يصبر أيضا على الضراء من فقر ومصائب وموت أعزة وغير ذلك من أنواع المحن والبلايا صبرا يبلغ به الى ان يرى ويجد وارد النفع والضر سواء عنده ولا ينحرف بقلبه لاحدهما دون الآخر لاشتغاله عن كل منهما عن وجهه اليه ونفوذه من الوارد الى المورد له عليه وهذا وما هو من معناه من كون صبره ابتغاء مرضاة الله ونظر اليه وان ما نزل به هو منه وبرضاه وهو الملحوظ في هذا الطريق عند ذوي التحقيق وقد يكون ذلك لملاحظة حسن الجزاء من الله تعالى وما وعد به الصابرين من الاجر وجزيل الثواب وحسن العاقبة كما روي ان امرأة فتح الموصلي رضي الله عنهما عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها أما تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه قال الشيخ أبو طالب رضي الله عنه ولا يصبر الرجل الا بأحد معنيين مشاهدة العوض وهو لمعناهما وهذا حال المؤمنين ومقام أصحاب اليقين أو النظر الى المعوض فهو حال الموقنين ومقام المقربين فمن شهد بالعوض غنى بالصبر ومن نظر الى المعوض حمله النظر وقال قبل هذا وأفضل الصبر الصبر على الله عز وجل بالمجالسة له والاصغاء اليه وعكوف الهم عليه وقوة الوجود به وهذا

مخصوص للفرس من حاله او حاجة منه أو تسليم ماله وتفويضه اليه وهو السكون تحت جريان الاقدار وشهودها من الانعام ومن حسن تدبير الاقسام وشهود المشيئة فيها والحكمة فيها والعمد والاسلام فيها وهو داخل في قوله تعالى واصبر وفي قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال سهل في تأويل قوله عليه السلام ان الله سبحانه يحب كل عبد مؤمن قال هو الساكن تحت جريان الاقدار عن الكراهة والاعتراض وقال عمر بن عبد العزيز من الائمة أصبحت ومالي سرور الا في مواقع القدر وروى أيضا الاستبشار بالقضاء وقال من علامة اليقين تسليم القضاء بحسن الصبر والرضا وهو مقام العارفين اه فمن اجلال الله واعظامه ترك الشكوى وعقد اللسان عن الشكوى لا للمولى قال النبي صلى الله عليه وسلم من اجلال الله ومعرفته أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك وكذا أن لا تظهر أمر الجاهلية في المصائب والامراض ولا تبدل لعبدك حال العلة وانه قد ولا تطمع فيه وقد قال الحسن البصري رضي الله عنه صلاح الدين الورع وفساده الطمع كما قاله الشيخ أبو طالب رضي الله عنه من صبر على الطمع في الخلق أخرجه الصبر الى الورع ومن صبر على الورع في الدين أدخله الصبر في الزهد وقال أيضا ومن الصبر كتمان المصائب والاوجاع وترك الاستراحة الى الشكوى بها وذلك هو الصبر الجميل قيل هو الذي لا شكوى فيه ولا اظهار وقال أيضا ومن الصبر صون الفقر واخفاؤه والصبر على بلاء الله عز وجل في طوارق الفاقات واصل الاستقامة ما تقدم في كلام العوارف من نحو هذا الى المجاهد فراجعه هناك ولما ذكر الورع ومقامه الذي هو الصبر عقب ذلك بذكر نعيم متعلقاته فقال رضي الله عنه

﴿فما ندى الاعتابات أصله * ولولم يكن الا الليالي في الشهر﴾

الفاء المصدر بها الشرطية جواب الشرط المذكورين حتى صارا وطاله وتوى على ما تدل عليه هذا البيت ومع في بعض النسخ ولا لا النافية والكلام بعدها باء الخطاب بدل فاعل النافية الكلام بعدها تصحيحه العمه ولا فرق باعتبار تأديته المعنى المقصود الا ان الفاء المصدر بها البيت وعلى نسخة النفي والخطاب الاقرب فيها ان تكون فصيحة وهي المؤذنة بشرط مقدر على تقدير سؤال وذلك انه لما ذكر الورع تدريبا الاسالة عن بيان متعلقه ليستعمل فيه فقال ان أردت ذلك فلا تعد الخ والاعتاب للنفي والنهي وما من قوله عتابات أصله اما موصولة أو نكرة موصوفة وما بعدها صلة لها أو صفة وتقديرها موصولة بالتي الذي بان أصله وموصوفة شيء بان أصله ويكن مجزوم بلم واسمها ضمير المصدر المفهوم من السياق والالبالي في الشهر خبرها والشهر العدد المعروف من الايام سمي بذلك لانه يشهر بالقصد ﴿يقول﴾ والله أعلم فلا تعدى من اتصف بالورع أو هو آخذ في محاولة الاتصاف به الاستبانات أصله ولو لم يكن اعتداؤ بذلك لعدم امكانه الا الليالي تشهر من الشهر فيستعمل الحلال ما أمكنه وقد تقدم الاستعدادات من باب امالة الشهر معذورا الا انه عدم الاقرب الى الجملة فالاقرب وبأكله فانه ضرورة لقوامه مع مرا أحوال وصفات تحدث في الحال ولا يحتمر ما وجد من الحلال المطلق لكونه في عا لا يجده ويرى ان النادر كالعدم لانه مكلف بقدر الامكان والاسباب من ذي سمة عند عبد هو حكم الله في حقه وفي ذلك الزمان والحاصل لمستعمل العلم في كل وقت وأوان وما ذكر من انه لا يعدى الاعتابات أصله هو كذا الشيخ ضياء الدين السهروردي رضي في آداب المريدين قال ولا يأكلون الا مما يعرفون أصله ويورعون عن أكل طعام الظلمة

من جمعا منه وقال في الحكم جعلك في العالم المتوسط بين ملكه وملكوته والفسه وأنك جوهرة تطوى عليك أصداف مكنوناته وسعك الكون من حيث جسمانيتك ولم يسعك من

والفسقة وان كان من وجه كمر وفهم عن الشراب من قارورة البول وزجاج الحجام وان كان مغسولا نظيفا طاهرا وروى عن عمران بن حصين انه قال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اجابة طعام الفاسقين ونظم هذا صاحب المباحث فقال

وجنبوا طعام أهل الظلم * والبغي والفساد خوف الاثم
بل أكلوا مما استباحوا حله * غير الذي لا يعرفون أصله

وقال الشيخ أبو طالب رضي الله عنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أتى بلبن فسأل عن أصله فأخبر به فسأل عن أصل الأصل فأخبر به فلما رصه شرب منه هذا حكم الحلال ان تعرف عين الشئ ثم تعرف أصله وأصل أصله واذا عرفت ذلك سقط عنك ما وراء ذلك وان لم تعلم ذلك رأى عين وأخبرك به مسلم تقي قام اخباره لك مقام علمك وقال قبل هذا الحلال عند علماء الباطن على ثلاثة مقامات حلال كاف وهذا عموم وكأنه ما حل من طريق الحكم وحلال صاف وهذا خصوص وكأنه ما ظهرت الأدلة بيه وحل سببه ووجدت السكينة فيه وحلال شاف وهذا خصوص الخصوص وكأنه ما علم أصله وأصل أصله وجرى على أيدي المتقين ولم يخالطه جهل ولذلك تفاوتت الشبهات لتفاوت حال ضدها واذا لم يجد الحلال وعمل على ما ذكرنا كان ما يأكله حلالا وقد كان سهل رضي الله عنه يقول لو كانت الدنيا دما عبيطا كان قوت المؤمن منها حلالا قال الشيخ أبو طالب رضي الله عنه وهذا على معنيين أحدهما أن المؤمن موفق معصوم وقد جعل الله عز وجل بما علم والله تعالى قد حفظه من حيث لا يعلم بأن يستخرج له الحلال من الحرام باختياره من علمه كما يستخرج له العلم من الجهل والتوحيد من الشرك بلطف قدرته عن تذكرة وتبصرة اذا أقامه مقام التوحيد من الحكمة والمعنى الثاني ان المؤمن عنده لا يتناول شيأ الا فاقة وضرورة فقد حلت له وان حرمت على غيره وهذا هو المؤمن الصديق قال وبعضهم يضيف هذا الكلام للنبي صلى الله عليه وسلم وهو مخطئ في ذلك انما هو من كلام سهل التستري رضي الله عنه واعلم أنه لا يصح أن يكون معنى قوله ولو لم يكن الالبالي في الشهر ولو أدى ذلك الى أن لا يعتدي الالبالي و يطوى فيما عداها من بقية الشهر لان اسم كان كما قدمه ضمير عائد الى المصدر المفهوم من السياق والمصدر المفهوم منه هو اعتداء موصوف بكونه بما أصله لا مطلق الاعتداء وافهم ويعني بهذا الذي نبهنا عليه ان كلام الناظم لا يقتضيه الا بالاستكثر ذلك على ما قواه الله عليه وصارسه لا لديه بما يبث الله فيه من الفرح به والنور في قلبه حتى يطفي بذلك لهب جوعه فان الامر كله والطريق مبنى على تحصيل أعلى الدرج لا على اسقاط الكلفة والحرج ثم أشار الى صورة ثانية من الورع مع تربية ليقين المريد وتقويته بذلك على ماندب اليه كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع بلال رضي الله عنه حسبما يأتي فقال رضي الله عنه

﴿فلا تك ممن لا يفارق خبره * ودعه تجود الحق دائمة القطر﴾

الفاء المصدر بها البيت للاستئناف فيما يظهر ولا بعدها ناهية وتك تقدم اعراب نظيره ومن من قوله ممن لا يفارق خبره موصولة وصلتها الا يفارق خبره وعائدها فاعل يفارق وكذلك الضمير المضاف اليه خبر وأفرد العائد وخبره عن مراعاة للفظ والمعنى وقد تقدم له نظير ذلك في قوله ولا تك ممن يحسن الفعل عنده والفاء من قوله ودعه الخ جواب شرط مقدر على تقدير سؤال فهي الفصيحة والديمة جمعه ديم وهو المطر المستديم يوما وليلة وقيل المطر المستديم ليس شديد

 فصلوا وأصلوا عن طريقة الخصوص وقد قال بعض

الورع الذي ليس له رعد ولا برق وكلاهما مناسب اما الاول فبين وأما الثاني ان ما كان من المطر
له رعد ولا برق ولا سيل لو بعثه فيه نوع خفاء فلا يشعر به كل أحد وذلك مناسب هنا اذ الذي ابه
ان يرزق عبده الانس حيث لا يحتسب فكأنه يقول فذلك هو جود الحق ذا الغطر وانه حتى يتلك
ذلك خفيا أوجب انتقال من المزاج وعدم المنة وبسط ... واستعاره هنا العطاء والامهال
وضروب الامتنان والنوال والحق من أسمائه تعالى و ... ووسعه ... هذا البيت
من صدر انه ... وبسط واعانة على امتثال ما طلب منه فيه (يقول) والله أعلم وربك
أيها المريد من الذين هم ... الملازمين لطرقهم وعمر من المطروحات في كل وقت وأوان
لا اقتد بسلك صلى الله عليه وسلم في كونه كان لا يدخر لغد وينهى عنه كما اقتدى به في ذلك أولياء
أمته الذين أردت سلوك طريقهم والاهتداء بهديهم ولا تعد الى ما نهى عنه فتحط من الرتبة
الى الرخصة ومن الورع الى الاباحة ولا تحتج بمثل ... ولا بد ... أيها المريد ... في العمل
بهذا لكونك ترى انك لا تجد ما تقوت به اذا أعطيت ما يفضل عن غدائك في الحال لمن يسعه
فان مطر عطاء الله وجوده وفضله دائم الانسكاب والانصباب قد عم جميع الخلائق نعمه وسبق
قال في العوارف ومن أخلاق الصوفية الايثار من غير افتقار وترك الادخار وذلك ان الصوفي
يرى خزائن فضل الحق فهو عنده من هو مقيم على شاطئ البحر لا يدخر الماء في قربته وراويته
روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من يوم الا وملكان
ينادیان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا وروى أنس
رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد وروى أنه أهدى لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاث طوائر فأطعم خادمه طيرا فلما كان الغد أتاه به فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ألم أنهك أن تخبأ شيئا لغد فان الله يأتي برزق كل غد وروى أبو هريرة رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على بلال وعنده صبر من تمر فقال ما هذا يا بلال فقال أدخره
يا رسول الله قال أما تخشى ... أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا وروى انه كان عيسى بن
مريم عليه السلام يأكل الشجر ويبيت حيث أمسى لم يكن له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا
يخبأ لغد والصوفي كل حالاته في خزائن الله لصدق توكله وقوة يقينه والدنيا للصوفي كالدار
المزبلة ليس له فيها ادخار ولا له منها استكثار قال عليه السلام لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم
كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا اهـ وهذا الكلام هو أصل هذا البيت والله أعلم
وقد يرد لساعته صلى الله عليه وسلم انه نهى أم أيمن عن أن تدخر شيئا لغد ونهى بلالا عن
الادخار كسر خبز ادخرها ليفطر عليها فقال أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا وقال
اذا سئلت فلا تمنع واذا أعطيت فلا تخبأ فعلمت من هذه الاخبار ان الشيمة النافعة في عدم معارضة
القدر وأما ادخاره صلى الله عليه وسلم قوت سنة لعياله فتشريعا وتسنينا للضعفاء من أمته كما انه نزل
ادخار العبد تعليما للاقوياء ... حسبما ذكر الامام أبو حامد رضي الله عنه وقد قال بعضهم قوله
صلى الله عليه وسلم دائر بين الاباحة والورع فادخاره وادخار قوت سنة بيان للاباحة وعدم ادخار
لغد ورع وشأن أهل الطريق الاخذ بالعزائم دون الرخص التي لم يندب الى العمل بها الا ما يندب
الى الاخذ به منها كالقصر في السفر ونحوه فانهم يسرعون اليه ويحافظون على فعله على ان
للعارفين علما يصرفونه بحسب الاحوال والعوارض ويخفى على من ليس من أهله فقد كان

بعضهم لا يقصر في سعره قائلا للناس في الفقراء بية حسبة يحبون اغتنام الصلاة حلفهم ولا يحرمهم من يتهمهم ثم ان الشبهة تختلف باختلاف المقامات فمن كان من أهل الحقيقة مثلا وأتى اليه بشئ حلال ثم شاهد الخلق فيه قبل الحق فأهل الظاهر لا يفتون الا بحليته وأهل الباطن يحكمون بشبهته ينبغي التورع منه كما وقع للشيخ أبي مدين رضي الله عنه وكذلك الادخار من أصله وان كان حلالا من طريق الاحكام لكنه شبهة عند أهل الباطن دوي النهي والاحكام في حق من لم يكمل حاله ويستقيم يقينه وتوحيده ويستوي عنده الوجد والفقد وقد قدمنا عن الشيخ أبي محمد عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي رضي الله عنه ان الورع لا يحظر الرزق بال ولا يكون بينك وبينه نسبة لا في التحصيل ولا عند المباشرة لانه لا يدري أيأكله أم لا على انا نقول هذا الذي يدب اليه الناظم من ترك الادخار للمطبوخ هو أمر يلتقي المرء بدمعس دخوله لبعض ربطات الورع أما اذا دخل بلاده وصارت منازله له وطنا وقصوره ومنازهه له سكنا واتخذ عرينا في خص الزهد يأوي اليه بعض الاوقات وصار من اقليم التوكل يأتي منه ان يصع بذي عزمه فوق حاجبي عيني همته ويحدد بصره وينظر اليه نظرا المستشرف كم بينه وبينه فانه يشمئز ادد الكحتى من ادخار غير الطبيخ والاثم عند القوم حزاز القلوب وان اباحت الكتب وقد قال صلى الله عليه وسلم لوابصة رضي الله عنه استفت قلبك وان أفتوك وافتوك وورد الاثم حزاز القلوب وورد الاثم ما حاك في الصدر وهذا القلب الذي يرجع اليه في الفتوى المعتدل السالم من الافراط والتفريط عزيز جدا ولذلك لم يرد صلى الله عليه وسلم كل أحد الى فتوى القلب وانما قال ذلك لوابصة لما كان قد عرفه من حاله هذا وقد قال الشيخ أبو طالب رضي الله عنه ويقال من اهتم برزق عد فهي خطيئة تكتب عليه وقال سفيان الثوري رضي الله عنه الصائم اذا اهتم في أول النهار بعشائه كتبت عليه خطيئة وقد كان سهل يقول ان ذلك ينقص من صومه وقال أعرف بالبصرة مقبرة عظيمة يغدى على أمواتهم برزقهم من الجنة بكرة وعشيا يرون منازلهم من الجنان وعليهم من الغموم والكروب ما لو قسم على أهل البصرة لماتوا أجمعين قيل ولم قال كانوا اذا تغدوا قالوا باي شئ نتعشوا واذا تعشوا قالوا باي شئ نتغدوا وقد وقع النهي منه ومن الذين بعده عن الادخار في زمانهم الذي كان الحلال به كثيرا فكيف بزمانك الذي غلب فيه الحرام فالأولى ان تلزم الضرورة فلا تأخذ الا فاقة وضرورة ولا تأكل الا كذلك وقد كان شقيق البلخي رضي الله عنه يقول في سنة تسع ومائة ان المكاسب اليوم قد فسدت وان التجارة والصنائع شبهات كلها ولا يحل الاستكثار والادخار منها الوجود ٧ وعدم الصحيح قال وانما ينبغي للمسلم ان يدخل فيها ضرورة قلت ولذلك لما ورث داود الطائي رضي الله عنه عشرين دينارا حلالا أكلها في عشرين سنة واعلم انه لما رأى رضي الله عنه ان ملازمة المطبوخ من الطعام واستصحابه حيث صار من البقاع والآكام أعضل علة للمريدين لانه ادبار عن قبلة التوحيد بالكلية وحسم لمادة اليقين الأصلية مع ما قدمنا فيه من قيام شبهة غير الحلية بالغ في الاحتيال في ازالة ذلك الغذاء ودس له الدواء في الغذاء حتى تدرب بشربه فسقاه اياه ساذجا فنبهه أولا الى ما أداه عنه ضعفاء اليقين وهو كون رزقه على الله لا فيما استصحب من الخبز ونحوه وقال له ان نوامي الحق التي هي أدوم لك مما بيدك متواصلة الانصباب ثم قوى له المزج فيما نحن بصدد شرحه وهو قوله وفي الناس الخ ادمجه تعبيرا وايماء بتلويح ثم ساقه ساذجا فيما بعده وهي قوله وأي يقين الخ

كيه ... المطبوخ ... العابد ... الدواء

يصرح بالمريد الصحيح وإذا تبين هذا لك فاعتمد على صحبته فهو يسرع في شرح النفس قال رضي الله عنه

﴿وفي الناس من لا يستحي لورع * وتكفيه عند الجوع مص نواة تمر﴾

من موصولة وهي مبتدأ ويستحي لورع صلتها ومعنى يستحي يتمسك وفي الناس خبر المبتدأ وقوله وتكفيه الخ البيت يدل عليه شيء من تمام المعنى المقصود منه وسيصرح به في شكه ﴿يقول﴾ والله أعلم وفي الناس من لا يتمسك بورع أصلا لكونه من جفاة الأعراب وسكان البوادي والقفار بعيد عن الاحتذاء بالذين جبلوا على الفضل ومع ذلك ليست همته في بطنه ولا يهتم عند عشائه بمأكول وعيشه لا يسير بالرزق بل طبيعته طبع عليها من الصبر وأنسها بالقلة وأن البطن حاجته للأكل يمكن منه الجوع إذ قد تكفيه بما يسد الرمق من مص نواة تمر ويكتفي بعظم عار ونحوه فإن وجد الشبع من ذلك فضلا عن الحمد فأنت يا بني كيف يكون عندك ذلك اليوم عيدا وعرس فأنت أيها المريد أولى أن تسارع إلى هذه الخصلة وتحمل نفسك على تحصيل هذه الفعلة إن أردت ابتهاج أهل الوصلة والا فعدلك وطاب العموم منه من دونت وليس كل أحد يصلح للسير والمعرفة بل لا يصلح لذلك إلا الحاذق اللبيب الذي ألم بما أشرنا إليه وتدرب ومن كانت همته في بطنه فقيمته ما يخرج منها والحاصل أن البطنة مذمومة في جميع الحالات والجوع محمود في كل المقامات فإنه للتائب اعتبار وتجربة وللزاهد سياسة وتهذيب وللصديق مكرمة وتقريب ثم قال رضي الله عنه

﴿وأي فتى في ادخاره كسرة * لغد يحسب أغنى من أصفى الدر﴾

الاستفهام المصدر به البيت انكاري أي لا فتى في ذلك والفتى الجيد رضي الله تعالى عنه هو أسير العلم الذي لا يتقلب ولا يحول ولا يتغير في الغلب وسيأتي مزيد كلام فيه إن شاء الله تعالى وفي ادخاره متعلق بفتى وكسرة معمول بادخاره وقوله لغد يحسب الخ نوع بأن من احتج عليه وجب أي أسوار يكسب وشيئا معموله وعند الخ صفة لقوله شيئا ومن أصفى متعلق بمقدر حذف لوضوحه ودلالة المعنى عليه أي عند أنه من أصفى الدر والدر جمع الدال المعجمة صغار النمل ما به مهاراته حتى يبعد ﴿يقول﴾ والله أعلم لا فتى يا أيها المريد في الله وأنه كامل الإلهام والإرادة والقدر وتمام العطف والعناية والرحمة بل والتكفل برزقك وإعطائه لك عند حاجتك إليه مع ما زينه ادخار الكسرة لأنك لو اعتمدت إليه ووثقت به ما ادخرتها وقد حسب مع ذلك شيء مع وأمر حسن فطبع عند نفسه الخسيسة الجبلة أركانه وإبانة من أهم الخسران فإنا لله به من الآدمي بأموالي وقد عدا الشيخ أبو طالب والإمام أبو حامد رضي الله تعالى عنهما من يدخر من الحيوانات وذكرهم في سياق الذم فقالا وقد قيل لا يدخر من الحيوانات إلا ثلاثة الفأر والنملة وابن آدم ثم لما كان معنى هذا البيت عقب الحالة المذكورة فيه عقبه بذكر حالة من معلقات الورع أيضا أقبح منها فقال رضي الله عنه

﴿وأقبح منه أن يقدم للقرى * سواها ويبدي الكرم فيه يمر﴾

أقبح هو افعل من القبح وهو مبتدأ وضمير منه عائد لادخار الكسرة وجملة أن يقدم للقرى خبر المبتدأ والقرى بكسر القاف مصدر من قريت الضيف أي أحسنت إليه وقوله أن يقدم للقرى سواها يحتمل أن يكون قوله أن يقدم على حذف لا أي أن لا يقدم للقرى سواها أي إلا هي قال الله

تعالى يبين الله لكم أن تضلوا قال ابن عطية رضي الله تعالى عنه معناه كراهية أن تضلوا أما بالتقدير لئلا تضلوا ومنه قول القطامي يصف ناقته رأينا ما رأى البصراء منها * فآلينا عليها أن تباعا اهـ ومنه قول عائشة رضي الله تعالى عنها لله علي أن لا أكلمه أبدا أي لا أكلمه أبدا ويحتمل أن لا يكون على حذفها ويكون قد حذف العاطف والمعطوف عليه في قوله سواها والتقدير أو سواها وكلاهما جائز إن دل عليه دليل واحتاج صحة المعنى لذلك أدل دليل وقد ورد في القرآن أي في نحو أن اضرب بعصاك البحر فانفجرت على أحد التقديرين فيها وقوله تبدي هو عطف على تقدم من قوله ان تقدم والواو بمعنى مع فحقه النصب بفتحة فوق الياء وإنما سكنه لضرورة الوزن والنكر مفعوله وفيما به تقري متعلق بالنكر وما موصولة وصلتها تقري والعائد الضمير المجرور بالباء ﴿يقول﴾ والله أعلم وأقبح من ادخار الكسرة أن لا تقدم لقري من نزل بك سواها الكونك لا تجد في غير الوقت وعلى الاحتمال الثاني يكون معناه وأقبح من ادخار الكسرة أن تقدم لقري من ألم بك وحل بساحتك هي أو سواها من الطعام أعلى أو أدنى وتظهر له النكر والحقر فيما قدمته وأن ذلك أقل من قدرك أو قدر المقدم إليه وكانت هذه الحالة من متعلقات الورع لأنه كما تقدم ما يجري في القول والفعل والاعتقاد وهذه الحالة اشتملت على خبائث يجب التورع عنها الأن فيها الازدراء بنعمة الله وقد ورد وعيد في ذلك حسبما يذكر بعد وفيها الرياء ومراعاة الخلق على غير وفق وفيها التكبر إذ لولم ير لنفسه قيمة ما بالى بما يبدر منها وهذه كلها وحدة انفردت بها عن الحالة التي قبلها ومن ثم كان أقبح وشاركتها في الإدبار عن قبلة التوجه بالكلية وحسم مادة اليقين الأصلية وما وعد به من الوعيد هو ما ذكره الشيخ أبو طالب والإمام أبو حامد وصاحب العوارف واللفظ للأولين روى أنس بن مالك وغيره من الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون لا ندري أيهما أعظم وزرا الذي يحتقر ما يقدم إليه أو الذي يحتقر ما عنده أن يقدمه قال الشيخ أبو طالب رضي الله تعالى عنه وكذلك جاء في الخبر كفى بالمرء شرا أن يحتقر ما عنده أن يقدمه إلى أخيه أو الذي يحتقر ما قدم وقال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رضي الله تعالى عنه وإذا نزل به أخ من إخوانه أو جماعة قدم إليهم ما حضر قل أو كثر روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال هلاك المرء أن يدخل عليه رجل فيحتقر ما في بيته أن يقدمه إليه وهلاك بالقوم أن يحتقروا ما قدم إليهم وقال صلى الله عليه وسلم إن من مكارم الأخلاق التزاور في الله وحق المزور أن يقدم إلى أخيه ما تيسر عنده وإن لم يجد إلا جرعة من ماء وإن احتشم أن يقدم إليه ما تيسر لم يزل في مقت الله تعالى يومه وليلته اهـ وأخرج أحمد وأبو يعلى من طريق ابن عمير قال دخل على جابر نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقدم إليهم خبزا وخلا وقال كلوا فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم الإدام الخل إنه هلاك بالرجل أن يدخل إليه النفر من إخوانه فيحتقر ما في بيته أن يقدمه إليهم وهلاك بالقوم أن يحتقروا ما قدم إليهم فهذه الأخبار كما رأيت تدل صريحا على أنها متوعدة بالمقت والوزر لمن احتقر ما يقدمه للضيف وأما إن قدمه متأولا لشيء من ذلك بغرض صحيح كصيانة قلب المقدم إليه ونحو ذلك فليس من هذا حسبما يدل عليه الآثار التي نوردها إن شاء الله تعالى على قوله ولن يخلص الإخلاص البيت وأما قوله في الحديث نعم الإدام الخل فقال عياض عن الخطابي قصد بذلك الثناء على الاقتصاد

الشيخ أبو المواهب التونسي الشاذلي من ... [illegible]

في الأكل وأن لا بأس في المأكل كأنه قال اشتملوا المحل وما يسرهم عطف على مدخول أتبع من معلقات الورع ومما آخر ما ركاه في الأتقية فقال رضي الله عنه

(وإن كنت في الأسفار كان مكانها * أمامك دون الكل من سفر السفر)

هذا البيت عطف على مدخول أتبع والأتقية مسلطة عليه والأسفار جمع سفر بفتحتين وهو الانتقال من موضع لآخر والسفر بضم السين وفتح الفاء جمع سفرة طعام المسافرين وهو يطلق على الواحد والجماعة يقال رجل سفر وقوم سفر وقد تقدم الكلام عليها ومن سفر السفر متعلق بقوله مكانها وأمامك ظرف لقوله كان وإعراب ما بقي من البيت واضح (يقول) والله أعلم وبارك ما تقدم في الأتقية أيضا أنك إن كنت في سفر من الأسفار كان مكان خبزك وكسرتك من سفر المسافرين أمامك دون الكل ممن حضر وتستبد بزادك ولا تمد يداه أحوالك وليس ذلك من شيم القوم وعهدهم إنما كانوا كشيء واحد ليس لهم معلوم ولا يختص أحد بشيء دون صاحبه * حكي عن إبراهيم بن شيبان رضي الله عنه أنه قال كنا لا نصحب من قال نعلي وقال أبو حامد الغلاسي أحد أشياخ الجنيد رضي الله تعالى عنهما يجب أن يكون من المصر فأكرموني فقلت لبعضهم أن أرى سقطة من أعينهم وقد قال عمر رضي الله عنه كرم الرجل طيب زاده في سفر وبذله لأصحابه وكان الصحابة رضي الله تعالى عنهم يقولون الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق وكانت هذه الحالة من معلقات الورع أتبع من الأولى لاشتمالها على ما اشتملت عليه من الادخار والاعتماد على غير الجبار مع زيادة العار والبخل وإيقاع الوحشة في قلوب الإخوان وإدخال الظلمة عليهم بسبب الانفراد عنهم وقلة المروءة المذهبة للدين روي أن شيئا الحجام حجم داود الطائي رضي الله عنه فأعطاه دينارا فقيل هذا إسراف فقال لا عبادة لمن لا مروءة له وما قاله رضي الله تعالى عنه واضح فإن عدم المحافظة على المروءة في مثل هذا فتح لباب الطمع وهو فساد الدين دخل الحسن البصري مكة فرأى غلاما من أولاد علي بن أبي طالب قد أسند ظهره إلى الكعبة يعظ الناس فوقف عليه الحسن فقال ما ملاك الدين فقال الورع قال فما آفة الدين قال الطمع فتعجب الحسن منه ولا شك أن مثل هذا الإمام وسابقتها يسرهم قال رضي الله عنه

(وقد او إن لم تبد منك لطيفه * فللبخل فيه باب غير مزور)

الاستتار لأقرب مذكور وهو البيت الذي قبله هو وقوله فللبخل فيه أي فيه على حد قوله تعالى من يوم الجمعة والجانب سوى الإنسان وغير والمزور المائل وباقي الألفاظ بين من إعراب ومعنى (يقول) والله أعلم وكون مكان خبزك أمامك دون من معك من رفقائك وإن قدرنا أنه صدر منك لأجل أكل وضع فللبخل فيه جانب قائم معتدل غير مائل أي قد قوي صورته وأبقته الدلالة على البخل وقلة المروءة وهو كذلك والله سبحانه أعلم ثم رجع إلى تمام الكلام في معنى ما ذكر من تقديم الكسر والخبز لها فقال رضي الله عنه

(ولن يخلص الإخلاص يوما لذلك * فلعاما ما صافاه كالآرز والبر)

هذا البيت من تتمة قوله وأتبع منه أن يقدم للفقرى الخ وإنما فصل بينهما قوله وإن كنت الخ وقوله وهذا الخ لأن الأول منهما مشارك لما قبله في الأتقية فناسب أن لا يفارق ذلك والثاني متمم له فكمل ما يسبقه المطلوب ثم رجع إلى كمال ما يشتمل عليه المطلوب فيه والإخلال بنحو ذلك شيء من نظم

الكلام ولنرجع للإعراب ان حرف نصب والاخلاص فاعل يخلص ويوما ظرف له أى يخلص
ولتارك متعلق به أيضا وطعاما مفعول تارك ولما أداه أى شابهه متعلق به أى تارك وكالأرز
والبر فرض مثال ويقع فى بعض النسخ كالروز وأظن أنها ليست عربية فقد ذكر صاحب
القاموس فيه ثمان لغات ولم يذكرها وإنما هو اسمه بلسان الوقت والعرف ولا يخل ذلك
بفصاحة الكلام مع أنه أقرب فى ترك التكلف حيث عبر بما ألفه اللسان واستعودت تسطيره
البنان ويكون قد وقع فى الكلام ما نبه عليه وهو من بديع الكلام عند العلماء ويقع فى بعض
النسخ كالأرز بسكون الراء على وزن فعل وهى عربية وهو الذى فى الأصل ﴿يقول﴾ والله
أعلم وان يخلص ويصفو ويثبت الاخلاص حين من الأحيان لمن ترك طعاما كان عنده من
غير عذر أخوجه لتركه الى طعام آخر وتكلف احضاره وذلك كترك الروز أو البر أو العكس وأصل
البيت قوله فى العوارف ومن أخلاق الصوفية ترك التكلف وذلك لأن التكلف تصنع وتعمل
وتمايل على النفس لأجل الناس وذلك يباين حال الصوفية وفى بعضه خفى منازعة الأقدار
وعدم الرضا بالقسم الجبار ويقال التصوف ترك التكلف وقيل التكلف تخلف عن شأن
الصادقين روى أنس بن مالك قال شهدت وليمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما فيها خبز ولا لحم
وروى عن جابر أنه أتاه أناس من أصحابه فأتاهم بخبز وخل وقال كلوا فإنى سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول نعم الإدام الخل وروى سفيان بن سلمة قال دخلت على سلمان الفارسى فأخرج
الى خبزا وملحا وقال كل لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا عن التكلف أن يتكلف أحد
لأحد لتكلفت لكم والتكلف مذموم فى جميع الأشياء كالتكلف بالملبوس للناس من غير نية
فيه والتكلف فى الكلام وزيادة التملق الذى صار دأب أهل الزمان فما يكاد يسلم من ذلك إلا
آحاد وأفراد وكم من متملق لا يعرف أنه تملق ولا يفطن له فقد يتملق الى حد يخرجه الى صريح
النفاق وهو مباين لحال الصوفى ثم قال وحكى عن ابن وائل قال مضيت مع صاحبى لنزور سلمان
فقدم الينا خبزا شعيرا وملحا جريشا وقال صاحبى لو كان فى هذا الملح سعتر كان أطيب فخرج سلمان
ورهن مطهرته وأخذ سعترا فلما أكلنا قال صاحبى الحمد لله الذى قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لو
قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتى مرهونة ففى هذا من سلمان ترك التكلف قولا وفعلا وفى حديث
يونس النبى عليه السلام أنه زاره اخوانه فقدم اليهم كسرا من خبز شعير وجز لهم بقلا كان يزرعه ثم
قال لولا أن الله لعن المتكلفين لتكلفت لكم وقال بعضهم اذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر واذا
استزرت فلا تبق ولا تذر وروى الزبير بن العوام قال نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوما اللهم اغفر للذين يدعون لأموات أمتى ولا يتكلفون الا انى برىء من التكلف وصالحو أمتى
اه ومن التكلف أيضا وهو أقبحه سلوك الطريق بالملعلة والنأب ودخول الحقائق بالاكتساب
ومن هذا شأنه عامل فى تكشف الحجاب وهو بعيد يظن أنه من أهل الباب نعوذ بالله من الخطا
فى التوجه وعمايه الانقلاب وقد قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه ليس هذا الطريق
بالرهبانية ولا بأكل الشعير والنخالة ولا الصناعة وإنما بالصبر واليقين والهداية قال الله تعالى
وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ولنرجع لما نحن بصدده قال الامام
أبو حامد رضى الله عنه وأما آداب التقديم ما حضر فان لم يحضر شىء ولم يملك فلا يستقرض لأجل
ذلك فيشق على نفسه وان حضره ما هو محتاج اليه لقوته ولم تسمح نفسه فلا ينبغى أن يقدمه قال

وقال بعض السلف في تفسير التكلف ان يطعم أخاك مالا يأكله أنت بل يقصد الزيادة على القوت والقيمة وكان الفضيل يقول انما تقاطع الناس بالتكلف يدعو أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع اليه قال ومن التكلف أن يقدم جميع ما عنده فيجحف بعياله ويؤذي قلوبهم وقال سلمان أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وان نقدم اليه ما حضر وقالت العوارف وحسب المضيف الى كلفة الا أن يكون له به عنى كبير الانفاق ولا يفعل ذلك حياء وتكلفا ونحو هذا قول الامام أبي حامد رضي الله عنه الخامس يعني من آداب احضار الطعام أن يقدم من الطعام قدر الكفاية فان التقليل عن الكفاية نقص من المروءة والزيادة عليه تصنع ومراآة لاسيما اذا كان لا تسمح نفسه بأن يأكل الكل الا أن يقدم الكثير وهو طيب النفس لو أخذوا الجميع وينوي أن يترك فضلة طعامه ادى الحديث انه لا يحاسب عليه أحضر ابراهيم بن أدهم طعاما كثيرا على مائدة فقال له سفيان يا أبا اسحق ما تخاف أن يكون هذا سرفا فقال ابراهيم ليس في الطعام سرف وان لم يكن ذلك النية والتكثير تكلف قال ابن ... وذهبنا الى بعض دعوة من يباهي بطعامه وكره جماعة من الصحابة أكل طعام المباهاة ومن ذلك كان لا يرفع من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلة طعام قط لانهم كانوا لا يقدمون الا قدر الحاجة ولا يأكلون تمام الشبع ثم ذكر حكاية أبي علي الروذباري عن رجل انه اتخذ ضيافة فأوقد فيها ألف سراج فقال له رجل قد أسرفت فقال له ادخل فكل ما أوقدته لغير الله فأطفئه فدخل الرجل فلم يقدر على اطفاء واحد منها فانقطع واشترى أبو علي الروذباري احمالا من السكر وأمر الحلويين حتى بنوا له جدارا من السكر عليه شرف ومحاريب على أعمدة منقوشة كلها من سكر ثم دعا الصوفية حتى هدموها وانتهبوها وأما توقع من ذكر الاخلاص في النسب فاعلم انه على رتب على حسب مراتب أهله قال الشيخ أبو طالب رضي الله عنه الاخلاص عند المخلصين اخراج الخلق من معاملة الحق وأول الخلق النفس والاخلاص عند المحبين أن لا يعمل عملا لاجل النفس والا دخل عليه مطالعة عوض أو تميل الى حظ نفس والاخلاص عند الموحدين خروج الخلق من النظر اليهم في الافعال وعدم السكون والاستراحة لهم في الاحوال قال الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه وحقيقة الاخلاص ترجع لافراد الحق بالوجهة اما على بساط الغناء وهو الاول أو على بساط الجمع وهو الثاني أو على بساط البقاء وهو الثالث وفي خبر مسلسل سئل جبريل عن الاخلاص ما هو فقال سألت رب العزة عن الاخلاص ما هو فقال سر من سري أودعته قلب من أحببته من عبادي لا يطلع عليه ملك فيكتبه ولا سلطان فيفسده انتهى وقد الخبر وان كان واحدا فلنذكر على طريق الاحتجاج به الى النفس واعادته الى ... سبيل الاستئناس به ولما طال كلامه في التكرم وما يستتبعه وذهب في ذلك كل مذهب خاف أن يتوهم المخاطب ان ذلك هو اهم مطلوبات الورع فتركه حماية عن المقام بتعقيبه فيما سوى ذلك فنبه على أن الورع حافظ عليه عند القوم في كل مطعوم وملبوس كي لا يحكمه في نفس صورة ويحل به فيما عدا ذلك بقوله رضي الله عنه

﴿وفي كل مطعوم وفي كل ملبس ۞ تورع أصحاب الورع لو بدر﴾

أصحاب الورع فاعل تورع وفي كل مطعوم متعلق بتورع وفي كل ملبس عطف عليه وقوله ملبس مفعل من معمول ﴿يقول﴾ والله أعلم وقد تورع أصحاب الورع المؤهلين له في كل ما يطعم

وفي كل ما يلبس لو عقلت ذلك وتفطنت له ولا تتعلم عنهم واعمل في التحلي به والاتصاف به حتى تتحقق به وترتقي من ترك كل ما يتطرق اليه احتمال التحريم وهي الدرجة الثانية ثم الى ترك ما يخاف أداؤه الى المحرم ولو لم يتطرق اليه احتمال التحريم وهي الدرجة الثالثة ثم الى ترك كل ما يتناول لغير الله تعالى ولا على نية التقوي به على عبادة الله ولو لم يخف أن يؤدي الى محرم وهي الدرجة الرابعة والى هذه الدرجة والتي قبلها يرجع ما ذكره صاحب العوارف حيث قال اللباس من حاجات النفس وضرورتها لدفع الحر والبرد كما أن الطعام من حاجات النفس لدفع الجوع وكما أن النفس غير قانعة بقدر الحاجة في الطعام بل تطلب الزيادات والشهوات هكذا في اللباس تتفنن فيه ولها فيه أهوية متنوعة ومآرب مختلفة والصوفي يرد النفس الى متابعة صريح العلم قيل لبعض الصوفية ثوبك ممزق قال ولكنه من وجه حلال قيل له وهو وسخ قال ولكنه طاهر فنظر الصادق في ثوبه أن يكون من وجه حلال لانه ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم من حرام لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا أي لا فريضة ولا نافلة ثم بعد ذلك نظره فيه أن يكون طاهرا لان طهارة الثوب شرط صحة الصلاة وما عدا هذين النظرين فنظره في كونه يمنع الحر والبرد لان ذلك مصلحة النفس وبعد ذلك ما تدعو النفس اليه فكله فضول وزيادة ونظر الى الخلق والصادق ينبغي له أن لا يلبس الثوب الا لله وهو ستر العورة ولبسه لدفع الحر والبرد حكي أن سفيان الثوري خرج ذات يوم عليه ثوب قد لبسه مقلوبا فقيل له ولم يعلم ذلك فهم أن يخلعه ويغيره ثم تركه وقال حين لبسته نويت اني لبسته لله والآن فلا أغيره لاجل الخلق الا أن بعض النية الاولى فهذه الصوفية حصوا بطهارة الأخلاق وما رزقوا طهارة الاخلاق الا بالصلاحية والأهلية والاستعداد الذي هيأ الله لنفوسهم وطهارة الاخلاق وتعاضدها تناسب واقع لوجود تناسب هيئة النفس هو المشار اليه بقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فالتناسب هو التسوية فمن التناسب أن يكون لباسهم مشاكلا لطعامهم وطعامهم مشاكلا لكلامهم وكلامهم مشاكلا لمنامهم لان انتساب الواقع في النفس مقيد بالعلم والتشابه والتماثل في الاحوال يحكم به العلم ومتصوفة الزمان ملزمون بشيء من التناسب مع مزج الهوى وما عندهم من التطلع الى التناسب رشح حال سلفهم في وجود التناسب قال أبو سليمان الداراني يلبس أحدهم عباءة بثلاثة دراهم وشهوته في بطنه بخمسة دراهم أنكر ذلك لعدم التناسب فمن خشن ثوبه ينبغي ان يكون ما كوله من جنسه واذا اختلف الثوب والمأكول يدل على وجود انحراف لوجود هوى كامن في احد الطرفين اما في طرف الثوب لموضع نظر الخلق واما في طرف المأكول لفرط الشره وكلا الوصفين مرض يحتاج الى المداواة ليعود الى حد الاعتدال لبس أبو سليمان الداراني ثوبا غسيلا فقال له أحمد لو لبست ثوبا أجود من هذا فقال ليت قلبي في القلوب مثل قميصي في الثياب وكان الفقراء يلبسون المرقع وربما كانوا يأخذون الخرق من المزابل ويرقعون بها ثوبهم وقد فعل ذلك طائفة من أهل الصلاح وهؤلاء ما كان لهم معلوم يرجعون اليه وكان رقاعهم من المزابل كانت لقمهم من الأبواب انتهى ثم اذا لم يجد المريد من الحلال ما يكفيه لقوته ولباسه فهل يقدم القوت أو اللباس قال الامام أبو حامد رضي الله عنه يحتمل أن يقال يخص القوت بالحلال لأنه الممتزج بلحمه ودمه وكل لحم نبت من الحرام فالنار أولى به وأما الكسوة ففائدتها ستر عورته ودفع الحر والبرد والابصار عن بشريته وهذا هو الاظهر

عندي وقال الحارث المحاسبي عدم الناس لأنه يبقى عليه ... والطعام لا يبقى عليه لما روي
أنه لا يقبل صلاة من عليه ثوب اشتراه بعشرة دراهم فيها درهم حرام وهذا يحتمل ولكن أمثال هذا
قد ورد من في بطنه حرام فراعاتما اللحم والعظم أن ينبت من الحلال أولى ولذلك تقيأ الصديق
رضي الله عنه ما شربه مع الجهل حيث لا ... لم ينبت ويبقى واعلم رحمك الله بأنه علة
ويحصل أنوار وأصله الحل ونعمة معرفته لذلك أن الأمر الأخروي شأنه عظيم وأمر جسيم وحاله
مجهول جدا ولذلك إذا جيء به لجانب الرجاء يغتر بقرار يكاد أن ينقطع عن ... نور به
من أصله وإذا جيء به لجانب الحذر والترهيب يغتر بقرار يقرب أن ينقطع الرجا ويهلك العاصي
بفهم معنى قوله عليه السلام في الحديث المذكور لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وما أشبه مما هو
ظاهره خلاف اعتقاد أهل السنة وقد قال عياض لا يقبل قول رضا وإن قبل قول سواء ولما
ذكر أن أرباب الورع اشتغلوا في كل مطعوم وملبوس حذره وبها عن أن يغفل عن ذلك
فيورع فيما يسهل عليه وتركه فيما عداه فيكون كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض
فقال رضي الله عنه

﴿ولا يك ممن خص بالبعض حكمه * وأهمله فيما سوى ذلك القدر﴾

الفاء المقدرة فيها السببية جواب شرط مقدر أي إذا تبين لك ما قلنا فإياك أن تكون ممن خص
بالبعض حكمه وأهمله في غير وباقي ألفاظ البيت بين إعرابا ومعنى ﴿يقول﴾ والله أعلم ولا يك
أيها المريد ممن خص الورع ببعض صور ذلك من المطعوم ... والمقصود وغفل عنه فيما سوا
على أن الورع يجري فيما هو أهم من المطعوم والملبوس كالأقوال والأفعال والخواطر والاعتقادات
وإنما اقتصر الناظم على ما ذكر لكونه كالأساس ومن أنعمه يسهل عليه ترك الباقي وأيضا الورع
فيما عدا المطعوم والملبوس عبر عن الورع فيهما ومسبب عنه ومن حصل السبب حصل له المسبب
إذا انتفت الموانع ووجدت الشروط وقد عدم دليل هذا كله أول الناس ثم أشار إلى بعض
صور ومتعلقات الورع ومايخاف إهماله لتوهمهم أنه ليس من متعلقاته فقال رضي الله عنه

﴿وفي النمل يجري حكمه وهو ظاهر * وفي الملح والكمون والسعتر البري﴾

النمل كل نبات لا ساق له والكمون نابل معروف وهو على أنواع أربعة ومنه السماني وهو
الموجود كثيرا والبري رهو قليل والسعتر بالسين وبالصاد وقد أضاف إلى أنواع والمراد هنا
المعروف بالصعتر البلي والموجود في السمع بالسين وبالزاي ولكن لم تر بالزاي في اللغة فيكون
من قبيل ما ذكر وفي قوله كالرور والبر والبري نسبة إلى البرية وهو الصحراء والمراد أنه نبت
بنفسه في الخلاء من الأرض لا أنه سماني نسب بني الأجنة فقوله البري وصف مرادف لأنه
للاحتراز والتخصيص ﴿يقول﴾ والله أعلم يجري حكم الورع في النمل وهو ظاهر سواء
كان في خلاء من الأرض قد نبت بنفسه أو استنبت في الأجنة أما الأول وهو ما إذا كان في أرض
مجهولة الأرباب أو كان أربابها لم يصرحوا بالأخذ منها ولا بالمنع ففي الأمر محتملا فلو صرحوا
بالمنع لامتنع ولو صرحوا بالإذن في الأخذ زال الحرج ولكن مع النظر أيضا لأربابها في أصل
مكسبهم وتصرفاتهم وأما الثاني وهو ما إذا كان مستنبتا في الأجنة فكذلك أيضا ينظر للإذن
والمنع لا عدم ينظر لحال أربابها بعد الإذن ثم ينظر أيضا لما كان يسقى به من الماء هل هو نجس
أم لا للاختلاف في ذلك حسبما هو مقرر في الفقه وكذلك يجري حكم الورع أيضا في الملح

بالإسلام من أعز الله به الدين وقطع به دابر المشركين أمير المؤمنين كان

كان مما يتملح بلا تعمل أو مما يعالج كملح بني معدان من حزنطوان والعرايش والسكون ستايا كان أو برباوا والسمتر المرى على المعنى المذكور في النقل أعني في السمتر على المعنى الأول وفي السكون والملح على الثاني معاً والله سبحانه اعلم ثم قال رضي الله عنه

﴿وفي الحل والماء الذي هو لازم * ولا سيما ماء الصهاريج في الثغر﴾

لازم أي دائم ولا سيما ولا مثل ما وماء الصهاريج يجوز في الهمزة منه الجر على الاضافة فتكون ما من قوله لا سيما زائدة وهو الارجح والرفع على انه خبر مبتدا محذوف والتقدير ولا مثل الشيء الذي هو ماء الصهاريج فتكون ما موصولة حذف صدر صلتها والصهاريج جمع صهريج وهو حوض يجتمع فيه الماء والثغر هنا بالفتح ما يلي دار الحرب وموضع المخافة من بروج البلدان والمراد هنا الثغر الاعظم ببلد مصر وهو الاسكندرية ﴿يقول﴾ والله أعلم ويجري حكم الورع أيضاً في الحل لأنه قد يكون أصله خمراً وما كان كذلك قد يتخلل بنفسه فيتقي فيه الخلاف أو يخلله الغير فيحصل الخلاف فيه ثم مع ذلك قد لا يستحفظ على الاناء الذي تخلل فيه وعلى خروجه منه فيلحقه شيء من أجزاء الخمر فيتنجس فلا بد من البحث عن هذا كله والخروج من الخلاف ما أمكن والاخذ بالاحوط ثم سطر مع ذلك الحال أربابه في أملاكهم وتصرفاتهم وكذلك يجري حكم الورع أيضاً في الماء الذي هو لازم دائماً في الجبوب وغيرها كالمصانع التي عملتها السلاطين وغيرهم في الطرق وغيرها فلا يخلو اما أن يكون لما عملت يوجد من ذلك أرباب الأعراب في الفلوات فيسطرفيها كما تقدم واما أن تكون مسبلة كالمصانع المذكورة فلا يخلو اما أن يكون المال الذي عملت به وأصل الماء حلالاً أو العكس أو جهل المال في ذلك فما علم أحد الطرفين فيه لا اشكال وما جهل ينبغي أن يحتاط فيه ويتورع عنه لأن الحلال عند القوم ما علم أصله وقيل وأصل أصله ومن الآثار الواردة في ترك ما عملته السلاطين في الطرق وكان خالد القشيري لما ولي مكة أجرى نهراً في طريق أهل اليمن الى مكة فكان طاوس بن وهب اليمانيان رضي الله عنهما ادام اعلمه لم يتركادوا بهما أن يشربا منه وقد كان بشر بن الحارث رضي الله عنه يمتنع من أكل ما يساق في نهر الظلمة لان النهر موصل اليه وقد عصى الله بحفره وامتنع بعضهم من أكل عنب كرم يسقى بماء جرى في نهر حفر ظلماً وقال أبو عبد الله بن الجلاب رضي الله عنه اعرف من أقام بمكة عشرين سنة لم يشرب من ماء زمزم الا ما استقاه بركوته ورشائه ولم يتناول من طعام جلب من مصر شيئاً وأما الصهاريج في الاسكندرية فتحتاج الى الورع أيضاً بل لا شيء مثلها يحتاج الى الورع قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بالدقاق رحمه الله فيما كتب على هذه القصيدة انه نظمها يعني الناظم رضي الله عنه بالاسكندرية وجرت عوائد أهلها أن يحفروا في المدينة مواضع معلومة جبوباً للماء وتكون محوطة لا تفتح الا من وقت الموالي ووقت الحرف فأكد الورع في ذلك لكونها مبنية بأموال لا تعرف وكل موضع معروف بالشخص الذي بناه وأوقفه لله تعالى على سائر الناس انتهى يخرج من هذا ان ماء الصهاريج في الاسكندرية ينبغي ان يحتاط فيها ما لا يحتاط في غيرها لعدم معرفة المال الذي صنعت منه وهذا تتفق فيه مع غيره اثم تريد بان الماء لما كان ذلك سبيلاً على الصفة المذكورة ينبغي ان يحتاط في الاخذ بحيث لا يؤخذ منه الا بقدر الاذن فيه ثم يحتاط في الاسراف فيه لقلته وليس غيرها كذلك وقوله ولا سيما ماء الصهاريج في الثغر غاية التمكين ثم أشار الى بعض ما يثمر التحقيق بما ذكر من الورع

تعالى رضي الله عنه

﴿ومن كان هذا عن مقامه * فلا يشترى شيأ بعد ولا يشرى﴾

بعد خروج بحروج الغالب اذ هو غالب ما يتعامل به الناس الا ان المراد انه لا يبيع مطلقا ولا يشرى ﴿يقول﴾ والله أعلم ومن كان مقامه ما ذكرنا من الورع عن غير تحرز مع نسيئة واطلب منه خيفة وسرى منه الورع مسريان الماء في الورد والنار في الفحم حتى صار لا يقدم ولا يحجم الا على حكمه وكان الورع طالبا له فلا يمكنه ان يبيع ولا يشرى لعدم الحلال المحض المطلق ومن ناحية عليه مثله قد كاد لا يوجد فلا يجتمع هذه الحالة من يبيع ولا من يشرى ولذلك كان السرى رضي الله عنه يقول كان أهل الورع في أوقاتهم أربعة حذيفة المرعشي ويوسف بن أسباط وابراهيم بن أدهم وسليمان الخواص فنظروا في الورع فلما ضاقت عليهم الأمور فزعوا الى التقلل ومن الآثار الى قلة الحلال المطلق في زمن السلف فضلا عن زماننا ما ذكر الشيخ أبو طالب رضي الله عنه قال كان وكيع بن الجراح يشدد في الطعمة فسئل عن الحلال فقال تريد الحلال أين وكيف لي بالحلال ثم قال لو سألنا مسعر بن كدام عن علماء الحلال لقلنا له كل أموال البر دي والحنطة وأدخل العراق وقال أيضا قال بعض العلماء لا أعلم حلالا لا شبهة فيه الا ماء الغدران وما أنبت الارض غير مملوكة أو وجدته من أخ صالح أو معاملة في تصدق ونحو ذلك فهذا كلام شيخي رضي الله عنه في هذا المعنى على قوله فلا تظن ان لا تفارق خيرا ثم اذا أخطأ علماء عامر زمانا ونظيت لما لنا أمر ما فان ذلك ان كلام الناظم رضي الله عنه في فصل الورع في غاية الغيرة وان لم يخلطه بشيء من عقر كما يظهر لبادي الرأي لكنا ذكرنا فيه حسبما يظهر من شرح حاله اما ابانة بوجه واعتبار أو ذكرنا الاضطرار والاعتبار والشيء قد ذكر في غير محله اذا استدعاه المذكور في محله ولما انتهى الكلام على الورع الذي هو تمامه ثم الكلام عن الركن الاول وهو التوبة الى الله وصدق الرجاء والعمل بمعاني التقوى وكان الورع أول عموم الزهد وخصوص الزهد وكان الزهد هو المكمل للورع أشار المصنف له شرع في ذكر وهو الركن الثاني من الاركان الثلاثة فقال رضي الله عنه

﴿وقد جاء وقت الزهد أهلا ومرحبا * مكانك بين النحر مني والنحر﴾

الزهد عبارة عن الرغبة عن الدنيا عدولا الى الآخرة أو عن غير الله تعالى عدولا الى الله تعالى وحده وهي الدرجة العليا وقد أفاد في هذا البيت والبيتين بعد معنى الزهد الا أنه في هذا البيت والذي بعده تكلم على لسان المريد الذي بلغ هذه المرتبة وفي الثالث البعث انه وخاطبه ووجه حسن هذا الالتفات الى الاعتناء الى المعرفة بين الزهد في المال والزهد في الجاه وان الاول أسهل على النفس من الثاني بكثير كما يشهد بذلك النقل الصحيح والذوق الصريح يظهر ذلك بتأمل صيغة ما جعله في القسم الاول فانه أهلا بالزهد ومرحبا وخاطبه في الثاني بقوله عليك الصبر على كذا الآن اللام في كلامه بنى على حسبما يأتي في اعرابه ولنشرع في بيان معنى الالفاظ واعرابها الوقت المقدر من الدهر وفاعل جاء وقت الزهد وأهلا منها وحذف بالزهد عند الاهل بأنس ثم وبأنس بك ومرحبا منها وحذف مكانا عند بالبر وانك رحبا أي واسعا لا تعالى النحر بالسكون وتحرك وتضم الراء ولا ايضا الاسكون للوزن والنحر أعلى الصدر وقيل موضع القلادة وقوله مكانك بين النحر مني والنحر جملة من مبتدأ وخبر وهي في المعنى

تأكيد لما أفادته الجملة التي قبلها من الفرح بقدوم الزهد وإقباله لان المجعول بين السحر والصرف في الحس هو المتلقى بغاية الفرح الذى كان القلب شديد التعطش الى قدومه وبين السحر والصر الجناس المضارع لاختلاف الكلمتين بحرف واحد فقط مع تقارب المخرج لان النون من طرف اللسان وما يلى ذلك من أول الضرس والسين من رأس الاسنان وبين الثنايا ويقع في بعض النسخ مكانه بضمير الغائب مكان كاف الخطاب ولا فرق لان الكلام مع الكاف يكون فيه الالتفات لان قوله وقد جاء وقت الزهد من أساليب الغيبة وأما أهلا ومرحبا فمقولان الخطاب والغيبة ويفسران بما يليق بالكلام من ذلك ﴿يقول﴾ والله أعلم وقد جاء وقت الزهد وحان أوانه لاحكامى الركن الاول وتلوحى فى الورع الى ترك الكل والاقبال على الله وصرف الرغبة اليه قد وجدت أيها الزهد أهلا للنزول وصادفت سعة فى القلب لتهيئه لنزولك باحكام التوبة والتمسك بحقائق التقوى منزلتك عندى أيها الزهد لها خطر وشرف وقلبى قد أقبل بكليته عليك وصرف وجه رغبته اليك وقد وجدتنى فى غاية التهيؤ اليك ونهاية النشاط الى الاخذ فيك بالعمل بحيث أفعل ما ذكره اذ قال رضى الله عنه

﴿خلوت عن الاملاك طرا فلا أرى * أميل الى ملك ولو كان ذا خطر﴾

خلوت فرغت والخلو عن الاملاك الخروج عنها حسا وقد قدمنا ان البيت على سبيل الترجمانية وعن الاملاك متعلق بخلوت والاملاك جمع ملك بالكسر اسم لما يدخل تحت التصرف وطرا أى جميعها وهو حال من الاملاك وقوله فلا أرى مبنى للمجهول يحتمل أن يكون معناه فلا ألفى ولا أوجد مائلا الى كذا ويكون النائب ضمير المتكلم وأميل الخ مفعوله الثانى وهو على هذا من أفعال اليقين ويحتمل أن يكون معناه فلا أرانى على انها من أخوات ظن حذف مفعولها الاول وهو ياء المتكلم وأميل الخ هو الثانى وبين الاحتمالين فى المعنى اختلاف يدل على اختلاف القائلين فالقائل لهذا الكلام على المعنى الاول مشاهد تصريف الحق ما خودعنه فيما يريد به فان فتح له بعذر عاوجه بالحذف والقائل له على المعنى الثانى قائم بحق الادب لم يتحكم على الحق حيث عبر عما طنه فى نفسه ولم يجزم فان فتح له بعذر عاوجه بالسير والسلوك والى ملك متعلق بأميل ولو كان ذا خطر اسم كان ضمير الملك وذا خطر خبرها وخرجت حسا عن الاملاك الشرف ﴿يقول﴾ والله أعلم خلوت وخرجت حسا عن الاملاك جميع المعروفين بحقارتها وتبقى حسنها وانها لا بقاء لها فلا أرى مع ذلك ولا ألفى ولا أوجد أو فلا أظننى أميل وافرح وأجنح الى ملك من الاملاك ولو كان ذا خطر وبال أولا أراه ان عرض الامر أعظم الوبال وأصل البيت قوله فى العوارف قال الجنيد الزهد خلو الايدى من الاملاك والقلوب من التتبع ونحوه قول الشيخ أبى طالب رضى الله عنه وقد سئل الجنيد رحمه الله عن الزهد فقال له معنيان ظاهر وباطن فالظاهر نقض ما فى الايدى من الاملاك وترك طلب المفقود والباطن زوال الرغبة عن القلب ووجود المعروف والانصراف عن ذكر ذلك فاذا تحقق بذلك رزقه الاشراف على الآخرة والنظر اليه بقلبه فحينئذ يجد فى العمل بتقصير الامل لان الاسباب عن قلبه منقطعة وحقيقة الزهد قد حصلت الى قلبه فامتلأ من الذكر الخالص لربه عز وجل فكذلك يقول ان الزهد يكون عن حقيقة الايمان وان المشاهدة للآخرة تكون بعد الزهد ثم تستوى الاشياء عنده ويستوى عدمها ووجودها ومعه يكون استواء المدح والذم لاستواء قلبه فى المشاهدة كما رأينا فى خبران

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رجل هل استويت قال وكيف استوى وليستوي
المدح والذم عنده ايكون شيء ما قدر النفس وقد بان ربه الخلق عنده فهذا بعيد عن
الاخلاص اه واعلم ان الامر بالخروج عن الاملاك هو الحال الذي عليه علماء الباطن كالجنيد
وسهل وابي يزيد وشقيق وغيرهم رضي الله عنهم من انه لا يكون الزاهد زاهدا حتى يخرج من
الشيء المزهود فيه بظاهره وباطنه وما لم يخرج باحدهما فهو راغب فيه فاذا المريد من اهل
طريق القوم الداخل وسلوك المال والجاه وطلب المناصب والرغبة بغير نية في المال ولا
ملكه حتى لا يبقى له الا قدر ضرورته لفقده ويجمع على الله قلبه ومادام يبقى له درهم
الله فهو مفتقد بتعلقه عن الله تعالى ويعوق عن ذلك عن الترقي الى ما خرج منه
في بدايته وصرفه ويعرج عن المقام المقتضي الموضع الذي حصل له فيه والرابع وا[illegible]
الجهول والمريد من اسباب الذكر ويتعاطى امور اعمال مباحة يشغل بها قلب الخلق فيه
يتوقف فيه قبول الخلق ويردهم لا يغني عنه شيء حتى اذا حكم به اعينه وحده وتدريبه نفسه فالزهد
والفقر لله تعالى بظاهره وباطنه والخلق الناس عن غير ما بين يديه من حاله وصار تبعا
بتعلق ويفرض ولا يعرض ويكمل نور يظهر سره ويسبب ارادته واختيار وصار مع ارادة الله
تعالى واختيار واخذ الذي عنه وعزله عن صفات نفسه فحينئذ ان يهم عن الحق بامر الله
يحمله فيظهر على الخروج للخلق او الى الدخول في السعة والباس شيء من الدنيا كان في
ذلك انه لا يسعه موجود امره وصار كما قال ان زاهدا وان رغب في الصور فليس بذلك
رغبة في نفس الامر لانه بالحق لا يسعه ولا يزال مع الانكار في كل عصر من الدين يجهلون هذا
الاصل على مشايخ عصرهم كما وقع للشيخ ابي مدين والشيخ ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنهم فانما
لانهم يرون انهم خلوا من حقيقة الزهد لتلبسهم بالدنيا ويلزمهم ان ينكروا على جميعهم بل ربما
عيرهم ما هم فيه من الجاه يعظم الخلق لهم ويتوهم عليهم لان الجاه من اكبر ابواب الدنيا والرغبة
فيه اعظم من الزهد في المال حسبما يأتي لان الاموال تبذل في استعمال القلوب وملكها وان
الذي حصل لهم والتخصيص في الدنيا المطلقة وان المقداد في عن مراده واختيار وصار مريدا
عن نفسه ووصفه منقطعا عن نفسه ليس عليه اعتراض في شيء من ذلك ولا في غير لانه بارادة الله
واقامته فيه لا بنفسه وقد قال في العوارف بعد كلام في تفضيل الصوفي على الفقير والزاهد واما
رتبة الفقير المختار على الحال واعتمامه الفقير اختيارا منه وارادة والاختيار والارادة عنه
في حال الصوفي لان الصوفي صار قائما في الاشياء بارادة الله لا بارادة نفسه فلا يرى فضله في صورة
فقر ولا في صورة غنى وانما يرى الفضيلة فيما يوقفه الحق فيه ويدخله عليه ويعلم الاذن من الله
الدخول في الشيء وقد يدخل في صورة سعة مباينة للفقير باذن الله يرى الفضيلة حينئذ في
السعة لمكان اذن من الله فيه ولا يتسع في السعة والدخول فيها للصادقين الا بعد احكام علم
علم الاذن وفي هذا مزلة الاقدام وباب دعوى المدعين وما من حال يدعي به صاحب الحال الا ويد
حكمه راكب المحال لنيل من ذلك عن نيته ويتخلص حق عن نيته فاذا اتضح ذلك ظهر الفرق
بين الفقر والتصوف وعلم ان الفقر اساس التصوف وبه قوامه على معنى ان الوصول الى رتبة
التصوف طريقه الفقر لا على معنى انه يلزم من وجود التصوف وجود الفقر قال الجنيد التصوف
ان يميتك الحق عنك ويحييك به وهذا المعنى هو الذي ذكرناه من كونه في الاشياء باذنه لا بنفسه

والفقير والزاهد مكروبان فى الاشياء بنفسهما واتيهان مع ارادتهما المجتهد ان مبلغ علمهما والصوفى منهم لنفسه مستقل لعلمه غير راكن الى معلومه قائم بمراد ربه لا بمراد نفسه انتهى وهذا الذى ذكر هنا هو حقيقة ما ذكر فى الزهد اذ قال وقال بعضهم لما رأوا حقارة الدنيا زهدوا فى زهدهم فى الدنيا لهوانها عندهم وعندى ان الزهد فى الزهد غير هذا وانما الزهد بالخروج من الاختيار فى الزهد لأن الزاهد اختار الزهد وأراد وارادته تستند الى علمه وعلمه قاصر فاذا أقيم مقام ترك الارادة وانسلخ من اختياره كان شغله بمراد الله ويترك الدنيا بمراد الحق لا بمراد نفسه ويكون زهده بالله حينئذ او يعلم أن مراد الله منه التلبس بشئ من الدنيا فيما يدخل بالله فى شئ من الدنيا لا ينقض عليه زهده فيكون دخوله فى الشئ من الدنيا بالله وباذن منه زهدا فى الزهد استوى عنده وجود الدنيا وعدمها أن يتركها بالله وان أخذها أخذها بالله وهذا هو الزهد وقد رأينا من العارفين من أقيم فى هذا المقام وفوق هذا مقام آخر فى الزهد وهو لمن يرد الحق اليه اختياره لسعة علمه وطهارة نفسه فى مقام البقاء فيزهد زهدا ثالثا ويترك الدنيا بعد أن مكن من ناصيتها وأعيدت اليه موهبة ويكون تركه للدنيا فى هذا المقام باختياره واختياره من اختيار الحق وقد يختار تركها حينئذ تأسيا بالأنبياء والصالحين ويرى أن أخذها فى مقام الزهد فى الزهد رفق دخل عليه لموضع ضعفه وترك شأن الأقوياء من الأنبياء والصديقين فيترك الرفق من الحق بالحق للحق وقد يتناوله باختياره رفقا بالنفس بتدبير بسوسه بصريح العلم وهذا مقام التصرف لأقوياء العارفين زهدوا ثالثا بالله كما رغبوا ثانيا بالله كما زهدوا أولا لله وقال فى موضع آخر بعد كلام واذا استقرت النهاية لا يتقيد بالأخذ ولا بالترك بل يترك وقتا واختياره من اختيار الله ويأخذ وقتا واختياره من اختيار الله وهكذا صومه النافلة وصلاته النافلة يأتى بها وقتا ويسمح للنفس وقتا لانه مختار صحيح فى الاختيار فى الحالين وهذا هو الصحيح ونهاية النهاية وكل حال يستقر ويستقيم بشاكل حال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل ولا يقوم كله ويصوم من الشهر ولا يصوم الشهر كله غير رمضان ويتناول الشهوات ولما قال الرجل انى عزمت أن لا آكل اللحم قال كل اللحم فانى آكل اللحم واحبه ولو سألت ربى أن يطعمنى كل يوم لأطعمنى وهذا يدلك على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مختارا فى ذلك ان شاء أكل وان شاء لم يأكل وكان يترك اختيارا والى هذه الاقسام الثلاثة فى الزهد أشار الشيخ شرف الدين أبو حفص عمر بن الفارض رضى الله عنه بقوله

فلم يدن منها موسر باجتهاده * وعنها بها لم ينأ مؤثر عسرة

بدا الشعرى شرط الولاء من أهله * وطائفة بالعهد أوفت ووفت

متى عصفت ريح الغنى قصفت لها * غنى ولو بالفقر هبت لربت

وأغنى يمينا باليسار جزاؤها * مدى القطع ما للوصل فى الحب مدت

واذا فهمت ما تلوناه عليك علمت حال الصحابة الذين كانت الدنيا فى ايديهم كعثمان وعبد الرحمن والزبير وعمر بن الفاروق رضى الله عنهم ومن بعدهم من الاكابر وانهم انما أعطوها بعد التمكين والرسوخ فى اليقين فكانت فى أيديهم لا فى قلوبهم وتصرفوا فيها تصرف الخازن الامين وامتثلوا أمر الله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه كما حقق ذلك الشيخ تاج الدين رضى الله عنه فى تنويره وأوضح فيه المعنى الذى يكون به الطالب للدنيا مذموما ووضح التدبير المذموم وغيره وقال الشيخ أبو العباس زروق رضى الله تعالى عنه حكم التابع حكم المتبوع فيما يتبعه فيه وان

كان الممنوع أفضل وقد كان أهل الصفة فقراء في أول أمرهم حتى كانوا يرضون بأصناف اسم
كان منهم ثم الغنى والأمير والمنسب والفقير لكنهم شكروا عليها الحق وجدت كأغنياء وأغنياء
وقد بل غيرتهم الوحدة عما وصفهم مولاهم به من أنهم يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون
وجهه كأنهم لم يعتدوا بالله ذات بل إرادة الملك الديان وتلك غير مقصد فقر ولا غنى ومحض
فلا يخص الصوف بفقر ولا غنى إذا كان صاحبه يريد وجه ربه فإنهم اهـ ومما ذكر في كتب
الوعظ والتذكير على سبيل التقسيم للدنيا والتنفير عنها من أنه روي في حق صاحب الشأن
العظيم أحد العشرة المشهود لهم بالجنة من قال فيه الفاروق لو وزن إيمانه بإيمان الناس لرجحهم
وهو عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إني رأيت الجنة
ورأيت فقراء المهاجرين والأنصار يدخلونها سعيا ولم أر أحدا من الأغنياء يدخلها معهم
إلا عبد الرحمن بن عوف رأيته يدخلها معهم حبوا فاعلم أن هذا الحديث وما في معناه على تقدير
ثبوته لا إشكال فيه فإن الأمور تختلف باختلاف المقامات وتتفاوت لتفاوت الحالات وكثير
من حسنات الأبرار تعد سيئة عند المقربين من الأحبار ورب العارفين أتم من إخلاص المريدين
فكذلك نحو هذا الإمام الصدر الهمام ليس على جهة من الذنب على الإلتباس والتذنيب بل
ما عند غيره في حقه أحب وأسرع من طيران الفقير في جناح بسبب تلك الطيران في جناح
إنما أنزل مما عند غيره في حقه وتلك أن نجعله من باب التصوير والتمثيل وهو إبراز المعاني
العقلية في الصور الحسية لتقريب المعنى ذلك كقوله المخلفين سيدي وقوله تعالى يوم يكشف
عن ساق وغير ذلك من الآي والأحاديث التي صرح بها علماء المعاني والبيان أنها من باب
التمثيل وكذلك إنما كان يريد وإن كان على سبيل العادة المخصصة وهو تعريف نعيه بصريح
التوكل الأمين المنتظر الغرض كما يدل على ذلك خروجه رضي الله عنه عن ثمانمائة بعير بكلها
موقور الأحمال وغير ذلك من أفعاله وحسن أحواله لكنه أبطأه سياما عن التفريق بقدر
حسن أفعاله من أهل السابقة في الإسلام فعبر عن هذا المعنى بالحبو على أن هذا لفظ لم يكن
لفظا فأنه وغريب بل لفظ غريبة وتقرير تقدير مابين ولما فيما كان سيده كما سيرد لك عن
الأخبار الواردة فيه ليظهر سره ويبين مكانته ومنزلته كيف صبر على غاية الفقر وقام بحقوق
الله فيها أتم القيام كي يشاهدا على فضل الفقير المنفق وأنه صرح بقدر كما تقدم فإنما عبر بهذا
التركيب المفيد دون غير من التراكيب المؤدية لذلك لأنه قصد به التنفير عن الدنيا والتمتع
بها والتسلي عنها والأمر الأخروي كما تقدم ما عظم جدا ولذلك إذا جيء به لجانب النفوس
والصدر وكذا يعتبر بمقدار أن يقطع دار الرخاء من أصله ثم بعدكم هذا وجدت عند
الله ما يؤيد ما أولنا به من التمثيل من كلام الإمام أبي حامد رضي الله عنه قال ونقيضه إذا قال
الرسول صلى الله عليه وسلم رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا فلا تظن أنه لم يشاهده
بالبصر كذلك بل رآه في يقظته كما يرى النائم في نومه وإن كان عبد الرحمن مثلا نائما في بيته
بشخصه فإن النوم إنما أثر في أمثال هذه المشاهد لقهر سلطان الحواس على النور الباطن
الإلهي فإن الحواس شاغلة وجاذبة إلى عالم الحس وصارفة وجهها عن عالم الغيب والملكوت
وبعض الأنوار النبوية قد يستعلي ويستولي بحيث لا تجتذبه الحواس إلى عالمها ولا تشغله فيشاهد
في اليقظة ما يشاهده غيره في المنام ولكنه إذا كان في غاية الكمال لم يقتصر إدراكه على مجرد

الصورة المصورة بل عبر منها الى السر فاذا كشف له الاوان الايمان جاذب الى عالم الأعلى الذى يسر غيبه بالهمة والمعنى والاثر وتجاذبه الى الجماد الحاضرة وهي العالم الأسفل وان كان الجاذب الى استعمال الدنيا أقوى أو مقاوما لجاذب الآخرة صده عن السير الى الجنة وان كان جاذب الايمان أقوى أورثه عسرا وبطأ فى سيره ويكون مثاله من عالم الشهادة الجو وكذلك تجلى له الأنوار والأسرار من وراء زجاجات الخيال ولذلك لا يقتصر فى حكمه على عبد الرحمن وان كان أيضا لا مقصورا بل يحكم به على كل من قويت بصيرته واستحكم ايمانه وكثرت ثروته كثرة تزاحم الايمان ولكن لا تقاومه لرجحان قوة الايمان فهذا يعرفك كيفية ابصار الانبياء الصور وكيفية مشاهدتهم من وراء الصور والأغلب أن يكون المعنى سابقا الى المشاهدة الباطنة ثم يشرق منه على الروح الخيالى بصورة موازنة للمعنى فذلك مثاله وهذا النمط من الوحى فى اليقظة يفتقر الى التأويل كما انه فى النوم يفتقر الى التعبير والواقع منه فى النوم نسبته أعظم من ذلك ولكن نسبته اليه نسبة الواحد الى الثلاث فان الذى انكشف لنا من الخواص النبوية تنحصر شعبها فى ثلاثة أجناس وهذا واحد من تلك الأجناس اهـ على ان هذا الحديث قد طعن فيه الشيخ أبو عبد الله محمد بن عباد رضى الله تعالى عنه وقال الحافظ زين الدين العراقى فى تخريجه أحاديث الاحياء انه ضعيف وقال فى محل آخر رواه أحمد مختصرا فى كون عبد الرحمن بن عوف يدخلها حبوا دون فقراء المسلمين والمهاجرين وفيه عمارة بن زياد مختلف فيه وقال أيضا فى الحديث الذى روى أنه قال له اما انك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتى وما كدت أن تدخلها الا حبوا رواه البزار من حديث أنس باسناد ضعيف وقال أيضا فى الحديث الذى رواه الحاكم أنه قال يا ابن عوف انك من الأغنياء ولن تدخل الجنة الا زحفا ضعيف وقال فى الحديث الذى رواه الطبرانى فى الأوسط آخر الانبياء عليهم الصلاة والسلام دخولا فى الجنة سليمان بن داود لمكان ملكه وآخر أصحابى دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لأجل غناه فيه نكارة (قلت) فخرج من هذا ان تلك الأحاديث الواردة فيه كلها ضعيفة ومن نقلها من الأئمة على ظاهرها فانما ذلك لقصد التعبير كما رويته فى عن ذلك بغير هذا وأمثاله ولله در الشيخ تاج الدين رضى الله تعالى عنه حيث قال فى أحد جوابيه فى تمويه عن قوله تعالى فى حق الصحابة منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ان للسيد ان يقول لعبده ما شاء وعلينا ان نتأدب مع عبده لثبوت نسبته منه فليس كل ما خاطب السيد به عبده ينبغى أن نثبته للعبد ولا نخاطبه به اذ للسيد أن يقول لعبده ما شاء تحريضا لعبده وتنشيطا لهمته وقصده وعلينا ان نلتزم حدود الأدب معه الى آخر كلامه ومن هذا القبيل قول الامام الشافعى رضى الله عنه فى بعض نصوصه وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة لها شرف تكلم فيها فقال لو سرقت فلانة لامرأة شريفة لقطعت يدها قال الشيخ تاج الدين السبكى رضى الله عنه فانظر الى قوله فلانة ولم يبح باسم فاطمة تأدبا منه ان يذكرها فى هذا المعرض وان كان أبوها صلى الله عليه وسلم قد ذكرها لانه يحسن منه مالا يحسن منا اهـ وقد جرى على هذا الأدب الامام أبو داود رضى الله عنه فى سننه فانه أخرج فيه حديثا فيه شئ يتعلق بعبد المطلب فلما انتهى الى آخره قال فذكر تشديدا ولم يصرح بشئ ويرحم الله الشيخ أبا عبد الله بن عباد رضى الله عنه حيث قال لما ذكر بعض المفسرين عبد الرحمن رضى الله تعالى عنه فى نحو هذا المعرض المتقدم

وشانه مشافهتها قال أي بأمر يتصل حمدا كاد لمثله يمرق الكاغد الذي فيه رسم ويكسر
القلم الذي به كتب ورسم اهـ ولا شك أن ذلك حظ من مزيته وأدائه له وقد روى الترمذي وابن
حبان في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا من
بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني
فقد آذى الله فيوشك أن يأخذه ومن المتفق عليه حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه
لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه
وسبب وروده أنه كان بين عبد الرحمن بن عوف وخالد بن الوليد رضي الله عنهما شيء فسبه
خالد فقال النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ومثل هذا قال وإن كان المقول له صحابيا تنبيها على
حفظ الصحابة عن ذلك ونبها الفاضل أن يتعرض للأفضل الذي تقدمه بشهود المواقف الفاضلة
فيكون من دونهم بالنسبة لجميعهم من باب أولى ويلحق هذا الحديث بعض المحدثين عن
طالب صحبته وتأمل معه واتبع وهاجر كعبد الرحمن الوارد بسببه ولكن العبرة إنما هي بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب كما ذهب إليه الأكثر وصححه عياض هنا ولله در الشيخ أبي محمد بن
أبي زيد رضي الله عنه حيث قال في باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة من رسالته أن
لا يذكر أحد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم إلا بأحسن ذكر والإمساك عما شجر بينهم
وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب ولما ذكر النوع الأول
من الزهد وهو الزهد في المال أشار إلى النوع الثاني منه وهو الزهد في الجاه والرياسة فقال رضي
الله تعالى عنه

﴿لك الصبر عن جدوى الورى ولك الثنا * ولا حرق عن بارق في الحشر﴾

الجدوى المدح لغة إخوان وهما العطاء والنداء على الجمل من نعمة وغيرها يقول جدت الرجل
على إمامه وجدته على حسبه وشجاعته والورى الخلق واللام المقدرة السبب بمعنى على كقوله
تعالى ويخرون للأذقان أي عليها وعلى من ألفاظ الوجوب فالمعنى ويجب عليك شرع الطريقة
الصبر عن جدوى الورى وأتى عنه باللام الدالة على الملكية لضرورة الوزن مع الإيماء إلى أن
المصنف بما تقدم من المجاهدة والمحاسبة والمراقبة والورع والزهد في المال سهل عليه الزهد
في الجاه وصار طوع يده كأنه من جملة خدمه كذلك كما تقدم في المستصلة من كلام الشيخ
أبي طالب رضي الله تعالى عنه والصبر مبتدأ وخبره في المجرور قبله وعن جدوى الورى متعلق
بالصبر وقوله ولك الثنا فيه احتمالات الأول أن يكون الكاف زائد واللام بمعنى عن وكذا
ذلك غير خارق للسان فالمعنى عليك الصبر عن الجدوى عن الثناء وهو الأنسب بما يأتي في
الموارد الثاني أن يكون اللام بمعنى من وهو غير أنسب والكاف غير زائد والمعنى يجب
عليك الصبر عن جدوى الورى وتطلب ملك الثناء عليهم في محله والاستغناء بهم لعدم حمدهم لك
لو فعل ذلك من الذي سمعته الثالث أن يكون اللام على بابها والكاف في موضعها أيضا
فيكون المعنى عليك الصبر عن جدوى الورى ولك الثناء من الله على ذلك الصبر فيكون موافقا لما
بعد في المعنى أي يكون هو وما بعده سببا للمزيد واحتمالا لكي عزمه أن يعقد عقيبه
هذا الصبر ويقويه لكامل همته على تحمل أعبائه ثم قوله ولك الثنا أصله المد
ولكن لما كان في محل الوقوف وهو نصف البيت قصر على أنه من بعض على الممدود كذلك

فيها ويكرر كما صرح به غير واحد من المحققين ﴿وقد صورة ما أجاب﴾ وبها

ومنها أحد حمزة وهشام من القراء وقوله ولاخير لا واسمها وفي عز خبرها ويفارق في الحشر صفة لعز ويصح في راء يفارق الفتح والكسر اسم فاعل ومفعول لان من فارقك فقد فارقته

﴿يقول﴾ والله أعلم يجب عليك الصبر أيها المريد عن حمد الورى لك وعن ثنائهم عليك بحيث تفر من أسباب ذلك ما أمكنك وتعاملهم بنقيض مقصودهم حتى تخلص منهم ومن ثنائهم أو يبطل منك الثناء عليهم في محله والاتكرههم لعدم حمدهم لك أو ولك الثناء من الله على صبرك عن حمدهم لك كما وردت بذلك الأخبار وشهدت بوحدانه قلوب الاحبار كل ذلك يحتمله كلامه على انك ان تنبهت وفتحت عيني قلبك رأيت انه ليس هنالك ما يصعب عليك لان تعززك وتزملك بحمدهم لك أمر ينزرقك بنفس مفارقتك للدنيا أو قبل ذلك لان الدنيا لها انقلاب وأحوالها تدور كدوران الدولاب ومسائلها تذهب سريعا كمر السحاب وتذهب ويبقى الحساب والعاقل انما يلتزم صحبة من يدوم ويوجعه كل شئ وجعه وان دخل قبره دخله معه وليس ذلك الا الاتيان بما أمره به مولاه من الطاعات والاداب لما بدنه انه من نوافل الخيرات ويقنع بحمد الله له وثنائه عليه ويكتفي بعلم الله به عن حمد الخلق له وثنائهم عليه وعلمهم به وغير ذلك من الترهات والحاصل لاخير في صحبة من يخونك أحوج ما تكون اليه ويفارقك بين الوقوف بين يديه ويسلمه يوم العرض عليه وأصل البيت قوله في العوارف في موضعين الاول قال فيه والصبر عن محمدة الناس والصبر عن الخمول والتواضع والذل داخل في الزهد وان لم يدخلا في التوبة وكل ما فات في مقام التوبة من المقامات السنية والاحوال يوجد في الزهد وهو ثالث الاربعة التي ذكره والثاني قال فيه وقال السري الزهد ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا ويجمع هذا الحظوظ المالية والجاهية وحب المنزلة عند الناس وحب المحمدة والثناء انتهى ومن الزهد في الجاه الزهد في كثير من العلوم التي أولع بها الخلق لانها تزيد في جاههم وترفع عند الخلق من قدرهم ثم هي منها ما يرجع الى الظاهر وهو كثير ومنها ما يرجع الى الباطن كحال كثير من المتسمين في انكبابهم على قراءة مصنفات القوم وأخذهم في دقائق التوحيد الخاص وعلوم المواجيد والحقيقة بالفهم مع الخلو عن العمل والحال وعدم التعريج على التحقق في مقامات الانزال فرحين بما بالوا من الفهم متوهمين ان ذلك حقيقة ما أشار اليه القوم فحرموا التحقيق والعمل وتعلقوا بالاماني والامل وبقوا في حظة القصور ودائرة الفتور وصدق فيهم ما كان سهل رضي الله عنه يقول بعد سنة ثلاثمائة لا يحل ان يتكلم بعلمنا هذا لانه يحدث قوم يتصنعون للخلق ويتزينون بالكلام تكون مواجيدهم لباسهم ومعبودهم بطونهم وحيلتهم كلامهم وفي روايه عنه انه أوصى عند موته فقال من كان عنده شئ من كلامنا فليدفنه ولا يظهره فانه بعد سنة ثلاثمائة الى مافوقها يصير زهد الناس كلامهم وعبادتهم لباسهم ومعبودهم بطونهم لا يعبأ الله تعالى باعمالهم وكيف لا وتلك العلوم والمعارف ليست مما يدرك بالدرس والبحث ومطالعة كتب القوم وحفظها وترتيب ألفاظها والتشدق بها وليس ما يحصل في الفهم بواسطة الالفاظ من صور معانيها المنتقشة في القوة المتخيلة هو ما أشار اليه القوم من علوم الاذواق والكشوف والمشاهدات للفرق بين التحقق بالشئ والفهم له بل لا نسبة بينهما لانها غريبة كثيرة الغموض دقيقة المعاني غاية في الرفعة بعيدة بالجملة والتفصيل عن جميع ما عبر في عالم الملك والشهادة خارجة عن المألوفات مباينة لكل ما نشأ الخلق عليه ولم يشاهدوا غيره من محسوسات ومعقولات

ذكر الله ... القصور ... [illegible]

وضروريات وطرقات ولا يدرك بقياس ولا تنور بواسطة لفظ ولا تحمل عليها حجة معنى
كما كان يقال فلا يعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وهي ليست علوم دراسة وإنما هي علوم
وراثة يحصل بسبب طهارة القلوب وزكاة النفس قال الله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وقال
عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم ولا بد فيها من تقوى
نسبة الفراسة الموهبة الموروثة كعقد الهمة أحكام رابطة الحجة ودولة نطقه الأمانة
من طلب الولاية وعلومها في نسبة الإرادة وظهور حسن السعادة وذلك يكون بسهر الدياجر
وظما الهواجر وأنواع الرياضات والمجاهدات وفطم النفس عن العادات والمألوفات والدؤوب
على الطاعات والتعرض بأعمال البر الموصلة إلى أعلى الدرجات وقطع العلائق والاستنادات
وصرف الهمة إلى الحق والاعتماد عليه في جميع الحالات إلا عما يسع رباني عالم صمداني
والاستسلام لحكمه والامتثال لأمره قال الجنيد رضي الله عنه ما أخذنا الطريق عن القيل والقال
ولكن من الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات والحاصل أن الحق وعلم أسرار
القوم إنما تنال من طريق الإرادة فلنرجع إلى ما كنا بصدده فنقول قال الشيخ أبو طالب رضي
الله عنه ومن الزهد عند الزاهدين ترك فضول العلوم التي علومها تدل على الدنيا وتدعو إلى الجاه
والمنزلة عند أبنائها ومما لا ينتفع به في الآخرة ولا يقربه إلى الله عز وجل ويشغل عن عبادة
الله عز وجل ويفرق الهم عن اجتماعه بين يدي الله عز وجل ويقسي القلب عن ذكر الله
عز وجل ويحجبه عن التفكر في آلائه وعظمته وقد أحدث علوم كثيرة لم يكن فيما سلف
أحدثها المتأخرون علماً وجعلوها لطلوب سبلاً إنما وانقطعوا عن الله عز وجل وتحولوا بين
مشاهدة علم الحقيقة لا يستطيع ذكره الكبير أهلها إلا أن يسأل عن شيء منه أعلم به وأمكم
أحق أم بينة أمر وحكمه أم زخرف وغرور ورأسه هوى عسى أم محدث وبدعة وفي حفظه بحسن
ثواب لك ومن فضل الزهد الزهد في الرياسة على الناس ومدح الخلق أشد من الزهد في
الدينار والدرهم لأنهما قد يبذلان في الرياسة وكان يقول هذا باب غامض لا يبصره إلا سماسرة
العلماء وقال الفضيل بن عياض المحبوب إن المال أيسر من إرادة الرياسة فقد يبذل جاهل انتهى
وما أجمل هنا من العلوم المحدثة فقد فصله الشيخ في موضع آخر فقال وقد ابتدع الناس
علوماً لم يكن فيما سلف منها علم الكلام والجدل والمقاييس والنظر والاستدلال على سنة
الرسول صلى الله عليه وسلم بأدلة الرأي والمعقول ومنها ابتداع علم الرأي والقياس على ظواهر
القرآن والآثار ومنها إظهار الإشارات بالمواجيد من غير علومها ولا بيان بعملها وفي ذلك تحيير
للسامعين وإضلال للغافلين وإنما كان العلماء قبل ذلك يظهرون علم التوحيد ويخفون الإشارات
بالوجد ويظهرون للناس ما ينفع ويخفون ما يضر ولأن المواجيد أحوال أعمال قلوبهم فكتمها
أفضل وعلومها أنفع للمريدين والعاملين فإظهارها في الغيبة لهم فأظهروا وجدهم وأحبوا وجدهم
لأنه سر لهم فسلموا من السمعة والرياء وأعطوا السامعين نصيبهم ومنعوهم ما ليس لهم فقد لوافي
الموصفين معاً وصلوات الخالق جميعاً فجهل هذا الآن فأظهر ضد ما كان إلى الفقير وأقرب من
السلامة إذ من لم يحسن الفعل ولم يؤثر العلم فإنه يحسن الصمت لأن من لم يتكلم بعلم سمع
به على نفسه فسكوته أقرب إلى الله عز وجل ومثله كما قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما
آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها ومنها إظهار علوم المعرفة بمعاني الرسم للمبتدئين وأهل الغرة

تكبرا منهم فلا يجعلون محلهم وليضرب اليهم من الاسباب على مقدار ألسنتهم وأحوالهم وهذا من أكبر أبواب الدنيا وأضره على مريد الآخرة وأعظمه تمويها فى الدين ومنها الكلام فى التوحيد بمخالفة علم الشرع وان الحقيقة تخالف العلم الظاهر والحقيقة هى علم وهى أحد طرقات الشريعة وعلم الشريعة عمادها وكشف سابيها وهى التى أوجبته واقتضته وهى عزيمة وصنعة وعلم الظاهر الرخصة والسعة فمن تكلم فى العلم الباطن على غيرة اعداء العلم الظاهر وأصوله فهو الحاد فى الشريعة وواقعة بين الكتاب والسنة ثم قال ومنها الكلام فى الدين بالوسواس والخطرات من غير ردها واحسدها الى الكتاب والسنة والواجب معرفة تفصيلها او نفى مالم يشهد له الكتاب والسنة منها ادفى المواجيد ضلال وغرور وفى المشاهدات باطل وزور وذكر فى موضع آخر من العلوم المحدثة علم النجوم والعروض واعلم ان الزهد فى المال والجاه يتنوع بحسب قوته وضعفه الى ثلاثة أنواع وقد تولى بيان ذلك أبو حامد رضى الله عنه مع زيادة بيان فى المرغوب فيه وعنه فقال الزهد فى نفسه تفاوت بحسب تفاوت قربه على ثلاثة درجات الدرجة السفلى منها أن يزهد فى الدنيا وهو لها مشته وقلبه اليها مائل ونفسه اليها ملتفتة ولكنه يجاهدها ويكفها وهذا يسمى المتزهد وهو مبدأ الزهد فى حق من يصل الى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد والمتزهد يذيب أولا نفسه ثم كيسه والزاهد يذيب أولا كيسه ثم يذيب نفسه فى الطاعة لا فى الصبر على ما فارقه والمتزهد على خطر فانه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود الى الدنيا والاستراحة اليها فى قليل أو كثير الدرجة الثانية ان يترك الدنيا طوعا لاستحقاره اياها بالاضافة الى ما طمع فيه كالذى يترك درهما لاجل درهمين فانه لا يشق ذلك عليه وان كان يحتاج الى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة زهده ويلتفت اليه ويكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده ويظن بنفسه أنه ترك شيأ له قدر لما هو أعظم قدرا منه وهذا أيضا نقصان الدرجة الثالثة وهى العليا ان يزهد طوعا ويزهد فى زهده فلا يرى زهده اذ لا يرى انه ترك شيأ اذ عرف ان الدنيا لا شئ فيكون كمن ترك حصاة وأخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيأ والدنيا بالاضافة الى الله تعالى ونعيم الآخرة أخس من حصاة بالاضافة الى جوهرة فهذا هو الكمال فى الزهد وسببه كمال المعرفة ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات الى الدنيا كما ان تارك الحصاة بالجوهرة آمن من طلب الاقالة فى البيع ثم قال وأما انقسامه بالاضافة الى المرغوب فيه فهو أيضا على ثلاث درجات الدرجة السفلى أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار وسائر الآلام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدى العبد من الاهوال كما وردت به الاخبار ثم قال الدرجة الثانية ان يزهد رغبة فى ثواب الله تعالى ونعيمه واللذات الموعودة فى جنته من الحور والقصور وغيره وهذا زهد الراجين فان هؤلاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعلم والاخلاص من الالم بل طمعوا فى وجود دائم ونعيم سرمد لا آخر له الدرجة الثالثة وهى العليا أن لا تكون له رغبة الا فى لقائه فلا يلتفت قلبه الى الآلام ليقصد الخلاص منه ولا الى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وهو الذى أصبح وهمومه هم واحد وهو الموحد لا يطلب غير الله تعالى لان من طلب غير الله وقد عبده وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد الى مطلبه وطلب غير الله تعالى من الشرك الخفى وهذا زهد المحبين وهم العارفون بالله تعالى خاصة الا من عرفهم وكان من عرف الدنيا وعرف الدرهم وعلم أنه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب الا الدينار فمن عرف الله تعالى

وعرف لذة النظر إلى وجهه الكريم وعرف أن الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالحور والقصور
النظر لنفس المقصود وحصر الا عار عن يمكن ولا تصفو لذة النظر ولا تدوم غير ثم قال وأما
انقسامه بالإضافة إلى المرغوب عنه فقد كثرت فيه الأقاويل ولكن نشير إلى كلام محيط
بالتفاصيل حتى يتضح أن أكثر ما ذكر فيه قاصر عن الإحاطة بالكل فنقول المرغوب عنه
بالزهد له إجمال وتفصيل ولتفصيله مراتب بعضها أشرح من آحاد الأقسام وبعضها أجمل
للجمل أما الإجمال في الدرجة الأولى فهو أن كل ما سوى الله تعالى ينبغي أن يزهد فيه حتى يزهد
في نفسه أيضا والإجمال في الدرجة الثانية أن يزهد في كل صفة للنفس فيها متعة وهذا يتناول جميع
مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها والإجمال في
الدرجة الثالثة أن يزهد في المال والجاه وأسبابهما التي توصل إليهما من جميع حظوظ
النفس والإجمال في الدرجة الرابعة أن يزهد في العلم والقدرة والدينار والدرهم إذ
الأموال وإن كثرت أصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وإن كثرت أسبابه فيرجع إلى
العلم والقدرة وأعني به كل علم وقدرة مقصودهما ملك القلوب إذ معنى الجاه هو ملك القلوب
والقدرة عليها كما أن معنى المال ملك الأعيان والقدرة عليها فإن جاوزت هذا التفصيل إلى
شرح وتفصيل أبلغ من هذا فيكاد يخرج ما فيه الزهد عن الحصر وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة
سبعة منها فقال تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من
الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا ثم رده في آية أخرى إلى
خمسة فقال اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ثم
رد في موضع آخر إلى اثنين فقال إنما الحياة الدنيا لعب ولهو ثم رد الكل إلى واحد في موضع
آخر فقال تعالى ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى والهوى لفظ يجمع جميع حظوظ
النفس في الدنيا فينبغي أن يكون الزهد فيه اه واعلم أن كل مقام لا يصح للعبد حتى يرتفع منه
ثم يشرف عليه فيصححه كما قال شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري ثم الهروي رضي الله عنه
ودليل تكميله أن يعطى حالا من المقام الذي فوقه يرتقي إليه فيصحح به مقامه وهو ما اختاره صاحب
العوارف فإنه فيها واختلف المشايخ في أن العبد هل يجوز له أن ينتقل إلى مقام غير مقامه الذي
هو فيه دون أن يحكم حكم مقامه قال بعضهم لا ينبغي أن ينتقل إلى غير الذي هو فيه دون أن يحكم
حكم مقامه وقال بعضهم لا يكمل له المقام الذي هو فيه إلا بعد رقيه إلى مقام فوقه فينظر من مقامه
العالي إلى ما دونه من المقام فيكمل أمر مقامه والأولى أن ينال الشخص من مقامه يعطى حالا من
مقامه الأول الأعلى الذي سوف يرتقي إليه فيوجد أن ذلك الحال يتمم أمر مقامه الذي هو
فيه ويتصرف الحق فيه كذلك ولا يصادف التي إلى العبد أنه يرتقي أولا يرتقي إلى المقامات التي
يمتزج فيها الكسب بالوهبة ولا تلوح للعبد حال من مقام أعلى مما هو فيه إلا وقد قرب ترقيه إليه
ولا يزال العبد يرتقي إلى المقامات بزوائد الأحوال اه وإذا علمت هذا فاعلم أنه تعالى فيها يترتب
على التوكل كما قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه آخر أقدام الزاهدين أول أقدام المتوكلين
وكان الزاهد أيضا لا يتم ما لم يحط صاحبه بالتوكل بل له ارتباط به وأخص منه حتى جعله
أويس رضي الله عنه شرطا فيه كما سيأتي أشار لذلك فقال رضي الله عنه

﴿وإن مقام الزهد ما حله سوى * برى من التدبير والحول والجبر﴾

هذا البيت والذي قبله في ضمن قوله وان مقام الزهد ماحله سوى أحد في منازله مقام التوكل وهو البريء عن التدبير والحول والجبر المشاهد وعد الحق عين يقينه فاطمأن بذلك اطمئنانا حماه عن تأثير الفقر والوفر وأما الاعراب ومعنى الألفاظ فمقام الزهد اسم ان ومضاف اليه ماقبله وحاصله انما نازله وصار من أهله حقيقة وسوى ايجاب للنفي وبريء مضاف اليه ماقبله ومن التدبير متعلق به والتدبير لغة النظر في عاقبة الأمور والحول الحركة والجبر التلافي وكأنه يشير بقوله والحول والجبر الى لا حول ولا قوة الا بالله اذ معناها لا حركة ولا قدرة الا بالله عبر عن الاستطاعة والقوة بالجبر لانه يرجع الى ذلك لكون الجبر انما يكون بالقوة لما فيه من موافقة السر المقصود فيما عبر به عنه والحول والجبر عطف على التدبير ﴿يقول﴾ والله أعلم وما نازل الزهد اصالة وحله حقيقة بحيث صار مالكا له لا مملوكه الا البريء من التدبير لامره والاحتيال لنفسه والتلافي لشأنه قد ترك ذلك كله لرؤيته حسن تدبير سيده واختياره واعتماده على حول الله وقوته ووثقه بوعده وثوقا أشد من وثوقه بما في يده قال امام الائمة الحسن رضي الله عنه أو غيره وروي مرفوعا ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال ولا باضاعة المال ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك وان تكون في ثواب المصيبة اذا أصبت بها أرغب منك فيها لو لم تصبك وأما اذا اشتغل الزاهد في التدبير وأخويه فلا يصدق عليه اسم الزهد حقيقة لان ذلك رغبة تنافي الزهد ولهذا جعل خير التابعين أويس رضي الله عنه التوكل شرطا في الزهد فقال اذا خرج الزاهد بطلب ذهب الزهد وقال أيضا الزهد ترك للمضمون وقال بعض العارفين رضي الله عنه الزهد انما هو ترك التدبير والاختيار والرضا والتسليم لاختياره شدة كان أو رخاء وقال سهل رضي الله عنه التوكل ترك التدبير وأصل كل تدبير من الرغبة وأصل كل رغبة من طول الأمل وأصل الامل من حب البقاء وهذا هو الشرك وقد جعل الشيخ تاج الدين بن عطاء الله رضي الله عنه التدبير علة في المقامات كلها وقادحا فيها وذلك في كتابه التنوير في اسقاط التدبير قال فيما نحن بصدده وهو الزهد زهدان ظاهر جلي وباطن خفي فالظاهر الجلي الزهد في فضول المأكولات والملبوسات وغير ذلك والزهد الخفي الزهد في الرياسة وحب الظهور ومنه الزهد في التدبير مع الله ثم ان التدبير قد تكلم القوم عليه وبينوا المعنى الذي يكون به قادحا فقال الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه التدبير تقدير شؤن تكون عليها في المستقبل مما يخاف أو يرجى بالحكم لا بالتفويض وبحسب ذلك بالتفويض يخرج من التدبير والتفويض يخرج منه اتفاق القصد على اختيار الحق دون اختيار المبتدا والاعتراض في المنتهى وان كان كذلك لم يقدح تدبير الأمور وقال الشيخ أبو طالب رضي الله تعالى عنه وقد كثر قوله رحمه الله يعني سهل بن عبد الله في ترك التدبير وينبغي أن يعرف معناه ليس يعني بترك التدبير ترك التصرف فيما وجه العبد فيه وأبيح له كيف وهو يقول من طعن على الكسب فقد طعن على السنة ومن طعن في ترك التكسب فقد طعن في التوحيد انما يعني بترك التدبير أي ترك الاماني وقول لم كان كذا اذا وقع ولم لا يكون كذا ولو كان كذا فيما لم يقع لان ذلك اعتراض وجهل بسبق العلم وذهاب عن نفاذ القدرة وشهادة الحكمة وغفلة عن رؤية مشاهدة المشيئة وجريان الحكم ويعني ترك التدبير فيما بقي وفيما يأتي بعد لان فيه مثل هذا يقول فلا تشغل بالفكر فيه والتدبير له بعقلك وعلمك فتقطعك عن حالك في الوقت الذي هو الزم لك وواجب عليك حتى تكون فيما يأتي من الأحكام والتصريف في

ترك التدبير والتقدير رضا بالرضا فيها والقيام أو بعلها من وتعالى عمر أو من عند الى آخر
بالا تقدم والتأخير تكون في ذلك كما كتب فيما مضى الا ترى ان الانسان لا يدري ما تقدم مضى
قال ومعنى ان يكون فيما سبق مثل ترك التدبير له بترك الأماني فيه تعالى ماذ كرنا كبر كه
أيضا فيما مضى فسوى عند الخالق لأن الله عز وجل أحكم الحاكمين ولأن العبد مسلم
للأحكام والأفعال راض عن مولاه في الاقدار مع جولانه وأما المال ترك التدبير فيه المعاني
هو المعنى والمعنى هو مكان المعرفة اذ جعل تعالى مكانا امكن وجعل على قدر المكان ما يليق به وكان
يقول بالمسكين كان ولم يكن و يكون ولا يكون فلما كنت اليوم طلب أنا وانا كن فيما أنت
الآن كما لم يكن فانه هو اليوم كما كان وكان يقول أيضا الزهد اعادة في ترك التدبير وهذا يعني
به ترك الأسباب التي توجب التدبير واخراج السبب الذي يجب تدبير لانه يكون متسببا مقتضيا
للأسباب فهو ترك تدبيره الا ان التدبير في هذا الموضع انما هو التمييز والقيام بالاحكام ووضع
الاشياء مواضعها فكيف لا يكون العبد كذلك مع وجود الاسباب وهو عاقل مميز متعبد بالعلم
مطالب بالاحكام واقامتها ولا ترك الاشياء المدبرة الا بعد في الاسباب المميز حتى يسقط
عنه التدبير والتقدير ويكون متركه باركانه بسقوط أحكامها عنه واستراح من
القيام بها والنظر فيها أصل التبتل وضعت في العوارف الاول وهو الذي أشار فيه الى أن
الزهد يتعلق بالتوكل سنذكر على قوله في القوت الثالث والثاني نذكر أكثر فيها
للفائد مع حذف ما يتعلق بما لم يرد ذكر قال فيها قال السري التوكل الانخلاع من الحول
والقوة وقال أبو بكر الوراق التوكل رد العيش الى يوم واحد وقال أبو بكر الواسطي أصل
التوكل صدق الفاقة والافتقار وان لا تفارق التوكل في أماته ولا يلتفت الى توكله ساعة
في عمره وقال سهل أول مقامات التوكل ان يكون العبد بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل
يقلبه كيف أراد ولا يكون له حركة ولا تدبير قلت والله أعلم أول انه أعلاها وآخرها وأول
القدوم والقدر أناط ارادة اهدائى بعض الاخوان والاقتباس من كلام الامام أبي حامد
رضي الله تعالى عنه أول مراتب التوكل كالرجل مع وكيله الذي عرفه بالصدق ثم كالطفل
مع أمه ثم كالميت بين يدي الغاسل ويكثر التعبير عن هذه الاشياء بحسب الواجد وسهل
كبير القدر جدا على انه سيأتي من كلامه ما يوافق ما أولنا به هنا ثم قال صاحب العوارف
ونبه على ان التوكل على قدر العلم بالوكيل فمن كان أتم معرفة كان أتم توكلا ومن كمل توكله
غاب في رؤية الوكيل عن رؤية توكله ثم ان نور المعرفة مهد صرف العلم بالعدل في القسمة
وان الاقسام قسمت بإرادة المقسوم لهم عدلا وموازنة وان النظر الى غير لوجود الجهل في النفس
وكلما أحس بشيء يقدح في توكله برا من صنع النفس فنقصان التوكل يظهر بظهور النفس
وكماله بفقد النفس وليس للادوية اعتداد لمنع توكلهم وانما يتعلق في نفسه الا من
تقويه مواد العلل واذا غابت النفس انحسمت مادة العلل وصح التوكل والعبد غير ناظر الى
وكلما ترك من النفس نقمة ترد على ضمائرهم سر قوله تعالى ان الله يعلم ما تدعون من دونه من
شيء فعلت وجود الحق وجود الأعيان والأكوان ورأى المكون بالله من غير استقلال المكون
في نفسه ونسيان التوكل حينئذ اضطرارا ولا يقدح في مثل هذا التوكل ما يقدح في توكل
الضعفاء في التوكل من وجود الاسباب والوسائط لانه يرى الاسباب موبالاحما لها الا

حوار الذكر والسبح بالوكيل

بالوكيل وهذا توكل خواص أهل المعرفة بالله اهـ وأما ما أجملناه من ذكر درجات التوكل
الثلاث الذي وعدنا بنقلها عن الامام أبي حامد رضي الله عنه فتفصيلها ما ذكره ان التوكل
مشتق من الوكالة يقال وكل أمره الى فلان أي فوضه اليه واعتمد عليه ويسمى الموكل اليه وكيلا
ويسمى المفوض اليه متوكلا عليه ومتوكلا عليه أي اطمأنت اليه نفسه ووثق به ولم يتهمه بتقصير
ولم يعتقد فيه عجزا وقصورا فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ثم قال فان ثبت
في نفسك بكشف أو باعتقاد جازم انه لا فاعل الا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك تمام العلم
والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد والآحاد وانه ليس وراء
منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة
اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه ولا الى نفسه وحوله وقوته فانه لا حول
ولا قوة الا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقدرة فان الحول عبارة عن الحركة
والقوة عبارة عن القدرة فان كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسببه أحد أمرين اما ضعف
اليقين باحدى هذه الخصال الاربع واما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه
بسبب الاوهام الغالبة عليه فان القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له من نقصان في اليقين
ثم قال فاذا لا يتم التوكل الا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته
فالسكون في القلب شئ واليقين شئ آخر وكم من يقين لا طمأنينة معه ثم قال واذا انكشف لك
معنى التوكل وعلمت الحالة التي سميت توكلا فاعلم ان تلك الحالة لها في القوة والضعف ثلاث
درجات * الدرجة الاولى ما ذكرناه وهو ان تكون حاله في حق الله تعالى والثقة بكفالته
وعنايته كحاله بالثقة والوكيل * الدرجة الثانية وهي أقوى ان تكون حاله مع الله تعالى
كحال الطفل في حق أمه فانه لا يعرف غيرها ولا يفزع الى سواها ولا يعتمد الا اياها فان رآها
تعلق في كل حال بذيلها ولم يخلها وان نابه أمر في غيبتها كان أول سابق الى لسانه يا أماه
وأول خاطر يخطر على قلبه أمه فانه كذا فزعه قد وثق بكفالتها وكفايتها وشفقتها ثقة ليست
خالية عن نوع ادراك بالتمييز الذي له ويظن انه طبع من حيث ان الصبي لو طولب بتفصيل
هذه الخصال لم يقدر على تلفيق لفظه ولا على احضاره مفصلا في ذهنه ولكن كل ذلك وراء
الادراك فمن كان تأمله الى الله ونظره اليه واعتماده عليه كلف به كما يكلف الصبي بامه فيكون
متوكلا حقا فان الطفل متوكل على أمه والفرق بين هذا وبين الاول ان هذا متوكل وقد فني
في توكله عن توكله اذ ليس يلتفت قلبه الى التوكل وحقيقته بل الى المتوكل عليه فقط ولا مجال
في قلبه لغير المتوكل عليه وأما الاول فمتوكل بالتكلف والكسب وليس فانيا عن توكله أي
له التفات الى توكله وشعور به وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده والى هذه
الدرجة أشار سهل حيث سئل عن التوكل ما أدناه فقال ترك الاماني قيل وأوسطه قال ترك
الاختيار وهو اشارة الى الدرجة الثانية وسئل عن أعلاه فلم يذكره وقال لا يعرفه الا من بلغ
أوسطه الدرجة الثالثة وهي أعلاها ان يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناته مثل الميت
بين يدي الغاسل لا يفارقه الا في انه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما تحرك يد الغاسل
الميت وهو الذي قوي يقينه بأنه مجرى الحركة والقدرة والارادة والعلم وسائر الصفات وان كل
ذلك يحدث جبرا فيكون بين الانتظار لما يجري عليه ويفارق الصبي فان الصبي يفزع الى امه

ويصيح ويتعلق بذيلها او يدخلها في مثال هذا المقام حتى علم انه وان لم يرغ بامه فالام تطلبه
وان لم يتعلق بذيل امه فالام تحمله وان لم يسألها اللبن فالام تعطيه وتسقيه وهذا المقام في التوكل
يثمر ترك الدعاء والسؤال ثقة منه بكرمه وعنايته وانه يعطي ابتداء أفضل مما يسأل فكم من نعمة
ابتداها قبل الدعاء وقبل الاستحقاق والمقام الثاني لا يقتضي ترك السؤال من غيره فقط ثم قال
وان قلت فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالاسباب في هذه الاحوال فاعلم ان المقام الثالث ينفي
التدبير رأسا ما دامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالمبهوت والمقام الثاني ينفي كل تدبير الا
من حيث الفزع الى الله تعالى بالدعاء والابتهال كتدبير الطفل بامه في التعلق بامه فقط والمقام
الاول لا ينفي أصل التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض التدبيرات كالموكل على وكيله في
الخصومة فانه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي أشار اليه وكيله به
والتدبير الذي عرفه من عادته وسنته دون صريح اشارته الى آخر كلامه فانظره ثم ذكر سر
هذا الفرق من التدبير والترك والقدر وما أصل ترك ذلك فقال رضي الله عنه

﴿وشاهد وعد الحق عن ثقة * فلا أمن في وفر ولا خوف في فقر﴾

وعد الحق مفعول شاهد والحق من أسمائه تعالى وتقدس وقد تقدم وعن ثقة اما ظرف
على حذف مضاف أي شاهد عن ثقة أو منصوب على اسقاط الخافض أي بعين ثقته لانس
نظر وفلا أمن في وفر الفاء سببية وأمن اسم لا مبني والمجرور خبرها والوفر المال والمتاع الكثير
الواسع وقيل العام من كل شيء ولا خوف في فقر اعرابه كاعراب ما قبله حرفا بحرف وهو معطوف
عليه أي نسقا على قوله في وفر وفي فقر التسمية كقوله عليه السلام امرأة دخلت النار في هرة
وبين الامن والوفر مع الخوف والفقر من أنواع البديع المقابلة وهي ان يذكر أمرين فصاعدا
ثم يذكر ما يقابل ذلك لفظة لفظة وقد ذكر أولا الامن والوفر ثم قابلهما بالخوف يقابل الامن
والفقر يقابل الوفر ﴿يقول والله أعلم﴾ وليست براءته وانسلاخه من التدبير وآخره بشاهد
وعد الحق تعالى وتقدس عادته وما قسم له عنده بعين ثقته كأنه قد أخذ الموعود به اذ يقول
تعالى ومن أوفى بعهده من الله انه كان وعده مأتيا لكمال قدرته وثقته تشهد وتحقق وفاء
وعده وكمال صدقه وحسن تدبيره وسعة رحمته بين غاية يده أشد من وثوقه بما في يده لانه
وان كان بيده فقد يكون ليس هو نصيبه ولا رزقه فلا أمن عند مشيئته على الفقر كما هو حال أهل
التوكل الواثق مع العوارض والوسائط فما من يسكن وأمن الوفر ويضعف سكونه ويضمحل
مع الفقر واشاهدوا في وعد الله ومطمئن عليه بالله لا فرق عنده بين حالتي والفقر لدوام نظر
المولى وعدم تعريجه على سواه فيصدر السبب سبب ابتداء التوكل وبساطه الذي هو السماء لو كمل
الحق وتجرده في حالة غير التوكل وهو الواقف مع العوارض عن التوكل الواثق بربه الواقف
معه قال الشيخ أبو طالب رضي الله عنه حال التوكل سكون القلب عن الاستشراف الى العبيد
والتطلع وقطع الهم عن الفكر فيما في أيديهم من المطمع عاكف القلب على المقلب المدبر
مشغول الفكر بقدر التصريف المقدر لايحتج بعدم الاسباب على ما يحضر العلم عليه وقد
لا يمنعه ان يقول الحق وان يعمل به أو يتولى في الله ويعادي فيه خشية الاسباب على أيدي
الخلق فيترك الحق خائفا منهم أو طمعا فيهم أو خشية قطع المنافع المعتادة ولا يدخله طوارق
الحاجات ونوازل الضرورات في الاختلاط في أهواء الناس والميل الى الباطل والصمت عن

ثم هو هو وقاصد بين بذلك ذكر الله تعالى موقنين بالوحدة والشوق بما هم عليه

حق

حتى ان لزمه أو يوالى عدوا أو يعادى وليا أو ايرب بذلك حاله عندهم أو يشكر بذلك ما أسدوه
اليه بالكف عنهم ولا يرب الصنعة التى عرف بها لنظره الى الصانع ولا يتصنع لمصنوع دخلة
لعلمه بسبق الصانع لدوام مشاهدته ولا يسكن الى عادة من خلق ولا يثق بمعتاد من مخلوق اذ قد
أيقن برزقه وسمعه وبصره من واحد فهذه المعانى من فرط التوكل وان وجدت فى عبد خرج بها
من حد التوكل دون فضائله وتدخله فى ضعف اليقين ثم قال فالتوكل قد علم يقينه ان كل ما ناله
من العطاء من ذرة فما فوقها ان ذلك رزقه من خالقه وان رزقه هو له وان ماله واصل اليه لا محالة
على أى حال كان وان ماله لا يكون لغيره أبدا فقد نظر الى قسمه ونصيبه من مولاه بعين يقينه
الذى به تولاه من أحد ثلاث مشاهدات ان دنت مشاهدته نظر الى قسمه من العطاء فى الصحيفة
التى كتب له عند تصويره خلقه فكتب فيها رزقه وأجله وأثره وشقى أو سعيد فكما لا يقدر أحد
من الخلق ان يجعله سعيدا ان كان قسمه شقيا ولا يقدر ان يجعله شقيا ان كان قسمه سعيدا
كذلك لا يقدر أحد ان يمنعه ما أعطاه مولاه من القسم ويجعله مرزوقا ان ذلك قد كتب كتابا
واحدا وجعل سواء وان ارتفعت مشاهدته نظر الى هذا فى اللوح المحفوظ مفروغ له منه وهو
ام الكتاب الذى استنسخ منه هذه الصحيفة وكان يقينه بكتب رزقه فى اللوح المحفوظ وانه
لا يزاد فيه بحول ولا حيلة ولا ينقص منه لعجز ولا سكينة كيقينه بما كتب فيه انه من أهل الجنة
يدخلها لا محالة وان عمل أى عمل بعد ان يكون قد كتب اسمه فى اللوح ومن جعل له فيها أثر
كقوله عز وجل ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون فقد
كتب الآثار والارزاق من كل شئ كتابا واحدا فى ثلاثة مواضع توكيد العلم وتسكينا للقلب فى
القسم كتب ذلك فى الذكر الاول وهو اللوح المحفوظ ثم فى الزبور الاول من الصحف ثم أنزل بعد
ذلك فى كتابنا وهذا الذى به عرفنا ما سلف من ذلك وان علت مشاهدته العلى الاعلى لعلى مرتبته
ونفوذ علمه وقوة يقينه اذ مشاهدة كل عبد من مقامه من معبوده ومن مكانه فى دنوه وعلوه شهد
هذا الذى ذكرناه معلوما فى علم الله عز وجل قبل خلق اللوح وسكن قلبه واطمأن الى علم
الله عز وجل وما سبق منه له ولهذا جاء الاثر ان الزهد فى الدنيا ان تكون بما فى يد الله عز وجل
أوثق منك بما فى يدك وان تكون فى ثواب المصيبة أرغب منك فيها لو أنها بقيت لك أى فيقول
حرصك لنفاد مشاهدتك ويذهب طمعك فى الخلق لوجود زهدك فهذا هو الرضا وقد جمع
التوكل الزهد والرضا فيما يرى الله عز وجل هو رزقك الواصل اليك لا شك فيه على أى حال
وهو الذى لك عند الله عز وجل وهو معلوم علم الله الذى لا ينقلب وذلك أحد ثلاثة الاشياء
ما أكلت فأفنيت ولبست فأبليت وتصدقت فأمضيت فهذا هو الذى لك فى الدنيا من الآخرة
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ابن آدم مالى مالى يا عجبا من جهل ابن آدم وغفلته
ثم قال لك من مالك فذكر هذه الثلاثة واشترط مع كل واحدة آخر غايتها فقال ما أكلت فأفنيت
ولبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت فاشترط الافناء والابلاء والامضاء ثم قال بعد ذلك وما سوى
ذلك فهو من مال الوارث وهذه الثلاث على هذه الاوصاف هى رزق العبد وهى التى فى يد الله
عز وجل له وهى الواصلة اليه فأما ما فى يد العبد فقد لا يكون له انما هو مستودع اياه ومستخلف
فيه وان تملكه وحازه خمسين سنة وانما فرغ له منه فان تملك سوى هذا أو ادعاه لاجل انه فى
خزانته أو قبض يده فذلك لجهله بالله وقلة فقهه عن الله عز وجل وغفلته عن حكمة مولاه الذى

لو عرف حكمة الله وقدرته علم ان صدقته وخزائنه وبيده من خزائن الله عز وجل في أرضه يودعها
ما يشاء الى الوقت الذي وقت فيقسمه بعد من هي له كما شاء بعد قال عز وجل فمستقر
ومستودع وقال لكل نبأ مستقر وقال ولله خزائن السموات والارض اهـ وقد يحمل كلامه
على هذا المحمل وذلك لان الوعد أحد أقسام الكلام وكلامه وصفه فمعنى قوله بما هو وعد الحق
أي وصفه وليس المراد خصوص صفة الكلام بل الجنس ويستقيم بذلك أيضا الكلام ويبين
استشهاد فخر الدين على صحته من غير احتياج ان يكون في نسخته وذلك لان صاحب حصر
الاوصاف لا يقف مع ظواهر الامور بل ينفذ ببصيرته الى ما تحت الظواهر وظاهر الوصف لا يحكم
على باطنه فمن ثم لا يأمن من الوفر ولا يخاف في الفقر وأيضا الاوصاف متنوعة منها له أوصاف
جمال وهي الرجا وأوصاف الجلال وهي للخوف ومن اقوى اخطار بالبال حظوظ متقابلة ومن
ثم أيضا يجد صاحب حصر الاوصاف لا يرجى الاخاف ولا يخاف الا رجا والوفر من أوصاف
الجمال والفقر من أوصاف الجلال فلذلك لا يأمن أيضا في الوفر ولا يخاف في الفقر بل ولا
بأس عنده ولا حال ولا ساكن وجدا ولا يأس وعنده ابن سبق كالخط في الهواء لا محالة الا مولاه
ولا يعتد له سواه ولا أمر له الاجما والى هذا المعنى يشير ما ذكر عن حمدون القصار رضي
الله عنه انه سئل عن التوكل فقال ان كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دانق لم تأمن ان تموت
ويبقى ذلك في عنقك ولو كان عليك عشرة آلاف درهم فلا تأمن عمران تترك وفاء لا تيأس من الله
تعالى ان يقضيها عنك ترد السائل لاصل التوكل ومعنيه وأيضا على ٧ لنظر الى المدد
وهذا الاحتمال فيه من محلا رسمناه في المستعد سنوضحه ان شاء الله تعالى واعلم ان التوكل
له شرف عظيم وكفاه فخرا ما ذكره عن سهل رضي الله عنه وهو قوله العلم كله باب من التعبد
والتعبد كله باب من الورع والورع كله باب من الزهد والزهد كله باب من التوكل وقال ليس
للتوكل حد ولا غاية ينتهي اليه اهـ وهذا آخر ما عنده من المقامات التي يطلب عنها أهل الخرابة
المعمورة ومارها العمد عمارها عمارة ماء النسان لعمد عمار الخرابة الحسية وذلك ان ما سبق له
التوبة وأرعد أرض ولسه دعود الرحوهيت فيها مسرات رياح الانس وأصابها صبيب
المدد والتوبة حتى تمكن منها الري وغرس فيها شجرة من نسل دوام العمل وحرث ذلك
بحرات المجاهدة ونقى نباته من الحشيش المفسد للنبات بآلة المحاسبة والمراقبة ثم لم تحبس عنها
المطر فاوسعه بحسب استكثر فيها غصب لبائل الورع ومطر دعه نطع الزهد ووابل نبات التوكل
وكانت أرضه تلك داخل طاعة أمير الشيخ الرباني وتحت دائرته ولايته كي تسلم من فساد جنود
هوى طغيان النفس والهوى فقد سلك فلاحه وربحت تجارته وتحقق معاشه وان له ان يعد
ايدارا أوسط مدن أهل التوحيد وحزبانس خوابط أهل التفريد وقابعا ذلك بدار
أهل التفريد وقد صار من تجار اهل الحضرة وأحد رجال الفطرة ولما فرغ من الكلام على
الركن الثاني وما هو من تتمته وكان ركن التوبة وركن الزهد مشتملين على جميع المقامات أشار
لذلك فقال رضي الله عنه

﴿في التوبة والزهد المقامات كلها ٭ فروضهما من طيبه عن السر﴾

المقامات مبتدأ وكلها تأكيد له وخبر المبتدأ في التوبة والزهد والروض مجمع الماء والخضرة
والمراد بها الرياض والروض مبتدأ وعن السر خبره والسر هنا الزرع الطيبة ومن طيبه

٭ مستمد من السنة المطهرة أو من أحد من السلف الصالح أم لا ومن جملة اعتراضه وسده مما

متعلق بعبق ومن فيه تعليلية والضمير في طيبه عائد على الروض والمقامات بتأويل ما ذكر واستعار التوبة والزهد لانهما لما اشتملا على كل المقامات صارا شبيهين بروض أزهار ورياحين وشبه المقامات بالازاهير والرياحين وتقديره بالمقامات كلها في التوبة والزهد فروضهما من شدة طيبه أوطيبها عبق النشر أي قوي الرائحة والتعطر به ان تكون المقامات كلها في التوب والزهد من ثلاثة أوجه الوجه الاول ان التوبة والزهد اذا كملا اشتملا على المقامات كلها بالفعل اشتمال الظرف على المظروف واندرجت فيها لان التوب في مبتداها تحتاج الى الزاجر والانتباه واليقظة وتستقيم بالمجاهدة والمحاسبة والرعاية والمراقبة والورع ولا يستقيم ذلك الا بالصبر باقسامه كل بحسبه وما فات منه دخل في الزهد كما قدمناه وتشتمل أيضا على الخوف والرجاء لان الرجاء حامل على الخوف من وفاة المرتجى والخوف حامل على التوبة وتشتمل أيضا على الانابة وعلى رؤية عيوب الافعال لانهما من ضرورة صحة التوبة وعلى مخالفة النفس والتقوى وعلى الشكر لان الشاكر يقيد الجوارح عن المكاره والا لم يكن شاكرا وعلى الرضا لانه ثمرة التوبة النصوح وعلى المحبة لاشتمالها على الحب العام الذي هو للحب الخاص المشتمل على جميع الاحوال عثابة الجسد حسبما يأتي تفصيله ان شاء الله تعالى في المحبة وعلى الاخلاص والصدق وغير ذلك من المقامات والزهد ويشتمل على الفقر لان الزهد فقر وزيادة كما يأتي وعلى التوكل اذ به يتحقق الزهد كما ان الزهد مقدمة للتوكل والتوكل مقدمة للرضا وعلى المحبة والمعرفة لانه لما كان الزهد كما قدمنا لا يتم الا بالثقة بالله والتوكل عليه والاستسلام له كما جاء في الخبر أو الاثر الزهد ان تكون بما في يد الله أوثق الخ فلا يثق به ويعتمد عليه الا لمعرفته به ولا يفرح بما يصيبه الا لمحبته له قال الشيخ أبو طالب رضي الله عنه الزهد يجمع التوكل والرضا ألا تسمع الى الخبر الذي جاء في الزهد ان تكون بما في يد الله عز وجل أوثق منك بما في يدك فهذا هو التوكل قال وان تكون بثواب المصيبة افرح منك لو انها بقيت لك فهذا هو الرضا ثم ان المعرفة والمحبة داخلتان فيه فأي مقام أعلى من مقام جمع هذه الاربعة وهي غاية الطالبين اه وكل مافات في التوبة يدخل في الزهد وقد تقدم تفصيل كثير من هذا في باب التوبة والمجاهدة والمحاسبة والمراقبة والورع والزهد وغيرها فراجعه في محاله وأصل البيت على هذا ماتقدم في الابواب المذكورة من العوارف مع قوله اثر ماقدمناه على قوله وفي التوب حال الخوف البيتين ثم ان التائب حيث قيد الجوارح عن المكاره واستعان بنعم الله على طاعة الله فقد شكر النعم لان كل جارحة من الجوارح نعمة وشكرها قيدها عن المعصية واستعمالها في الطاعة ترى شاكرا للنعمة أكثر من التائب المستقيم فاذا اجمع مقام التوبة حال الزجر وحال الانتباه وحال التيقظ ومخالفة النفس والتقوى والمجاهدة ورؤية عيوب الافعال والانابة والصبر والرضا والمحاسبة والمراقبة والرعاية والشكر والخوف والرجاء واذا صحت التوبة النصوح وتزكت النفس انجلت مرآة القلب وبان قبح الدنيا فيها فحصل الزهد والزاهد يتحقق فيه التوكل لانه لم يزهد في الموجود الا لاعتماده على الموعود والسكون الى وعد الله تعالى هو عين التوكل وكل مابقي على العبد من بقية تتحقق المقامات كلها بعد توبته يستدركه بزهده في الدنيا وهو ثالث الاربعة ثم قال فاذا صح زهد العبد صح توكله أيضا لان صدق توكله بكنه من زهده في الموجود فمن استقام في التوبة وزهد في الدنيا وحقق هذين المقامين استوفى سائر المقامات وتمكن فيها وتحقق بها ثم قال فاذا تاب توبة

بصوحانم زهد في الدنيا لا يهتم في غدائه لعشائه ولا في عشائه لغدائه ولا يرى الادخار ولا يكون
له تعلق همّ بعده فقد جمع في هذا الزهد والفقر والزهد أفضل من الفقر وهو فقر وزيادة لان
الفقر عادم الشيء اضطرارا والزاهد تارك الشيء اختيارا وزهد بمعنى توكله وتوكله بمعنى رضا
ورضا بمعنى الصبر والصبر بمعنى حبس النفس وصدقه وحبس النفس لله بمعنى خوفه وخوفه
بمعنى رجاء ويحظى بالتوبة والزهد بكل المقامات انتهى الوجه الثاني وهو الذي وعد بأنه
لا ينال شيء من المقامات الا بالزهد فيه والتوبة عنه وهذا كلام ينكره من لم يطلع بحله ويتغافل
عنه من هو من أهله فليحاول في طرح مقالة وكيف يثني من يتواجد له وأمل المثال ينظر الى
بمساق ذلك فمن علما بما نخبه بسالة مختامه وما تحته صلى الله عليه وسلم وعلى آله يقول والله
المستعان وعليه التكلان ان العبد اذا عظم بعظمته لمولا وكان يطلبه بهودون ما سوا
ويوبت دواعي انشائه لما يأتي همه الا اياه ويسكن ويستمر ان وجهت وانتيب سواه
ويستدل ول ذلك الدوا

ان كان منزلتي في الحب عندكم * ما قد رأيت فقد ضيعت أيامي

وكذلك ان خطر له غير الله بما ثابت همه سر نفاو رأى ذلك من نفسه من أعظم الجنايات
كالردة ونقض العهد ولا يلوح له مرتبة من المراتب أو مقام من المقامات الا ويتوب من الوقوف
معه أو زهد فيه رغبة في سير واحتسابا له وهذا غاية في التوبة والزهد ومن عكس عليه
مولاه من نفسه واستولت على سويدائه ولعبت به كسبه الدواعي الحمقى فلو ملك والحالة هذه
الدارين واستغرق في العالمين لم يزل عن ذلك كله واصفا الله بلسان حاله ومقاله

خولني علما ولا به ملكتها * وبأي خبوتي كل تلك المراتب

ولو حصرت كونه ولما ملكا أو ولما عبد الدواعي واختيار المودة اذ تواضعه باسمي عن شهود
عظمة الربوبية وبمعنى حقارة الاصلية بهذا نسابه وأما بالذات لا تختلف ولا تحلف وهذا نوع
آخر من الزهد التوبة ومن هذين السابقين يقال لو كانت الاحوال والمقامات عند الى لغة
الجميع زهدا مني في ذلك ولو خطر بي من ذلك شيء لتبت منه بهذا كذا يفهم التوبة والزهد
المذكور ولا كما يفهمه أهل الفروز وبهذا التوبة وهذا الزهد يكتسبان شيئ الاحوال والمقامات
ويرقيان الى أعلى الرتب الموحدية والدرجات وكيف لا ومن يقول بالله عن حظه فعليه نصب
الحظوظ ومن شغله حظه عن الله فهو ملفوظ ومن هنا سامع سمعا أعمى كان يجري على لسان
مولاي الوالد رضي الله عنه اهتماما له الطالب ويحرز له من رق المنازل والمراتب وهو قوله رضي
الله عنه لا ينال مقام من مقامات العارفين أو منزل حال من أحوال الموحدين الا بالزهد فيه
الوجه الثالث ان المقامات تتراكبها بسبب في النفس الا ترى ان من عهدت له ارتياب
التوبة ووقى لاسبابها رجحه ذلك في التوبة جملة فان جرى على السابق عليها خرج ذلك الى
الاحتفاء بها على سبيل المفضل من مجاهدة ومحاسبة ومراقبة فان ثبت ثبته كذلك في الورع
وان تمكن ثبته ثبته ذلك في الزهد فان صار له مقاما قيده ذلك في التوكل وكذا فالمقامات
موجودة في التوبة والزهد بهذا الاعتبار والحاصل ان من استحكم بذرى الزهد طويت التوبة
اتسع له اسرارا حاد امن لا نيل الاحوال ويواجب المقامات واذا حصلت ما ذكرنا واستبت
ما ليه أسرار بانت لك ان هذا الشيء هو سبب المقصد وواسطة عقد نظمها وقطب دائرتها عند من

فيه اللفظ الذي يستنزل سماويات المقامات والادراك التي بها تعتم بركات الموهوبات ولو اكتفى
بهذا البيت عن جميع ابيات القصيدة لكفاه لكونه جامعا لما تفرق فيها ولما تشتت فيها
لكن بالاستلزام وقد ذكر ذلك رضي الله عنه تفصيلا ثم جمع في هذا البيت اجمال كل ما وصل
في غيره من أبيات القصيدة ليحصل لك ذلك جملة وتفصيلا ولبعلمك شرف هذا البيت وما
احتوى عليه من المحاسن ونسبة هذا البيت من منازل السائرين نسبة كلمة الشهادة من
اعتقادات المتقدمين فكما انها مستلزمة لجميع عقائد الايمان كذلك هو محتو على جميع
ما به للسائر الى حضرة الرحمن وفي اتيان الناظم به وسط القصيدة يحصل ما قبله وما بعده
كالصدفة له وهو كاللؤلؤة بعض مناسبة لقدره ولو كتب بلون مخالف للون سائر الابيات ليكون في
وسطها كالعلام ما كان على فاعل ذلك ملام فما احدره واحقه بان يوقر بقنا ارهايا ولا يشك في
صحة ما نذكر فيه من الآثار عن سيد البشر المختار صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الاخيار
فقد ذكر صاحب اثمد العينين في مناقب الاخوين الشيخ ابي عبد الله محمد والشيخ ابي زيد عبد
الرحمن الهزريين رضي الله عنهما ان أحدا كان من تلامذة الشيخ أبي عبد الله وهو الشيخ العارف
أبو عثمان سعيد بن سليمان بن زاهد رضي الله عنه قال كنت ليلة نائما فرأيت كان الشيخ أعني
سيدي اباعبد الله في جامع الجزارين من مراكش قاعدا على يسار الداخل من الباب الشرقي
وعليه جماعة من الناس جلوسا لاحد العلم عنه فدخلت من الباب فلما انتهيت الى الحلقة وانا
أريد الجلوس معهم اذ رأيت جماعة مقبلين من جهة القبلة ولهم نور ساطع وجمال طاهر
فنظرت اليهم فاذا هم أربعة نفر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وابراهيم صلوات الله عليه وموسى
صلوات الله عليه وعيسى صلوات الله عليه وعليهم أجمعين فقام الشيخ رحمه الله وكل من كان
معه فلقيهم في نصف المسافة التي كانت بينهم ولقيه صلى الله عليه وسلم بالبشر والسرور ظاهر في
وجهه فتعلقت به صلى الله عليه وسلم وجعلت ابكي واتضرع وانادي ياسيدي يارسول الله عسالك
ان تلقنني شيأ انجو به من هذه الدنيا واتخلص به عند ربي فيما امالي ويرجع الى اماله على الشيخ
مرات ثم التفت الي ورد وجهه للشيخ وقال له القي اليه يا فلان فقال له يارسول الله قد القيت اليهم
ما عندي وبعثتهم فرد النبي صلى الله عليه وسلم وجهه الي واذا بهذه القصيدة في يدي وكنت
كثيرا ما ألازمها فاخذها من يدي وجعل يتصفحها الى ان وصل الى بيت من أبياتها فوضع عليه
أصبعه وناولني الكراسة وأومأ الى البيت وقال لي عليك بهذا والبيت قوله رحمه الله تعالى وفي
التوب الخ واخبرني الاخ في الله والحبيب في ذاته الشيخ ابو عبد الله محمد بن علي النجي الرزوالي انه
وجد بخط شيخه الاول الشيخ العارف أبي محمد عبد الوارث بن عبد الله اليالصوتي رضي الله عنه
على حاشية هذا البيت روى الناظم رحمه الله لما كمل هذه القصيدة رأى النبي صلى الله عليه وسلم
في المنام وقد وضع صلى الله عليه وسلم مسبحته الكريمة على هذا البيت وهو يقول له لباب
قصيدتك هذا البيت ولما فرغ من الركن الثاني وما يتبعه ولم يبق الا الثالث شرع في ذكره
فقال رضي الله عنه

﴿ولم يبق الآن تداوم كل ما * تكون به عبدا الى آخر العمر﴾

يبق مضارع نفي وهو مجزوم بلم والايجاب للنفي وان تداوم ناصب ومنصوب والجملة فاعل يبقى
والمداومة المواظبة وكل مفعول تداوم وما مضاف اليه ماق له وهي نكرة موصوفة أي كل شئ

يكون به عبدا وعابدا هنا الضمير المجرور بالبا والعبد اسم مضاف لاسم الرب والسيد والمالك وذلك ان العبد مأخوذ من قولهم أرض معبد أى مذللة سهلة فاذا العبد بمعنى الذليل وكل ذليل بفعل ولا وجد الاعبد المذلل له والمذلل له هو الرب والسيد والمالك وعبدا خبر يكون واستنهاه الخاطب والى آخر العمر متعلق بتداوم وفى بعض النسخ منهن بدل آخر وهما بمعنى والعمر بفتح العين وضمها وسكون الميم فيهما وبضم الميم والعين ايضا ولا يصح الا الاخير هنا للوزن ثم يقول والله أعلم ولم يبق لك أيها الموفق بعد تحصيل الركن المتقدمين وتخلصك مقدور لك مما سألك من أول القصيد الى هنا الا ان تداوم الى آخر عمرك ومتى حالك ويلزم الى مفارقة ورحلك لذلك كل خصلة مما دخل فى كونك عبدا محضا الذى هو وصفك اللازم لك والعبادة خلعتك وبهما تتلبس حرجت من بعلك ووصفك وكسب عمرك عند خدمته لان العبد هو الذليل المولا ولا تظهر الذلل الا فى العباد لله تعالى بلبسه أو بالسنة وذلك اقتضى غاية الخضوع والتذلل وما ذكر الناظم فى الدوب على العمل الى الموت بين فان الامور بمعنى بالخواتم ولا عبرة بالسعادات سعادة الدين لو أمكن مالم تداوم على ذلك الى الموت قال تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين أى الموت وقد ندب صلى الله عليه وسلم لذلك بفعله وقوله فقد كان فعله ديمة أى ان صدرت منه طاعة التزمها وداوم عليها وقال صلى الله عليه وسلم أحب العمل الى الله أدومه وان قل وقال صلى الله عليه وسلم اكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق الى غير ذلك مما جاء عنه صلى الله عليه وسلم فى هذا المعنى وهو كثير وقليل دائم خير من كثير منصرم وكان الحسن رضى الله عنه يقول والله ما اعمل المؤمن انتهاء دون الموت والله ما المؤمن الذى يعمل الشهر والشهرين والسنة والسنين انما المؤمن المداوم على أمر الله عز وجل الخائف من مكر الله غاية الاعيان سددتنى لى وعزم فى بعض واجتهاد فى صبر وعمل فى زهد وفى هذا المقطع لذا ترالطالبين ممن اسست لهذه الطائفة ولم تسعف نفسه فى مضاف الخدمة لله ويقول ان ذلك شأن العباد وهم بعد محجوبون عن الله وما درى المسكين بأن الكل عامل لله مشغوف على وجه فى خدمته وان العمل له قلبا وقالبا مدرسة ترك بن أهل العمى واعا الرتبة بالسابق والمقصود وقد روى عن عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام انه مر على طائفة من العباد قد احترقوا من العبادة كأنهم الشنان البالية فقال ما انتم فقالوا نحن عباد قال فاى شيء يعبدتم قالوا خوفنا الله عز وجل من النار فخفناها فقال حقا على الله عز وجل ان يومنكم مما خفتم منه ثم جاوزهم فمر باخرين أشد عبادة منهم فقال لاى شيء تعبدتم فقالوا شوقنا الله عز وجل الى الجنان وما اعد فيها لاوليائه ونحن نرجوا فقال حقا على الله عز وجل ان يعطيكم ما رجوتم ثم جاوزهم فمر باخرين يتعبدون فقال ما انتم قالوا المحبون لله عز وجل لم نعبده خوفا من نار ولا شوقا الى جنة ولكن حبا له وتعظيما لجلاله فقال انتم أولياء الله عز وجل حقا معكم أمرت ان اقيم فاقام بين أظهرهم فانصلت هذه الطائفة الى أقام معها الانابة وأما صورة العمل فموجودة عند الكل ومن تتبع الصحابة والتابعين وأكابر الاولياء والصديقين من أهل التمكين والرسوخ من العارفين لامرين وحديثهم كلهم لله عاملين قلبا قالبين بوظائف العبودية الظاهرة والباطنة ولا دليل للخالف فى قول من قال اذا وصل العمل للملك اسرحت الجوارح لان ما عند سماسرة الطرق انها استراح من نفسه لان ما وصل

للقلب خف على الجوارح لانه ملك وهى خدمة وعرض الملك خفيف على الخدمة وقد روى عن الجنيد رضى الله عنه ان رجلا قال بحضرته أهل المعرفة بالله يصلون الى ترك الحركات من باب البر والتقرب الى الله تعالى وقال الجنيد هذا قول قوم تكلموا باسقاط الاعمال وهذه عندى عظيمة والذى يسرق ويزنى أحسن حالا من الذى يقول هذا وان العارفين بالله أخذوا الاعمال عن الله واليه يرجعون فيها ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة الا أن يحال فى دونها وانها لآكد فى معرفتى وأقوى الى وردى أيضا فى منتهاه وفى يده سبحة فقيل له أنت مع عظم اشارتك وعلو رتبتك تأخذ السبحة فقال شئ وصلنا به الى الله لا نتركه ويحوذ ذلك قال قبله أول من تكلم فى هذا الشأن امام الأئمة الحسن البصرى رضى الله عنه وذلك لان عامر بن شعيب رضى الله عنه رأى فى يده سبحة فسأله عن ذلك فقال يا بنى هذا الشئ كنا استعملناه فى البدايات فما كنا الذى نتركه فى النهايات أحب أن أذكر الحق تعالى بقلبى ويدى ولسانى والحكايات فى هذا المعنى كثيرة على انا لا ننكر على من كان من أرباب القلوب سيره بالقلب فقط وانما حذرنا من الغلط اذ النفس مجبولة على ضد الخير والطريق حق الامكان والعدو بالمرصاد والدرهم يلابس العقل والباطل يشاكل الحق وقد قال فى العوارف ويحترز المبتدى عن مجالسة الفقراء الذين لا يقولون بقيام الليل وصيام النهار فانه يدخل عليه منهم الشر ما يدخل عليه من مجالسة أبناء الدنيا وربما يشيرون الى الأعمال شغل المتعبدين وان أرباب الأحوال ارتقوا من ذلك وينبغى للفقير أن يقتصر على الفرائض وصوم رمضان بحسب لا ينبغى أن يدخل هذا الكلام سمعه رأسا فانا جربنا ومارسنا الامور كلها وجالسنا الفقراء والصالحين ورأينا الذين يقولون هذا القول ويرون الفرائض دون الزيادات والنوافل تحت القصور مع كونهم أصحاء فى أحوالهم فعلى العبد التمسك بكل فريضة وفضيلة فبذلك يثبت قدمه فى بدايته انتهى وأصل البيت قوله فى العوارف والزهد والتوبة اذا اجتمعا مع صحة الايمان وعقوده وشروطه بعوز هذه الثلاثة ويتيسر وبعضها متوقف على وجود الرابع وهو دوام العمل وكثير من الزهاد المحققين بالزهد المستقيمين فى التوبة تخلوا عن كثير من سنى الاحوال لتخلفهم من هذا الرابع ولا يراد الزهد فى الدنيا الا لكمال الفراغ المستعان به على دوام العمل لله انتهى ثم قال رضى الله عنه

﴿وتكمل أركان الولادة فاحترق * بها ملكوت السبع من غير ماحجر﴾

تكمل بالنصب عطف على تداوم لان أسباب اكمال ذلك فى طوقه وأركان الولادة مفعوله وهى الايمان والتوبة النصوح والزهد وتحقيق مقام العبودية بدوام العمل لله والمراد هنا بالولادة الولادة المعنوية وفى قوله تكمل اشارة الى أن أصل تلك الأركان موجود معه وانما بقى عليه اكمالها وهو كذلك حسبما يأتى وقوله فاحترق جواب المتبدأ أى فان أكملتها فاحترق وهو طلب فى معنى الخبر اى فان أكملتها صح لك أن تلج ملكوت و بصيغة الخبر عبر فى العوارف كما يأتى وبها متعلق بقوله احترق وضميره للاركان المكملة وملكوت السبع مفعوله أيضا وللقوم فى الملكوت اصطلاحات منها أنه الملك الباطن كدرجات الجنان ودركات النيران و باطن السموات والأرضين وهو المراد هنا وكذا هو مذهب صاحب العوارف فيه والمراد بالسبع هنا السبع سموات وقوله من غير ماحجر من بمعنى الباء وما زائدة وهو حال من فاعل احترق أى حال كونك مصاحبا بعدم الحجر ﴿يقول﴾ والله أعلم والشق الثانى مما بقى عليك ان تكمل أيضا باحكامك هذا الركن كما أحكمت الركنين

مسلة أركان الولاد المعنويه بخرج من مشيمة النفس وبطن العادة والعمة بها الملك الى عالم الملكوت وسماء القدر ووصول معنى الحكمة عن بصيرتك فان كلها وجعلهما واحد اعني بروح لك ... هذه الولادة المعنويه لعدم بعد وحل اذ ذلك كم شمل ملكوت السمواب لتبع حالا من أحوال العارفين ويكتسب روايا العين عاشاهد فيما لك من العدد والآيات وأنواع خوارق العادات حال كونك مصاحبا بعدم الحرر والمنع لما ذلك الذي لك واستعمالك له قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه ان النفس اذا اعتدت على ترك الآثام جالت في الملكوت ورجعت الى صاحبها بطرائف الحكمة من غير أن تؤدي اليها عالم علما ولاما ع من الاسراء بالروح اذ المختص بمحمد صلى الله عليه وسلم هو الاسراء بالروح والجسم معا كما ذكر ابن ابي جمرة رضي الله عنه وغيره وقد قال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه في قوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده لم يقل بنبيه ولا برسوله وهو نبيه ورسوله وانما كان كذلك لانه أراد أن يفتح باب السريان للاتباع فأعلمنا أن الاسراء من بساط العبودية فالنبي صلى الله عليه وسلم له كمال في العبودية وكان له كمال الاسراء أسرى بروحه وجسده وظاهره وباطنه صلى الله عليه وسلم والاولياء لهم قسط في العبودية فلهم قسط من الاسراء فيسرى بأرواحهم لا بأشباحهم اه وسيأتي من كلام العوارف على قوله تجردت عن كل شيء من هذا وأصل المسئلة في العوارف والى عيلم علمي وقد روى وجهدي اعتبرت المقامات والاحوال وغيرها فرأيتها ... بها فلانه أسماء بعد صحة الاعمال وعقود وشروطه تدارك مع الاعمال أربعة ثم رأيتها في اباده الولادة المعنويه المعنية عماني الطبائع الاربع التي جعلها الله باجزاء ... ولد للولادة الطبيعية ومن تحقق بعماني هذه الاربع لج ملكوت السمواب وكاشفت بالنور والآيات وتصير له دونوا وبهما الكلمات الله المنزلات وتعطي بجميع الأحوال والمقامات ويكلها من هذه الأربع ظهرت وبها بانت وبها كذبت أحد الثلاث بعد الاعمال التوبه النصوح والثاني الزهد في الدنيا والثالث تحقيق مقام العبودية بدوام العمل لله ظاهرا وباطنا من الاعمال القلبيه والقالبيه من غير فتور وقصور انتهى وماذكر من الولادة المعنويه قد تكلم عليها في محل آخر بأوضح من هذا فقال والسرفي وصول السالك الى رتبة الشيخ ان الناشئ ... ورياضه النفس مبلى بصفاتها الازال سالك بصدق المعاملة حتى تطمئن نفسه وبطمأنينتها تنتزع عنها البرود والتوبه الى أشبهها من أصل جبلتها وبها تمضي على الطاعة والانقياد للعبودية فاذا راك التوبه عنها ولاسبقرار الروح الواصل اليها وهذا اللين هو الذي ذكره الله تعالى في قوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله بحسب الى العبادة ولين للطاعة عند ذلك ترتب القلب المتوسط بين الروح والنفس ذو وجهين أحد وجهيه الى النفس والوجه الآخر الى الروح ويسمى من الروح بوجهه الذي يليه ويمد بوجهه الذي يليه حتى تطمئن النفس فاذا اطمأنت نفس السالك وترع من سياستها انتهى ملوكه وتمكن من سياسة النفس وانقادت نفسه ووقفت الى أمرا لتقدم القلب تسربت الى السياسة لما فيه من التوجه الى النفس فتقوم بتقويس المريدين والطالبين والصادقين عند مقام نسبة لوجود الجنسية في عين النفسية من وجه أو وجود التألف بين الشيخ والمريدين من وجه بالتألف الالهي قال تعالى لو انفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم فيسوس نفس المريد كما يسوس نفسه ... ويكون في الشيخ حينئذ ... التخلق بأخلاق الله

من معنى قول الله ألا طال شوق الأبرار الى لقائي واني الى لقائهم لأشد شوقا وعما هما الله تعالى من حسن التآلف بين الصاحب والمصحوب يصير المريد جزء الشيخ كما الولد جزء الوالد في الولادة الطبيعية وتصير هذه الولادة آنفا ولادة معنوية كما ورد عن عيسى صلوات الله عليه لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين فالولادة الأولى له ارتباط بعالم الملك وهذه الولادة يصير له ارتباط بالملكوت قال الله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين وصرف اليقين على الكمال يحصل في هذه الولادة يستحق ميراث الانبياء ومن لم يصله ميراث الانبياء ما ولد وان كان على كمال من الفطنة والذكاء نتيجة العقل والعقل اذا كان بائسا من نور الشرع لا يدخل الملكوت ولا يزال مترددا في الملك ولهذا وقف على برهان من العلوم الرياضية لانه صرف في الملك ولم يترق الى الملكوت والملك ظاهر الكون والملكوت باطن الكون والعقل لسان الروح والبصيرة التي منها تنبعث أشعة الهداية قلب الروح واللسان ترجمان القلب وكل ما ينطق به الترجمان معلوم عند من يترجم عنه وليس كلما عند من يترجم عنه يبوح الى الترجمان فلهذا المعنى حرم الواقفون مع مجرد العقول العرية عن نور الهداية التي هي موهبة عند الأنبياء واتباعهم الصواب واسبل دونهم الحجاب لوقوفهم مع الترجمان وحرمانهم غاية البيان وكما ان في الولادة الطبيعية ذوات الأولاد في صلب الأب مودعة تنتقل الى أصلاب الأولاد بعدد كل ولد درة وهو الدرة التي خاطبها الله يوم الميثاق ألست بربكم قالوا بلى حيث مسح آدم وهو ملقى ببطن نعمان بين مكة والطائف فسالت الذرات من مسام جسده كما يسيل العرق بعدد كل ولد من ولد آدم ذرة ثم لما خوطبت وأجابت ردت الى ظهر آدم فمن الآباء من تنتقل الذرات في صلبه ومنهم من لم تودع في صلبه فينقطع نسله هكذا في المشايخ من يكثر أولاده ويأخذون منه العلوم والأحوال ويودعونها غيرهم كما وصلت اليهم من النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة الصحبة ومنهم من يقل أولاده ومنهم من ينقطع نسله وهذا النسل هو الذي رد الله على الكفار حيث قالوا محمد أبتر لا نسل له قال الله تعالى ان شانئك هو الأبتر والا فرسول الله صلى الله عليه وسلم نسله باق الى أن تقوم الساعة وبالنسبة المعنوية يصل ميراث العلم الى أهل العلم واعلم انه لما كان دوام العمل لله هو أشد ما طلب من العبد وعقبته كؤد لا يصعدها الا من أخرج له من بيت عدة التوفيق منطقة من بيت الصبر ومسحاة من عزم احتمال رضا الله عنه في نصر العبد على ذلك بحلية يجليه لها هي كما قيل صل أب حياة أنفع في البصرة من قبلة وصنع له لاذهاب علة رعب ذلك عن قلبه شربة مزجها بانواع حلاوي حسن الكلام وأبان بديع النظام حتى عاد بعد مرها أحلى وحلها عسلا وقال له أولا ولم يبق عليك أيها الموفق بعد ما ذكر الا ان تداوم على كذا وتكمل على ما عملت من كذا وهذا خطاب يقتضي بشهادة الطبع السليم غاية سهولة ما طلب وبه تم علاجه كما يعلل الصبي بقوله فان داومت على ما بينت عليه وأكملت ما أشرت لك اليه ولجت ملكوت السموات وتمرحت في أنواع المغيبات واطلعت على أسرار الكائنات وهذا الاحالة يستخرج منه القريحة ويتركها بعد صحيحة لضعف عقله ثم نبه في البيت الذي أردنا ان نشرع في شرحه ان ثم ما هو أعلى من هذا وحرصه على محاولة الصعود اليه مشيرا له الى سبب ذلك ومحذرا من التكاسل عنه بقوله ولا تزل تطير الى العلياء بأجنحة الشكر ثم صرح له في البيت الذي بعده بالمقصود ووقفه بباب الواحد المعبود وأعلمه

ان كل ما عدا ذلك مردود وهو قوله فلا تلك الا ما لنا الست فهكذا اثبات المريد وسهل عليه السدد والابلاد رضي الله عنه وأرضاه وجعل جنة النظر مأواه قال رضي الله عنه

﴿ومن خير ما تعطى الدوام بلا نزل * ننظر الى الا لما نا بحجة السكر﴾

الدوام مبتدأ وما قبله خبر وما موصولة وعائدها محذوف والتقدير الكلام والدوام من أحسن ما يعطا وقد تقدم بيان كونه من خير ما يكرم به العبد وقوله بلا نزل الخ حال منه في صدر البيت نظير في الخبر ثم النعت وخاطبه بانيا على سبيل الامر وفي الكلام التفات من الخطاب الاخباري الى الخطاب الامري وهذا شأنه رضي الله تعالى عنه في هذه القصيدة كلها لا يكاد يخلو بيت الا وعبارة فيه محتمله الخلل وذلك من بديع العمل ومن جميل الحسن اذ كل ذلك من سقمه على معانيها وخفف الطريق فيها كي يتأموها فخرموا حيرة والانتفاع بها الا أن يكارها مع ذلك مستدلات الصدور كمفتاح السرور دون جمال التركيب أبواب مغلقات ولكن هذا المقصد ان شاء الله عز وجل تلك الابواب ويكشف عن وجوه كرائمها الحلبات ويستخلص بطامع بها من لا موله ولا حول من طال ما بغى نكاحها ولم يجد لها طولا ولا يظهر منها مكنونات الضمائر حتى يرد مستحقه المشيمة بانوار السرائر فقد عهد ذا عن الناس فلم يخرج لسان معنى الالفاظ والاعراب اسم يرد ضمير المخاطب وجملة تنظر الخ خبرها والى العلماء معلق بنظير وبأحجة السكر كذلك والسكر حقيقته فرح القلب بالمنعم لاجل نعمته حتى يتعدى ذلك الى الجوارح فتجرى بالطاعات من غير تردد وقد سمي السكر بالراح لاثر النعمة في النفس ولم يصرح من أركانه سوى النعمة وأصحاب النعمة سواء من لوازم النعمة وهو الاجنحة من الكلام استعار بان تخيله ومكنه جناحا وهو مقرر في محله وفي بعض النسخ النسر بدل السكر والمعنى على أجنحة النسر والنسر طائر قصير الرقبة ويطلقه اعوانه ولذلك كان أشد الطيور صعودا في الجو حتى انه يقال ان رئيس رأسه قد أسقطه برود الاوج فالمراد اذا الحريص على تقويه أسباب الصعود المعنوى فالامداد بقدر الاستعداد ولذلك طوى ذكر المصابيح الذي قد رنا في كلامه من النار والأجنحة ومعالي الأمور وان تنوعت فهي محصورة في تعلق الهمة بالله وعكوف القلب عليه وأقوال الحمد به وعدم التصريح على غير ﴿يقول﴾ والله أعلم ودوام أسباب العبودية لله في ظاهرك وباطنك من أفضل ما تعطاه أيها الطالب كما تقدم بيانه بلا نزل ولا تبرح ننظر الى معالي الامور على مر الاعمار والدهور بأجنحة شكر الله على ما أولاك من المنن والفضل الجسيم وما أسدى اليك من المنح والخير العظيم قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه اذا أكرم الله عبدا في حركاته وسكناته نصب له العبودية لله وستر عنه حظوظ نفسه وجعله يتقلب في عبوديته والحظوظ عنه مستور مع جريان ما قدر له ولا يلتفت اليها كأنه في معزل عنها واذا أهان الله عبدا في حركاته وسكناته نصب له حظوظه وستر عنه عبوديته فهو يتقلب في شهواته وحظوظ نفسه وعبوديته عنه بمعزل وان كان يجرى عليه شيء منها في الظاهر وهذا باب من الولاية والاهانة وأما الصديقية العظمى والولاية الكبرى فالحظوظ والحقوق عند ذوي البصائر كلها سواء لانه بالله فيما يأخذ ويترك انتهى ثم أشار الى بيان ما طلب من المخاطب ان يداوم عليه من أسباب العبودية وما يكمل به أركان الولاية المعنوية فقال رضي الله عنه

﴿فلا تك إلا تاليا أو مصليا * ودائم ذكر القلب أبدمن ذكر﴾

الفاء من قوله فلا تك فصيحة ولا تقع إلا في كلام وهي المؤذنة بشرط مقدر على تقدير سؤال وذلك انه لما ذكر ما تقدم ورأى ان نفس المخاطب تبقى متطلعة الى بيان ذلك قدر ان سائلا سأله وقال له ياسيدي يرحمك الله عما ذا تتكمل هذه الأركان وما هي الأسباب التي طلبت مني المداومة عليها فقال ان أردت معرفة ذلك فلا تك الخ ولا ناهية وتك تقدم اعرابه مثله عند قوله ولا تك ممن يحسن البيت والايجاب للنهي وتاليا خبر تك واسمها ضمير المخاطب ومصليا عطف على تاليا وأو للتخيير به عطف عام على خاص لان الصلاة فيها التلاوة وزيادة الا أن يراعى تاليا للعرف فانه يطلق فيه على سرد القرآن بغير صلاة فيكون من عطف المغاير اذ ذاك ودائم ذكر القلب عطف على ما يكون عليه المخاطب من التلاوة والصلاة فهو راجع لأحدهما الا بعينه والواو بمعنى مع فدوام ذكر القلب الذي هو الحضور مطلوب فيه مع التلاوة ومع الصلاة التي طلب منه استيعاب الزمان بهما وفي كلامه غاية التحرير والرشاقة كما هو دأبه رضي الله تعالى عنه في هذه القصيدة العربية المثل فان من جملة محاسنها ان من نظرها بادئ الرأي هابها ومن أمعن النظر فيها ألفها ونقد رصعها تستحلي وهذا شأن كلام الربانيين والقلب هو القوة القابلة للمفهومات والصدر في قوله أبدمن ذكر بمعنى اسم الفاعل وكان أصل الكلام أبده الله من ذاكر فذاكر تمييز نصب المفعول أظهرت معه من وذلك جائز في تمييز العدد والتمييز المنقول من الفاعل وليس هذا منهما ثم بني لما لم يسم فاعله ﴿يقول﴾ والله أعلم فلا تك أيها المخاطب الناهض الهمة لما قدمنا ذكره الا في عبادة من العبادات أو طاعة من الطاعات اما تاليا لكتاب الله عز وجل بتدبر لمعانيه وحضور في ذلك وتعظيم للمتكلم به وغير ذلك من آدابه الظاهرية والباطنية ومصليا الفريضة والنافلة الى وقت صليتها قائما فيها بشروطها من غير افراط ولا تفريط وحدودها الظاهرة ومندوباتها التابعة وأسرارها الباطنة مع دوام ذكر قلبك لله عز وجل بحضوره بين يديه كنت في عبادة أو عادة سراء أو ضراء نعمة أو بلية فتراقب الله في جميع شؤنك وتصدق في العبودية له في جميع أحوالك ومعنى قوله أبدمن ذكر قوى الله هذا المتصف بهذا الذكر من ذاكر فهو دعاء من الناظم رضي الله عنه لهذا الذاكر بالذكر الحقيقي الذي لا تصحبه الغفلة عن الله في أحكامه الامرية والقهرية وهو أفضل من الذكر اللساني لانه لا تصحبه الغفلة ولذلك قالوا وعلم اللسان من يذكر بجلب في الحلك وخرج بما ذكر ان القاصد الى الله كالمعتكف يجمع ورده لتجتمع همه فان هذه الثلاثة هي أوراد المعتكف ويكره له فعل غيرها الا ان كلامه يقتضي ان حكمة ألفاظه ان المريد لا يكون الا تاليا لكتاب الله أو مصليا مع ان الاشتغال بذكر واحد هو أقوى أسباب التوصل الى حضرة ذي الفضل الجزيل وقد يجاب عن هذا بجوابين الاول ان قوله تاليا أخذه بالمعنى اللغوي الصادق بالقرآن وبذكر من الاذكار الثاني انا نسلم انه بالمعنى العرفي ولكن جل أسماء الله أو كلها مأخوذة من القرآن وتلاوة تصدق بقراءة أحزاب منه مثلا وبتكرير آية مرات أو كلمة كذلك فافهم على انا نقول أحوال القوم مختلفة في هذه المسئلة فمنهم وهو الأكثر من كان يلزم المريد اذا أشرف على الحقيقة ذكرا واحدا ليجتمع همه ويتحد قصده ويمنعه من تكثير الاوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرائض والرواتب حتى اذا اتحد مشربه وكملت حقيقته عاد

صونه وقال صلى الله عليه وسلم دعه فإنه أواه أي رحيم رقيق القلب وروي أن

الى ذلك والى هذا أشار كلام الإمام أبي حامد رضي الله عنه في كتاب رياضة النفس من الإحيا
وقد ذكر الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه استخراج الشيء من محله بإدخال الشيء عليه
ابتداء فإن بعد بعدا أو أخذ أخذ حسب سنة الله لا زال وباقي السطر وإن أمضى العمل فلهذا أمروا
المريد في ابتدائه بتعديد الأوراد وإكثارها بما يليق بنفسه من آثارها وعند توسطه بإفراد الورد
لا بإفراد الهم وإفراد الهمة وكل هذا بعد حفظ الورد الشرعي من ذكر أو غيره حسبما ورد عموما
ثم قال طلب الشيء بوجه واحد مع الإلحاح أقرب لنواله وأدعى لدوام نسبة المطلوب في نفسه لإفراد
الهمة فيه فلزم التزام ورد لا ينتقل عنه حتى يحصل نتائجه والا فالمنتقل لا يحصل الفتح كحافر بئر
لا يدوم على محل واحد وكالقطر يقطر على كل محل يريد إنبات المحل بالقطر أي يظهر لعمله
في ذلك أثر وأشار صاحب العوارف غير هذا المقال ولا بد للمبتدي أن يكون له حظ من تلاوة
القرآن ومن حفظه يحفظ من القرآن من السبع إلى الجمع إلى أول أو أكثر كذي أمكن
ولا ينبغي التحول من يقول ملازمة ذكر واحد أفضل من تلاوة القرآن فإنه يتحد في القرآن وتلاوته
في الصلاة وفي غير الصلاة جميع ما ينبغي سوى في الله وإنما اختار من المشايخ بعضهم أن يدوم
المريد على ذكر واحد ليجتمع الهم من لازم التلاوة وهو في الخلوة ويشتغل بالوحدة بعد التلاوة
والصلاة أو غيرها بعده الذكر الواحد فإذا سئم في بعض الأحايين يتابع النفس على الذكر
مقامه ونزل من التلاوة إلى الذكر فإنه أخف على النفس وينبغي أن يعلم أن الإحضار بالقلب
في كل عمل من تلاوة أو صلاة أو ذكر لا يجتمع فيه بين القلب واللسان لا يعتد به كل الاعتداد لأنه
عمل ناقص وعلى هذا يحمل كلام الناظم في البيت ولا يصلح معه إلى آخر البيت والقول الفصل
في هذه المسألة ما ذكر في موضع آخر من العوارف إذ قال يصلح لقوم من أرباب الخلوة إقامة
الأوراد وتوزيعها على الأوقات ويصلح لقوم ملازمة ورد واحد ويصلح لقوم دوام المراقبة
ويصلح لقوم الانتقال من الذكر إلى الأوراد ولقوم الانتقال من الأوراد إلى الذكر ومعرفة
مقادير ذلك يعلمه المحبوب للشيخ المطلع على اختلاف الأوضاع وتنوعها مع صحة الإقامة وشفقته
على الكافة يرد المريد لله لأنه متى غير مع هوى نفسه محبا للاستمتاع فيفسده مثل هذا
أكثر مما يصلحه وفي إتيان الناظم بقوله ولا يك إلا تاليا أو مصليا الخ إشارة له بأحقية الشكر إلى
أن المطلوب من العبد أن يكون أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته شكر الله وهو كذلك لأن نعم الله
مترادفة على العبد في جميع أحواله وعلاماته قال الشيخ أبو عثمان الحيري رضي الله عنه الخلق
كلهم مع الله في مقام الشكر وهم يظنون أنهم معه في مقام الصبر وأصل هذا البيت والذي بعده
قوله في العوارف إثر ما قدمه أعلى قوله ولم يبق إلا أن يداوم البيت والعمل لله أن يكون العبد
لا يزال ذاكرا أو تاليا أو مصليا ومراقبا لا يشغله عن هذه الأوقات شرعي أو مهم لا بد منه طبعي
وإذا استولى العمل القلبي على القلب مع وجود الشغل الذي أداه إليه حكم الشرع لا يغير باطنه
عن العمل فإذا كان مع الزهد والتقوى متمسكا بدوام العمل بعد إكمال الفضل وجهد إلى
الله وفيه قال أبو بكر الوراق من خرج من قالب العبودية ضيع ما ينبغي بالأدب وسئل سهل بن
عبد الله التستري أي منزلة إذا قام بها العبد قام مقام العبودية قال إذا ترك التدبير والاختيار
فإذا تحقق العبد بالتوبة والزهد دوام العمل لله له وفيه الخاص عن وفيه الآتي يصل إلى
مقام التدبير والاختيار ثم يصل إلى أن يملك الاختيار فيكون اختياره من اختيار الله والدوا

يه ولا حرج عليه فيما يسمع لأن أفعاله اضطرارية ولا يكلف إلا بفعل اختياري   ووقد

ووفور علمه وانقطاع مادة الجهل من باطنه قال يحيى بن معاذ الرازي مادام يتعرف يقال له لاتختر ولاتكن مع اختيارك من تعرف فاذا عرف وصار عارفا يقال له ان شئت فاختر وان شئت لاتختر لانك ان اخترت باختيارنا اخترت وان تركت الاختيار فباختيارنا تركت فانك باق في الاختيار وفي ترك الاختيار والعبد لايتحقق بهذا المقام العالي والحال العزيز الذي هو الغاية والنهاية وهو ان يملك الاختيار بعد ترك التدبير والخروج من الاختيار الا باحكام هذه الاربعة التي ذكرناها الان ترك التدبير فناء وتمليك التدبير والاختيار من الله عبده ورده الى الاختيار تصرف الحق وهو مقام البقاء والانسلاخ عن وجوده بالعبد الى وجود يصير بالحق وهذا العبد ماتبقى عليه من الاعوجاج ذرة واستقام ظاهره وباطنه في العبودية وعمر العلم والعمل ظاهره وباطنه وتوطن حضرة القرب بنفس بين يدي الله عز وجل متمسكا بالاستكانة والافتقار متحققا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتكلني الى نفسي طرفة عين فاهلك ولا الى احد من خلقك فاضيع ولكن اكلأني كلاءة الوليد وتخل عني ولما وقعت الاشارة للذكر هنا وكان الناس فيه على درجات ما بين ذاكر غافل ومتيقظ وحاضر وغائب عما سوى المذكور أشار الى فضل تلك الدرجات التي ترتبت عليها الاحوال الشريفة والمقامات المنيفة لان الاكابر من الذكر دخلوا الى علوم المشاهدة والاسرار المكنونة وراء الحجب والاستار فقال رضي الله عنه

﴿وافضل ذكر المرء حين لقلبه * حضور يغيب الذكر فيه عن الذكر﴾

أفضل مبتدا وذكر مضاف اليه ماقبله والمراد كذلك وحين منصوب على الظرفية وهو خبر المبتدا ولقلبه متعلق بمقدار أي حين يكون لقلبه وحضور فاعله يكون المقدر ويغيب الى آخره صفة لحضور بالحق والغيبة عما سواه وتكون في سببية والمعنى يغيب فيه أي بسببه لقوته ويحتمل ان يكون الحضور معناه المجلس بضرب من التلازم والمجاز ويكون قوله فيه على ظاهره والمعنى وأفضل ذكر المرء حين يكون لقلبه أي له وحص القلب لشرفه مجلس معروف به وقوله يغيب الذكر فيه عن الذكر يحتمل الذكر الأول من هذين أن يكون بمعنى الذاكر من اقامة المصدر مقام اسم الفاعل ويحتمل أن يكون كل من ألفاظ الذكر من مركزه الا أن الاخير مصدر منحل الى أن وفعل المفعول والمعنى على الاول يغيب الذاكر بسببه على أول الاحتمالين في الحضور أوفيه على الثاني عن الذكر وعلى الثاني يغيب الذكر بسببه لقوته على الاول أوفيه على الثاني عن الذكر أي عن أن يذكر ويكون سالمن الذاكر أعني ذكر اللسان لانه محوفي وجود الاعيان ويحتمل أن يكون لفظ الذكر الثاني هو المؤول باسم الفاعل ويوفى بهذا المعنى لأن من غبت عنه غاب عنك أي يغيب الذكر فيه عن الذاكر ﴿يقول﴾ والله أعلم على الاحتمال وافضل ذكر المرء وأشرفه وارفعه حين يكون لقلبه حضور مع مولاه يغيب الذاكر بسبب ذلك الحضور لقوته وغلبته واستيلائه عليه عن الذكر نفسه وعن غيره من الخليقة ولايبقى له عن نفسه اخبار ولا مع غير الله قرار أو يغيب بعده في قربه يتيه عقله بحيطته ويمحي وجوده بوجوده كمحو نور القمر في ضوء الشمس بحيث يرى أنه منقول عن البين ومولاه هو الذاكر والمذكور لأن كل شئ منه بدا واليه يعود قال الشيخ أبو نصر عبد الرحيم بن الأستاذ أبي القاسم القشيري رضي الله عنه الذكر اندراج الذاكر في مذكوره واستطلام السر عند ظهوره وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه حقيقة الذكر الانقطاع عن الذكر الى المذكور وعن كل شئ لقوله تعالى

واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال الشيخ أبو العباس أحمد بن البنا الأزدي رضي الله عنه في
شرح مراسمه من أحسن الذكر ما هاج عن خاطر وأراد من المذكور جل ذكره وهذا هو الذكر
الحق عند المشهور على الاستهتار والتمكن في الأسرار وأما دونهم حتى يتمكن المذكور الى حالة
يستغرق به عن الذكر فليس ذلك بتمكن حلول ولا اتحاد بل حكمه بقدر من غير علم وبيان غرور
ذلك أن يكون القلب عند الذكر في الذكر فارغا من الكل فلا شيء فيه غير الله جل ذكره فيصير
القلب بيت الحق وعلى هذا فيخرج الذكر من غير قصد ولا تدبير وحينئذ يكون الحق المنشئ
على لسانه الذي ينطق به وان ينطق هذا الذاكر كان يده التي يبطش بها وان سمع كان سمعه الذي
الذي يسمع به فاذا استولى المذكور على الفؤاد وامتلكه وعلى الجوارح فصيرها فانية بصره
وعلى الصفات من هذا العبد يطلبها كيف يشاء في مرضاته فلذلك يخرج الذكر من غير تكلف
وتقع الأعمال بالطاعات نشاطا وإلذاذا من غير كلل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم وقد وصف الله تعالى أم موسى عليهما السلام بمعنى ذلك في قوله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا
أي فارغا من غير موسى فكادت تبدي به من غير قصد منها بالذكر ولا تدبير بل كان ذلك الفراغ
يذكره فصبرا فانما ربط الله على قلبها بالسكون من المؤمنين بما أوحى اليها من قبل من شأن موسى
وأنه من المرسلين وهذه العوالم والمراقي لا يعرف حقائقها الا أهل السكون وجدانا والعلماء ايمانا
وتصديقا بالنقل والتأكيد بما ثبت الله ويكون من الصم البكم في الظلمات ولما كان المذكور
لا يجوز عليه وصف العدد ولا العدم ولا يمنعه حجاب ولا يحويه مكان ولا يشتمل عليه زمان ولا يجوز
عليه الشبه بوجه ولا يتصف بحوالات المحدثين ولا يجري عليه أحكام المخلوقين فهو حاضر غائب
ومعنى وشاهد أسرار ويحوي اذ هو أقرب من كل شيء أقرب الى الذاكر له من نفسه من جنس
الاحاطة له والعلو به والنسبة فيه والقدر والتدبر له والاتمام عليه خلق الخليقة وخيفه أوصافها
وواحد الأعداد فلا يحصره ومعانيها سبحانه وهو العلي الكبير اهـ وقد قيل هذا والذكر الدائم
على وجوه فتارة يذكر الله تعالى لعظمته وعلاه وكبريائه فيتولد منه الهيبة والاجلال
وتارة يذكر العبد لعظم قدرته وأليم أخذه وشديد بطشه فيورث ذلك الخوف والحذر
وتارة يذكر بالفضل والرحمة فيورث ذلك الرضا وتارة يذكر بوعده فيتولد منه
الشوق وتارة يذكر آلاءه كرمه فيتولد من ذلك الشكر وتارة يذكر لا اله الا الله والحمد
والثناء الحسن والأسماء الحسنى والصفات العليا والخلق والأمر والقدر النافذ والمشيئة
الماضية بفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فيتولد من ذلك الغبطة والسرور وتارة يذكر بأنه عند
من هذه صفاته فيتولد من ذلك الحب والصبر له وتارة يذكر لأنه الكافي للمهمات الموجود
وحده لا شريك له في جميع المهمات المتكفل بالأرزاق وايصالها الى المعترفين وذوي الحاجات
فيتولد عن ذلك التوكل والتفويض وتارة يذكره بما نصب من العلامات وبما أشهد
به من الشواهد وأقام من البينات وأثار من الآيات فيتولد من ذلك زوائد اليقين وتارة يذكره
العبد لأن بيده مفاتيح الأمور ومقاديرها وبيده ناصية كل ظهرت والبعد فيتولد من ذلك ما هو عن
فيه وما يريد عز وجل ثم اعلم وفقنا الله واياك أن أفضل الذكر في الذكر وهو الحق أيضا
بالاعتبار وذلك أن يذكر في ذكر الله انعامه وافضاله واحسانه ويلزم نفسه الاعظام له
والاجلال ولا يطالب به شيء يذكر الحقيقة بعد فالواجب الذكر الغيبة عن الذكر بشاهد هذا

بسند ما على بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما الشاه السند با أودس قوله

قوله عز وجل فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ولو تجلى المذكور والعلى جل جلاله للقلب بالذكر حال الذكر لانصدع وتدكدك كما تدكدك الجبل للتجلى وانما ذلك على قدر ارادته من ذلك ومشيئته والانبياء والرسل صلوات الله عليهم أقرب الناس الى القرب وأحقهم مشاهدة ومكاشفة يؤيدهم الله بالدمه ومن الناس من يعطى من المكاشفة حظا هو أكبر من التائبين فى ذلك يكون الصعق والغشى والموت وانما هو السر فى قوله تعالى أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه وقال ان لم تتابعه هذه الدرجة قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم والله يؤيد بنصره من يشاء فى أيده وقوله لم يتابعه الصعق وغيره اهـ ولما كان الحضور مع الحق بالغيبة عما سواه قدرا مشتركا بين أصحاب المقامات الثلاث علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين وكان فى البعض أقوى منه فى البعض ومنهم من يدوم له فيكون متمكنا أو لا يدوم له فيكون متلونا وقد يكون وراء الستر وان استولى عليه سلطان الذكر كما سيأتى فى محاله أشار الى ذلك بضرب من الاجمال أولا ثم بضرب من التفصيل ثانيا فقال رضى الله عنه

﴿فان يك تلوين فذو العلم حسبه * محاضرة من خلف مسدل الستر﴾
﴿وان يك داعين اليقين فحظه * مكاشفة جلت عن الفطر الفكر﴾
﴿وان يك تمكين فذو الحق حقه * مشاهدة من غير حجب ولا ستر﴾

التلوين صفة أرباب الأحوال ومعناه ما اقتضاه لفظه من الانقلاب وعدم الثبات على صفة واحدة بل كل وارد يرد عليه يصرفه على موجبه وحكمه فتارة كدودة القز لونها من لون البقلة التى هى فيها وا التمكين مقابل التلوين وهو الثبات وعدم الانقلاب ولا يرد عليه وارد الا اتبعه بقوة حاله و يغيره الوارد فتراه فى الحس لا فرق فى صفته بينه بعد ورود الوارد وقبله والتمكين صفة أهل الحقائق والرسوخ ومحله حق اليقين والتلوين محله علم اليقين وأما عين اليقين فهو فى الغالب محل الاصطلام والغيبة عنه وعن سائر الايام وصاحبه غريق الأنوار طموس الآثار وهذه الحالة لا توصف بتلوين ولا تمكين كما سيأتى وقد يكون تلوين فى بعض الاحايين ولكن الحكم للغالب فلذلك لم يعتبره الناظم حيث جعله واسطة بين التلوين والتمكين وقد تكون له أيضا افاقة ما ولا يسمى ذلك تمكينا فى الاصطلاح وأما اليقين باقسامه والمحاضرة والمكاشفة والمشاهدة فسيأتى الكلام عليها اذا تبين لك هذا فلنرجع لبيان النظم فالفاء من قوله فان يك تلوين فصيحة أى ايقاعها فى مثل هذا الموضع كشف عن فصاحته وذلك انه لما أحد فى بدء الحضور الموصوف بكونه يغيب الذاكر بسببه عن ذكره ورآه كما قدمناه قدرا مشتركا بين المقامات الثلاث وذوقى بعضها أقوى منه فى البعض ورأى ان نفس السامع تبقى متشوقة لذلك فقدر كان سائلا سأله عن ذلك فقال مجيبا له ان تشوفت الى معرفة ذلك فان يك الخ ثم طوى ذلك الشرط استغناء عنه بالفاء المشعرة به وهذا غاية فى الوجازة والفصاحة ويك فعل الشرط وهو مضارع كان التامة وهو أيضا على تقدير المتعلق والتقدير ان يكون أى للحاضر المفهوم من السياق وتلوين فاعل يك والفاعل من قوله فذو العلم جوابه الشرط وهى داخلة فى التقدير على مبتدأ وما بعدها فى الحال خبر عن ذلك المبتدا وأصل الكلام صاحب العلم أى صاحب مقام علم اليقين وقوله حسبه أى كفاه محاضرة مبتدا وخبر والجملة فى محل نصب على الحال امن ذو العلم وهى حال لازمة حسبه من الحضور والمحاضرة وقوله من خلف منسدل الستر صفة لمحاضرة وصفا بيانيا

لا يحصيها والسدل الارخا والسير بكسر السين ما يستر به وقوله وان يك داعي المعنى ان حرف
شرط ويك مضارع كان الناقصة وهو فعل الشرط وفي بعض النسخ بلفظ الماضي والمعنى واحد
وعلى النسخ ين فاسمها ضمير الخاطر المتقدم الذكر وداعي المعنى خبرها وقوله فحظه مكاشفة
مبتدا وخبر والفاء الداخلة عليه جواب الشرط وجملة الحصة المكاشفة وقوله وان يك يمكن
ان حرف شرط ويك فعل الشرط وهو مضارع كان التامة وهو على حذف المتعلق أيضا كالذي
قبله أي وان يكن له أي للخاطر المقدم تمكن وقوله فذوالحق حقه مشاهدة اعرابه كاعراب
قوله فذو العلم حسبه تخاطر حرفا بحرف وقوله من غير حجب ولا مرصفة لمشاهد وهما مفعولان
لانهما مصدران والحجب والورع والمنع والستر والمعطفة ونحوها ولا بد من هذه القيود ان
يقارب المقصود من الكاشفين لان لا تدخل الاعلى المعاطفين اللذين بينهما تغاير في المفهوم
﴿ قول ﴾ والله أعلم وان يك لهذا العبد الخاطر المتقدم الذكر حال التلوين بالزيادة والنقصان
والتنقل في الاحوال وهو صاحب مقام علم اليقين يعني صاحب علم بالله وصفاته وأسمائه وأفعاله
وغير ذلك مما يسمى اليقين فيه فقد تقرر عنده هذا العلم واستمر على طريق النظر والاستدلال
بحيث لا يقبل التزلزل وسكن في النفس والعقل سكونا يودي به الى اعتقاد الراسخ فيها وحمله
على الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية والتعلق بالاخلاق الالهية وحسبه من ذلك
الحضور بين يدي الله عز وجل الخاطر التي هي النظر من وراء حجاب وجوده المرخى بينه
وبين ربه وان كان الذكر مستوليا على قلبه وهذا المقام أول درجة في اليقين واليقين هو كما قال
شيخ الاسلام الهروي رضي الله عنه مركب الاخذ في هذا الطريق وهو غاية درجات العامة وقيل
أول خطوة الخاصة ويعني بقوله مركب الاخذ أي أخذ السالك لتحصيل مقام الجمع لانه اذا تيقن
ان هذا الطريق موصل الى الحق سبحانه حمله يقينه على ركوب الاهوال وتحمل المشاق
والاثقال وان كان الخاطر المذكور صاحب مقام عين اليقين فقد اخترق حجاب العلم في حقه وصار
يعاين به الامر على ما هو عليه فحظه من ذلك الحضور ونصيبه منه المكاشفة لاوصاف الحق
سبحانه وتعالى وهو به المرتبة تلك المكاشفة على النظر الفكري أي الحاصل على الدليل
والبرهان لان ذلك من وراء حجاب وهذا الحضور بعين العيان فقد ظهر الحق لمن تلبث هذا
الخاطر حتى صار في هذا العيان وان يك لهذا الخاطر المقدم حال التمكين أي الثبوت والرسوخ
في حضرة الحق فقد استولى سلطان الحقيقة عليه وامحى في موجها وفني في بحارها وصار بربه
لا بنفسه وليس بزائل حضور الحق فلا غيبة وجوده بنفسه لا يزول عن مقر بين ولا يصرفه عنه
صارف ولا يحجبه عنه مجنب فهو صاحب مقام حق اليقين أي تحقق بالذوق والوجدان
ما كان له على الشهود والعيان وهما يضمحل وجود العبد ولا يبقى له اسم ولا رسم ويبقى البقاء بالله
بالله والباقي له في هذه الحالة من ذلك الحضور ونصيبه منه المشاهدة للذات الاقدس بنظر
العيان من غير حجاب ولا ساتر يستر لخلوصه من ثوب وجود لمرادفة أنوار ودوام تمكنه
وقولنا بنظر الايمان نحو قول الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه انا لننظر الى الله تعالى
ببصر الايمان والايقان فأغنانا بذلك عن الدليل والبرهان وقال الامام جعفر الصادق رضي الله
عنه وعنا به لا تدركه الابصار بمشاهدة العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان ولا يحس
بالحواس ولا يقاس بالناس ويحكى ان رجلا قال للجنيد رضي الله عنه ما أنا القائم هل رأيتم

ربكم حين عبدتموه أم اعتقدتم الوصول اليه بقلوبكم فقال الجنيد رضى الله عنه أيها السائل ما كنا بالذى نعبد ربا لا نراه وما كنا بالذى نراه بعيوننا فنشبهه وما كنا بالذى نجهله ولا نبرهه فقال له الرجل فكيف رأيتموه فقال الكيفية معلومة فى حق البشر مجهولة فى حق الرب لن تراه الابصار فى هذه الدار بمشاهدة الاعيان ولكن تعرفه القلوب بحقائق الايمان ثم ترقى من المعرفة الى الرؤية بالمشاهدة بنور الامتنان فهو سبحانه مرئى بالحقائق القدسية منزه عن الصفات الحدثية مقدس بجماله منعوت بنصاله فلما سمع الرجل مقالة الجنيد قام وقبل يده وتاب ولازمه حتى ظهر عليه للخير أثر ولم يزل فى صحبته حتى ماتا رحمة الله عليهما وقد تكلم الشيخ أبو عثمان سعد الدين سعيد الفرغانى رحمة الله عليه على اليقين ومراتبه الثلاثة فقال واعلم ان اليقين هو سكون الفهم واطمئنانه واستقراره بزوال التردد من قولهم يقن الماء فى الحوض اذا استقر وسئل عنه الامام سهل رضى الله عنه فقال اليقين هو الله يعنى لا استقرار فى الحقيقة الا له واليه وهذا السكون والاستقرار اذا اضيف الى النفس والعقل المضاف اليهما بناء على صحة ودليل يدلهما على الامر المطلوب بهما يضاف اليه العلم المبنى على الابانة والظهور فيقال علم اليقين واذا اضيف الى الروح الروحانية بنظر يخرق حجاب الحجب الحائلة بينهما وبين ذلك الامر المطلوب وكشف حقيقته أو كيفيته فتعاينه وتشاهده عينه كما هو فى معدنه يقال لذلك السكون والاستقرار وعين اليقين واذا أضيف ذلك السكون والاطمئنان الى السر المضاف الى المعية لقوله تعالى وهو معكم يسمى حق اليقين فاليقين أمر واحد وباضافته الى أهل مراتب متنوعة يضاف اليه ما يختص بأهل كل مرتبة من علم يخاطب مخصوص ومن عين ومن حق ثم ان ما وقع فى هذه الابيات من ذكر التلوين والتمكين واليقين ومراتبه الثلاثة والمحاضرة والمكاشفة والمشاهدة كلها كلمات اصطلح القوم عليها وقد ذكرها الاستاذ أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه فى رسالته فقال المحاضرة ابتداء والمكاشفة بعده ثم المشاهدة فالمحاضرة حضور القلب وقد يكون بتواتر البرهان وهو بعد وراء الستر وان كان حاضرا باستيلاء سلطان الذكر ثم بعده المكاشفة وهو حضوره بنعت البيان غير مفتقر فى هذه الحالة الى تأمل الدليل وتطلب السبيل ولا مستجير من دواعى الريب ولا محجوب عن نعت الغيب ثم المشاهدة وهو وجود الحق من غير بقاء تهمة فاذا أصحى سماء السر عن غيوم الستر فشمس الشهود مشرقة على بروج الشرف وحق المشاهدة ما قاله الجنيد رحمه الله وجود الحق مع فقدانك فصاحب المحاضرة مربوط بآياته وصاحب المكاشفة مبسوط بصفاته وصاحب المشاهدة ملقى بذاته وصاحب المحاضرة يهديه عقله وصاحب المكاشفة يدنيه علمه وصاحب المشاهدة تمحوه معرفته ولم يزد فى بيان تحقيق المشاهدة أحد على ما قاله عمرو بن عثمان المكى رحمه الله تعالى انه توالى أنوار التجلى على قلبه من غير ان يتخللها ستر وانقطاع كما لو قدر اتصال البروق فكما ان الليلة الظلماء بتوالى البروق واتصالها اذا قدرت تصير فى ضوء النهار فكذلك القلب اذا دام به دوام التجلى متع نهاره فلا ليل ثم قال التلوين صفة أرباب الاحوال والتمكين صفة أرباب الحقائق فما دام العبد فى الطريق فهو صاحب تلوين لانه يرتقى من حال الى حال ومن وصف الى وصف ويخرج من مرحل ويحصل فى مربع فاذا وصل تمكن ثم قال وصاحب التلوين أبدا فى الزيادة وصاحب التمكين وصل ثم اتصل وامارة انه اتصل انه بالكلية عن كليته بطل وقال بعض المشايخ انتهى بعض الطالبين الى لطف نفوسهم فاذا ظفروا

به وشهودهم بعد ما وصلوا ودربه احساس أحكام البشرية واستيلاء سلطان الحقيقة فاذا دامت لهم
هذه الحالة فهو صاحب تمكين قيل واعلم ان التغير عارض على العبد يكون لاحد أمرين اما لتغير
الوارد أو لضعف صاحبه والسكون من صاحبه لاحد أمرين اما لقوته أو لضعف الوارد ثم قال
بعد ان ذكر عن شيخه الاستاذ أبي على الدقاق رضي الله عنه وجهين في دوام التمكين
أحدهما انه يصح دوام الاحوال لان أهل الحقائق ارتقوا عن وصف البشر بالطوارق قال
والاولى ان يقال ان العبد ما دام في الترقي فصاحب تلوين يصح في نعته الزيادة في الاحوال
والنقصان منها فاذا وصل الى الحق بانخناس أحكام البشرية مكنه الحق سبحانه بان لا يرده
الى معلولات النفس فهو متمكن في حاله على حسب محله واستحقاقه ثم ما يتحفه الحق سبحانه كل
نفس فلا حد لمقدوراته فهو في الزيادة متلون بل ملون وفي أصل حاله متمكن فابدا يتمكن في
حالة أعلى مما كان فيها قبل ثم يترقى عنها الى ما فوق ذلك اذ لا نهاية لمقدورات الحق في كل جنس
وأما المصطلم على شاهد الموفق عن احساسه بالكلية فللبشرية لا محالة حد فاذا اصطلم عن جملته
نفسه وحسه وكذلك عن المكونات بأسرها فاذا دامت به هذه الغيبة فهو محو فلا تمكين اذا ولا
تلوين ولا مقام ولا حال وما دام بهذا الوصف فلا تشريف ولا تكليف اللهم الا أن يجري
عليه من غير شيء منه بذلك متصرف في طوق الخلق بل مصرف الحقيقة قال الله تعالى
وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ثم قال وعلم اليقين على موجب
اصطلاحهم ما كان بشرط البرهان وعين اليقين ما كان بحكم البيان وحق اليقين ما كان بنعت
العيان فعلم اليقين لارباب العقول وعين اليقين لاصحاب العلوم وحق اليقين لاصحاب المعارف
انتهى وما ذكر من الترقي بعد التمكين هو قولهم التلوين في التمكين وهو مقام شريف وحال
منيف واليه يرجع قول من جعل التلوين من أكبر المقامات وان قال فيه حال قوله تعالى كل
يوم هو في شأن وبعضهم يجعله مقاما ثابتا وهو اشارة الى ما قدمناه من التلوين وقبل التمكين
وكذلك اختلفوا في المكاشفة والمشاهدة أيهما أعلى على هذا المعنى لان المكاشفة متعلقها المعاني
والمشاهدة متعلقها الذوات فالمشاهدة للمسمى والمكاشفة لحكم الاسماء قالوا ولما لم تصح شهود
الذات الاقدس فالمكاشفة أعلى لانها ألطف وهي باطنة الكشف والمشاهد يكشف اللطف
وما من أمر يشهده الا وله حكم زائد على ما وقع عليه الشهود ولا يدرى بالكشف مثال ذلك انا
شاهدت متحركا نطلبه الكشف بحركة لانه يعلم ان له محركا كشفا ولهذا يتعلق العلم بمعلومين
ويتعلق البصر الذي هو المشاهد بمعلوم واحد فيدرك المكاشف ما لا يدركه المشاهد فيحصل
بالكشف ما هو مجمل في الشهود وممن قال بان المكاشفة أعلى أبو الحسين النوري وأبو بكر بن
مبرك وأبو حامد وأبو العباس بن السيار رضي الله عنهم قال الامام أبو حامد المشاهدة ثلاثة
مشاهدة بالحق وهي رؤية الاشياء بدلائل التوحيد ومشاهدة للحق وهي رؤية الحق في الاشياء
ومشاهدة الحق وهي حقيقة اليقين بلا ارتياب والمكاشفة أتم من المشاهدة وهي ثلاثة مكاشفة
بالعلم وهي تحقيق الاصابة بالفهم ومكاشفة بالحال وهي تحقيق رؤية زائد الحال ومكاشفة
بالوجود وهي تحقيق صحة الاشارة والذي عليه الاكثرون ان المشاهدة أعلى وممن قال بذلك من أهل
السلف الاستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه وشيخ الاسلام الهروي وصاحب العوارف
والفخر الرازي رضي الله عنهم وعلى ذلك درج الناظم هنا قال شيخ الاسلام المشاهدة سقوط

الكلام لمقتضى الحال لانهم قد أثار قول الله ادر سره وما حمله ام بعد   الحجاب

الحجاب بتا وهي فوق المكاشفة لان المكاشفة ولايه النعت وفيها شئ من بقاء الرسم والمشاهدة ولاية العين والذات وأصل هذه الابيات قوله في العوارف ومما يعنى الكلمات المشيرة الى بعض الاحوال من اصطلاح الصوفية علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فعلم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال وعين اليقين ما كان من طريق الكشوف والنوال وحق اليقين ما كان بتحقيق الانفصال عن لوث الصلصال قال فارس علم اليقين الاضطراب فيه وعين اليقين هو العلم الذى أودعه الله الاسرار والعلم اذا انفرد من نعت اليقين كان علما بشبهة فاذا انضم اليه اليقين كان علما بلا شبهة وحق اليقين هو حقيقة ما يشير اليه علم اليقين وعين اليقين قال الجنيد حق اليقين ما يتحقق العبد بذلك وهو ان يشاهد الغيوب كما يشاهد المرئيات مشاهدة عيان ويحكم على الغيب بخبر عنه بالصدق كما أخبر الصديق رضي قال لما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا أبقيت لعيالك قال الله ورسوله وقال بعضهم علم اليقين حال المعرفة وعين اليقين حال الجمع وحق اليقين جمع الجمع بلسان التوحيد وقيل اليقين اسم ورسم وعلم وعين وحق فالاسم والرسم للعوام والعلم علم اليقين للاولياء وعلم اليقين لخواص الاولياء وحق اليقين للانبياء وحقيقة حق اليقين اختص بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال ومنها المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة المحاضرة لأرباب التلوين والمشاهدة لأرباب التمكين والمكاشفة بينهما الى أن تستقر المشاهدة والمحاضرة لاهل العلم والمكاشفة لاهل العين والمشاهدة لاهل الحق أى حق اليقين ثم قال ومنها التلوين والتمكين فالتلوين لارباب القلوب لانهم تحت حجب القلوب وللقلوب تخلص الى الصفات وللصفات تعدد فتعدد جهاتها وظهر لارباب القلوب بحسب تعدد الصفات تلوينات ولا تجاوز للقلوب وأربابها من عالم الصفات وأما أرباب التمكين فخرجوا عن مشام الاحوال وخرقوا حجب القلوب وباشر أرواحهم سطوع نور الذات فارتفع التلوين لعدم التلوين فى الذات اذ جل ذاته عن حلول الحوادث والتغيرات فلما خلصوا من مواطن القرب من الصفة بتجلى الذات ارتفع عنهم التلوين فالتلوين حينئذ يكون فى نفوسهم لانها فى محل القلوب لموضع طهارتها وقدسها والتلوين الواقع فى النفوس لا يخرج صاحبه عن حال التمكين فى النفس لبقاء رسم الانسانية وثبوت القدم فى التمكين كشف فى الحقيقة وليس المعنى بالتمكين ان لا يكون للعبد تغير فانه بشر وانما نعنى به ان ما كوشف به من الحقيقة لا يتوارى عنه أبدا ولا يتناقص بل يزيد وصاحب التلوين قد يتناقص الشئ فى حقه عند ظهور صفات نفسه وتغيب عنه الحقيقة فى بعض الاحوال ويكون ثبوته على مستقر الايمان وتلوينه فى زوائد الاحوال انتهى ثم قال رضى الله عنه

﴿ يشاهدنا نور التجلى حقيقة * ولا خوف يوما من حجاب ولا ستر ﴾

تختلف النسخ هنا فيقع فى بعضها يشاهدها البيت مقصدها على يشاهد أنوار التجلى البيت وعليه فالضمير فى يشاهدها للذات الاقدس وان لم يتقدم ذكرها لدلالة المقام عليها وذكر الشهود يقتضيها والمعنى كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب يعنى الشمس على أحد التأويلين وان لم يتقدم ذكرها والاولى ان يكون قوله يشاهدها مشيرا يعنى المنازلة أو يكون معناه ينازلها حقيقة وعبر عنه بذلك لوقوعه فى صحبة قوله قبل مشاهدة ويكون فيه من أنواع البديع المشاكلة كقول الشاعر قالوا اقترح شيأ نجد لك طبخه * قلت اطبخوا الى جبة وقميصا

أي حفظوا والضمير المتصل به يعود للشاهد المذكور وعلى هذا فيكون الكلام آخذا بعضه
ما قبله ويقع في بعض النسخ بالعكس وهو تقديم شب شاهد انوار التجلي وهو أنسب لأنه تفسير
لقوله في البيت قبله حقيقة مشاهد فالاتيان به أثر تقدما على قوله شاهدها أولى من العكس
مع ما فيه اتصال يكون لفظه شاهدها المذكور على هذا الترتيب الذي قلنا انه أولى مبني على
حقيقتها وظاهر ما في غير احتياج كانه اسم اسماعيلي المبارك كما مخرج المه الترتيب الآخر
المرجوح وعليه فالضمير المتصل به أي شاهد يعود لانوار التجلي والانوار جمع نور وهو الظاهر
في نفسه المظهر لغيره وان سبت ذلك عبارة عما يشرق بنفسه ويظهر به غيره وهذه الانوار هنا
ليست محسوسة وانما هي معقولة اذ النور في الجملة كما صرح به الامام أبو حامد أبو بكر بن
العربي رضي الله عنهما وغيرهما منه ما هو محسوس كالشمس والقمر والكواكب ومنه ما هو
معقول أعلاه هو الله عز وجل ثم بعد أنوارهما كلامه ورسله وتجلي الشيء ظهر بذاته هذا هو
حقيقته اللفظ واطلاقه على ظهور بالفعل والوصف مجازي وقول الناظم اذا شاهد أنوار التجلي
حقيقة معا شاهد أنوار تجلي الذات لا أنوار تجلي الافعال أو الصفات فحقيقة منصوب بالتجلي
على انه تمييز له أي نرى تمييزا لا عن أنوار التجلي حقيقة وهو تجلي الذات لا انوار التجلي مجازا وهو
تجلي الافعال والصفات والمقصود انه شاهد أنوار الذات لكن لما كانت مشاهدته تلك الانوار
ملازمة مع تجلي الذات أنتج بينهما لفظة التجلي وأضاف اليها الانوار والاضافة تقع بأدنى ملابسة
مع ما فيه من تكميل وزن البيت وهذا على تفسير التجلي بالظهور كما للمعصوم وقال الامام أبو حامد
رضي الله عنه وجماعة التجلي ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب وعليه فاضافة الانوار اليه بيانية
أي الانوار التي هي التجلي وفي العوارف قال بعضهم التجلي رفع الحجب البشرية لا تلون ذات الحق
عز وجل والاستتار ان تكون البشرية حائلة بينك وبين شهود الحق وقال الشيخ أبو العباس بن
البنا رضي الله عنه وغيره التجلي اشراق أنوار اقبال الحق على القلوب وقوله فلا حرج الحرج الماء
ثم معنى صدر البيت وحرف اسم لا مركب معها وما طرف منصوب بمحذوف ومن تحتاب الخ
خبر لا ويجوز أن يكون الظرف هو الخبر ومن تحتاب متعلق بمحذوف والحجاب المانع والستر بكسر
السين ما ستر به الشيء ولابد من هذا التعريف واذا تعارف المقصود من الكامس لان لا انتحل
الانس المعاطين الذين بينهما تعارف في المفهوم ولا تعالم فلا ما عندي شيخ ولا ر وما عندي عند
ولا ذهب ﴿يقول﴾ والله أعلم شاهد هذا الممكن الذي حقيقة الحضور المذكور مل ما كان
منه باستثناء الخطر بصير الاتيان وهو شاهد أنوار الذات الاقدس حقيقة يدار يقع عنه
الاحتمال على أن يكون ذلك شهود الصفات أو الافعال ولا حرج ولا حذر بحجبة حتى ان
الاحجاب من مانع عنه ولا ساتر يستر وذلك ان الاستتار انما تكون لظهور صفات النفس
وبقاء شيء من وجود العبد وصاحب هذه الحالة ملون وهذا مما انه ممكن فشأنه دوام
التجلي لانه لم يبق به نفسه ع عليها الاستتار وقد استولى سلطان الحقيقة عليه واذهب وجوده
وامحى تعينه واثباته وأثبت الحق اثباته ومكنه حتى بلغ مرتبة هذه ومقامه بل لا ترده
الملومات فيه ويحكم بستر به هكذا أجرى الله سنته وأجرى عادته مع الذين اصطفى من عباده
وأهلهم لقربه ووداده ان من لم يفهم هذه المرتبة السر فهو المرتبة المنيعة لا يتبدل دونه بعد
سائر حتى لو طلب أحدهم السر ما أعطيه كما قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه لما كشف

الله تعالى وتصها الحديث اذا كان حال هؤلاء الطائفة كما هو مذكور في السؤال لي

لى عن الساق قلت الحق احتجب عنى كما احتجبت عن خلقك فقال لو سألتنى ما سألنى به موسى كليمى وعيسى روحى ومحمد صفيى لما احتجبت عنك ولكن سلنى ان أتوبك مما سألته فقوالى ووالله لو احتجب عنى طرفة عين لمت وأصل البيت ما تقدم من العوارف فى التمكين فراجعه

ثم قال رضى الله عنه

﴿ يشاهده اسر الذى ذكر قلبه * عتيدوان كف اللسان عن الذكر ﴾

اختلاف النسخ فى تقديم هذا البيت على ما قبله وتأخيره عنه قد تقدم الكلام عليه فى الذى قبله والسر المعنى هنا استوفى الكلام عليه صاحب العوارف فقال وأما السر فقد أشار القوم اليه ووجدت فى كلام القوم ان منهم من جعله بعد القلب وقبل الروح ومنهم من جعله بعد الروح وأعلى منه والطف وقال السر محل المشاهدة والروح محل المحبة والقلب محل المعرفة والسر الذى وقعت اشارة القوم اليه غير مذكور فى كلام الله عز وجل واما المذكور فى كلام الله الروح والنفس وتنوع صفاتها والقلب والفؤاد والعقل وحيث لم نجد فى كلام الله ذكر السر بالمعنى المشار اليه ورأينا الاختلاف فى القول فيه وأشار قوم الى انه دون الروح وقوم الى انه ألطف من الروح فنقول والله أعلم الذى سموه سرا السر هو شئ مستقل بنفسه له وجود وذات كالروح والنفس وانما لما صفت النفس وتركت انطلق الروح من وثاق ظلمة النفس وأخذ فى العروج الى أوطان القرب وانتزح القلب عن ذلك من مستقره متطلعا الى الروح فاكتسب وصفا زائدا على وصفه فاستعجم على الواجدين ذلك الوصف حيث رأوه أصفى من القلب فسموه سرا لما صار للقلب وصف زائد فى عروجه راستعجم فسموه سرا والذى زعموا انه الطف من الروح متصفة بوصف أخص مما عهدوه والذى سموه قبل الروح سرا هو قلب اتصف بوصف زائد على غير ما عهدوه وفى مثل هذا الترقى من الروح والقلب يترقى النفس الى محل القلب ويطلع من وصفه فتصير نفسا مطمئنة تريد كثيرا من مرادات القلب من قبل اذا صار القلب بريدا بريد مولاه متبريا عن الحول والقوة والارادة والاختيار وعند هذا وطئ صرف العبودية حيث صار حرا من ارادته واختياراته اه وعلى هذا الذى اختار صاحب العوارف فى السر وانه ليس أمرا زائدا على الروح والقلب جرى تلميذه الناظم فى هذه القصيدة فانه تارة يذكر الروح فى مقام ذكر القوم فيه السر وهو مقام المشاهدة وحق اليقين والقلب عند صاحب العوارف لطيفة من عالم الامر كتكون الذرية بين آدم وحواء فى عالم الخلق ثم أطال فى بيان ذلك وعند الروح والنفس والقلب والعقل أمور مختلفة لاختلاف أسمائها وعند الامام ابى حامد رضى الله عنه القلب لطيفة ربانية روحانية قال وهى الروح والنفس والعقل وليس ثم أمر آخر زائد وسيأتى مزيد بيان لهذا ان شاء الله تعالى وتقدس وقوله سر الذى الخ فاعل يشاهدها وذكر قلبه عتيد مبتدأ وخبر والجملة صلة للذى وعتيد أصله حاضر قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد أى حاضر واشرب هنا معنى الوجود أى ذكر قلبه موجود وقوله وان كف أى أمسك اللسان الخ اغياء أى ذكر قلبه موجود حتى فى حال سكوت لسانه ﴿ يقول ﴾ والله أعلم يشاهد هذه الانوار ويتنازل هذه المشاهدة على الترتيب الآخر سر الشخص الذى استولى عليه الذكر حتى صار دائم ذكر القلب ذكر اللسان أو أمسك فان الانسان يتكلف الذكر ويضرب قلبه بلسانه حتى يتجوهر لسانه بالذكر ولا يزال يداوم عليه

حتى يجرى الا اسم و يمكن منه الذكر فاذا جرى يمكن منه الذكر عاد مطلوبه طالبا ومرغوبه
راغبا ولو ساجرى الذكر على اللسان لا اجزاء ولا يعمل ولو امسك اللسان عن الذكر فانه يجرى
على القلب ان الامام ابو حامد رضى الله عنه ولا يزال بعد جلوسه فى الخلوة قائلا بلسانه الله الله
الله مع حضور القلب الى ان ينتهى الى حاله يترك تحريك اللسان ويرى كان الكلمة جارية
على اللسان ثم يصبر عليه الى ان يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى
معنى الكلمة مجردا فى قلبه حاضرا فيه كانه لازم له لا يفارقه وله اختيار الى ان ينتهى الى هذا
الحد واختيار فى استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار فى استجلاب رحمة الله
تعالى بل هو غايته انه قد تعرض لنفحات الرحمة فلا يبقى الا الانتظار لما يفتح الله تعالى من
رحمته كما فتح على الانبياء صلوات الله عليهم والاولياء رضى الله عنهم بهذا الطريق وعند ذلك اذا
صدقت ارادته وصفت همته وحسنت مواظبته ولم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق
الدنيا تلمع لوامع الحق فى قلبه ويكون فى ابتدائها كالبرق الخاطف لا تثبت ثم يعود وقد يتأخر
وان عادت فقد تثبت وقد يكون مختطفة وان ثبت بعضه قد يطول ثباتها وقد لا يطول وقد يتظاهر
امثالها على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد ومنازل اولياء الله تعالى فيه لا تحصى كما
لا تحصى تفاوت خلقهم واخلاقهم وينظم هذا المعنى الشيخ ابو عبد الله محمد بن سعيد السالعيي
رضى الله عنه فى مناجته وقال له انشادى فى بروج المريد

بعد ما ملت الى الزوال * ادخل فى خلوة الاعتزال

وقل قل على الدوام الله * واحذر كطرف العين ان تنساه

ولم يزل مستعملا للذكر * فتصمت اللسان وهو يجرى

ثم جرى معنا فى الفؤاد * حتى ابدا فى جملة الاجساد

قال الشيخ ابو العباس زروق رضى الله عنه ووجه ذلك من طريق الحكمة ان القلب له علقة
بالجوارح والمعانى لما ستدومها فاذا ذكر اللسان والعين القلب فكان تارة معه وتارة
غافلا عنه ثم يصير مصاحبه باعتبار الالتفات اليه حتى ينطبع معانى ما يجرى على اللسان فيه
ولا يبقى خلو عن تلك المعانى وما تزحزح الى غيره واذا انعكست هذه المعرفة عاد ذكر اللسان
برحمه وغطه ثم ياتى الفنا فى المذكور الغيبة عما سواه من ذكر وغيره بحيث يرى انه معزول
عن النفس ولا هو الذاكر والمذكور لان كل شئ منه بدا واليه يعود واصل السعوله فى
الا وارف واختار جمع من المشايخ الذكر لا اله الا الله وهذه الكلمة لها خاصية فى تنوير
الباطن وجمع الهم اذا داوم عليها صادق مخلص وهى من مواهب الله لهذه الامة وفيها خاصية لهذه
الامة ثم قال لا يزال العبد فى خلوته حتى يردد هذه الكلمة على لسانه مع مواطاة القلب حتى تصير
الكلمة متأصلة فى القلب من له حديث النفس تنوب معناها فى القلب عن كل حديث النفس
واذا استولت الحكمة وسهلت على اللسان تشربها القلب فلو سكت اللسان لا يسكت القلب
بجوهره فى القلب وبجوهرها يسكن نور المعنى فى القلب حتى اذا ذهبت صورة الكلمة من
اللسان والقلب لا يزال نورها بجوهرها او بحد الذكر مع رؤيته عظمة المذكور سبحانه وتعالى
وتصير الذكر حينئذ ذكر الذات وهذا الذكر المشاهدة والمكاشفة والمعاينة اعنى ذكر الذكر
بجوهر نور الذكر وهذا هو المقصود الاقصى من الخلوة وقد يحصل هذا الذكر الكلمة بل

بعض جار شئ ولعرض كما يزل النبى صلى الله عليه وسلم الا فصل تعلمها بلاوه

بتلاوة القرآن اذا أكثر من التلاوة واجتهد في مواطاة القلب مع اللسان حتى تجري التلاوة على اللسان ومعنى الكلام مقام حديث النفس وتدخل على العبد سهولة في التلاوة والصلاة ويتنور الباطن بتلك السهولة في التلاوة والصلاة ويتجوهر نور الكلام في القلب في مطالعة عظمة المتكلم سبحانه ودون هذه الموهبة لا ينفتح على العبد من العلوم الالهامية اللدنية والى حين بلوغ العبد هذا المبلغ من حقيقة الذكر والتلاوة اذا صفى باطنه وقد يغيب في الذكر من كمال انسه وحلاوة ذكره حتى يتمكن في غيبته بالذكر التام ولما فرغ من ذكر صاحب علم اليقين وعينه وحقه على سبيل الاجمال وأراد أن يذكر ذلك على سبيل التفصيل وكانت المحبة أصلا لذلك اذ هي المثمرة للاحوال كما ان التوبة أصل في مقامات الانزال أشار لذلك فقال رضي الله عنه

﴿ولكل من كاس المحبة شربة * سرت فيه سري الماء في الغصن النضر﴾

الكأس لغة الاناء بما فيه من الشراب وقد يسمى كل واحد بمفرده كأسا يقال كأس حال وشربت كأسا وقيل اذا خلا يسمى قدحا لا كأسا وأما عند القوم فسيأتي الكلام عليه والمحبة قال الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه المحبة أخذ جمال المحبوب بحبة القلب حتى لا يمكنه الالتفات لغيره ولا العمل بغير ما فيه رضاه ايثارا له على ما سواه اهـ وقال الشيخ أبو طالب رضي الله عنه وقيل ان للقلب حبة هي باطنه عليها تعلق المحبة ومنه سميت محبة كان اشتقاقها من حبة القلب وهي التي يقال لها سويداؤه والميم في الاسماء قد تزاد للمبالغة في الوصف والشربة مقدار الري من الماء كالحسوة والغصن القضيب والناضر الناعم الحسن وقوله شربة هو مبتدأ ومن كاس المحبة متعلق به وسرت فاعله ضمير المحبة وسري الماء مفعول مطلق عامله سرت وفي الغصن متعلق بسري الماء والنضر صفة لغصن وجملة سرت الى آخرها صفة لشربة وخبر المبتدأ في المجرور قبله وهو قوله ولكل ﴿يقول﴾ والله أعلم ولكل واحد من صاحب علم اليقين وعينه وحقه شربة من كأس محبة الحق تعالى وتقدس سرت فيه تلك الشربة كما سري الماء في الاغصان الناعمة الغضة أي سريا لم يمكن كل واحد منهم التخلف عن موجبه بحسب مقامه ورتبته واستعداده وقابليته بحيث أشلى صاحب العلم على الموافقة في جميع الحالات وأغرى صاحب العين على كثرة الشرب حتى غادره الحال لا يفرق بين الغيبة والذات وحمل صاحب الحق على مواصلة شرب الليل بالنهار حتى تجوهر بخمره فأفاق من تلك الطفحات فامتزجت منه ومنها النعوت بالنعوت والصفات بالصفات قال الشيخ أبو محمد عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه المحبة أخذة من الله لقلب من أحب بما يكشف له من نور جماله وقدس كمال جلاله وشراب المحبة مزج الاوصاف بالاوصاف والاخلاق بالاخلاق والانوار بالانوار والاسماء بالاسماء والنعوت بالنعوت والافعال بالافعال ويتسع فيه النظر لمن شاء الله عز وجل والشرب سقي القلوب والاوصال والعروق من هذا الشراب حتى يسكر ويكون الشرب بالتدريب والتهذيب ويسقى كل على قدره فمنهم من يسقى بغير واسطة والله متولى ذلك منه له ومنهم من يسقى من جهة الوسائط كالملائكة والعلماء والاكابر من المقربين ومنهم من يسكر بشهود الكاس ولم يذق بعد شيأ فما ظنك بعد بالذوق وبعد بالشرب وبعد بالري وبعد بالسكر وبعد بالمشروب ثم الصحو بعد ذلك على مقادير شتى كما السكر أيضا كذلك والكاس معرفة الحق يغرف بها من ذلك

الشراب الطهور والساقي لمن يشاء من عباده المخصوصين من خلقه فتارة يشهد الشارب تلك الكاس صورة وتارة يشهدها معنوية وتارة يشهدها علمية فالصور حظ الابدان والانفس والمعنوية حظ القلوب والعلمية حظ الارواح والاسرار فياله من شراب ما أعذبه فطوبى لمن شرب فدام ولم ينقطع عنه نسأل الله من فضله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقد يجتمع جماعة من المحبين فيسقون من كاس واحدة وقد يسقون من كؤوس كثيرة وقد يسقى الواحد كاسا وكؤوسا وقد يختلف الاشربة بحسب عدد الاكواس وقد يختلف الشرب من كاس واحد وان شرب منه الجم الغفير من الاحبة وقال تلميذ الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه المحبة أخذة من الله لقلب عبده عن كل شيء سواه فترى النفس مائلة لطاعته والعقل متحصنا بمعرفته والروح مأخوذة في حضرته والسر مغمورا في مشاهدته والعبد يستزيد فيزاد ويفاتح بما هو أعذب من لذيذ مناجاته فيكسى حلل التقريب على بساط القربة ويمس ابكار الحقائق وثيبات العلوم فمن أجل ذلك قالوا أولياء الله عرائس ولا يرى العرائس المجرمون ثم قال الشراب هو النور الساطع من جمال المحبوب والكاس هو اللطف الموصل ذلك الى افواه القلوب والساقي المتولي ذلك لخصوص الاكابر والصالحين من عباده وهو العالم بالمقادير ومصالح أحبابه فمن كشف له عن ذلك الجمال وحظي بشيء منه نفسا أو نفسين ثم أرخي عليه الحجاب فهو الذائق المشتاق ومن دام له ساعة أو ساعتين فهو الشارب حقا ومن توالى عليه الامر ودام له الشرب حتى امتلأت عروقه ومفاصله من أنوار الله المخزونة فذلك هو الري وربما غاب عن المحسوس والمعقول فلا يدري ما يقول ولا ما يقال فذلك هو السكر وقد يدور عليهم الكاسات وتختلف لديهم الحالات ويردون الى الذكر والطاعات ولا يحجبون عن الصفات مع تزاحم المقدورات فذلك وقت صحوهم واتساع نظرهم ومزيد علمهم فهم بنجوم العلم وقمر التوحيد يهتدون في ليلهم وبشموس المعارف يستضيئون في نهارهم أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون وقد تكلم صاحب العوارف في المحبة العامة التي هي لصاحب علم النفس وعمر قال رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم اجعل حبك أحب الي من نفسي وسمعي وبصري وأهلي ومالي ومن الماء البارد فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب خالص الحب وخالص الحب هو ان يحب الله تعالى بكليته وذلك ان العبد يكون في حالة قائما بشروط حاله بحكم العلم والجبلة متقاضيا بشدة العلم لان يكون راضيا والجبلة تذكر وتكون النظر الى الاضداد العلم الى الاسم متقاضيا الجبلة فقد يحب الله ورسوله بحكم الايمان ويحب الاهل والولد بحكم الطبع والمحبة وجود دواعي المحبة للانسان متنوعة فمحبة الروح ومحبة القلب ومحبة النفس ومحبة العقل فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الاهل والمال والماء البارد استعمال عروق المحبة بمحبة الله حتى يكون حب الله غالبا فيحب الله تعالى بقلبه وروحه وكليته حتى يكون حب الله أغلظ في الطبع أيضا والجبلة من حب الماء البارد وهذا يكون حبا خاصا بخواص تتعمر به صورة نار الطبع والجبلة وهكذا يكون حب الذات عن مشاهدة تعكف الروح وخلوصه الى مواطن القرب قال الواسطي في قوله تعالى يحبهم ويحبونه كما انه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فالهاء راجعة الى الذات دون النعوت والصفات قال بعضهم الحب شرطه ان تلحقه سكرات المحبة فاذا لم يكن ذلك لم يكن فيه حقيقة فاذا القلب سكران من حب غائب

انا ابن بي لحسا والله الهادي وعليه اعتمادي أمر بمحمد راجي لطف ربه الجلي جمال وجما

وحب خاص فالحب العام مفسر بامتثال الامر ورضا جاء من معدن العلم بالآلاء والنعماء وهذا الحب محركه من الصفات وقد ذكر جمع من المشايخ الحب في المقامات فيكون النظر الى هذا الحب العام الذي يكون لكسب العبد فيه مدخل أما الحب الخاص فهو محبة الذات عن مطالعة الروح وهو الحب الذي فيه السكوت وهو الاصطناع من الله الكريم لعبده واصطفاؤه اياه وهذا الحب يكون من الاحوال لانه محض موهبة ليس للكسب فيه مدخل وهو مفهوم من قول النبي صلى الله عليه وسلم أحب الي من الماء البارد لانه كلام عن وجدان روح تلتذ بحب الذات وهذا الحب روح والحب الذي يظهر من مطالعة الصفات ويطلع من مطالع الايمان قالب الروح ولما صحت محبتهم هذا أخبر الله عنهم بقوله أذلة على المؤمنين لان المحب يذل لمحبوبه والمحبوب محبوبه وينشد

لعين تفدى ألف وتتقى * ويكرم ألف للحبيب المكرم

وهذا الحب الخاص هو أصل الاحوال السنية وموجبها وهو في الاحوال كالتوبة في المقامات فمن صحت توبته على الكمال تحقق بسائر المقامات من الزهد والرضا والتوكل على ماشرحناه أولا ومن صحت محبته هذه تحقق بسائر الاحوال من الفناء والبقاء والصحو والمحو وغير ذلك والتوبة لهذا الحب أيضا بمثابة الجثمان لانها مشتملة على الحب العام الذي هو لهذا الحب كالجسد ومن أخذ في طريق المحبوبين وهو طريق خاص من طريق المحبة يتكامل فيه ويحتمي له روح الحب الخاص مع تلبس الحب العام الذي يشتمل عليه التوبة النصوح وعند ذلك يتقلب في أطوار المقامات لان القلب في أطوار المقامات والترقي من شئ منها الى شئ طريق المحبين ومن أخذ في طريق المجاهدة من قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومن قوله تعالى ويهدي اليه من ينيب أثبت كسب الانابة سببا للهداية وفي حال المحبوب صرح الاجتباء غير معلل بالكسب فقال يجتبي اليه من يشاء فمن أخذ في طريق المحبوبين يطوى في بساط أطوار المقامات وينسدرج فيه صفوها وحلالها ثم وصفها والمقامات لا تقيده ولا تحبسه ويعبدها ويحبسها بترقيه منها واستتراعه صفوها وخالصها لانه حيث أشرقت عليه أنوار الحب الخاص خلع ملابس صفات النفس ونعوتها والمقامات كلها صفة للنعوت والصفة النفسانية والزهد يصفيه عن الرغبة والتوكل يصفيه عن قلة الاعتماد المتولد من جهة النفس والرضا يصفيه عن ضربان عرق المنازعة والمنازعة لبقاء جمود في النفس ما أشرق عليها شموس المحبة الخاصة فبقي ظلمتها وجمودها فمن تحقق بالحب الخاص لانت نفسه وذهب جمودها فاذا برع الزهد فيه من الرغبة ورغبة الحب أحرقت رغبته وماذا يصفي فيه التوكل ومطالعة الوكيل حاشا بصيرته وماذا سكن فيه الرضا من عروق المنازعة والمنازعة ممن لم يسلم كليته قال أبو علي الروذباري مالم تخرج من كليتك لا تدخل في حد المحبة وقال أبو يزيد من قتله محبته فديته رؤيته ومن قتله عشقه فديته منادمته ثم قال فاذا التقلب في أطوار المقامات لعوام المحبين وطي بساط الأطوار لخواص المحبين وهم المحبوبون تخلفت عن هممهم المقامات وربما كانت المقامات على مدارج طبقات السموات وهي مواطن من يثغر في أذيال بقاياه قال بعض الكبار يعني الحسين بن منصور الحلاج لابراهيم الخواص الام أدى بك التصوف وقال الى التوكل فقال تسعى في عمران باطنك أين أنت من الفناء في التوكل برؤية الوكيل

فالنفس اذا تحركت بشهواتها نقلته من دار الزهد ردته الى الدار بزهده والتوكل اذا تحركت
ردها توكله والراضي يردها رضاه وهذه الحركات من النفس بقايا وجودية تفتقر الى سياسة
العلم في ذلك فيتم روح القرب من بعد وهو اذا حق العبودية بعلم العلم وبحسب الاجتهاد
والكسب ومن أحدق طريق الخاص عرف طريق التخلص من البقايا النفس بأنوار فضل
الحق ومن اكتسى ملابس نور اقتراب بروح دائم العكوف محبته عن الطوارق والعوارض
لا رغبة تطلب ولا توحشه سلب والزهد والتوكل والرضا كائن فيه وتنوع غير كائن فيها على معنى أنه
كيف قيل كان زاهدا أو ان رغب لأنه بالحق لا بنفسه وان روى فيه التفات الى الاسباب فهو
متوكل وان وجدت الكراهة فهو راض لأن كراهته لنفسه ونفسه للحق وكراهته بالحق أعيد
اليه نفسه بدواعيها رضا بها فطهرت فهو بمحبوبه مطلوب بها فصار عين الدواء وصار
الاعلال شفاء بأن طلب الله له فات كل طالب من زهد وتوكل ورضا وصار مطلوبه من الله
سوقه عن كل مطلوب من زهد وتوكل ورضا قال بعضهم محب الله لا يسكن حبه وأنينه
حتى يسكن مع محبوبه وقال أبو عبد الله القرشي حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت ولا يبقى
لك منك شيء وقال أبو الحسن الوراق السرور بالله من شدة المحبة والمحبة في القلب نار تحرق
كل دنس وقال يحيى بن معاذ صبر المحب أشد من صبر الزاهدين وأعجب كيف يصبر الانسان عن
حبيبه وقال بعضهم من ادعى محبة الله بغير ورع عن محارمه فهو كذاب ومن ادعى محبة
الجنة من غير انفاق ملكه فهو كذاب ومن ادعى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير حب
الفقراء فهو كذاب وكانت رابعة تنشد

تعصي الإله وأنت تظهر حبه * هذا لعمري في الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته * إن المحب لمن يحب مطيع

واذا كان الحب للأحوال كالتوبة للمقامات كان من ادعى حالا بغير حبه ومن ادعى محبة بغير توبة
فان التوبة قالب روح الحب وهذا الروح قائمة بهذا القالب والاحوال اعراض قائمة
بجوهر الروح وقال يعقوب ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والآخرة لأن النبي عليه السلام
قال المرء مع من أحب فهم مع الله تعالى وقال أبو يعقوب السوسي لا تصح المحبة حتى تخرج من
رؤية المحبة الى رؤية المحبوب بفناء علم المحبة من حيث كان له المحبوب في الغيوب لم تكن
هذا بالمحبة فاذا خرج المحب الى هذه النسبة كان محبا من غير محبة ثم قال بعد كلام سنفصله ان شاء
الله على قوله ولما شربت النفس الأسباب واذا صحت المحبة ترتبت عليها الأحوال سئل الشبلي
عن المحبة فقال كأس لها وهج اذا استقر في الحواس وسكن في النفوس تلاشت وقيل المحبة
ظاهر وباطن فظاهرها اتباع رضا المحبوب وباطنها أن يكون مفتونا بالحبيب عن كل شيء
ولا يبقى فيه بقية لغيره ولا لنفسه ولما ذكر في هذا الباب أن كل واحد من المقامات الثلاث
لصاحبه شربة من كأس المحبة وكان يقل تلك الشربة في كل واحد بحسب طبيعة مقامه لأن
السكرات تختلف في كل شخص بمقتضى الطبيعة الغالبة عليه وذلك لأن الانسان مركب من
طبائع أربع كل واحدة منها شرع وتنبع لما أجرى الله بحكم عادته أن يخلق في البدن عند شرب الخمر
والدم يتبع للنشاط والانبساط والصفراء للمخاصمة والمغاربة الى غير ذلك ولكن نور العقل
يمنع كل واحد عن الشر في مقتضاها فاذا غلب بالاسكار صار الطبيعة الغالبة تقوى مقتضاها

لب على الالتزام به كالتزامه بالفرائض فهذا مكروه   فلذلك

ولذلك ترى صاحب الدم اذا سكر يكثر بسطه وانشراحه وصاحب الصفراء تسيء خلقه ويخاصم ويقاتل الى غير ذلك وكذلك من ولد الولادة الثانية وصارت أمزجته من طينة المقامات الثلاث اذا أخذ في الشرب من كاس محبة الحق وكان نقله على ما قدمناه من أول القصيدة الى هنا غطى عنه ظلام الطبع والنفس أوازعين لطبيعة كل مقام عن الاسترسال في مقتضاها وطبيعة علم اليقين في الأمر والنهي وعين اليقين الاشتياق الى اللقاء وحق اليقين شخوص النظر والبهت ولذلك ترى صاحب العلم لا يفتر عن العمل وصاحب عين اليقين لا يلتفت الى العمل غائب عنه فيه وصاحب الحق لا يلتفت لسواه لاستغنائه بالمسامرة وأدب الحضر كما قال أبو العباس بن عطاء رضي الله عنه المحبة أغصان تغرس في القلب فتثمر على قدر العقول ثم أخذ في بيان ما فعلته تلك الشربة في كل واحد من الثلاثة وما استتبعه فعله فقال رضي الله عنه

﴿فذو العلم طوع الحب والحب عنده * موافقة المحبوب في العسر واليسر﴾

الفاء المصدر بها البيت على ما ذكرنا في مقدمة البيت فصيحة وتقدم شرحها غير مرة وذو العلم مبتدأ وطوع الحب خبره أي سرت تلك الشربة فيه مرافقة محبوبه ويجوز في حائه الضم والكسر وعلى الضم فالاسناد من المجاز العقلي وقوله والحب عنده الخ تفسير وايضاح لحقيقة الحب عند صاحب هذا المقام وفي العسر متعلق بموافقة واليسر معطوفا عليه وبين المتعاطفين من أنواع البديع المطابقة وهي الجمع بين أمرين بينهما تقابل حقيقي أو اعتباري ولو في صورة مما هو موجود بين العسر واليسر ﴿يقول﴾ والله أعلم فأثرت تلك الشربة من محبة الحق تعالى وتقدس في صاحب علم اليقين أي صيرته طوع محبوبه وحقيقة الحب عنده موافقة المحبوب في عسر المؤلمات ويسر الملائمات فلا قصد الا قصد محبوبه منه قال بعضهم المحبة موافقة المحبوب على ما أساء وسر ونفع وضر وقال أبو علي الروذباري رضي الله عنه المحبة الموافقة وقال سهل رضي الله عنه الحب معانقة الطاعة ومباينة المخالفة وقال الحارث بن أسد المحاسبي رضي الله عنه المحبة ميلك الى الشيء بالكلية ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك في حبه وهذه الأقوال وما في معناها اشارة الى الحب الذي هو حظ صاحب مقام علم اليقين ثم قال رضي الله عنه ونفعنا به

﴿فلو قال طأ في النار والنار جمرها * لها لهب يرمي الشرارة كالقصر﴾
﴿لما كان لمح البرق أسرع ما يرى * بأسرع مني في امتثالي للأمر﴾

هذا كلام على سبيل الترجمانية عن صاحب هذه الحالة والفاء للنتيجة ولو هنا للتعليق في الاستقبال فالماضي بعدها مؤول بالمضارع وفاعل قال ضمير المحبوب وطأ فعل أمر وفي النار متعلق به والجملة محكية بالقول والجمر جمع جمرة وهي النار المتقدمة واللهب استعمال النار اذا خلص من الدخان وقيل لسانها والشرارة ما تطاير من النار والنار مبتدأ والواو للحال وجمرها مبتدأ ثان ولهب مبتدأ ثالث وخبره في المجرور قبله وهو وخبره خبر عن الثاني والجميع خبر عن الأول والهاء من قوله جمرها عائد الثاني الضمير المجرور باللام وهو قوله له وذكره مراعاة للفظ جمر ويقع في بعض النسخ فيكون مراعاة لمعناه ويرمي الخ صفة لهب والشرارة مفعوله وكالقصر صفة للشرارة والقصر في اللغة مشترك يطلق على أمور منها انه يطلق

على واحد القصور وهي الديار والمدائن والقرى والقصور العظام ويطلق على جمع قصر
وهي الشجر العظيمة وإن جعلنا ال في الشرار للجنس فسرنا بالجمع والا فسرنا بالإفراد وإذا
كل واحد من المعنيين صحيح على ترتيب لا على تفريع واللام من قوله لما جواب لو وما اسمه ولمع
البرق أي لمعانه اسم كان وأسرع ما ترى حال من البرق وذلك لأن لمعان البرق متفاوت في السرعة
والمراد أسرعها والبرق سوط من نور يزجر به الرعد والرعد الملك الموكل بالسحاب يزجره به وأسرع
خبر كان جر بالباء لتقدم النفي ومن متعلق بأسرع وفي امتثالي كذلك واللام متعلق بامتثالي
﴿يقول﴾ والله أعلم فلو فرض وتصور أن أمرني محبوبي وتعينه قلبي بوطئي النار والحال أن
جمرها اشتد توقدها وأججها لهب ترمي بالشرار العظيمة مثل القصر مثلا لما كان أسرع
لمعان البرق للعين بأسرع من امتثالي لذلك الأمر وقوي على ذلك الجمر قال الشيخ شرف الدين
أبو القاسم عمر بن الفارض رضي الله عنه لو نعته لا وفاء أوفى وأنشد بعضهم

ولو عذبتني في النار حتما * دخلت مطاوعا وسط الجحيم
إذا كان الجحيم رضاك عني * فذاك الجحيم سوى نعيم

ولبعضهم وقد سألت عن حال عاشقها

لله منه ولا نقص ولا ترد * فقلت لو كان رهن الموت من ظمأ * وقلت قف عن ورود الماء لم يرد

ومن هذا المشرب قول بعضهم أحب كل شيء بحبي لو أحب دخول النار أحببت دخولها
وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه قد نلت من كل مقام حالا الا الرضا فمالي منه مقام الريح
وعلى ذلك لو أدخل الخلائق كلهم الجنة وأدخلني النار كنت بذلك راضيا وقيل أمارة من نال
غاية الرضا بقول أما العافية ولا المقام بن الرضا فلو جعلني جسرا على جهنم يعبر الخلائق
على الى الجنة ملأت جهنم بحلة نفسه وبدلا عن خاصية لاحتسب ذلك من حكمه ورضيت به من
قسمه ولولا أن خاصية لو فرض ما ليس بواقع وإنه لا يمكن أن يقال في تقدير هذا البيت وكذا
لو قال لي طأ النار بخالفه لا نفس والشيطان والحال أن تلك النار لها لهب ترمي الشرار كالقصر
لما كان الخ ويكون معنى مخالفة النفس والشيطان بالنار الموصوفة بهذه الصفة بضرب من
الاستعار والتشبيه لأنه لما طال الفه موافقتهما والجري على ما يحبان منه كان على النفس
الوطء في مخالفة ذلك كالوطء في النار بل هو عليها أشد لكن الأمر بهذا المعنى متحقق ونوعه من
المحبوب ولولا مناسبة ذلك لما ثبت من أن خاصيتها فرض ما ليس بواقع وإنما الآن يقال في هذا
لتصوير المسئلة فقط فصح ولكن المناسب لما بعده المترجم عنه في قوله هو التقدير الأول ثم
قال رضي الله عنه

﴿ولي منه نشوة لو خالطت قمرها * أسل أن أدري بردو لاحر﴾

هذا البيت كالذي قبله أتى به على سبيل الترجمة عن صاحب هذه المرتبة وهو إشارة لغيبة فإن
الغيبة عبارة عن عدم علم القلب ما يجري من أحوال الخلق وقد يدل على جرها بأن د ... عن
احساسه بنفسه وغير مقصر عنه ويكون ذلك بوارد من تذكر ثواب وهي الشرى أو عقاب
وهي الذكرى فهذه هي غيبة صاحب مقام علم اليقين وقد يكون ذلك بسبب معنى ينكشف به عن
الحق وهي غيبة العارف صاحب عين اليقين وحقه وهم مختلفون في ذلك على حسب مقاماتهم
وأحوالهم ولنرجع لبيان ألفاظ البيت نشوى مصدر كجرحى وهو الفرح وخفة النار
نزل به منه ونشعله كسيه له بعض مروانه وزيد شهادته

بشارة لاتها سبب في بشرة من بشر بها وهي أي البشرى مبتدأ وخبره في أول المجرور بين قبله وهو قوله لي ومنه متعلق بالاستقرار العامل في المجرور المخبر به أي بشرى كائنة لي منه وضميره للمحبوب أو للقوم المفهوم من قال وهو الملائم هنا والله أعلم فان سلطان المحبة اذا تسلط على العبد الحق المحنة بالمحبة بل ربما عاد الامر بالعكس كما قيل

ألفت الضناحتي تطاول مكثه * ولو زال عن جسمي بكته الجوارح

وليس يطفي عنده وانما هو في غاية النعيم وليس عند المحب شيء ألذ من خطاب محبوبه ولو كان بحتفه والحكايات والابيات في هذا المعنى أكثر من ان تحصى وليس عجب من لم يبلغ في محبة لشيء من هذا ولو حرف شرط وحللت فعل الشرط و بقعرها أي أقصاها متعلق به وضميره للنار المذكورة وأبت جواب الشرط وفاعله ضمير البشرى ولي متعلق به وان أدري الخ مفعول ابت وادري مرفوع بضمة مقدرة في الياء وان مهملة أي غير ناصبة وذلك لغة فيها حملا على المصدرية لانها أختها ومعنى قوله ابت لي ان أدري ليس على ما يتبادر من ظاهره من الغيبة عن الاحساس بذلك والانتابر بحيز البيت مع صدره لان الغائب عن الحس لا يخبر عن حال والغرض ان البيت على سبيل التر جمانية عنه فكانه القائل بنفسه وانما معناه ابت لي ان أبالي بذلك واعتبره كما يقول الانسان عند الغيظ للاحة لا أدري هل أنت في الدنيا فان مراده انه لا يبالي به ولا يعتبره لا لغيبته عن الاحساس به اذ خطابه اياه يكذبه في ذلك وقد يقال انه على سبيل الترجمانية على لسان حاله فيبقى الكلام على ما يتبادر من ظاهره وبرد متعلق بادري وحر معطوف على برد ولا زائدة وبين هذين المتعاطفين من أنواع البديع المطابقة وقد فسرنا هاتين بما بين العسر واليسر ﴿ يقول ﴾ والله أعلم رلى من ذلك القول وتوجه خطابه بشرى ولذة أوولي من تذكرى وصل حبيبي وعزيز كلامه وسعة رحمته واثابته بالكثير على اليسير وما أعد في الجنان لمن أطاع أمره وامتثل نهيه من حور وقصور وبشرى لو حللت معها بقعر جهنم لغيبتني عن الاحساس بالمها والمبالاة ببرد زمهريرها وحرلظها لاستيلاء تلك البشرى على محل الاحساس كما روي ان امرأة فتح الموصلي رضي الله عنها عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اماتجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه هذا ان كان ملاحظا للثواب والاحسان الذي يجازون به على ذلك وهو اللائق بالمقام وان ترقى من ذلك وكان ملاحظا المراد حبيبه واختياره واستشعار رضاه في ذلك فقد يقوى حبه أيضا ويستغرق همه حتى يمنعه الاحساس بالم النار وان بقي احساس يسير فيغمر ما يحصل من اللذة في استشعار حصول محبوبه بالقائه اياه في النار ﴿ وقد قيل ﴾ ان رابعة العدوية رضي الله عنها كانت مجتازة مع نفر من اصحابها لبعض حاجاتها فضرب رأسها ركن جدار فرضه وجرى الدم على وجهها ودبها وهي لا تلتفت الى ذلك ولا تكترث به فقال لها بعض أصحابها أما تحسين بما جرى عليك وهذا الدم قد خضب وجهك وثوبك ولعمت كالمستطرفة لذلك والمتيقظة له ثم أقبلت عليهم كالمعتذرة من غفلتها وقالت بالحوالي التداوي بموافقة مراده فيما جرى شغلني عن الاحساس بما ترون من شاهد الحال وكان سهل رضي الله عنه به علة يعالج غيرها ولا يعالج نفسه فقيل له في ذلك فقال يادوستة يعني ياحبيبي ضرب الحبيب لا يوجع وكان الجنيد رضي الله عنه يقول من علامة المحب في المكاره والاسقام هيجان المحبة وذكر داء ... لا ... الى محبوبه وقلة التأذي بكل بلاء يصيبه

الحب على قلبه ثم أشار الى وجود هذا المقام وحصوره ولذا لم يقدم عليه ما قبله اذ لا وجود الا من
عنده تعالى رضي الله عنه

﴿وان وجودي ان أرى نيل بأسنا * ولا حظ لي من دون ذلك في أمر﴾

هذا البيت أيضا على لسان صاحب هذا المقام وفي كلامه الالتفات فانه كان يتكلم باسم
الغيبة وفي هذا البيت بالخطاب والالتفات من أحسن شيء في الكلام لان الكلام اذا نقل من
أسلوب الى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وأكثر ايقاظا للاصغاء اليه من
اجرائه على أسلوب واحد لان النفس مجبولة على الملل واستلذاذ الجديد وقد تختص مواقعه
بفوائد ونكت اخص فما ذكره لطيفة وهي الاشارة الى ان من رفض نفسه وهواه وسارع في
مرضاة مولاه ولبي بالرضا كل ما امره رضا تخلص نفسه بتركه ذلك تحركا للاقبال عليه وترنما من
الحضور بين يديه وكلما دام على ذلك قوي ذلك التحرك واشتد ذلك القرب حتى يكاد يفضل
عليه ادلال ومخاطبة مخاطبة الجليس لجليسه وهذا فيه ايلاء بلطف واغراء وتقوية همة السالك
المنيب على الطلب ورفض العلائق والعوائق ليصل الى هذا الحضر سيما ان كان رفيق
الطبع فيه فضل بروع للمناغاة والملاطفات وأنواع المحاورات مع الحبيب وهذا النوع من
انظام الكلام انما يكون عارف الحبري الذي يعرف الوجد وقرب العهد وندرك
فيه من أصحاب الذوق فانه بالادلاج والسري وهكذا كله على نسخة ان أرى نيل بالخطاب واما
على نسخة بالغيبة فيندرج البيت في أسلوب ما قبله ويكون الالتفات المذكور في غيره
ولنرجع لاعراب البيت وجودي اسم ان وهو منصوب بفتحة مقدرة لمكان الاضافة للياء وان
أرى الخبر وهو مجرور ونيل متعلق بنا سنا وبأسنا مفعول أرى الثاني وحظ اي نصيب اسم
لا مبنى معها ولي خبرها وفي أمر متعلق بالاستقرار العامل في الخبر ومن دون أمرك كان في الاصل
نعتا لقوله في أمر فلما تقدم عليه نصب على الحال ومنه تحرا البيت عطف بيان على صدر لانهما
لمعنا واحد ويعدم الكلام عليها في قوله ولا في الارض البيت والاول الموضعين واحد الامور
﴿ يقول﴾ والله أعلم وان وجودي رجائي وحضوري يا مولاي ان أوجد ابني بأسا ملك
لاسعد ولي يعمر ما يرضيك بادلا جهدي في محابك واحسانا ما يسخطك معفرا بالملك بكلي من
نفسي ومالي ولا حظ لي في أمر من الامور من العادات والمألوفات والشهوات والمستحسنات
دون أمرك وما يرضيك مني لقضاء ارادتي ومحو بالتي في مرادك ومحو بالك قال الشيخ
أبو طالب رضي الله عنه من علامة محبة المولى تعالى تقديم أمور الآخرة وكل ما يقرب الى الحبيب
على أمور الدنيا من كل ما تهوى النفس والمبادرة بأوامر المحبوب ونوافله وفضائل عامل
حظوظ النفس ثم ايثار محبته على هواك واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم فيما أمر به ونهى عنه
ثم قال أبو محمد سهل رحمه الله الايثار شهود المحب وعلامة حبه ايثار على نفسه وقال أنس كل من
عمل بطاعة الله صار حبيبا ولا كل من احب النبي صار حبيبا وهذا كما قال لان المحبة نبت من
ترك المخالفة ولا تنشئ بكثرة الاعمال كامل أعمال البر يعملها البار والفاجر والمنافق
لا يتركها الا الصديق ولكن المحبة مقترنة بالولاية والولاية مقترنة بالنصر فاذا تولى نصره على
أعدائه وأعدى عدوله نفسه فاذا نصر عليها أخرج الشهوة منها وافرغ قلبه للتقوى وتخص
نفسه لخلصها من الهوى كما قال تعالى وليمحص الله الذين آمنوا اذ ذلك كله بالنصر وهو عالم

بالادلة الشرعية ومنصور ومعارضها متعاند يجود الولاية

الولاية أما سمعت قوله كيف ضم النصرة الى التولية وقال والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ثم قال ومن علامة المحبة ان لا يطلب بخدمته سواه وان يجتمع مع محبته همه وهواه ولا يهوى الا مافيه رضا المولى ولا يقضى عليه مولاه الا بما يهوى وأصل البيت قوله في العوارف ومما يعني من الاحوال الفناء والبقاء فقد قيل الفناء ان تفنى عنه الحظوظ فلا يكون له في شئ حظ يعني عن الاشياء كلها اشتغالا بمن فني فيه وقد قال عامر بن عبد الله لا أبالي امرأة رأيت أو حائطا و يكون محفوظا فيما لله عليه مصر وفا عن جميع المخالفات والبقاء يعقبه وهو ان يفنى عما له ويبقى بما لله وقيل الباقي ان تصير الاشياء كلها شيأ واحدا فتكون كل حركاته في موافقة الحق دون مخالفته فكان فانيا عن المخالفات باقيا في الموافقات وعندي ان هذا الذي ذكره هذا القائل هو مقام صحة التوبة النصوح ليس من الفناء والبقاء بشئ ولما ذكر الوجود والبقاء والحضور أشار الى ما ينشأ عن دوام ذلك من القرب والانس فقال رضي الله عنه

﴿وطاعته قربي وأنسي عبادتي * ولا أنس الا في العبادة للحر﴾

أشار بهذا البيت لبيان قرب صاحب مقام علم اليقين وأنسه وهو كما قبله على سبيل الترجمة على لسان السائر وأخره عما قبله لأن التقريب والقرب فرع الوجود والحضور وقدمه على ما بعده لأنه أي ما بعده نوع من تجليات الحق وظهور الشئ فرع القرب منه فأبياته رضي الله عنه بعضها آخذ بحجزة البعض وكلامه في غاية التناسب فهذه القصيدة أشبه شئ بعقد كالية في محاسن السلك وواسطة تلك هذا العقد هو قوله في التوب والزهد البيت وقد أشرنا له في محله ولنرجع لبيان ألفاظ البيت واعرابه الطاعة الامتثال للامر والانقياد والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل وهي هنا على اصطلاح القوم من وظيفة الجوارح الظاهرة ﴿قال﴾ الأستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه سمعت الاستاذ أبا علي يقول العبودية أتم من العبادة فأولا عبادة ثم عبودية فالعبادة للعوام من المؤمنين والعبودية للخواص والعبودة لخواص الخواص وسمعته يقول العبادة لأصحاب المجاهدات والعبودية لأرباب المكابدات والعبودة صفة أرباب المشاهدة انتهى وأما لغة فالعبادة والعبودية والعبودة وكذلك الطاعة كلها والحر لغة الخالص من الرق وخيار كل شئ وعند كل شئ وعند القوم هو ماذكره الشيخ أبو عبد الله محمد ابن عباد رضي الله عنه وقال لا يسمى حرا الا المتمحض في التجريد المتحقق في الجمع والتوحيد القريب الهمة فيما بين العبيد لا مقام له ولا حال ولا صحة ولا اعتلال ولا حل ولا ارتحال فهذا هو حاز مقام الحرية اذ لم تبق عليه منه بقية ولم يسترقه شئ من الآثار الكونية الظلمانية ولا النورانية وتفصيل ماذكره أنظره في باب الحرية من الرسالة القشيرية وأطلق الناظم الحر هنا على المعتق من رق الشهوة والغفلة كما ذكر في العوارف عن أبي الحسين بن سمعون شيخ الوعاظ والزاهد في وقته أنه قال القلب اذا ذاق طعم العبادة عتق من رق الشهوة وقد يقال أطلقه هنا على الحر الطبيعة وقوله طاعته مبتدأ والفاء الداخلة عليه يشبه أن تكون نتيجة عن عجز البيت الذي قبله وقربي خبر المبتدا وأنسي عبادتي مبتدا وخبر والجملة معطوفة على التي قبلها وأنسي اسم لا مبني معها والايجاب للنفي وللحر متعلق بانس وهو مقدم في المعنى على الاستثناء وفي العبادة متعلق أيضا بانس وهو المحصور فيه ونسبة عجز البيت من صدره انه التفات فان الالتفات أيضا يطلق على تعقيب الكلام بجملة مستقلة ملاقية لما قبلها في المعنى على جهة المثل كقوله تعالى

ـب الذي ورد من الباطل ان الباطل كان يرده ودفعه لانه كان من اتيح له انس
من الاملين بل هو انس من الانس ومن بعده في هذا المقام حال الانس الكلام في بيان مرتبة
مرتبة المحبة وبيان حقيقة المحبة وما عليه اهلها من اعمال فمن اعرف ذكر الامر لهاته
الصفة وراه بها ارتفع وقد تداول في رده الا ما يرجى اعطائه ﴿ بقوله ﴾ والله اعلم من يحب
من الى محبوبه متواتر من راق في طلب والمحبة على حقيقته قال صلى الله عليه وسلم حاكيا
عن ربه تعالى من ما تقرب الى عبدي بمثل ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل
حتى احبه الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد والسجود
بعدي هو احد من ثمرة المحبة في عبادته وانه لا انس له الا بالله الا في عبادته بعد
وحضوره ولا رغبة له في مرضاته ومرغوبه قال الشيخ ابو طالب رضي الله عنه ومن المحبة المسارعة
الى ما ندب الله من انواع البر ووجود الحلاوة وشرح الصدر كما جاء في الاثر ولا يزال العبد
بعد ما ذكر بالنوافل حتى احبه الرضا بعبادته لانه مخصص لا يعاد من الله حتى يذكر ويحب
من يذكره ومجالسة من يذكره ودوام سكون المحب اليه وخلو القلب من الخلق وسبق
الظن الى الله في كل شيء وسرعة الرجوع اليه بكل شيء ووجد الانس به عند كل شيء وكثرة
الذكر له والذكر بكل شيء وقال الامام ابو حامد رضي الله عنه ومن علامة المحبة ان يكون مؤثرا
ما احبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه متجنبا اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل
ولا يزال مواظبا على طاعة الله تعالى ومتقربا اليه بالنوافل وطالبا عنده مزايا الدرجات كما يطلب
المحب مزيد القرب في قلب محبوبه وقد وصف الله المحبين بالايثار فقال تعالى يحبون من هاجر
اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن
بقي مستمرا على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه بل يترك المحب هوى نفسه لهوى محبوبه ومن
ومنها ان يكون مستهترا بذكر الله تعالى لا يفتر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه فمن احب شيئا اكثر
بالضرورة ذكره وذكر ما يتعلق به ثم قال ومنها ان يكون انسه بالخلوة ومناجاة الله تعالى وتلاوة
كتابه فيواظب على التهجد ويغتنم هدوء الليل وصفاء الوقت لانقطاع العوائق واقل درجات
الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاته فمن كان النوم والاشتغال بالحديث الذ عنده
واطيب من مناجاة الله تعالى كيف تصح محبته قيل لابراهيم بن ادهم وقد نزل من الجبل من
اين اقبلت فقال من الانس بالله تعالى قال وقال قتادة في قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن
قلوبهم بذكر الله قال هشت اليه واستانست به ثم قال ومنها ان يتنعم بالطاعة ولا يستثقلها
ويسقط عنه تعبها كما قال بعضهم كابدت الليل عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة وقال الجنيد
رحمه الله علامة المحبة دوام النشاط والدؤوب بشهوة تفتر بدنه ولا تفتر قلبه وقال بعضهم العمل
على المحبة لا يدخله الفتور وقال بعض العلماء والله ما يشبع محب الله تعالى من طاعته ولو حل
بعظم الوسائل واصل الشيخ قوله في العوارف بعد كلام في حقيقة الانس عند القوم فمعنى
ان شاء الله غير هذا الحال وقد يكون من الانس الانس بطاعة الله وذكره لا كلامه وسائر
ابواب القربات وهذا القدر من الانس يعمّ من الله تعالى بمحبته ولكن ليس هو مثل
الانس الذي يكون للمحب اه واما ما ذكره من القرب فقوله قول الاستاذ ابي القاسم القشيري
رضي الله عنه اول رتبة في القرب القرب من طاعته والاتصاف في دوام الاوقات بعبادته سبحانه

اهـ واعلم أن حقيقة القرب هو كما قال الشيخ أبو سعيد الخراز رضي الله عنه فقد حس الأشياء من القلب وهدوّ الضمير الى الله تعالى ثم ان سبب ذلك وملاكه التقرب اليه بطاعته ودوام عبادته فاذا تحققت بالقرب عددت مطلوبا بعدما كنت تطلبه أولا من لزوم طاعته ودوام خاصته فبذرة القرب والأنس لزوم الطاعة فانبتت شجرة القرب وبلغت أوان الاثمار اثمرت من حسن بذرها وقد قال الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه الأنس بالله هو أن تسكن اليه بقلبك وتطمئن له بسرك ولا يجري شئ قبله على فكرك في سائر امورك وتعود اليه في سرك وجهرك وتكون به عالما وله وليا ومن غيره بريا وعلامة ذلك ثلاثة أشياء أحدها لزوم طاعته وتقواه قدر استطاعتك بلا كلفة ولا توقف الثاني ايقاف أمرك عليه فلا اعتراض ولا التفات الثالث دوام الحضور بين يديه تارة بالذكر وتارة بالضراعة وتارة بالمناجاة لان من عرف الله كل لسانه اجلالا ومن أنس انطلق لسانه ادلالا ولما ذكر القرب والحضور أشار الى حظ صاحب مقام علم اليقين من التجليات وهي التجلي بطريق الافعال والتوحيد الفعلي الذي يرتقي منه الى توحيد الصفات والتجلي بطريقها ضرورة ان الآثار تكون عن صفة المؤثر فقال رضي الله عنه

*أرى بطريق الفعل في كل لحظة * وجود يقين من وجودك في سري*
*وأنفي صدور الفعل عن كل ممكن * وأبقي على حكم المشيئة في أمري*

بين في هذين البيتين تجلي الفعل على لسان الترجمانية عن السائر في الاخبار عما حصل له من ذلك وتجلي الفعل هو أول رتبة في التجلي حسبما يأتي وهو نصيب صاحب علم اليقين وبعده تجلي الوصف وهو حظ صاحب عين اليقين ثم تجلي الذات وهو حظ صاحب حق اليقين والتجلي مقابل الستر والستر رحمة للخاصة نقمة للعامة والتجلي حير بكل حال وان طاش وهام به كثير من الرجال وليس في هذا ما ينكر فقد حكى الاستاذ أبو القاسم القشيري عن منصور المقري رضي الله عنهما انه قال واتى بعض الفقراء حيا من أحياء العرب فأضافه شاب فبينما الشاب في خدمة هذا الفقير اذ غشي عليه فسأل الفقير عن حاله فقالوا له ابنة عم وقد عشقها فمشت في خيمتها فرأى الشاب غبار ذيلها فغشي عليه فمضى الفقير الى باب الخيمة وقال ان للغريب فيكم حرمة وذماما وقد جئت مستشفعا اليك في أمر هذا الشاب فتعطفي عليه فيما به من هواك فقالت المرأة أنت سليم القلب انه لا يطيق شهود غبار ذيلي كيف يطيق صحبتي والحكايات في هذا المعنى كثيرة وانما خصصنا هذه الحكاية بالذكر لمناسبتها التجلي الفعلي واذا كان هذا في الجمال الذي هو ليس لا جلد ولحم ودم مشحون بالاقذار والاحداث بدايته من نطفة مذرة ونهايته جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك حامل للعذرة والمدرك له عين حسية تغلط فيما ترى كثيرا فترى الصغير كبيرا والبعيد قريبا والقبيح جميلا فما ظنك بتجلي الجمال الازلي الابدي الذي لا منتهى لكماله المدرك بعين البصيرة التي لا يعتريها الغلط ولنرجع لبيان ألفاظ البيت أرى قلبية وجدانية وبطريق الفعل أي لا بطريق الوصف وهو متعلق بأرى وفي كل لحظة كذلك ووجود يقين أي فصل يقين مفعوله وفي سري متعلق بوجود ومن وجودك علة لقوله وجود يقين في سري أي من أجل وجودك في ذلك الملحوظ والفاء في للنتيجة واعراب ما بعدها الى آخر البيت واضح غايته والممكن كل ما سوى الله تعالى وحده عند أهل علم الكلام ما لا يقتضي وجودا ولا عدما لذاته والمراد

فهامن يتوهم منه الفعل والمشيئة من الإرادة عند الجمهور وهو المراد هنا ودل فيها غير دليل على
أمر أي شأن وبيته أيضا الالتفات من الغيبة للحضور والخطاب إشارة لتحقيق ما تقدم في
قوله وأن وجودي المستند (تقول) والله أعلم أرى واحدا مولاي نظر ذي تجلى بملك وظهور
أزلك في كل لحظة وطرفة وجود عين زيادة انطباعات في سري من أجل وجودك في ذلك
الملحوظ بعموم التصرف استمدادا دواما وفي تلك الطرفة فأنى نسب رادف ذلك المعنى على نفي
أن يصدر فعل من الأفعال في العالم عن كون من الأكوان بل من خالق غير الله وأبى في شأنه
كله على حكم الإرادة الإلهية والمشيئة التابعة للإرادة مقطوع الاعتماد والاستناد لمدرك لا وقوف
لي الأسباب ولا التفات للأعمال غير مطلع لمدرك ناظر لفضلك منتظر الإدراك راضيا بفضائل
ما كان بحسب مجاري أقدارك مستسلما لحكمك قال الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه شهود
الحق في الكون المنظر لوجود بصر به الحق له بوجه لا يعقل ويجري الأفعال على حكمه بل
لا شيء للعبد على غير اعتماد ولا ملل سوى استناد بل شيء ساحق الغلب عابر دمه في كل دقيقة
وحقيقة رجوعا لقوله تعالى الله خالق كل شيء وعملا بخالص التوحيد في بساط التفريد فإنهم
وعدم ذلك بالرجوع إلى الأسباب والعمل على النسل والدفع بالاكتساب وقال أشار رؤية الحق
تعالى في الأكوان هو أن الأكوان ظروف للمعرفة ولا وجد منها شيء في وجوده ولا حكمة وهو
شاذي بوجود الحق وعظمته على وجه لا يمكن انفكاكه في حال من أحوال وجود الكون
كله ومن وصل إلى نيل هذه المعرفة انسد عن كل شيء سواه بحيث لا شيء لشيء وجود في نظره
فيتبين انطباع الأكوان من مرآته ونفى في كل مقام على الجزم في الوقائع استنادا لا تباع
قدر الحق وعليه يقول ما رأيت شيئا إلا رأيت الله فيه أي باعتبار المعرفة لا باعتبار الكشف
فيبقى في نظر من لم يكن وبقي في نظر من لم يزل ليس له عن سوى الحق إخبار ولا مع غير الله
قرار إذ رأى الكل بالله فأفنى الكل في جلال عظمة الله ونحو هذا ما ذكر الإمام أبو حامد رضي
الله عنه بعد كلام طويل وأما من قويت بصيرته ولا تضعف منته فإنه في حال اعتدال أمره لا يرى إلا
الله تعالى ولا يعرف غيره ويعلم أنه ليس في الوجود إلا الله وأفعاله أثر من آثار قدرته فهي تابعة
له فلا وجود لها بالحقيقة وإنما الوجود للواحد الحق الذي وجد الأفعال كلها ومن هذا حاله فلا
ينظر في شيء من الأفعال إلا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث إنه سماء وأرض
وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث إنه صنع الواحد الحق فلا يكون نظره مجاوزا له إلى غيره كمن
نظر في شعر إنسان أو خطه أو تصنيفه ورأى فيه الشاعر والمصنف ورأى آثاره لا من حيث إنه حبر
وعفص وزاج مرقوم على بياض ولا يكون قد نظر إلى غير المصنف وكل العالم تصنيف الله فمن
نظر إليه من حيث إنه فعل الله لم يكن ناظرا إلا في الله بل لا يرى نفسه لأنه لا ينظر إلى نفسه بل من
حيث إنه عبد الله تعالى فهذا هو الذي يقال فيه إنه فني في التوحيد وإنه فني عن نفسه وإليه
الإشارة بقول من قال كنا بنا ففنينا بلا نحن وما أشرنا إليه مما يشاعن يجل العقل عن
الاستسلام لما يحكم به الواحد القهار ويترك التدبير معه والاختيار وهو أساس الطريق جامعة
وكلمة جمعا الطائفة السادة فإنه في أمرهم وأساس طريقهم وعكسه هو وجود التدبير
ومنازعة المقادير أهم ما ينبغي الخروج عنه والتطهر منه قال الشيخ أبو العباس زروق رضي الله
عنه تبع الأصل فاض بالتبع في الفروع وكل طريق للقوم لم يرجعوا بها الأصل واحد

في سائر الأحوال ويغفلون عن الطلبات الإلهية الجلالية والجمالية

ل

بل لاصول اعبر الشاذلية فانهم سودا على أصل واحد وهو اسقاط التدبير مع الحق فيما دبره من القهريات والامريات فعروعهم راجعة للكتاب والسنة وشهود المنة والتسليم للحكم بملاحظة الحكمة وهذه نكتة القوم وحولها يحوم من لم يصرحوا بوجودها في هذه الطائفة ومن ثم قال ابن عباد رضي الله عنه في التنوير ما في كتب الصوفية المطولة والمختصرة مع زيادة البيان واختصار الالفاظ قال والمسلك الذي سلك فيه مسلك توحيدي لا يسع أحدا انكاره ولا الطعن فيه ولا يدع المتصف به صفة حميدة الا كسبه اياها ولا صفة ذميمة الا أزالها عنه وطهره منها اهـ وانه كما قال رضي الله عنه ورحمه انتهى ثم قال رضي الله عنه

﴿وهذا مقام في الوصول وفوقه * مقامات أقوام علا قدرهم قدري﴾

هذا البيت ليس نصا في انه على طريق الرجحانية بل هو محتمل لذلك احتمالا ظاهرا اذ قد يحتمل أن يكون الناظم رضي الله عنه لما فرغ من بيان فعل شربة صاحب علم اليقين فيه وبيان ما استتبعه ذلك الفعل أخبر بهذا من عند نفسه اعلاما باقتضاء مقتضيات هذا المقام وتواضعا وعلى كل من الاحتمالين في كلامه تنبيه للسائر بحفظ الحرم كي لا يجهل قدر من فوقه من الأمم اذ الناس ثلاثة فوقك وتحتك ومعك ولكل حق فحق الاكابر الخدمة وتعظيم الحرمة وحق الاصاغر الشفقة والرحمة وحق المساوين الانصاف لهم وترك طلبه منهم والمرجع لبيان ألفاظ البيت معنى واعرابا هذا مبتدأ وهذا اشارة لمقتضى البيتين قبله وهو الموافق للعوارف وقد يحتمل الاشارة لمجموع مقتضيات هذا المقام ومقام خبر المبتدأ وفي الوصول متعلق به والوصول الى الله الوصول الى العلم الحقيقي به على اختلاف مقاماته وتفاوت درجاته ومقامات أقوام مبتدأ ومضاف اليه ما قبله وجمع المقامات وليس فوقه الا مقامان اما نظرا لمن يقول أقل الجمع اثنان أو ذاهبا بالمقامات الى معنى المراتب وفوقه ظرف مخبر به عن ذلك المبتدأ وقدرهم فاعل علا وقدري مفعوله وهو مضاف لياء المتكلم والجملة صفة لاقوام ﴿يقول﴾ والله أعلم وهذا التوحيد الفعلي والتجلي بطريقه الذي أفدناه بقولنا أي بطريق الفعل الخ مقام ومرتبة في الوصول الى العلم بالله على سبيل الذوق والوجدان وفوق ذلك من المقامات مقامات أقوام قدرهم عند الله أعلى من قدري وبضاعتهم في المعرفة بالله أوفر من بضاعتي وحظهم من العلم بالله أكثر من حظي وهم أهل توحيد الصفات والتجلي بطريقها أرباب عين اليقين وأهل توحيد الذات والتجلي بطريقها أرباب حق اليقين على اختلاف مراتبهم وتفاوت درجاتهم وكذلك هو حاله في معرفة تلك المقامات مختلف فهو في مقام عين اليقين صاحب علم بحال أعلى مما فيه فيكون في حاله الاول صاحب ذوق وفي الحال الذي كوشف به صاحب علم وبحال فوق ذلك صاحب ايمان حتى لا يزال طريق الطلب مسلوكا فيكون في حال الذوق صاحب قدم وفي حال العلم صاحب نظر وفي حال فوق ذلك صاحب ايمان قال الله تعالى ان الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون وصف الابرار ووصف شرابهم (ثم قال) سبحانه وتعالى ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون فكان شراب الابرار مزاجا من شراب المقربين وشراب المقربين من ذلك صرف وأما الوصول المذكور فاعلم ان الوصول أصله البلاغ الى الآمال والوصول الى الله الوصول الى العلم الحقيقي به تعالى بعد تحمل أعباء الانتقال وأما الوصول المفهوم بين الاجسام والذوات فهو سبحانه متعال عنه ومتقدس قال الجنيد رضي الله عنه متى يتصل من لا شبيه ونظير له بما لا شبيه ونظير هيهات هذا عجيب الا بما لطف

اللطيف من حيث لا تدركه ولا وهم لا احاطة لأسرار النفس وتحقيق الايمان وقال ايضا رضي الله
عنه الواصلون في الله أخرجهم الله وبهاهم في الله وردّ حجبهم الى الله والقوم عن الوصول
عبارات ومن أحسن الناس كلاما فيه الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه في ضمنه ما نقل
من العوارف وذلك حيث قال الوصول من اصطلاح القوم المسلم لهم ومعناه تحقق المعرفة بالله
الله سبحانه على وجه تؤنس الفؤاد وتؤكد الوداد وتيسر المراد وتقطع في الحقيقة أطماع
الناس والسواد فيصبح به الروح ادخارا لا يحكم الخروج عنه وله مراتب جلية وتفصيلية
ومراتب وجدانية فالمراتب الجلية مرجعها الى ثلاثة أوجه أولها الوصول بتجريد الافعال
وذلك محل الجمع واسقاط التدبير الثاني الوصول بتجريد الصفات وذلك موضع الفناء المعبر
بالخروج عن الملك والملكوت أن تفيته وانه الثالث الوصول بتجلي عظمة الذات وهو المعبر
للفناء في عين الفناء الذي ينقل به عن الشاهد الى امكان المشاهدة والعيان وتحقيق ذلك بما
ذكر الشيخ أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي رحمه الله في كتابه عوارف المعارف
حيث قال وكل من وصل الى صفو اليقين بالذوق والوجدان فهو في رتبة من الوصول ثم يتفاوتون
فمنهم من تجلى الله بتجريد الافعال وهو رتبة في التحقق بمعنى فعله وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله
ويخرج في هذه الحالة من التدبير والاختيار وهذه رتبة في الوصول ومنهم من يوقف في مقام
الهيبة والانس بما يكاشف قلبه به من مطالعة الجلال والجمال وهذا تجلي بتجريد الصفات وهو
رتبة في الوصول ومنهم من يرقى الى مقام الفناء مشتملا على باطنه أنوار اليقين والمشاهدة مغيبا في
شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلي الذات لخواص المقربين وهذه رتبة في الوصول وفوق
هذا حق اليقين ويكون ذلك في الدنيا للخواص اللمح وهو سريان نور المشاهدة في كلية العبد
حتى يحظى به روحه وقلبه ونفسه حتى قالبه وهذا من أعلى رتب الوصول واذا تحققت الحقيقة يعلم
العبد مع هذه الاحوال السنية انه بعد في أول المنزل فأين الوصول هيهات منازل طريق الوصول
لا تقطع أبد الآباد في عمر الآخرة الابدي فكيف في العمر القصير الدنيوي اه قال ومن أعظم
ما سمع في الباب وأجراه بالحق والصواب وما ذكر صاحب العوارف في تجلي الافعال من أصل
هذا النسب والله من فيه وقال أيضا بعده ثم الفناء المطلق هو ما يستولي من أمر الحق سبحانه وتعالى
على العبد وهو ينقسم الى فناء ظاهر وفناء باطن فأما الفناء الظاهر فهو أن يتجلى الحق
سبحانه وتعالى بطريق الافعال ويسلب عن العبد اختياره وارادته فلا يرى لنفسه ولغيره فعلا
الا بالحق ثم يأخذ في المعاملة مع الله تعالى بحسبه حتى سمعت ان بعض من أقيم في هذا المقام من
الفناء كان يبقى أياما لا يتناول الطعام والشراب حتى يتجرد له فعل الحق فيه ويقيض الله تعالى
له من يطعمه ويسقيه كيف شاء وأحب وهذا عندي فناء لا يبقى عن نفسه وعن الأثر نظرا
الى فعل الله بفناء فعل غير الله اه ولما ذكر ان فوق مقامه مقامات أخرى بذكرهم أعلى من
قدره وكان الشوق هو الحامل له الى الاعلى والاولى مما هو فيه أشار لذلك فقال رضي الله عنه

﴿وان اشتاقت نحوها الطرقي * لا ترها مني بأخذه السير﴾

هذا البيت باعتبار احتمال التراجم وعلى كل حال فهو مبني بعد ضبطه على الوقوف في مقام
من المقامات أو حالة من الحالات أو بريح طواهر كأشياء وأمر بعد ضبطه أيضا البيت ما أمكن
في الاربعا وطلب المريد والعبد لا يزال سائرا أبدا الى أخص حضرات الوصول أو فيها وهذا

عظ من الأمر والنهى وهو أقرب للامتثال والقبول وادعى لحصول المأمول وهذا شأنه رضى الله عنه فى هذه القصيدة لا يكاد يأتى بثلاثة أبيات فأكثر على صفة واحدة بل ينوع الاساليب ويخالف بين صفات التراكيب وينزل الكلام فهو على أنواع فهى كروضة متعددة الازاهر متنوعة النوار يتجاذب داخلها قهرا بحولان جميعها وهذا المعنى من المقال هو المسمى بالسحر الحلال وانى لى مثلى بوصف هذا العجب العجاب والمسلك الرحب ولنشرع فى بيان معنى ألفاظ البيت والاعراب قال الشيخ جمال الدين القاشانى رحمه الله الاشتياق نوع المحب حالة الوصل الى دوام وصوله ونيل رتبته فى الوصول وفوق ماناله والثانى هو المراد هنا واشتياقى اسم ان بفتحة مقدرة فيما قبل الياء ويطير مضارع طار واللام الداخلة عليه لام ان وبى متعلق به أيضا وفى بعض النسخ يصيرنى مضارع صار وياء المتكلم مفعوله والنون الفاصلة بينهما نون الوقاية ونحوها ظرف منصوب به ولأقربها متعلق به أيضا ولامه للانتهاء وضميره للمقامات وبأجنحة السر متعلق به أيضا والبشر الحياة الثانية وفى بعض النسخ السر بالسين وفى بعضها الشكر وقد تقدم الكلام على ما يليق بها على قوله ومن حيرما تعطى البيت ﴿يقول﴾ والله أعلم وان اشتياقى لتلك المقامات العلية والأحوال السنية ليطير بى بأجنحة البشر الحياة الثانية بماء العلم والولادة المعنوية الى أقرب تلك المقامات الزكية والأحوال السنية منى أعنى التى أدركتها علما وهو مقام عين اليقين وتحلى الصفات بماء العلم اذا وصل الى القلب حيى وانفتح بصره فأبصر الحق وظهرت له المراتب التى فوقه فاشتاق اليها وطلبها وعمل فى أسبابها ويحتمل ان يكون المراد هنا بالبشر الهمة وذلك لان السالك لما كان لا يرتقى لاعلى من مرتبته حسب سنة الله الا ان خلقت له همة أعلى من همته واذا من الله على عبده وخلق له هذه الهمة فأول ما ينشأ عنها الاشتياق الى المرتبة التى تنالها ثم حلول تلك المرتبة والحصول فيها فاذا بان لك هذا فنقول أصل البشر الحياة كما قدمنا والمراد هنا الهمة التى خلقت لذلك السائر الموفق بواسطة خروجه من بطن العادة وحياته بنور العلم فجعل الاشتياق الناشئ عنها بمثابة طائر وجعل الهمة بمثابة جناحيه لأنها هى الحاملة له فى الحقيقة والمثيرة لاشتياقه أيضا كما ان جناحى الطائر هما الحاملان له ولما طار به قال الشيخ أبو عبد الله المقرى رحمه الله قال شيخنا أبو هادى يوما لأصحابه بم يرتقى العبد من مقامه الى مقام أعلى فقالوا بفضل الله ورحمته قال انما سألتكم عن السبب الخاص بهذا الأمر فقالوا من عند الشيخ فقال يخلق الله له همة أعلى من همته فيرتقى بها الى رتبة أسنى من رتبته والهمة قال شيخ الاسلام الهروى رضى الله عنه هى ما يملك الانبعاث للمقصود صرفا لا يتمالك صاحبها ولا يلتفت عنها واصل البيت ما ذكره صاحب العوارف فى الشوق من أنه يكون الى مالم يدركه العبد ذوقا ومنازلة من الأحوال والمقامات ولنذكر كلامه بجمعه لما فيه من الفوائد ثم نتبعه لذلك بكلام الامام أبى حامد قال صاحب العوارف فمن الأحوال السنية فى المحبة الشوق ولا يكون المحب الامشتاقا أبدا لان أمر الحق تعالى لانهاية له فما من حال يبلغها المحب الا يعلم ان وراء ذلك أوفى منها وأتم وأنشدوا

حرى لحسنك لا لذا أمد * ينتهى اليه ولا لذا أمد

ثم هذا الشوق الحادث عند العبد ليس كسبه وانما هو موهبة خص الله تعالى بها المحسن قال أحمد ابن أبى الحوارى دخلت على أبى سليمان الدارانى فرأيته يبكى فقلت ما يبكيك يرحمك الله قال

وقيل الحماد احس هذا القبل أقرب أهل الجنة اذا امهم وجرت دموعهم على خدودهم
وأمر الخليل خليل جلاله عليهم فما انتهى من لذة كلامه واستراح الى مناجاته وان منهم
عليهم في خلواتهم اجمع ابتهم وأرى كأنهم يأخذ بل ما فيهم ما هذا البكا الذي أرى فيكم فقيل
شوقكم جبران حين أتى عذب الدماء فأنا بأيدل كيف جعل بي ان أعذب قوما اذا جعهم الغيب
بالشوق الى خلف آذا وردوا القيامة على ان أسمعهم عن وجهي وأسمعهم رضائي ومنهم وقد
أحوال القوم من المحبين أتم مقام الشوق والشوق من المحبة كان هذه من الشوق اذا استقر
الشوق ظهر الوجد واذا استقرت المحبة ظهر الشوق قال الواسطي في قوله وعجلت اليك رب
لترضى قال شوقا واستبشارا به من وراء وقال هم أولاء على أثري من شوقه الى مكالمته ورمى الالواح
لما انتبه وقال أبو عثمان الشوق من المحبة من أحب شيئا اشتاق الى لقائه وقال في قوله
تعالى ان أجل الله لآت قال هذه تسلية للمشتاقين معناه اني أعلم ان شوقكم الي غالب وانا أجلت لقاءكم
أجلا وعن قريب يكون وصولكم الى من تشتاقون اليه وقيل والشوق الشوق أعلى الدرجات
وأعلى المقامات فاذا بلغها الانسان استبطأ الموت شوقا الى ربه ورجاء للقائه والنظر اليه
وعندي ان الشوق كائن في المحبين الى ربهم وفي الدنيا غير الشوق الذي يكون بعد
ما بعد الموت والله تعالى يكاشف أهل وده بما لا يحدونها الدنيا فيعلمون ما ادركوا فلذلك يكون
شوقهم سترا لم يدعوا وليس من ضرورة مقام الشوق استبطاء الموت وربما كان الاخلاص المحبين
يستلذون الحياة لله تعالى كما قال الخليل جل جلاله لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل ان
صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين فكان حياته لله تعالى بنعمة الكريم اذا ما
والمحبة فيها خشية من العبد ثم يكاشفه من المنح والعطايا في الدنيا ما يقتضي مقام الشوق من
غير الشوق الى ما بعد الموت وانكر بعضهم مقام الشوق وقال انما يكون الشوق الى الغائب ومن
به يحسن المحب غير غائب ولهذا المعنى قيل الانطاكي حين سئل أحمد بن عاصم عن الشوق
فقال انما يشتاق الى الغائب وما غبت عنه فقد وجدته وانكار الشوق على الاطلاق لا ارى له وجها
لان رؤية العطايا والمنح من أسباب القرب اذا كانت غير متناهية كيف ينكر الشوق من
المحب فهو وان غاب عن مشتاق بالنسبة الى ما وجد ولكن يكون مشتاقا الى ما لم يوجد من
أسباب القرب فكيف يمنع حال الشوق والأمر كذا {وجه آخر} ان الانسان لا بد له من
أمور يردها حكم الحال موضع بشريته وطبيعته وعدم وقوفه على حد العلم الذي يقتضيه حكم
الحال ووجود هذه الأمور يثير الشوق ولا يبالي بالشوق الا مطالبة معنى من الباطن الى
الأولى والأعلى من أسباب القرب وهذه المطالبة كائنة في المحبين والشوق اذا كان لا وجه لانكاره
وقد قال قوم شوق المشاهدة واللقاء أشد من شوق البعد والغيبة ويكون في حال الغيبة
مشتاقا الى اللقاء ويكون في حال اللقاء والمشاهدة مشتاقا الى زوائد وحالات من المشاهدات
وهذا هو الذي أرى وأختار وقال فارس قلوب المشتاقين منورة بنور الله فاذا تحركت اشتياقا
أضاء النور ما بين المشرق والمغرب فيعرضهم الله على الملائكة فيقول هؤلاء المشتاقون الي
أشهدكم أني اليهم أشوق وقال أبو يزيد ان لله عبادا لو حجبهم في الجنة عن رؤيته لاستغاثوا من الجنة
كما يستغيث أهل النار من النار وسئل ابن عطاء عن الشوق فقال احتراق الحشا وتلهب القلوب
وتقطع الاكباد من البعد وسئل بعضهم الشوق أعلى أم المحبة فقال المحبة لأن

وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه أسألك ... الشوق

الشوق فرع وقال النصرابادي للخلق كلهم مقام الشوق لا مقام الاشتياق ومن دخل في مقام الاشتياق هام فيه حتى لا يرى له أثر ولا قرار وأما الامام أبو حامد رضي الله عنه فقال بعد كلام وكل محبوب فهو مشتاق اليه في غيبته فان الحال الحاضر لا يشتاق اليه فان الشوق طلب وتشوّف الى نيل أمر والموجود لا يطلب وبيانه ان الشوق لا يتصور الا الى شئ أدرك من وجه ولم يدرك من وجه وأما ما لم يدرك أصلا ولا يشتاق اليه فمن لم ير شخصا ولم يسمع وصفه لا يتصور ان يشتاق اليه وما أدرك بكماله لا يشتاق اليه وكمال الادراك بالرؤية فمن كان في مشاهدة محبوبه مداوما للنظر اليه لا يتصور أن يكون له شوق اليه ولكن الشوق انما يتعلق بما أدرك من وجه ولم يدرك من وجه فهو من وجهين ولا ينكشف ذلك الا بمثال من المشاهدات فنقول من غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله فيشتاق الى استكمال خياله بالرؤية فلو محي عن قلبه ذكره وخياله ومعرفته حتى نسيه لم يتصور أن يشتاق اليه في وقت الرؤية فمعنى شوقه تشوّف نفسه الى استكمال خياله وكذلك قد يراه في ظلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة من صورته فيشتاق الى استكمال رؤيته وتمام الكشف في صورته فاشراق الضوء عليه والثاني أن يرى وجه محبوبه ولا يرى شعره مثلا ولا سائر أعضائه فيشتاق الى رؤيتها ولم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الرؤية ولكنه يعلم ان له أعضاء جليلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية يشتاق الى أن ينكشف له ما لم يره قط والوجهان جميعا متصوران في حق الله تعالى بل هما لازمان بالضرورة لكل العارفين فان ما تضح للعارفين من الامور الالهية وان كانت في غاية الوضوح فكأنه من وراء ستر رقيق ولا يكون متجلاية الاتضاح بل يكون مشوبا بشوائب التخيلات فان الخيال لا يفتر في هذا العالم عن التمثل والمحاكاة لجميع المعلومات وهي مكدرات للمعارف ومنغصات وكذلك تنضاف اليها شواغل الدنيا فانما كمال الوضوح بالمشاهدة وتمام اشراق التجلي ولا يكون ذلك الا في الآخرة وذلك بالضرورة يوجب الشوق فانه سبحانه منتهى العارفين فاذا هو أحد نوعي الشوق وهو استكمال الوضوح فيما تضح اتضاحا أما الثاني أن الأمور الالهية لا نهاية لها وانما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى أمور لا نهاية لها غامضة والعارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله تعالى ويعلم أن ما غاب من علمه من المعلومات أكثر مما حضر ولا يزال متشوفا مشتاقا الى أن يحصل له أصل المعرفة فيما لم يحصل مما بقي من المعلومات التي لم يعرفها أصلا لا معرفة واضحة ولا معرفة غامضة والشوق الاول ينتهي في الدنيا والآخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة ولا يتصور أن يسكن في الدنيا ثم قال وأما الشوق الثاني فيشبه أن لا تكون له نهاية في الدنيا ولا في الآخرة اذ نهايته للعبد في الآخرة من جلال الله تعالى وصفاته وحكمته وأفعاله ما هو معلوم لله تعالى لان ذلك لا نهاية له ولا يزال العبد عالما بانه بقي من الجمال والجلال ما لم يتضح له فلا يسكن قط شوقه لاسيما من يرى فوق درجاته درجات كثيرة الا أنه تشوّق الى استكمال الوصال مع حصول أصل الوصال فهو لذلك لذة لا يظهر فيه ألم ولا يبعد أن تكون ألطاف الكشف والنظر متوالية الى غير نهاية فلا يزال النعيم واللذة يترايدان أبدا الآباد وتكون لذة ما يتجدد من لطف النعيم شاغلا عن الاحساس بالشوق الى ما لم يحصل وهذا بشرط ان يمكن حصول الكشف فيما لم يحصل فيه كشف في الدنيا أصلا فان كان غير مبذول فيكون النعيم واقفا على حد لا يتضاعف ولكن يكون مستمرا على الدوام ثم أخذ في سرد الشواهد على ما قدرناه نظر ذلك فيه ﴿ولما﴾ فرغ رضي الله عنه من مقتضيات

علم اليقين أخذ في بيان عين اليقين الذي ظاهره المشوقة بحجاب جمعه فقال رضي الله عنه

﴿وذو العين لا استيلاء سلطان حاله * عليه له سكر يزيد على السكر﴾

وذو العين مبتدأ وله سكر مبتدأ وخبر والجملة خبر عن الأول ويزيد على السكر صفة لسكر والثاني السكر عهدية والمعهود ما قدمه في قوله ولي منه تسري النغمة وقوله لا استيلاء سلطان حاله عليه علة لقوله يزيد على السكر ﴿يقول﴾ والله أعلم أما صاحب عين اليقين فله سكر عند ما فاجأه وسطع من نور جمال محبوبه يزيد على سكر صاحب علم اليقين زيادة ظاهرة لاستيلاء سلطان حاله عليه حتى غاب عن المحسوس والمعقول ولا يدري ما يقال ولا ما يقول وتحرير هذا المقام يحتاج إلى بيان وذلك أن مشاهدة العبد لمولاه عند جمهور القوم شيئان الأول نظر العبد لإحسان الله إليه ومرور امتنانه عليه وجبلت القلوب على حب من أحسن إليها وهذا هو المسمى بحب الهوى أي الميل وهو مكتسب لأن الإنسان مغمور بإحسانات الله إليه ومتمكن من النظر فيها وكلما طالع منه [illegible] من الله التي لا تقبل الحصر ولا العد كان ذلك كحبة زرعت في أرض طيبة القلب الزكي فلا يزال يطالع منة بعد منة وكل منة أعظم من التي قبلها لأنه كلما طالع المنن تنور قلبه وازداد إيمانه وكشف عن دقائق المنن ما لم يكن ينكشف له قبل وظهر له خفايا المنن وعظم محبته الثاني كشف الحجب وإزالة الموانع عن ناظر القلب حتى يرى جمال الحق وكماله والجمال محبوب بالطبع وهذان هما اللذان قصدت رابعة رضي الله عنها بقولها

أحبك حبين حب الهوى * وحبا لأنك أهل لذاك

فأما الذي هو حب الهوى * فشغلي بذكرك عمن سواك

وأما الذي أنت أهل له * فكشفك للحجب حتى أراك

فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي * ولكن لك الحمد في ذا وذاك

وإنما خصت الحب الناشئ من شهود الجمال بالأهلية دون الأول وإنما كان أهلا لا الجمع لأن هذا منة الله لا كسب للعبد فيه والآخر فيه كسب وعمل العبد وقولها فشغلي بذكرك عمن سواك من باب التعبير بالمسبب والأصل فثمرته شغلي بذكرك عمن سواك وقولها فكشفك للحجب حتى أراك من باب التعبير بالسبب عن المسبب عكس ما قبله والأصل فسببه ومنشؤه كشفك للحجب حتى رأيتك يعني قلبي وقولها فلا الحمد الخ اختارت فيها أن الحسن معاملة والسنة وبه في الخدمة لا كسب لها في واحد منهما باعتبار الحقيقة ونفس الأمر فيها والمحمود فيهما كما وصفها هما وإذا أدركت التفاوت بينهما تبين [illegible] كأس المحبة الناشئة عن نظر الإحسان والجمال وما تؤثره شربه من كأس المحبة الناشئة عن نظر الجمال وثبوت الكمال وأن أثر الثانية أقوى من أثر الأولى [illegible] عند كل ذائق [illegible] السكر عنه وأقوى حالي وتشوق صاحبه ولذا قال الأستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه والسكر لا يكون إلا لأصحاب المواجيد فإذا كوشف العبد بنعت الجمال حصل السكر وطرب الروح وهام القلب وقال فيه [illegible] على قلوبهم من موجب الرغبة والرهبة ومقتضيات الخوف والرجاء انعكاف إذا بان لك ما ذكرنا علمت أن شرب صاحب مقام علم اليقين هو من كأس المحبة الأولى [illegible] هذا الحال فبان لك قول الناظم له سكر يزيد على السكر وعلمت أن [illegible] الحاصل لصاحب علم اليقين عينه لا سكر لأنه ليس يعد من أهل المواجيد فتعبير الناظم عن ذلك بالسكر في قوله

[illegible] فيها قاربوا يعني أخلصوا [illegible] فيها وأخرج مسلم والحاكم

يريد على السكر من باب المشاكلة وهو من بديع الكلام أو انه توسع في السكر أو لم يراع الاصطلاح وقد اتضح معنى البيت والله ولى التوفيق وهذا البيت منتزع من قوله في العوارف ومنها يعني الكلمات المشيرة الى بعض الاحوال من اصطلاح الصوفية السحو والصحو فالسكر استيلاء سلطان الحال والصحو العود الى ترتيب الافعال وتهذيب الاقوال ﴿وقال﴾ الشيخ جمال الدين القاشاني رحمه الله السكر دهش يلحق سر المحب في مشاهدة جمال المحبوب فجأة لان روحانية الانسان التي هي جوهرة العقل لما انجذبت الى جمال المحبوب بعد شعاع العقل عن النفس وذهل الحس عن المحسوس وألم بالباطن فرح ونشاط وهزة وانبساط لتبعده عن عالم التفرقة والتمييز وأصاب السر دهش وولة وهيمان وولة اتحير نظره في شهود الجمال وتسمى هذه الحالة سكرا لمشاركتها السكر الظاهر في الاوصاف المذكورة الا ان السبب لاستتار العقل في السكر المعنوي غلبة نور الشهود وفي السكر الظاهر غشيان ظلمة الطبيعة لان النور كما يستتر بالظلمة يستتر بالنور الغالب كاستتار نور الكواكب بغلبة نور الشمس وقلنا فجأة لان نور الجمال في النظرة الاولى أكثر وفي النظرات بعدها تقل على التدريج لحصول الانس بوصول الجنس حتى اذا استقر بازل حال المشاهدة ورجع جزء من أجزاء الوجود الى أصله عاد شعاع العقل الى عالم النفس والحس وظهر التمييز بين المتفرقات من المعقولات والمحسوسات وتسمى هذه الحالة صحوا ثم قال رضي الله عنه ونفعنا به

﴿أدار عليه الحب كاس مدامه * ولا سكر الادون ذلك من خمر﴾

هذا البيت بيان لمنشإ ذلك الاستيلاء فان قوله ادار يفهم التكرر وقد قدمنا من كلام القطب الكبير الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ما يشفي في تدريج ذلك وادار فعل ماض فاعله الحب ويجوز في حائه الضم والكسر وعلى الضم فالاسناد من المجاز العقلي على حد قول الشاعر

أشاب الصغير وأفنى الكبير * مر الغداة ومر العشي

وعليه متعلق بأدار وكاس مدامه مفعول به ومضاف اليه ما قبله وضميره للحب والمدام الخمر وفي بعض النسخ مدامه بتاء التأنيث بدل هاء الغيبة وبسحة ضمير الغيبة انسب بالمقام بناء ان الاضافة اذ ذاك تكون للاختصاص فيكون فيه ايماء الى ان شربه من كاس المحبة التي لا نسبة للعبد فيها وهي الناشئة عن تحلي نعوت الجمال وظهور أوصاف الكمال ﴿يقول﴾ والله أعلم والسبب الذي من أجله سطا حال صاحب عين اليقين والمتولى عليه هو كون محبوبه ادار عليه من كاس مدام حبه الذي هو أهل له وكرر عليه ذلك حتى تمكن منه السكر ولا سكر حاصل من شرب الخمر المعهود وان بلغ بصاحبه ما بلغ الا دون السكر الحاصل لمن شرب كاس المحبة الناشئة عن شهود الجمال ونعوت الكمال اللهم اني أسألك واضرع اليك ان يكون لي منها نوال وهذا واضح وصحيح فمن القول شتان ما بين سكر القرود وست العنقود واذا كان أثر الصور المبدعة أشد من أثر الخمر وجام الجام فيما معارفا بالك بمشاهدة الجمال المطلق الحقيقي وكثيرا ما يجري في عبارات القوم ذكر الخمر والمدام ونحو ذلك في هذا المقام كقول الناظم كاس مدامه قال الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه وانما سمي المشروب من الحقيقة خمرا لوجوه ثلاثة أحدها لوجود رقته في ذاته حتى لا يمكن وهمه الا ألطف الاشياء في ذاته الثاني ان سريانه في كلية العبد بالتلذذ به كالتذاذ صاحب الخمر به الثالث لان صاحبه مصروف عن اختياره متصرف بحكم

حاله كصاحب الخمر ومرجع ذلك المعنى من التوحيد مخالط وجود العبد فيعطى به روحه
وقلبه وعقله ونفسه حتى قالبه اهـ وهذا الكلام يشير بذلك الى صحة قوله فلا سكر الا دون
ذلك من خمر اذ لا يحصل السكر الحاصل عن الخمر المعهودة الا ان يستوي عنده عوالم العبد لطيفها
وكثيفها بخلاف هذا والله ولي التوفيق * ولما فرغ من بيان حظ صاحب الفيض من السكر
وكان القبض والبسط مما يعرض له في أول حاله أشار لذلك مكملا لذكر البسط عن القبض
لانهما متلازمان في الذهن فحضور أحدهما يستلزم حضور الآخر غالبا ومعلوم جواز الاكتفاء
بأحد المتلازمين عن الآخر فقال رضي الله عنه

﴿ولا بسط الا في أوائل حاله * فلا صدر في قبض ولا قبض في صدر﴾

الصدر أعلى مقدم كل شيء والمراد هنا قلب هذا البار ﴿يقول﴾ والله أعلم ولا بسط يعتري
صاحب الفيض الا في أوائل حاله في المحبة الخاصة لانه بها المحاسبة فيستفيد من الوجود
الواقع عليه القبض والبسط ولا يقابلهما الا انه حينئذ صاحب خوف ورجاء يخاف فوات المحبوب
أو هجوم محذور في المستقبل أو يرجو حصول محبوب في المستقبل أو يتطلع الى زوال المحذور
وكفاية مكروه في المستأنف فتعلق قلبه في حالته بأجله وصاحب هذه المرتبة أخذ وقته وارد
غالب عليه في محله من القبض والبسط فلا صدر منه في حال كونه مبسوطا في قبض
ولا قبض والحالة هذه في صدر وهذا لا ينافي كون القبض أيضا كذلك انما يكون في أوائل
حاله لانه انما اقتصر البسط على أوائل حاله والقبض يعلم بذلك مع القصور وغيره وهو كذلك
لا يقبض أيضا الا في أوائل حاله والبسط المراد هنا هو وارد من الحق يشير بالقبض مما يزعجه
ويقع به انصياعا عجيبا لا يمكنه التخلف عن موجبه والقبض كذلك قال الاستاذ ابو القاسم
القشيري رضي الله عنه بعد كلام وقد يقام قوم يتفاوت نعوتهم في القبض والبسط حسب
تفاوتهم في أحوالهم فمن وارد يوجب قبضا ولكن في صاحبه مساغ للاشياء الاخر لانه غير مستوفى
ومن مقبوض لا مساغ لغير وارده فيه لانه مأخوذ عنه بالكلية بوارده كما قال بعضهم انا ردم أي
لا مساغ فيّ وكذلك المبسوط قد يكون فيه بسط يسع الخلق ولا يستوحش من أكثر الاشياء وقد
يكون مبسوطا لا يؤثر فيه شيء بحال من الاحوال ثم قال ومن أدنى موجبات القبض ان يرد على
قلبه وارد موجبه اشارة الى عتاب أو رمز باستحقاق تأديب فيحصل في القلب لا محالة قبض وقد
يكون موجب بعض الواردات اشارة الى تقريب أو اقبال بنوع لطف وترحيب فيحصل للقلب
بسط وفي الجملة قبض كل واحد على حسب بسطه وبسطه على حسب قبضه وقد يكون قبض
يشكل على صاحبه سببه يجد في قلبه قبضا لا يدري ما موجبه وما سببه وسبيل صاحب هذا القبض
التسليم حتى يمضي ذلك الوقت لانه لو تكلف نفيه أو استقبل الوقت قبل هجومه عليه باختيار
زاد في قبضه ولعله يعد ذلك منه سوء أدب واذا استسلم لحكم الوقت فعن قريب يزول القبض
فان الحق سبحانه قال والله يقبض ويبسط وقد يكون بسط يرد بغتة ويصادف صاحبه فلا يعرف
له سببا يهز صاحبه ويستفزه فسبيل صاحبه السكون ومراعاة الادب فان في هذا الوقت له خطرا
عظيما فليحذر صاحبه مكرا خفيا كما قال بعضهم فتح علي باب من البسط فزللت زلة فحجبت
عن مقامي ولهذا قالوا قف على البساط واياك والانبساط وقد عد أهل التحقيق حالتي القبض
والبسط من جملة ما استعاذوا منه لانهما بالاضافة الى ما فوقهما من استهلاك العبد واندراجه

فى الحقيقة وقد وصروا أصل البيت بعض ما ذكره فى العوارف فى القبض والبسط ونحن نذكره بأجمعه لما اشتمل عليه من التحقيق ولانه تعرض فيه الى كشف حقيقتهما واشبع الكلام فيهما قال بعد كلام واعلم ان القبض والبسط لهما موسم معلوم ووقت محتوم لا يكونان قبله ولا يكونان بعده ووقتهما وموسمهما فى أوائل المحبة الخاصة لا فى نهايتها ولا قبل حال المحبة الخاصة فمن هو فى مقام المحبة العامة الثابتة بحكم الايمان لا يكون له قبض ولا بسط وانما يكون له خوف ورجاء وقد يجد شبه حال القبض وشبه حال البسط ويظن ذلك قبضا وبسطا وليس هو ذلك وانما هو هم يعتريه فيظنه قبضا او اهتزاز نفسانى ونشاط طبيعى يظنه بسطا والهم والنشاط يصدران من محل النفس ومن جوهرها البقاء صفاتها وما دامت صفة الامارية منها باقية على النفس يكون منها الاهتزاز والنشاط والهم وهو هجوم شاجور النفس والنشاط ارتفاع موج النفس عند تلاطم بحر الطبع فاذا ارتقى من حال المحبة العامة الى أوائل حال المحبة الخاصة يصير ذا حال وذا قلب وذا نفس لوامة ويتناوب القبض والبسط عند ذلك لانه ارتقى من رتبة الايمان الى رتبة الايقان وحال المحبة الخاصة فيقبضه الحق تارة ويبسطه أخرى قال الواسطى يقبضك عما لك ويبسطك فيما له وقال النورى يقبضك اياه ويبسطك لاياه واعلم ان وجود القبض لظهور صفة النفس وغلبته والنفس ما دامت لوامة فتارة مغلوبة وتارة غالبة والقبض والبسط باعتبار ذلك منها وصاحب القلب تحت حجاب نورانى بوجود قلبه كما ان صاحب النفس تحت حجاب ظلمانى لوجود نفسه فاذا ارتقى من القلب وخرج من حجابه لا يقيده الحال ولا يتصرف فيه فيخرج من تصرف القبض والبسط حينئذ فلا يقبض ولا يبسط ما دام متخلصا من الوجود النورانى الذى هو القلب ومتحققا بالقرب من غير حجاب النفس والقلب فاذا عاد الى الوجود من البقاء والفناء يعود الى الوجود النورانى الذى هو القلب فيعود القبض والبسط اليه عند ذلك ومهما تخلص الى الفناء والبقاء فلا قبض ولا بسط قال الفارسى أولا القبض ثم البسط ثم لا قبض ولا بسط لان القبض والبسط يقع فى الوجود فاما مع الفناء والبقاء فلا ثم ان القبض قد يكون عقوبة الافراط فى البسط وذلك ان الوارد من الله تعالى يرد على القلب فيمتلئ القلب منه روحا وفرحا واستبشارا فتسترق النفس السمع عند ذلك وتأخذ نصيبها فاذا وصل أثر الوارد الى النفس طغت بطبعها وأفرطت فى البسط حتى تشاكل البسط نشاطا فقابل بالقبض عقوبة وكل القبض اذا فتش لا يكون الا من حركة النفس وعدلت ولم تحد بالطغيان تارة وبالعصيان أخرى فلو وجد صاحب القلب القبض ودام روحه وانسه ورعاية الاعتدال الذى يسد باب القبض متعلق من قوله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم فوارد الفرح ما دام موقوفا على الروح والقلب لا يكتنى ولا يستوجب صاحبه القبض سيما اذا لطف الفرح بالوارد بالايواء الى الله تعالى واذا لم تلج بالايواء الى الله تعالى تطلعت النفس وأخذت حظها من الفرح وهو الفرح بما أوتى الممنوع منه فمن ذلك القبض فى بعض الاحايين وهذا من ألطف الذنوب الموجبة للقبض وفى النفس من حركاتها وصفاتها وثبات متعددة موجبة للبسط ثم الخوف والرجاء لا يعدمهما صاحب القبض والبسط ولا صاحب الانس والهيبة لانهما من ضرورة الايمان ولا ينعدمان وأما القبض والبسط فينعدمان عند صاحب الايمان لنقصان الحظ من القلب وعند صاحب الفناء والبقاء والقرب لتخلصه من القلب وقد يرد على الباطن قبض

وبسط ولا يعلم سببهما ولا يخفى سبب القبض والبسط الا على قليل الحظ من العلم الذي لم يحكم علم الحال وعلم المقام ومن أحكم علم الحال والمقام لا يخفى عليه سبب القبض والبسط وربما كان يسبق عليه سبب القبض والبسط ثم يسبق عليه الهم بالقبض والنشاط بالبسط واعلم ذلك لمن استقام قلبه ومن عدم القبض والبسط وارتقى منهما بنفسه مطمئنة لا يقدح من جوهرها نار يوجب القبض ولا يبة لا يطمع بحر طبعها من أمواج الهوى حتى يظهر منه البسط وربما صار يمثل هذا القبض والبسط في نفسه لا من نفسه المطمئنة بتطلع القلب فجرى القبض والبسط في نفسه المطمئنة وما للقلب قبض ولا بسط لان القلب مخصوص بسماع نور الروح مستقر في دعة القرب فلا قبض ولا بسط واعلم ان العبد اذا وصل لمقام الفناء وشرب من كأس صرف المحبة وجد الحق بعين اليقين فلا من كان معه فلا انس واقتطع عن الكون وجلى بصفات وبعث بنعوت من القرب على بساط القرب فان هجم عليه وارد من بعث جمال يسمى ذلك بسطا وان بادره طارق من وصف جلالي يسمى ذلك قبضا وان سرى فيه الاشتياق فقال صاحب علته وأيضا اذا نظر به من حيث ما يطرأ عليه من التجلي عن المقلوبات والتجلي بالجود دانت قلت صاحب فناء وبقاء ومحو واثبات أو من حيث خروجه عن طبعه ونفسه عن دواعي حظه قلت صاحب قرب أو من حيث ما يرى فيه من الصفاء في التوحيد وعدم الستر باحوال العبد قلت صاحب الصحو والمريد وصاحب حضور وغيبة وصاحب عن الجمع وهذه ألفاظ تجري على السنة القوم والناظم يقصد الاشارة اليها افاده شيء من اصطلاحات القوم في ألفاظهم واستعاراتهم والاحلام أو كأنها باشتغال كرّا وشبهها الى ملك نسبة واحدة لا يعقل منهما الترتيب كل المعقول والله سبحانه أعلم ثم قال رضي الله تعالى عنه

﴿وفي خلوات الوجد مكنون سره * مذاع فلا يسدل ستر على سر﴾

الخلوة قال الشيخ أبو الحسن السهروردي رضي الله عنه هي فوق الهجوم والوجد قال في العوارف الوجد ما يرد على الباطن من الله يكسبه فرحا أو حزنا ويغير عن هيئته وهو فرحة يجدها المغلوب عليه بصفات نفسه يطالعها الى الله تعالى والمكنون الخفي والمستور المغطى المحفوظ والسر ما كتم والمذاع بالذال المعجمة المفشي المكشوف والسدل الارخاء والمعطية والستر بكسر السين ما يستر به الشيء ومكنون سر مبتدأ ومضاف اليه ما قبله ومذاع خبر وفي خلوات الوجد متعلق بمذاع وقوله فلا يسدل الخ أي فلا يعطيه ستر من الاستار على سر هذا المغلوب وعجز الشيء تصريح بمعنى صدر ﴿يقول﴾ والله أعلم ويكون اسرار المحبة والتوحيد الخاص المودعة عند هذا العبد السكران لا يستطيع سلطان حاله عليه الوفاء بوجد المفهوم من قوله له سكر يزيد على السكر مفسر للخلق ومذاعة بينهم في حاله عليه بما رجى وجوده فلا يسدل له ولا يعطيه ستر من الملبس والمعرفين التلويح والايماء والاسرار ونحو ذلك الذي هو شأن الصفا أرباب التمكين على سر من اسرار الحق التي ضمنها اياها واختصه بها فهو لكونه مغلوبا بسكر مقهورا تحت مأسورا بوجود ليس له بالظاهر أكثر مما لا أطاق في ميدان البسط عنانه وبإفشاء السر لسانه وهو في هذه الحالة معذور في هتك ما أودعه مخفي مستور لسقوط التكليف عنه حينئذ لان العقل الذي هو شرط في التكليف قد استتر بنور شمس الشهود حسبما تقدم وقد قال أبو طالب رضي الله عنه بعدان دع حال من يدعى المحبة أو يعرض بها أو موقد كرها الآن يملك بعذر أو مهرلة

بلام لان الحب لوعة تلدع القلب وسكرة تغمر العقل وقيل يفيض فيه القلب فلا يمكن كتمه وزفرة تغلب الوجد لا يستطاع دفعها ونار تقدح في اللب تسطو بقواه فذلك حينئذ معذور لانه هنالك مقهور وهو مجبور اذا صار في وثاق الحبيب مأسور وقال الامام أبو حامد رضي الله عنه بعد ان قدر بحو ذلك قد يكون للحب سكرة في حبه حتى يدهش فيه وتضطرب أحواله ويظهر عليه حبه فان وقع ذلك من غير محاولة واكتساب فهو معذور لانه مقهور وربما يشتعل من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه وقد يفيض القلب به فلا يندفع فيضانه فالقادر على الكتمان يقول

وقالوا قريب قلت ما أنا صانع * بقرب شعاع الشمس لو كان في حجري

والعاجز عنه يقول

فمالي منه غير ذكر بخاطر * يهيج نار الحب والشوق في صدري

يخفي فيبدي الدمع أسراره * ويظهر الوجد عليه النفس

ويقول أيضا

ومن قلبه مع غيره كيف حاله * ومن سره في جفنه كيف يكتم

وأصل البيت قوله في العوارف ومما يعني من الكلمات المشيرة الى بعض الاحوال من اصطلاح الصوفية الغلبة والغلبة وجد متلاحق فالوجد كالبرق يبدو والغلبة كتلاحق البرق وتواتره يغيب عن التمييز فالوجد ينطوي سريعا والغلبة تبقى للاسرار مدبعا اه ولما ذكر حال المغلوب وان سره مذاع لكونه لا يطيق الكتمان لقوة ما فاجأه من الحق حذر الذي له قدرة على الكتمان من اظهار السر وافشائه للغير فقال رضي الله عنه

﴿ومظهر هذا الحب يوشك ان يرى * قتيلا فالمحبوب يغار على السر﴾

مظهر اسم فاعل من أظهر الشيء أفشاه وهو مشعر بالقصد لان فعل يستلزم القصد وفيه اشعار بان المغلوب معذور وهو كذلك كما قدمنا وهو مبتدأ ويقع في بعض النسخ بدل قوله هذا الحب سر الحب وهو تفسير النسخة الاخرى ويوشك مضارع أوشك ان يفعل كذا أي قاربه وأشرف عليه وهو خبر المبتدا ويرى مبني للمجهول وهي بصرية ولا يبعد ان تكون وجدانية والغيرة في حقه تعالى وردت في صحيح الاخبار في غير ما حديث منها ما في صحيح البخاري عنه صلى الله عليه وسلم لا أحد أغير من الله الحديث ومعناها في حقه تعالى ما قاله الشيخ أبو عبد الله محمد بن عباد رضي الله عنه انه سبحانه لا يرضى بمشاركة غيره فيما اختص به من صفات الربوبية وفيما هو حق له من الاعمال الدينية وذكر نحو هذا الاستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه وباقي الالفاظ بين واضح

﴿يقول﴾ والله أعلم ومظهر هذا الحب الخاص وثمراته من الفناء في التوحيد وغير ذلك من أسرار الحق تعالى التي يودعها في قلب أوليائه وأصفيائه يوشك ويقرب ان يرى بالعين أو يوجد قتيلا معنى بابعاده وسلبه أو حسا فالمحبوب به هو الحق سبحانه يغار ويغضب على اظهار سره وافشائه لغيره وبذله لمن ليس من أهله وذلك ان المحل محل مناجاة ومفاجأة وملاطفات وموضع زلات وشطحات ومظهر ذلك أقرب شيء لا يؤتمن على سر بعد وان يعامل عوض ما كان فيه من القرب والانس ونحوه باضداد ذلك من الابعاد والطرد والسلب والمقت

من سادروه فأفشى السر معتمدا * لم يأمنوه على الاسرار ما عاشا

وجانبوه فلا يحظى بقربهم * وأبدلوه مكان الانس ايحاشا

لا يصطفون مذيعا لودادهم * حاشا ودادهم من ذلكم حاشا

وهذا هو المراد بقتله بل القتل أهون عليه من ذلك وقد يتفق له الاثنان فيخسر الدنيا والآخرة

والعياذ بالله وقد قال الشيخ أبو طالب رضي الله عنه ومن المحبة كتمان المحبة إجلالاً للحبيب
وهيبة له وغيرة أو تعظيماً وحياء منه وهذا وصف المخصوص من عقلاء المحبين وهو من الوفاء
عند أهل الصفا ومن الأدب عند أهل الوفاء فإذا كانت المحبة سر المحبوب ففي غاشية القلوب
فإظهارها وإبداء الهائم الخلعة بها وليس من الأدب ولا من الحياء التسمية لها ولا الإشارة
بها إلا أن في ذلك اشتهاراً فيدخل عليه دقائق الدعوى ولطائف الاستكبار ولا يخلو المحب
من التقصير في حبها وقلة الوفاء لمحبوبه كما لا يطلق الإيمان على الكمال لغير أشياء فكذلك
لا يطلق الدعوى للمحبة لوجودها لكمالها لأنها بعد اليقين والإيمان كامل الآية ولجلالة المحبوب
وعلو كبريائه وعزه وعظيم شأنه إذا كان هو المحبوب الجبار فكان مهما ... وصار المحب
خاملاً للإظهار كما قال بعض محبي الأمثال فكنى عن لا كفؤ له ولا مثال

أصبحت صباً ولا أقول بمن * خوف الملاشي لا يحاب من أحد
إذا تفكرت في هواي له * لمست رأسي هل طار عن جسدي

وهذا أحسب لبعض الملوك وهو عندي للمولى بالملوك فاطلب من أحسبه ملك الملوك كيف يشوع
له الذي يعصمه دون المسرح أو يذكر المحبة دون أن يصف نفسه بها ثم قال بعد أن
ذكر ما تمثلنا أولاً في المطلوب وقد قال بعض العارفين أبعد الناس من الله تعالى أكثرهم إشارة
إليه كأنه يكثر التعريض به في كل شيء ويظهر التزين والتصنع بذكره عند كل أحد فهذا ممقوت
عند المحبين والعلماء بالله عز وجل ودخل ذو النون على بعض إخوانه ممن كان يذكر المحبة
فرآه مبتلى ببلاء فقال لا يحبه من وجد ألم ضربه فقال الرجل لكني أقول لا يحبه
من لم يتنعم بضربه فقال ذو النون لكني أقول لا يحبه من شهر نفسه بحبه فقال الرجل أستغفر
الله تعالى وأتوب إليه وهذا كما قال ذو النون رضي الله عنه ورحمه وهو من علامة الإخلاص
في المحبة إذا كانت من أعمال القلوب ووجود الإشفاق والحذر من إظهار ما حسبه السلب
والاستدلال بخوف المكر والاستدراج علامة التحقق بها ودفعها عن النفس وسترها عن أبناء
الجنس وترك الظاهر منها علامة الطفرة إلا أن المحبوب غيور وغيرته على نفسه وعلى ظهور
محبته أشد من غيرتهم على إظهارها أسرار جنسهم وأشد من غيرة جميعهم عليه وقال الإمام أبو
حامد رضي الله عنه من علامة المحبة كتم الحب واجتناب الدعوى والتوقي من إظهار الوجد
والمحبة تعظيماً للمحبوب وإجلالاً له وهيبة منه وغيرة على سره فإن الحب سر من أسرار الحبيب
ولأنه قد يدخل في الدعوى ما يجاوز حد المعنى ويزيد عليه ويكون ذلك من الافتراء وتعظم
العقوبة عليه في العقبى وتعجل عليه البلوى في الدنيا ... ولعز المحبوب وعظم شأنه
وجلاله مكانه كان المطلوب المهجور الذي هو في باب الحب ما أشور أحد بفقط من هذا
الصدر ولو لم يكن إلا المثل الذي كان وقع ذلك للحسين بن منصور الحلاج وأمثاله رحمة الله
عليهم ورضوانه لديهم فإنه لما سكر ودهي في محبوبه نطق من وادي الحق وقال أنا الحق فأخذ دمه
لإفشاء السر وظهور للغير وقد قال الشيخ أبو عبد الله محمد ... ري رحمه الله قيل له ما تقول
في الحلاج فقال ما عسى أن أقول في رجل شرب بكأس الصفاء على بساط الوفاء فسكر وزيد
واستوجب من الله الحد فكان حد شهادته (وقال الشيخ) أبو محمد عبد السلام بن أحمد
المقدسي رضي الله عنه إن الحلاج لما علم شأن هذا العلم ... فأخذ دمه وكان ...

لسانه الآن فأبدأ ... الصالحين وقال أيضاً

حيث اظهار ما يكتم واعلانه ما يستر فكان حكم من اباح ان دمه مباح وانشدوا فى ذلك

فمن شهد الحقيقة فليصنها * والا سوف يقتل بالسنان
كحلاج المحبة اذ تبدت * له شمس الحقيقة بالتدانى

﴿ ولبعضهم ﴾

بالسر ان باحوا تباح دماؤهم * وكذا دماء البائحين تباح

وقال الشيخ أبو بكر محمد بن خلدون رحمه الله قتل الحلاج بفتوى أهل الشريعة وأهل الحقيقة ثم قال انه باح بالسر ووجبت عقوبته ونحوه قول الشيخ أبى العباس بن البناء رضى الله عنه اتفقوا على قتل الحلاج الجميع بعد ان اختلفوا فيه اه وممن اختلف فيه الجنيد والشبلى والحريرى فان الجريرى أفتى بضربه واطالة سجنه وافتى الجنيد والشبلى بقتله بل هو قال فى نفسه ما على المسلمين أهم من قتلى وذلك فيما ذكر الشيخ أبو محمد عبد السلام المقدسى رضى الله عنه فقال دخل يوما الى جامع المنصور ببغداد وقال يا أيها الناس اجتمعوا واسمعوا منى حديثا فاجتمع عليه خلق عظيم فيهم محب ومنهم منكر وقال اعلموا ان الله قد أباح لكم دمى فاقتلونى فبكى القوم فتقدم اليه عبد الله الودود الزاهد وقال يا شيخ كيف نقتل رجلا يصلى الخمس ويصوم ويقرأ القرآن قال يا شيخ المعنى الذى يبيح الدماء خارج عن الصلاة والصيام وقراءة القرآن فاقتلونى تؤجروا واستريح وتكونوا أنتم مجاهدين وانا شهيد ثم ذهب فتبعته الى داره وقلت يا شيخ ما معنى هذا فقال يا أخى ما على المسلمين شغل أهم من قتلى فاعلم ان قتلهم اياى قيام بالحدود ووقوف مع الشريعة وان من تجاوز الحدود أقيمت عليه الحدود وفى معنى ذلك قلت

اباحت دمى اذ باح قلبى بحبها * وحل لها فى شرعها ما استحلت
وما كنت ممن يظهر السر انما * عروس هواها فى ضميرى تجلت
فشاهدتها فاستغرقتنى بفكرة * فغبت بها عن كل شئ وجلتى
وحلت محل الكل منى بكلها * فاباى اياها اذا ما تبدت
وغنت على سرى وكانت هى التى * عليها بها بين البرية غنت
اذا سألت من أنت قلت انا الذى * بقائى اذا أفنيت فيك هويتى
اذا الحق فى عشق كان سيدى * هو الحق فى حسن بغير معيتى
فان الك فى سكر شطحت فاننى * حكمت بتمزيق الفؤاد المفتت
ولا غرو ان أوطئت نار بحرقى * ونار الهوى للعاشقين أعدت
ومن عجب ان الذين أحبهم * وقد اعلقوا أيدى الهوى بأعنتى
سقونى وقالوا لا تغن ولو سقوا * جبال حنين ما سقونى لغنت

وقد روى عنه انه قال حال القتل والصلب اللهم انك أنت المتجلى من كل وجهة المتخلى عن كل جهة بحق قيامك بحقى وقيامى بحقك يخالف قيامك بحقى لان قيامى بحقك ناسوتية وقيامك بحقى لاهوتية وكما ان ناسوتيتى مستهلكة فى لاهوتيتك غير ممازج لها فلاهوتيتك مستولية على

يا سوى في عين محامد لها وبحق قد دلت على حد التحيّة في لبس وقد دلت أن يرتقى شكر ما أنعم
على حسب عيب أعيارى عما كسبت لى عن مطالعة وجهل ووجبت على عيرى ما يحسن من
النظر في مكتوبات سرك وهؤلاء عادلة اجتمعوا القيلى يوم رأيا الملك وبعضها الدليل واعمر لهم وأمم
لو كسبت لهم ما كسبت لى ما فعلوا ولو سرت عن ما سرت منهم لما أسلمته ولك الحمد دائما إذ أبد

أسلوى ما تعانى • أن فى سلى حنانى وحنانى فى معانى • ومعانى فى حنانى
أن عندى وجودانى • من أجل المكرمات وسانى تصفانى • من فتح السائبات
سيف نفسى حنانى • فى الرسوم العاشيات فاسلونى واحرمونى • بعطايى المالكات
ثم سيروا برفانى • فى الصور الدارسات تجدوا سر حسى • فى الطوايا الماضيات

ثم فعل به ما فعل وتقدم في الشيخ أبو العباس زروق رضي الله عنه فقوله بعمله بأن ذلك كان تحفظا
للنفس من دعوى الزيادة لا إزراء على نفسه وإعانة على دلة عاجل راحته من حقيقة وقال الشيخ
أبو عثمان سعيد المقرى رحمه الله فى قول أبى يزيد رضي الله عنه فى بعض كلماته سبحانى
ما أعظم شأنى واختار بعض المشايخ أنما تقدر رجوعه إلى نفسه وحسبه عاقال وعابه أنهم على
أنهم لم يملو وقال لو ملمونى فى تلك الحالة لكنتم عذرا فما نبين على فعلى وكتب أبا لا درجه
الشهادة أنه رأى فما منه من حكم الظاهر ومن حكم الباطن والحقيقة يعنى رأى أن ظاهر الشرع
يوجب قتله بما لفظ به وإن كان معذورا من جهة الباطن ونحو هذا أجاب عن سوى الحلاج
فى نفسه ثم قال رضي الله عنه

﴿وأن وجودى فى تمانى فإنه • فناء صفات النفس عن حكم الشرع﴾

الوجود هنا اتصاف صفات القلب والروح ووقوامها والفناء فناء صفات معلولات النفس وحكم
مع الميم والكاف اسم مصدر بمعنى حكم والشرع محرك الإسناد ويسكنه للوزن والمعنى فناء صفات
النفس عن أن يكون حاكمة عليه والمصدر مضاف للمفعول وقوله فناء الخ عليه أن يكون وجود
عين فنائه وفى بعض النسخ وإن وجودى فى فنائه فناء صفات النفس الخ وهو من أنما
وأن ضمير فنائه راجع لقوله وجودى وإذا أى ذهب فناء وجوده حصل وجوده وسبب
وقوله فناء صفات النفس الخ عطف بيان على مجموع المضاف والمضاف إليه من قوله فى فناء
فنائه ﴿يقول﴾ والله أعلم وأن وجودى وبقائى واتصاف بولى وروحى ثابت فى عين
فنائى فإنه أعنى فناء صفات نفسى وضعفها عن أن يكون حاكمة على وقاهرة لى وأعنى بأوصاف
النفس المذمومة منها المناقضة للعبودية إذ لا تضاف إليها اصطلاحا إلا ما كان معلولا من أوصاف
العبد وأفعاله وأخلاقه التى تسم صاحبها بسمة النفاق والفسق والكبر والعجب والرياء والسمعة
والغش والغل والحقد والحسد وسائر الصفات المذمومة وهى لا تكاد فى الخفى حصرها وفناء
هذه الأوصاف إنما كان بنور الروح الواصل إلى النفس لأن روحه فى محل القرب مجذبه إلى
الحضرة الإلهية فلذا كجلب نصرتها بنناء هذه الأوصاف الرذيلة والعيوب الخسيسة نورها
يسرى فى النفس بوصول نور الروح إلى النفس تطمئن وتذهب عنها المذموم وتبدل أخلاقها

ورعونتها و بحليها التحلق بالاخلاق الالهية قال الشيخ تاج الدين رضي الله عنه في حكمه لايخرجك
عن الوصف الا شهود الوصف قال الشيخ أبوالعباس زروق رضي الله عنه الوصف المذكور أولا
هو النفساني الذميم والوصف المذكور ثانيا هو الرباني الكريم فلا خروج عن الأول الا بشهود
الثاني فمن شهد كبرياء الحق لم يبق له كبر ومن شهد عظمته لم ير لنفسه غنى ومن شهد قدرته لم تبق له
قدرة فيبقى بربه لابنفسه ولربه لالنفسه اهـ وقال في العوارف واعلم أن العبد لم يبلغ حقيقة
التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه وعند ذلك تذوب النفس وفي ذوبانها صفاؤها من غش
الكبر والعجب فتلين وتنطبع للحق والخلق لمحو آثارها وسكون وهجها وغبارها واصل
البيت قوله في العوارف ومن الاشارة الى الفناء ماروى أن عبدالله بن عمر سلم عليه انسان وهو
في الطواف فلم يرد عليه فشكاه الى بعض أصحابه فقال كنا نتراءى الله في ذلك المكان وقيل
الفناء هو الغيبة عن الأشياء كما في موسى حين تجلى ربه للجبل وقال الخراز الفناء هو التلاشي
بالحق والبقاء هو الحضور مع الحق وقال الجنيد الفناء استجماع الكل عن أوصافك واستقلال
الكل منك بكليته وقال ابراهيم بن شيبان علم الفناء والبقاء يدور على اخلاص الروحانية وصحة
العبودية وما كان غير هذا فهو المغالط والزندقة وسئل الخراز ما علامة الفاني قال علامة من ادعى
الفناء ذهاب حظه من الدنيا والآخرة الا من الله تعالى وقال أبوسعيد الخراز أهل الفناء في الفناء
محنتهم أن يصحبهم علم الفناء وأهل البقاء محنتهم أن يصحبهم علم البقاء واعلم أن أقاويل الشيوخ
في الفناء والبقاء كثيرة فبعضها اشارة الى فناء المخالفات وبقاء الموافقات وهذا تقتضيه التوبة
النصوح فهو ثابت بوصف التوبة وبعضها يشير الى زوال الرغبة والحرص والأمل وهذا يقتضيه
الزهد وبعضها الاشارة الى فناء الأوصاف المذمومة وبقاء الاوصاف المحمودة وهذا تقتضيه تزكية
النفس وبعضها الاشارة الى حقيقة الفناء المطلق وكل هذه اشارات فيها معنى الفناء من وجه اهـ
والمراد هنا في البيت فناء الاوصاف المذمومة وبقاء المحمودة كما قدمنا ثم قال رضي الله عنه

﴿وفيه لنا محو واثبات الذى * طلوع كؤس الحب كالأنجم الزهر﴾

هذا البيت أيضا على سبيل الترجمانية وضميرفيه يحتمل أن يعود لمقام عين اليقين وتكون في على
بابها من الظرفية ويحتمل أن يعود للمحبوب على أن في للسببية ومحو مبتدأ واثبات عطف عليه
وخبر المبتدأ في المجرور قبله وهو قوله لنا وفيه متعلق بالاستقرار العامل في المجرور والمخبر به والذى
بمعنى عند وهو معطوف للاثبات فقط على ما يأتي من كلام العوارف والظاهر من البيت انه
متنازع فيه يطلبه كل من المحو والاثبات وطلوع مضاف اليه ماقبله وكؤس كذلك وهو جمع
كأس وقد تقدم الكلام عليه مستوعبا على قوله وللكل من كاس المحبة البيت والحب مضاف
اليه ماقبله وتقدم أيضا في ذلك البيت الكلام عليه وقد تتابعت الاضافات هنا والصحيح أن ذلك
لايخل بالفصاحة مالم يحدث ثقلا في الكلام ولم يحدثه هنا وهو مما يدل على بلاغة الناظم رضي
الله عنه فان الجمع بين كثرة الاضافات وعذوبة النظم لايقدر عليه الا البليغ المرتاض بفن
البلاغة وقوله كالأنجم الزهر نعت لمصدر محذوف أى طلوعا كائنا كذا والمراد هنا بطلوعها

اسرارها على أنوار القلوب والزهر جمع أزهر وهو المضىء المشرق ففى الكلام اشارة الى أن المعد للمحو والاثبات على ما ذكر فى الاحتمال الثانى هو السرب من جالس حيث الله عن الاشياء من العقائد والعقلها واصفاء عمين سمها بالانجم الزهر المضيئة حسا على ان المقلبات الكاشفة بأثار صور وتأثير معنويه وتأثير عليه فاصفاؤها على حسب ذلك والمحو لعله ازالة الأثر وذهابه وعند القوم عبارة عن ازالة معلولات النفس ورفع أوصافها على مراتب أهلها فهو بمعنى التحلية بالمعجمة والاثبات كأنه عن الاتيان بدل ذلك بالصفات الحميدة فهو بمعنى التحلية بالمهملة فهى على هذا اسماء تشير بها الى الصفاء والنماء وقد تقدم ذكرها فى النسخة ﴿ يقول ﴾ والله أعلم على الاحتمال الثانى فى قوله لدى طلوع كؤس الحب وانه مطلوب للمحو والاثبات ولنا فى مقام عنت النفس أو اثبات المحبوب وشهود أوصافه عند طلوع كؤس حبه واشراقها على أنواره لو ثبتا كالانجم اضاءة واشراقا فحو المعلولات أنفسنا وآفات سرنا وأثبتنا لقوتنا بأنوار وحقائقنا لذوات صفات نوشبا نور السنة وهو على هذا قريب من معنى البيت الذى قبله وأما على الاحتمال الثانى فنقول والله أعلم ولنا معشر المحبين فى مقام غيبة النفس محو ازالة الارصاف النفسيه واذهاب الرعونات النفسيه واثبات لقوى قلوبنا وأرواحنا عند طلوع كؤس خمر الحب كالانجم صفاء واضاءة واشراقا فحدث بذلك للروح حياة وقوى ويحصل لها سرور وارتياح وينطلق من وثاق ظلمة النفس ويتوسع بذلك وتتأهل للحق ويصير عاكفا فى حضرة القرب ويسكن فى الملك المنور الناشىء عن تجلى الحق بضروب الالطاف فالاثبات ناشىء عن المحو ومرتب عليه لان الحق تعالى وتقدس جعل ما أسكنه الله بساط مآمنة الملك والأنوار الربانية الواردة من الحضرة الالهية مطهرة مقدسة لا تسكن الا الى ما يجانسها وهو ما كان مطهرا من الاغيار فاذا وردت تلك الانوار ووجدت القلب مملوأ بالاغيار رحلت من حيث نزلت لانها لا تجد محلا للنزول وقد صار ما فيه من الاغيار بمنزلة الساكن اذا حصل فى شىء منع من دخول غيره عليه قال الشيخ تاج الدين رضى الله عنه فى حكمه فرغ قلبك من الاغيار تملأه من المعارف والاسرار قال الشيخ أبو العباس زروق رضى الله عنه وانما علق الفتح بما ذكر اذا فرغ بما ذكر لثلاثة أوجه أحدها أن القلب ليس له الا وجهة واحدة فاذا فرغ من شىء عمر بغيره الثانى أن شروق الانوار على حسب صفاء الاسرار وصفاء الاسرار على قدر بعدها عن الاغيار الثالث ان ورود الأمداد بحسب الاستعداد وكرامة الله للعبد على قدر فراره من غيره وبعده عنه على قدر تعلقه سواه ورحم الله من قال

وما رمت الدخول عليه حتى ● حللت محلة العبد الذليل

وأغمضت الجفون على قذاها ● وصنت النفس عن قال وقيل

﴿ قال الله تعالى ﴾ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين فافهم وتأمل وتدبر عند الامر وقل ومل والبل بحسبه الله المار به عليك لا لحقيقة منك وحسب هذا ان رجع عن نفسك فى طلب الحق لا غير وأصل النسب قوله فى العوارف ومما يعنى من الكلمات المشير

أو نصاءة حاجة وان يكون عنده ما يحتاج اليه من خادم أمين حبير كاتم الى

تسكينا له وعونا له ومن نجم ونجم وكبر ست وزيد ان مدح الناس عند الحاجة الى ذلك كل هذا انما

الى بعض الاحوال من اصطلاح الصوفية المحو والاثبات فالمحو ازالة أوصاف النفوس والاثبات عما أدير عليهم من آثار المحب كؤس ﴿وقال﴾ الأستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه المحو رفع أوصاف العادة والاثبات اقامة أحكام العبادة فمن نفى عن أحواله الخصال الذميمة وأتى بعدها بالأفعال والأحوال الحميدة فهو صاحب محو واثبات ثم قال وينقسم المحو الى محو الزلة عن الظواهر ومحو الغفلة عن الضمائر ومحو العلة عن السرائر ففي محو الزلة اثبات المعاملات وفي محو الغفلة اثبات المنازلات وفي محو العلة اثبات المواصلات هذا محو واثبات بشرط العبودية وأما حقيقة المحو والاثبات فصادران عن القدرة فالمحو ما ستره الحق ونفاه والاثبات ما أظهره الحق وأبداه والمحو والاثبات مقصوران على المشيئة يمحو الله ما يشاء ويثبت قيل يمحو من قلوب العارفين ذكر غير الله ويثبت على ألسنة المريدين ذكر الله ومحو الحق لكل واحد واثباته على ما يليق بحاله ومن محاه الحق سبحانه عن شاهده أثبته بحق حقه ومن محاه عن اثباته به رده الى شهود الاغيار وأثبته في أودية التفرقة اهـ فالاقسام الثلاثة التي ذكر في المحو والاثبات أولها وطيف مقام علم اليقين والثالث وطيف مقام حق اليقين ثم أشار الى ما استفاد بالمحو والاثبات من التجرد عن السوى والبقاء مع المولى فقال رضي الله عنه

﴿تجردت عن كلي وعن كل خاطر * يلم سوى المحبوب بالقلب والفكر﴾

هذا البيت أيضا على سبيل الترجمانية والتجرد التعري عن الشئ والخروج عنه وعن كلي عن دائرة حسي وحكم وجودي والخاطر تقدم الكلام عليه عند قوله ويلزم عنه ان يراعي سره البيت وقد قال الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه في اصطلاحه الخاطر ما يرد على القلب والضمير من الخطاب ربانيا كان أو ملكيا أو نفسيا أو شيطانيا من غير اقامة وهذا هو المراد هنا وأحرى ما يقيم فان دوام الشئ فرع عدم التجرد عن حضوره والمراد بالتجرد عن الخواطر الملمة بالقلب عدم المنام بها لان الخروج عنها بعد نزولها فافهم ويلم مضارع ألم أي نزل وبالقلب متعلق به والفكر معطوف على القلب وسوى المحبوب استثناء من عموم المحكوم بالتجرد عنه والقلب والفكر هما مترادفان فيكون الفكر من باب تسمية الحال باسم المحل اذ معنى الفكر كما قال الامام أبو حامد رضي الله تعالى عنه احضار معرفتين في القلب ليستمد منهما معرفة ثالثة وللاصوليين فيه حدود ويظهر من حلنا البيت انه اشتمل على شيئين أحدهما قوله تجردت عن كلي وعن كل خاطر يلم بالقلب والفكر وهو معنى المحو والثاني قوله سوى المحبوب وهو معنى الاثبات ﴿يقول﴾ والله أعلم تجردت وخرجت عن كلي وغبت عن دائرة حسي بشهود أوصاف محبوبي ومعروفي ومعبودي لانه اذا قورن الحادث بالقديم تلاشى الحادث وبقي القديم فيفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته وكذا تجردت عن كل ما يحس في القلب ويرد به من الخواطر لكونها تستدعي وعاء وجوديا وقد غبت عن كلي ولم يبق مني بقية تكون محلا لنزولها ولكون خواطري أيضا قد ذابت بنور الحق وامحقت ولم يبق في قلبي الا المحبوب تعالى وتقدس وحده الذي هو مقصودي وغاية مرغوبي

ومطلوبي كما يليق به ويبقى لجلاله قال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه تعالى وتقدس لم
يسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع تفسير اللين السهل القريب
والوادع الساكن المطمئن وقوله لم يسعني أي لم يطقني كقوله تعالى لا يكلف الله نفسا إلا
وسعها أي طاقتها وقلب هذا السائر قد أطاق أمر معرفة الحق لأنه حين تجلى لقلبه بعظمته وصار
قلبه محلا لتجلي محبوبه ليس له عين سوى الحق اختيار ولا مع غير الله قرار قال الشيخ أبو طالب
رضي الله تعالى عنه ولا يزال العبد مع القيام بالملك في مقام الإيمان فإذا رفع إلى مقامات اليقين
تولاه الله عز وجل بواسطة أنوار الروح فكان الروح مكان إلقاء الحق يرد عليه من الله عز
وجل من الأسرار ما لا يطلع عليه الملك ولا يكون ذلك حتى تنفى خواطر النفس والهوى ولا تبقى
منها باقية وتطوى النفس فتندرج في الروح ولا تظهر داعية ثم يتولى الله عز وجل تنوير النفس
فيطلع له نور النفس من خزانة الغيب كما سمعه المعروف يشهد العبد شهادة الحق بالحق معاينة
الغيب بعد كونه ووجد كينونة المحبوب وما لا يصلح بعد ذلك كشفه إلا لأهله ولمن سأل عنه
وهذا يكون في مقام التوحيد وهو أخص المقربين وأصل السقوله في اا وارث بعد كلام
في الخواطر وإذا كان شأن العبد تغيير خواطر النفس في مقام مخاصمة من لمات الشيطان تكثر
لديه خواطر الحق وخواطر الملك وتصير الخواطر الأربعة في حقه ثلاثا وتسقط خاطر الشيطان
إلا نادرا لضيق مكانه من النفس لأن الشيطان يدخل بطريق اتساع النفس واتساع النفس
باتساع الهوى والإخلاد إلى الأرض ومن ضاقت النفس بالتضيق من الحق والخلق ضاقت
نفسه وسقط محل الشيطان إلا نادرا لدخول الابتلاء عليه ثم من المرادين لمقام المقربين من إذا
صار قلبه مرسار يتسير كوكب الذكر يتسير قلبه سماويا بالتدريج ويعرج باطنه ومعناه
وجمعيته في طبقات السموات فكما رقي بتعاقل النفس المطمئنة وتبعد عنه خواطر حتى
تجاوز السموات تعرج باطنه كما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بظاهره وقالبه فإذا
استكمل العروج ينقطع عنه خواطر النفس لتنوره بأنوار القلب وبعد النفس عنه وعند ذلك
ينقطع عنه خواطر الحق أيضا لأن الخاطر رسول والرسالة إلى من بعد وهذا قرب وهذا
الذي وصفنا نازل يزول ولا يدوم بل يعود في هبوطه إلى منازل مطالبات النفس وخواطرها
فيعود إليه خواطر الحق وخواطر الملك وذلك أن الخواطر تستدعي وجودا وما أشرنا إليه حال
الفناء فلا خاطر فيه وخاطر الحق أيضا في لمكان القرب وخاطر النفس يبعد لبعد النفس وخاطر
الملك تخلف عنه كتخلف جبريل في ليلة المعراج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال
لو دنوت أنملة لاحترقت * قال محمد بن علي الترمذي المحدث والمكلم إذا تحققا في درجتهما لم
يخافا من حديث النفس فكما أن النبوة محفوظة من إلقاء النفس ومتمما ومحروس بالحق
والسكينة لأن السكينة تحت الكلام والحديث مع نفسه اهـ ثم صرح بما تضمنت هذه الحالة
من القرب فقال رضي الله عنه

﴿تعرفت منه القرب وهو موثق * به توجوه اللطف ظاهرة السر﴾

ترى الله الى لا أكل عليك بعد ما عرفته ثم تعرفه وتوصيه أن لا يسمع من هذا
من الله وترى الوفى معه وله قل الله الله ثم توصيه أن يواظب على قول هذا الذكر فلا يشتغل
بهذا الذكر أمر من الأمور فطرح ذلك الأمر وإن كان فوت والديه ولا يعمل شيئا من الطاعة إلا

هذا البيت على سبيل الترجمانية والقرب فى هذا المقام هوقرب المكانة لاقرب المكان تعالى الحق عن ذلك علوا كبيرا والمراد به نتيجة دواعى العبد من الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية والمحو للسمات المعسانية المناقضة للعبودية والتخلق بالأخلاق الالهية وينقسم القرب مطلقا فى هذا المقام الى قسمين قرب من ناحية العبد وهو قرب أولا بالايمان والتصديق ثانيا بالاحسان والتحقيق وقرب من ناحية الحق وهو عبارة عما يخص به عبده فى هذه الدار من العرفان وفى الآخرة باكرامه اياه بالشهود والعيان وفيما بين ذلك بأوجه الرعاية والكلاءة والالطاف والامتنان اذا تبين لك هذا فالقرب المشار اليه فى البيت وهو القرب من ناحية المولى بتقرب عبده وتقريبه بما ذكرنا الضمير فيه للمحبوب وهو متعلق بتعرفت والقرب مفعوله وهو مؤيد مبتدأ وخبر والواو للحال وبه متعلق بمؤيد وباؤه يحتمل أن تكون على بابها لان ما يتحف الحق به عبده مماذكرنا يتقوى به العبد ويعلم بسببه انه بعدعن الجادة أوانه لمعرفته بقرب مولاه وشهوده يؤيد بذلك لتعظيمه ويصير مؤيدا له حتى لايراه حيث نهاه ولا يفقده حيث أمره ويحتمل أن تكون الباء للظرفية فهى بمعنى فى أى مؤيداله فى ذا القرب وحام وناصر من مهواته ومخوفاته وضميره على الوجهين عائد للقرب وقوله فوجوه اللطف الخ تصريح بضمير ماقبله وهو مبتدأ وخبر واللطف التفضل بايصال المرافق والمنافع من أبواب ضيقة بعيدة عن العقول والأوهام وهو كذلك هنا وفى بعض النسخ بآية بدل طاهرة وهو بمعنى والبشر بالكسر طلاقة الوجه وفى الكلام استعارة حسنة وذلك أن المراد بوجوه اللطف هنا أنواعه المختلفة الصفات الصورية ثم انه شبهها بوجوه أشخاص وأضمر التشبيه فى نفسه ولم يصرح بشئ من أركانه سوى المشبه وأضاف اليه أشياء من لوازم المشبه وهو البشر الذى هو طلاقة الوجه الانسانى فالتشبيه المضمر فى النفس استعارة بالكناية واللازم المضاف اليه وهو البشر استعارة تخييلية ﴿يقول﴾ والله أعلم تعرفت شهودا وعيانا ودقا ووجدانا بأقرب محبوبى منى على مايليق به باحاطته وتصرفه فى وبوجوه انعامه وافضاله وضروب امتنانه وتقريبه واكرامه والحالة انه مؤيدلى بذلك القرب وناصرلى به فيتولانى ولا يقف بمتى على سواه حتى لايرانى حيث نهانى ولا يفقدنى حيث أمرنى شريعة وطريقة وحقيقة وعلى الاحتمال الثانى يكون معناه والحالة انه مؤيدلى وناصر وحام فى هذا القرب وحائل بينى وبين مخاوفى ومهاوتى من الاخلال بالأحكام الدينية والرسوم الشرعية فمعطى كل ذى حق حقه ونوفى كل ذى قسط قسطه نعطى الشريعة حقها فى ظاهرى ونوفى الحقيقة قسطها فى باطنى بعكوف روحى فى الحضرة ودوام نفسى على الخدمة حال كونى غائبا فى هذا القرب عن رؤيتى لقربه بشهود المقرب القريب بانواع الالطاف وضروب الاحسان ووجوه الامتنان بادية ظاهرة الاقبال ومترادفة من الغنى المفضال قال الأستاذ أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه وقرب العبد أولا قرب بتصديقه وايمانه ثم قرب باحسانه والحقيقة وقرب الحق سبحانه من العبد مايخصه اليوم به من العرفان وفى الآخرة مايكرمه به من الشهود والعيان وفيما بين ذلك من وجوه اللطف والامتنان ولا يكون

قرب العبد من الحق الابعد عن الخلق وهذا من صفة القلوب دون أحكام الظواهر والتكوين
وقرب الحق سبحانه بالعلم والقدرة عام للكافة وباللطف والنصر خاص بالمؤمنين ثم بخصائص
الأنس مخصوص بالأولياء قال الله تعالى ونحن أقرب إليه منكم وقال ونحن أقرب إليه من
حبل الوريد (وقال) تعالى وهو معكم أين ما كنتم (وقال تعالى) ما يكون من نجوى ثلاثة إلا
هو رابعهم ومن تحقق بقرب الحق فأدونه دوام مراقبته إياه لأن عليه رقيب التقوى ثم عليه رقيب
الحفاظ والوفاء ثم رقيب الحياء ثم قال ورؤية القرب حجاب عن القرب فمن شهد لنفسه محلا
أو نفسا فهو ممكور به ولهذا قالوا أوحشك الله من قربه أي من شهودك لقربه فإن الاستئناس
بقربه من صفات المغترين إذ الحق سبحانه وراء كل أنس وإن موضع الحقيقة يوجب الدهش
والمحو وقال أيضا ومن المقاطع المشكلة السكون إلى استحلاء ما يكاشف به من فنون مرسل
وكأنه في حال ما يلاطفك يخاطبك بأنه يكل لطيفه بقصد ليبعدك ويطردك وعجبا لخدع خادعه ومن
أدركته السعادة كاشفه بشهود جلاله وجماله لا بما يأتي من لطيفة أحواله وما يحسبه من
أفضاله وإفضاله انتهى ولهذا قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه في حقيقة القرب
أن تغيب في القرب عن القرب لعظيم القرب كمن يشم رائحة المسك ولا يزال يدنو وكلما دنا
منها تزايد ريحها فلما دخل البيت الذي هو فيه انقطعت رائحته عنه قال الشيخ أبو العباس
زروق رضي الله عنه وهذا غاية شهود قرب الحق من عبده ومعنى قرب العبد من مولاه وقال
أيضا القرب على ثلاثة أوجه أحدها قرب الكرامة وذلك يعني بوجه عناية الحق للعبد
الذي يتابعه متابعة إحاطة الحق به في جميع أحواله المقتضي لوجود تعظيمه حتى لا يراك
حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك الثاني قرب الإحاطة وذلك من الحق لشمول العلم والقدرة
وكالإرادة التي لا ينفك عن آثارها في حال من أحوالك ولا يصح ارتفاعها عن وجودك في كل
شيء منك والثالث قرب المسافة والمرادفة وهذه محالة على الحق سبحانه حسا ومعنى
لأنها من صفات الحوادث التي تجوز عليها الأعراض وتتقارب في الأوصاف تعالى ربنا عن
ذلك علوا كبيرا اهـ وقال الشيخ أبو محمد عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل الأوسي ثم
القرطبي الشهير بالقصري رضي الله عنه كلاما في القرب تنبيه تحقيق قال بعد كلام وإذا أخذ العبد
في ذلك نقى محل باطنه من الشهوات المهلكات وحلاه بالمحبات حتى يكون كالمرآة المجلوة
وفرغ قلبه لمولاه قدر قرب مولاه جل جلاله منه لأن الخبر قد صح أنه قال من تقرب مني شبرا
تقربت منه ذراعا الحديث فهي قرب كرامة لا قرب مسافة فتبين له قرب الله تعالى فيحصل في مقام
أهل العلم بالله تعالى فلا يعلم من خلق بل يعلم الله ويخليه لعلمه فحينئذ يسمع ما لم يسمع قبل ذلك
ويفهم ما لم يفهم ويحس بقرب الله تعالى منه لأنه أقرب إلى الروح من حياته وإلى البصر من
بصره ولي كل شيء من نفس ذلك الشيء بقرب لا يليق إلا به لا يشبه قرب المخلوقين فحينئذ
لا يقدر العبد أن يشير إلى الله تعالى بخاطر ولا ذكر ولا أن يخطر له تحريك سره إلى جهة من
الجهات لأنه ليس في جهة ولا مكان وإنما هو محل يراه اليقين بغير حلول ولأن الإشارة دو

تسمع ولا من البصر إلا ما أضعفاهم به بذكر إلى الغاية نسر
في أن يكون في مقدار لأن عنده أن الناس يسمعون شيئا فإنهم ذكره الذي في قلبه ولا يعلم أن أحدا

يشير بها سبحانه وهو أقرب الى الاشارة من الاشارة فيكتفي السر بنظر الله تعالى اليه ويتبرا هو من نظره وتأمله ويرجع بصر السر من العبد نفسه في نفسه حتى ينسى نفسه بنظر الله تعالى فهو الناظر وحده سبحانه ومن هنا دخل العارفون الى مقامات من القرب وأسرار من المعرفة ولا يحتمل العموم ذكرها البلادتهم وقلة فهمهم وقد تكلم فيها أنكرت على المتكلمين فيها غير ان الحاصل في هذا المقام بالعلم يعلم ان الأشياء كلها أقرب الى الله تعالى منها كقرب العالم من معلومه فالمعلوم متصور في مرآة العالم بغير حلول ولا هو طرف لها فيحيث سره للعالم به القائم بمعلومه المحيط به فان تحرك اللسان مثلا بالذكر أو خطر خاطر بالقلب علم ان الله تعالى هو الذاكر وهو المذكور بالحقيقة لانه مجرى الذكر بقدرته وكلامه وهو أقرب الى الذاكر من الذكر وأصل البيت قوله في العوارف ومما يعني من الأحوال قال الله تعالى واسجد واقترب وقد ورد أقرب ما يكون العبد من ربه في سجوده فالساجد اذا أذيق طعم السجود يقرب لانه يسجد ويطوي بسجوده بساط الكون ما كان وما يكون ويسجد على طرف رداء العظمة فيقرب قال بعضهم اني لأجد الحضور فأقول يا الله يا رب فأجد ذلك اثقل على من الجبل قيل ولم قال لان النداء يكون من وراء حجاب وهل رأيت جليسا ينادي جليسه وانما هي اشارات وملاحظات ومناغاة وملاطفات وهذا الذي وصفه مقام عزيز يتحقق فيه القرب ولكنه مشعر بمحو ومؤذن بسكر يكون ذلك لمن غاب عن نفسه في نور روحه لغلبة سكره وقوة محوه فاذا صحا وأفاق يتخلص الروح من النفس والنفس من الروح ويعود كل من العبد الى محله ومقامه فيقول يا الله يا رب بلسان النفس المطمئنة العائدة الى مقام مناجاتها ومحل عبوديتها والروح يستقل بفتوحه وبكمال الحال عن الأقوال وهذا أتم وأقرب من الأول لانه وفى حق القرب باستقلال الروح بالفتوح وأقام رسم العبودية بعود النفس الى محل الافتقار لا يزال يتوفر العروج باقامة رسم العبودية من النفس وقال الجنيد ان الله يقرب من قلوب عباده على حسب ما يرى من قرب قلوب عباده منه فانظر ماذا يقرب من قلبك وقال أبو يعقوب السوسي مادام العبد يكون بالقرب لم يكن قريبا حتى يغيب عن القرب بالقرب فاذا ذهب عن رؤية القرب بالقرب فذلك قرب وقد قال قائلهم

قد تحققتك في السـ * ـر فناجاك لساني

فاجتمعنا لمعان * وافترقنا لمعان

ان يكن غيبك التعظـ * ـيم عن لحظ عياني

فلقد صيرك الوجـ * ـد من الأحشاء داني

(قال ذو النون) ما ازداد أحد من الله قربة الا ازداد هيبة وقال سهل أدنى مقام من مقامات القرب الحياء وقال النصراباذي باتباع السنة تنال المعرفة وبأداء الفرائض تنال القربة وبالمواظبة على النوافل تنال المحبة اهـ ثم أشار الى التجريد والتفريد المرتبين على القرب حسبما يظهر ذلك من بيان معناهما فقال رضي الله عنه

﴿ولي منه تجريد بتفريد عائب * عن الكسب لا ادري بسمع ولا وبر﴾

هذا البيت أيضا على سبيل التوجيه والتجريد والتفريد والتوحيد من الكلمات التي يعبر بها القوم عن مواجيدهم ثم هم يحملون في ذلك بعضهم يحملها بمحمل المعاني كالعاطفها وهم الأكثر فقال شيخ الاسلام الهروي رضي الله عنه التجريد الانخلاع عن شهود الشواهد والتفريد اسم لتخليص الاشارة الى الحق ثم بالحق ثم عن الحق والتوحيد تنزيه الله تعالى عن الحدث وقال الشيخ محيي الدين وشيخه الشيخ أبو الحسن الشستري رضي الله عنهما التجريد اماطة الهوى والسكون عن القلب زاد الشستري وهو خلع النعلين والتفريد وقوفك بالحق معك فزاد الشستري وهو تفريد الشهود ذاتا وصفاتا وأما صاحب العوارف فسيأتي كلامه ان شاء الله تعالى والضمير في قوله منه للمحبوب أي حصة من محبوبي بها أنس وقوله تجريد مبتدأ او مرفوع معطوف عليه وخبر المبتدأ في المجرور قبله وهو قوله لي ومنه متعلق بالاستقرار العامل في المجرور المخبر به عنه وقوله عائبا الخ مستقر للتفريد وأما التجريد فيحتمل ان يقرأ قوله ولي منه تجريد بالتنوين فيكون مغايرا للتفريد وهو الأوفق للعوارف ويحتمل ان يقرأ بغير تنوين على انه مضاف لمثل ما أضيف اليه التفريد أي ولي منه تجريد عائب عن الكسب الخ والأول هو المتبادر من كلامه وجملة لا ادري الخ صفة لعائب والكسب ما يجري على العبد من الافعال الاختيارية وهي التي يخلقها الله عند صرف العبد قدرته وارادته الى الفعل وأطلقه هنا على كل ما يجري على العبد لقوله لا ادري بسمع ولا وبر والسمع والوبر كني بهما عن كل ما يجري بالعالم لاستغراق الروح والفرد لذلك ﴿قوله﴾ والله أعلم وحظه من محبوبي عبر به عن التوحيد أحدهما التجريد بما يقصد به من الافعال عن جميع الاغراض والأعراض والمطلوب والملحوظ بحيث لا يأتي بها الا قياما بأوصاف محبوبي ومعرفة جماله وبعد الجلالة وقياما بحق كماله وصدقا في العبودية وقياما بحق الربوبية هذا وما اقتضاه وحده ودوق في قيامي بحق ربي ولي به مستشرعي فقد أوحى الله الى داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام ان أود الأوداء الي من عبدني لغير نوال ولكن ليعطي الربوبية حقها وأوحى الله اليه أيضا ومن أظلم ممن عبدني خوفا من ناري أو طمعا في جنتي لو لم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن أهلا ان أطاع وبهذا ما على قوله ولم يبق الا ان يداوم البيت حكاية الطوائف الثلاث الذين مر بهم عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام فوجد الأولى تعبد الله خوفا من النار والثانية تعبده رجاء في الجنة والثالثة تعبده لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل حبا له وتعظيما لجلاله فقال لهذه انتم أولياء الله عز وجل حقا معكم أمرت ان أقيم فأقام بين أظهرهم وفي لفظ آخر انه قال للأولى مخلوقا خفتم ومخلوقا أحببتم وقال لهؤلاء انتم المقربون وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يكون أحدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالأجير السوء ان لم يعط الأجر لم يعمل وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وروي مرفوعا نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه انه لا يخاف ولا يعصي والحامل له على ترك المعصية غير الخوف من رجاء وحياء أو همة أو حسبة أو حب الى

غير ذلك لكن قد يعين انه غير الحب ما روى عنه رضي الله عنه انه كان يقول انه يستخرج مني حبي لربي عز وجل شيأ لا يستخرجه غيره قال الشيخ أبو طالب رضي الله عنه يعني من معاني الصفات المخوفة والأحوال المرجية على ان هذا الأثر أو الخبر قد قال الشيخ بهاء الدين السبكي وغيره من المحدثين انه لم يره في كتب الحديث لا مرفوعا ولا موقوفا على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على عمر مع شدة الفحص اهـ ولكن قد ورد نحوه في سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهما في الحلية للحافظ أبي نعيم رضي الله عنه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان سالما شديد الحب لله عز وجل لو كان لم يخف الله ما عصاه قال الشيخ أبو طالب رضي الله تعالى عنه وممن روى عنه هذا القول وأقيم في هذا المقام جماعة من التابعين منهم أبو حازم المدني كان يقول اني لاستحي من ربي عز وجل ان أعبده خوفا من العقاب فأكون مثل العبد السوء ان لم يخف لم يعمل وأستحي ان أعبده لأجل الثواب فأكون كالأجير السوء ان لم يعط أجره لم يعمل ولكن أعبده محبة له ثم قال وقال الثوري يوما لرابعة لكل عبد شريطة ولكل عبد حقيقة فما حقيقة ايمانك فقالت ما عبدت الله عز وجل خوفا من النار فأكون كالعبد السوء ان خاف عمل ولا حبا للجنة فأكون كالأجير السوء ان أعطى عمل ولكني عبدته حباله وشوقا اليه اهـ ثم هذا كله لا يقتضي نفي الطلب من الحق سبحانه ما عنده بل يؤكده لان في عدم الطلب منه اظهار الاستغناء عنه وفي عدم التشوف لما عظمه تحقير لما كبره وقد قال الشيخ أبو القاسم ابراهيم بن محمد النصراباذي رضي الله تعالى عنه اذا بدا لك شيء من بوادي الحق ولا تلتفت معها الى جنة ولا الى نار فاذا رجعت عن تلك الحال فعظم ما عظم الله تعالى وقد قال الشيخ أبو العباس زروق رضي الله تعالى عنه وتعظيم ما عظم الله متعين واحتقار ذلك ربما كان كفرا فلا يصح فهم قولهم ما عبدناه خوفا من ناره ولا طمعا في جنته على الاطلاق لانه اما احتقار لهما وقد عظمهما الله تعالى ولا يصح احتقارهما من مسلم واما استغناء عنهما ولا غنى لمؤمن عن بركة مولاه نعم لم يقصدوهما بالعبادة بل عملوا لله لا لشيء وطلبوا منه النجاة من النار لا بشيء وشاهد ذلك في قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله الآية اذ جعلوا علة العمل ارادة وجه الله تعالى ثم ذكروا خوفهم ورجاءهم مجردا عن ذلك بعد المرتبة الثانية وهي أعلاها وهي تفريد الحق سبحانه فيما يبدو على قلوبهم من الأعمال ولا تنسب شيأ منها للنفس مع ما قدمنا في التجريد على حال من الأحوال ولا تراها مني ولا لي ولا تفريد لعبد غائب عن جميع ما يبدو منه من أفعال وأقوال بشهود مجريها ومنشيها لا يدري بوقوع شيء من الأشياء في العالم ولا يمكنه رؤيته بوجه ولا يحال لما عمن لم يكن وبقاء من لم يزل ليس له عن سوى الحق اخبار ولا مع غير الله قرار وأصل البيت قوله في العوارف ومما يعني من الكلمات المشيرة الى بعض الأحوال من اصطلاح الصوفية التجريد والتفريد فاشارتهم في التجريد والتفريد الى ان العبد يتجرد عن الأعراض فيما يفعله لا يأتي بما يأتي به نظرا الى الاعراض في الدنيا والآخرة بل كوشف به من حق العظمة يؤديه حسب جهده عبودية وانقيادا والتفريد ان لا يرى نفسه

فيما يأتى به بل يرى منه الله عليه فالمعرفة في الاغيار والعرفة في نفسه لاستغراقه فى رؤيته نعمة الله عليه وغيبته عن كسبه ثم صرح بما تضمنت هذه الحالة من الغيبة فقال رضى الله تعالى عنه

﴿وها انا منه حاضر غير غائب • ولى غيبة بالحق عن كل ما يجرى﴾

هذا البيت ايضا على سبيل الترجمة والغيبة عدم الاشعار بالخلق والحضور حضور الحق بالقلب هذا معناها من حيث هى واما من حيث ما ذكره الناظم فانا مبتدأ وحاضر خبره ومنه في قوله منه بمعنى الباء اى حاضر به مشاهد له وغير غائب ولا غافل عنه ولى غيبة بالحق الخ مبتدأ وخبر ووقع فى بعض النسخ ولى غيبة بمعنى بدل لى وعليه فهو خبر ثان عن المبتدأ فهو عطف على ما قبله من الاخبار والحق من اسمائه تعالى وتقدس وقد تقدم وقوله عن كل ما يجرى اى عن كل ما يجرى من احوال الخلق ﴿يقول﴾ والله اعلم وها انا حاضر بحق ومشاهد له غير غائب عنه ولا محجوب ولا ساه ولا غافل ولى غيبة بالحق تعالى وتقدس واستغراق في شهوده واستهلاك فالكلية عن كل ما يجرى على الخلق من الاعمال والاقوال فلا علم لى ولا عقل ولا فهم ولا حس قال الاستاذ ابو القاسم القشيرى رضى الله عنه فالغيبة غيبة القلب عن علم ما يجرى من احوال الخلق لاشتغال الحس بما ورد عليه ثم قد يغيب عن احساسه بنفسه وغيره بوارد من تذكر ثواب او تفكر فى عقاب كما روى ان الربيع بن خثيم رضى الله عنه كان يذهب الى ابن مسعود رضى الله عنه فمر بحانوت حداد فرأى الحديدة المحماة فى الكير فغشى عليه ولم يفق الى الغد فلما افاق سئل عن ذلك فقال تذكرت اهل النار فى النار فهذه غيبة زادت على حدها حتى صارت غشية وروى عن على بن الحسين رضى الله عنه انه كان فى سجوده فوقع حريق فى داره فلم ينصرف عن صلاته فسئل عن حاله فقال الهتنى النار الكبرى عن هذه وربما يكون الغيبة عن احساسه بمعنى كاشفه من الحق سبحانه ثم انهم مختلفون فيه على حسب احوالهم ومن المشهور ان ابتداء حال ابى حفص النيسابورى الحداد رحمه الله فى ترك الحرفة انه كان على حانوته فقرأ قارئ آية من القرآن فورد على ابى حفص وارد تغافل به عن احساسه فادخل يده فى النار واخرج الحديدة المحماة بيده فرأى تلميذه ذلك فقال يا استاذ ما هذا فنظر ابو حفص الى ما ظهر عليه فترك الحرفة وقام من حانوته وكان الجنيد قاعدا وعنده امرأته فدخل الشبلى فارادت امرأته ان تستتر فقال لها الجنيد لا خبر للشبلى عنك فلم تزل تكلمه الجنيد حتى بكى الشبلى فلما اخذ فى البكاء قال الجنيد لامرأته استترى فقد افاق الشبلى من غيبته ولنذكر هنا ما سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يذكر باسناده ان ابا عقال المغربى رحمه الله اقام بمكة اربع سنين لم يأكل ولم يشرب الى ان مات ودخل بعض الفقراء على ابى عقال المغربى فقال له سلام عليكم فقال ابو عقال وعليكم السلام فقال الرجل انا فلان فقال ابو عقال انت فلان كيف انت كيف حالك وغاب عن حالته قال فعاد الرجل فقال سلام عليكم فقال عليكم السلام كانه لم يره قط وقال انا فلان فقال انت فلان كيف انت وكيف حالك وغاب كانه لم ير قط مثل هذا غير مرة فعلمت ان الرجل غائب فتركته وخرجت ثم قال واما المشهور

فقد يكون حاضرا بالحق لانه اذا غاب عن الخلق حضر بالحق على معنى ان يكون كانه حاضر وذلك لاستيلاء ذكر الحق على قلبه وهو حاضر بقلبه بين يدي ربه تعالى حسب غيبته عن الخلق يكون حضوره بالحق فان غاب بالكلية يكون الحضور على حسب الغيبة فاذا قيل فلان حاضر فمعناه انه حاضر بقلبه لربه غير غافل عنه ولا ساه مستديم لذكره ثم يكون مكاشفا في حضوره على حسب رتبته بمعان يخصه الحق سبحانه بها وقد يقال لرجوع العبد الى احساسه باحوال نفسه وأحوال الخلق انه حضر أي رجع من غيبته فهذا يكون حاضرا بالخلق والاول حضور بحق وقد تختلف أحوالهم في الغيبة فمنهم من لا تمتد غيبته ومنهم من تدوم غيبته فقول الناظم بالحق اشارة الى القسم الثالث من أقسام الغيبة الذي ذكر الاستاذ أبو القاسم وأن غيبته ليست لموجب رغبة أو رهبة ومقتضيات الخوف والرجاء كما قدمنا في غيبة صاحب مقام علم اليقين وانما كانت لما فاجأه من أمر الحق وكاشفه به من التجلي وأصل البيت قوله في العوارف ومما يعني من الكلمات المشيرة الى بعض الاحوال من اصطلاح الصوفية الغيبة والشهود فالشهود هو الحضور وقتا بنعت المراقبة ووقتا بوصف المشاهدة فما دام العبد موصوفا بالشهود والرعاية فهو حاضر فاذا فقد حال المشاهدة والمراقبة خرج من دائرة الحضور فهو غائب وقد يعنون بالغيبة عن الاشياء بالحق فيكون على هذا المعنى حاصل ذلك راجعا الى مقام الفناء اه ثم أشار الى ما تضمنت هذه الدائرة من الجمع فقال رضي الله عنه

﴿واني به في عين جمع فان أقف * لديه بلا فرق فاني في خسر﴾

هذا البيت أيضا على طريق الترجمانية وقوله اني به أي معه فباؤه للمصاحبة والضمير للمحبوب وفي عين الجمع متعلق بمحذوف واجب الحذف على انه حال من اسم ان والتقدير واني مع محبوبي حالة كوني كائنا في عين الجمع ويحتمل أيضا ان تكون الباء سببية والضمير لهذه الاحوال المتقدمة برعاية ما ذكر أي واني بسبب ما ذكر في عين الجمع وعين الجمع شهود حق بلا خلق ولما كان خوض بحر عين الجمع من بديع الرتب وكان الوقوف فيه دون الخروج الى ساحل جمع الجمع عين العطب أشار في صدر البيت تعرفه بسياق الكلام مساق الفرح بحلوله وحذر في عجزه من ورطة من لم يخرج منه بعد دخوله فقد جمع في بيت واحد معنيين لا يقدر على الجمع بينهما فيه الاسما سرة الفصحاء كالجمع بين التهنئة والتعزية والبشارة والنذارة وما أشبه ذلك ﴿يقول﴾ والله أعلم واني مع محبوبي حالة كوني كائنا في مقام عين الجمع قد أخذني الحق وجذبني اليه ولم يبق في متسع لغيره وصرت مستغرق الشهود وانحل بذلك الشهود الجمعي نظري ارتباط المسببات بالاسباب فان أقف عند هذا الشهود الجمعي بلا فرق وهو رأي الفرق شهود الخلق ورؤية النسبة لهم في الاحوال وترتيب المسببات على الاسباب والرجوع الى الحكمة والاكتساب حتى يكون الجمع في باطني مشهودا والفرق على ظاهري موجودا واني في خسر وضلال لان ذلك يؤل بي الى الزندقة والخروج من ربقة العبودية والعياذ بالله قال الشيخ جمال الدين أبو محمد عبد الرزاق القاشاني رحمه الله الجمع ازالة الشعث والتفرقة بين الحدث لانه لما انجذبت بصيرة الروح الى

مشاهدة جمال الذات استتر نور العقل الفارق بين الاشياء في غلبة نور الذات القديمة وارتفع التمييز بين القدم والحدوث لزهوق الباطل عند مجيء الحق وتسمى هذه الحالة جمعا فاذا اسدل حجاب العزة على وجه الذات وعلا الروح الى عالم الخلق ظهر نور العقل لعدل الروح عن الذات وعاد التمييز بين القدم والحدوث وتسمى هذه الحالة تفرقة ثم قال والجمع الصرف يورث الزندقة والالحاد ويحكم برفع احكام الظاهر كما ان التفرقة المحضة تفضي تعطيل الفاعل المطلق والجمع مع التفرقة يفضي عين التوحيد والتمييز بين احكام الربوبية والعبودية ولهذا قالت الصوفية الجمع بلا تفرقة زندقة والتفرقة بلا جمع تعطيل والجمع مع التفرقة توحيد واصل المذهب قوله في العوارف في باب شرح كلمات مشيرة الى بعض الاحوال من اصطلاح الصوفية ونظم الجمع والتفرقة قيل اصل الجمع والتفرقة قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو فهذا جمع ثم فرق فقال والملائكة واولو العلم وقوله تعالى آمنا بالله جمع ثم فرق بقوله وما انزل الينا فالجمع اصل التفرقة (فرع) فكل جمع بلا تفرقة زندقة وكل تفرقة بلا جمع تعطيل وقال الجنيد القرب بالوجد جمع وغيبته في البشرية تفرقة وقيل جمعهم في المعرفة وفرقهم في الاحوال والجمع اتصال لا يشاهد صاحبه الا الحق فمتى شاهد غير فما جمع والتفرقة شهود لمن شاء بالمباينة وعباراتهم في ذلك كثير والمقصود انهم اشاروا بالجمع الى تجريد التوحيد واشاروا بالتفرقة الى الاكتساب فعلى هذا لا جمع الا بتفرقة و يقولون فلان في عين الجمع يعنون استيلاء مراقبة الحق على باطنه فان عاد الى شيء من اعماله عاد الى التفرقة فصحة الجمع بالتفرقة وصحة التفرقة بالجمع وهذا يرجع حاصله الى ان الجمع من العلم بالله والتفرقة من العلم بامر الله ولا بد منهما جميعا قال المزين الجمع عين الفناء بالله والتفرقة العبودية متصل بعضها بالبعض وقد غلط قوم وادعوا انهم في عين الجمع واشاروا الى صرف التوحيد وعطلوا الاكتساب فتزندقوا وانما الجمع حكم الروح والتفرقة حكم القالب وما دام هذا التركيب باقيا فلا بد من الجمع والتفرقة وقال الواسطي اذا نظرت الى نفسك فرقت واذا نظرت الى ربك جمعت واذا كنت قائما بغيرك فانت فان بلا جمع ولا تفرقة وقيل جمعهم بذاته وفرقهم في صفاته وقد يريد بالجمع والتفرقة انه اذا اثبت لنفسه كسبا ونظر الى اعماله فهو في التفرقة واذا اثبت الاشياء بالحق فهو في الجمع ومجموع الاشارات فيه ان المكون تفرقة والمكون جمع فمن افرد المكون جمع ومن نظر الى المكون فرق فالتفرقة عبودي والجمع توحيدي فاذا ثبت طاعته نظر الى كسبه فرق واذا اثبتها بالله جمع واذا تحقق بالفناء فهو جمع الجمع وعكس ان قال رؤية الافعال تفرقة ورؤية الصفات جمع ورؤية الذات جمع الجمع اهـ واعلم ان مقام عين الجمع كما تقدم محل خطر عظيم ان لم يكن بايد من الفضل العميم لانه شهود حق بلا خلق والسير فيه منتهى غايته المحو ومحل السكر والشراب وهو مزج الاوصاف بالاوصاف والاخلاق بالاخلاق والانوار بالانوار والاسماء بالاسماء والنعوت بالنعوت والافعال بالافعال حسبما قاله الشيخ ابو محمد عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه كما تقدم مبادئ السعيد قوله ولكل من كاس المحبة شرب وهذه الاحالة يخرج عن حد الاعتدال الى الاضطراب ويميل الى نهاية الاعتساف فان محب

مثله وخروجه عن حد الاعتقاد كان خبرا محضا وان اختلف الاحوال كان جماعمرفا وان اقترن بالاعمال كان ٧ وجمت حقيقته وصار أو مازج الاقوال فهو عين الاتحاد قاله مولاى الوالد رضى الله عنه وحله بلفظه وذلك فى كلامه على ان الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم تقوم مقام الشيخ لمن لم يجده وعلى عدم صحة تشييخ الميت لمن وجد الحى فلهذا اسه على الاعتقاد عقب هذا البيت فقال رضى الله تعالى عنه

﴿وان اعتقاد الاتحاد جهالة * فسل عنه من يدريه ان كنت لا تدرى﴾

الاعتقاد تقدم والاتحاد لغة صيرورة الذاتين أو الذوات ذاتا واحدة وهو المراد هنا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واعتقاد اسم ان والاتحاد مضاف اليه ماقبله وجهالة خبران وقوله فسل عنه من يدريه الخ الظاهر ان ضمير عنه ويدريه عائد لاقرب مذكور وهو الاتحاد وقد يحتمل ان يكون المراد منه فسل عن جانب الربوبية ولازم الالوهية من يدريه ان كان معك جهل به فيتضح لك فساد تجويز الاتحاد عليه وقد يحتمل أيضا أن يكون معناه فسل عن معنى عين الجمع وما المراد به فى اطلاق القوم حتى تعلم ان من ظن أن معناه عندهم يرجع لشئ من معانى الاتحاد فذلك فيه جهالة وغرة عظيمة وقد يحتمل أيضا ان يعود لهما معا أو لمجموع الثالث بتأويل ماذكر وهو أعم فائدة ولاشك ان الجمع وادينصب الى بحر التوحيد وهو مزلة أقدام الرجال وموضع اغترار الجهال بجهلهم الكلمات الواقعة من الاكابر المحققين بالفناء فى التوحيد على ظاهرها معتقدون الاتحاد والحلول وفى بعض النسخ فسل عنه من يدريه اذا كنت لاتدرى وهو بمعنى الأخرى ﴿يقول﴾ والله أعلم وان اعتقاد الاتحاد على المعنى اللغوى المذكور والاغترار فى ذلك بظاهر ماوقع لمن يحسن بهم الظن كما هو مسطور جهالة من معتقده وخلاف للحق عقلا ونقلا فانه يؤدى لنفى الالوهية رأسا كما نبينه ان شاء الله فسل عن الاتحاد من يدريه ان كنت جاهلا بسببه لك فيتبين لك جهالة اعتقاده فى جانب الألوهية وذلك لان الاتحاد بالمعنى المذكور محال مطلقا فى حق المولى تعالى وتقدس وفى حق غيره لانه لو اتحد ذاتان بهذا الاعتبار فاما ان يكونا موجودين أو معدومين أو احدهما موجود والآخر معدوم والتالى باطل بجميع أقسامه فالمقدم مثله أما الملازمة فضرورة الحصر وأما بطلان التالى فلانه ان كانا موجودين فاما بوجود واحد وهوية واحدة أو بوجودين وهويتين فان كان الثانى فلا اتحاد ضرورة افراد كل واحد منهما فتعينه وهويته وان كان الاول لزم حصول الشئ الواحد بالشخص فى وجودين ان كان الوجود زائدا أو تعدد الواحد من حيث هو واحد ان كان الوجود ليس بزائد وان كانا معدومين فلا اتحاد ضرورة فقدانهما على ذلك التقدير وحصول ثالث لا بهما ولا ايهما وكذلك ان كان أحدهما موجودا لانه اعدام لاحدهما وابقاء للآخر ثم أشار الى دليل امتناع الاتحاد بالحق تعالى خصوصا فقال رضى الله عنه

﴿اذا كان من لا تقبل الضد ذاته * فمحال محال ان يرى قابل الضير﴾

اذا هنا للتحقيق والكثير كونها للاستقبال وقد تكون للمضى بمعنى اذ كقوله تعالى واذا رأوا

بجار أو لم يلوا يقصوا إليها وكقوله تعالى ولا على الذين إذا ما أتوك وهي هنا كذلك وإنّ ثم كان
ضمير عائد إلى ما بينهم من السابق وهو الحق سبحانه وما موصولة وهي خبر مبتدإ مضمر لدلالة
المعنى عليه والبيت مقول يقيل وإطلاقه هنا بالمعنى اللغوي أو هو المنافي مطلقا وذاته فاعل يقيل
ومجال مفعول به والمجال الجولان إذا أحدث فيه الفاء لضرورة الوزن وأن يرى مجهول
ومفعوله الثاني قال الشعروف بعض النسخ الغير والمعنى واحد وقوله أن يرى الخ
بأول المبتدإ ومحال خبر مقدم عليه وأل في الغير أو الغير معاقبة للضمير العائد للاتحاد
(يقول) والله أعلم وإذا ثبت بمقتضى العقول العقلية والدلائل السمعية أن الحق سبحانه وتعالى
منزه مقدس عن أن يحل ذاته الحلية شيء مما ينافي ثبوت الالهية له وتنزيهه فلا تصور الاتحاد
محال غير متصور في العقل أصلا لأنه مما ينافي ويضاد كونه القائل هو غير متعقل ثبوته أصلا
حسبما تقدم في التي قبله وقد قال تعالى لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قال الشيخ
أبو عبد الله المكي رضي الله عنه محال أن يتحد سر والامتزاج العبد ممن طور وذهب بعينه
الذاتي وارتفع انتفاء المنافي بل كيف يكون الاتحاد بالغير والغير معدوم من ذاته لولا تجلي
الحق عليه من حيث صفاته بالجملة محال محال أن يتحد الموجود مع المعدوم والحادث مع من له
وجوب القدم بل محال أن يتحد النور بالظلمة وكيف لا والنور يذهب بالظلمة ووجود الواجب
نور ووجود الكون ظلمة قال تعالى كل شيء هالك إلا وجهه ومحال أن يتحد الحق بالباطل إذ
الحق ثابت والباطل ذاهب قال عليه السلام ألا كل شيء ما خلا الله باطل اه ولما ذكر أن
اعتقاد الاتحاد جهل ومن وجه استحالته على الحق سبحانه ووجه كونه جهالة بقوله إذا كان الخ
ذكر بعده ذلك فقال رضي الله عنه

(فليس يجيز الاتحاد رتبة ◆ سوى فاقد للعقل أو جاهل غمر)

لما بين عما قبلها الكلمة كما تقدم في العقد من أنه لما ذكر أن اعتقاد الاتحاد جهالة وبرهن
على استحالة ذلك ذكر بعده ذلك في هذا البيت فقال إنه لا يجوز الاتحاد رتبة إلا من كان فاقدا
لعقل رأسا أو جاهلا مغمورا في الجهل فإنه لم يفارق البهائم وسائر الحيوانات إلا في الصوت
المقطع من اللسان واعلم أن العقل عقلان غريزي وهبي وتجريبي كسبي فالوهبي هو الذي يفعل
الحق سبحانه بلا فعل من العبد ولا سبب وهو كالأساس للكسبي وهو الذي قال فيه الحارث
بن أسد المحاسبي رضي الله عنه غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم والكسبي هو الذي للعبد فيه سبب
كالعلم بالأشياء وتجربة الأمور ومن كلام العامة كل شيء يزيد عقلا أشار الناظم بقوله
فاقد للعقل إلى فقد العقل الوهبي المستلزم لفقد الكسبي ضرورة بنفي الفرع إذا نفي أصله كما أشار
إلى ذلك أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه بقوله

العقل عقلان ◆ مطبوع ومسموع
ولا يسمع مسموع ◆ إذا لم يك مطبوع
كما لا ينفع ضوء الشمس وضوء العين ممنوع

وأشار بقوله أو جاهل غمر إلى أن من عنده شبه من الوهبي لا شيء معه من الكسبي التجريبي

لان الغمر وزان قفل هو الذي لم يجرب الامور ولا جرب شيأ منها ويحتمل هذا البيت والذي قبله وجها آخر غير ما قدمناه فيهما وهو أن تكون اذا من قوله اذا كان من لا تقبل الضد ذاته على بابها الاغلب فيهما من الاستقبال واسم كان جملة من لا تقبل الضد ذاته محال وخبره جملة رؤيته قابل الضير محالا وقوله فليس بحير الاتحاد الخ جواب اذا ويكون في الكلام التضمين وهو عند أهل العروض ان يتوقف البيت على ما بعده في افادة المعنى الذي قصد به بان لا يتم الا بما بعده وتقدير الكلام على هذا المحمل اذا كان الشئ الذي لا تقبل ذاته الضد محالا من الاحوال رؤيته قابلا لوجه من وجوه الضير فليس بحير الاتحاد ربه الا فاقد العقل رأسا أو جاهل متورط في الجهالة غاية لان من الضروري ان ذاته تعالى لا تقبل شيأ مما يضاد ألوهيته وينافيها ومن الضروري أيضا ان الاتحاد من وجوه الضير اذ على تقدير تصوره يرد فيه اخراج الشئ عن هيئته بخلطه مع غيره وجعلهما شيأ واحدا واعلم انه وقع من الكلمات المشيرة بظاهرها الى الاتحاد على لسان الشيوخ كأنا الحق كما وقع للحلاج وسبحاني ما أعظم شاني وأنا هو كما وقع لابي يزيد رضي الله عنه ونحو ذلك وليس ذلك على معنى ما قدمناه من معنى الاتحاد الذي لا يصح في حق المخلوقين فكيف برب العالمين اذ ذاك غير مظنون بعاقل فضلا عن المتميزين بخصائص المكاشفات وانما تلك الكلمات صدرت منهم في حال كونهم مأخوذين عن نفوسهم معزولين عن مقتضيات رسومهم مجذوبين عن حسهم قد اضمحل رسمهم ولم يبق الا اسمهم فاخذهم وسلبهم وجاذبهم المفنى لهم عنهم حتى لم يكن لهم خبر عنهم هو المجري لألسنتهم كما صرح بذلك أبو يزيد رضي الله عنه لما انكر عليه قوله سبحاني ما أعظم شاني فيما ذكره الشيخ أبو محمد عبد السلام المقدسي رضي الله عنه فقال أبو يزيد الحق سبح نفسه على لسان عبده فان الحق اذا أحب عبدا أبدى عليه بادية منه فغيبه عنه ويكون البادي هو الناطق على لسانه اهـ وقد قال الامام أبو حامد رضي الله عنه العارفون بعد العروج الى سماء الحقيقة اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود الا الواحد الحق لكن منهم من كان له هذه الحال عرفانا علميا ومنهم من صار له ذلك حالا ذوقيا وانتفت عنهم الكثرة بالكلية واستغرقوا بالفردانية المحضة واستوفيت فيها عقولهم فصاروا كالمبهوتين فيه ولم يبق فيهم متسع لا لذكر غير الله ولا لذكر أنفسهم أيضا فلم يكن عندهم الا الله فسكروا سكرا رفع به سلطان عقولهم فقال بعضهم أنا الحق وقال الآخر سبحاني ما أعظم شاني وقال آخر ما في الجبة الا الله وكلام العشاق في حال السكر يطوى ولا يحكى فلما خف عنهم سكرهم وردوا الى سلطان العقل الذي هو ميزان الله في الارض عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد بل شبه الاتحاد مثل

قول القائل في حال فرط عشقه * أنا من أهوى ومن أهوى أنا * فلا يبعد أن يلتحق الانسان مرآة فينظر فيها ولم ير المرآة قط فيظن أن الصورة التي في المرآة صورتها ويرى الخمر في الزجاج فيظن الخمر لون الزجاج واذا صار ذلك عنده مألوفا ورسخ فيه قدمه استغرقه وقال

رق الزجاج ورقت الخمر * فتشابها وتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

وفرق بين أن يقول الخمر قدح وبين أن يقول كأنه القدح وهذه الحالة اذا غلبت سميت بالنسبة الى صاحب الحالة فناء بل فناء الفناء لانه فناء عن نفسه وفناء عن فنائه فانه ليس يشعر بنفسه في تلك الحال ولا بعدم شعوره بنفسه ولو شعر بعدم شعوره بنفسه لكان قد شعر بنفسه وتسمى هذه الحالة بالاضافة الى المستغرق بها بلسان المجاز اتحادا وبلسان الحقيقة توحيدا ووراء هذه المعاني أسرار يطول الخوض فيها ونظم هذا الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف البناء الصوفي ثم السرقسطي رضي الله عنه في مناجاته تعالى رضي الله عنه

ثم تغيب عن رؤية العوالم * فلا ترى في الكون غير العالم
ثم انتهى لفلك الحقيقة * فقال هذا غاية الطريقة
ثم امتحى في غيبة الشهود * وأطلق القول أنا معبودي
حتى اذا زاد عليه منه * ادرك ذوقا حسن لم يكنه

وكلام الائمة في هذا الذي كثير وسيأتي مزيد بيان لهذا في الكلام على الحلول ان شاء الله واذا علمت معنى الاتحاد عند القوم وانه الفناء في التوحيد فقط لا غير ذلك مما توهم فاعلم ان لهم فيه على مراتب ومقامات ذكرها الشيخ جمال الاسلام أبو محمد عبد الرزاق القاشاني رحمه الله تعالى مراتب الاتحاد ثلاثة الأولى تسمية فناء عين المعرفة وعناء أثرها وصاحب هذه المرتبة يقول أنا المحبوب ومنه أنا الحق والثانية فناء المعرفة عند اثرا واصحابها يقول أنا أنا وهذه غاية الاتحاد ونهاية العروج اعني غاية الجمع والثالثة تسمية فناء وجود المحب بمحبوبه ورجوعه عن صرف الجمع الى مقام المعرفة مع الجمع وصاحب هذه المرتبة يقول أنا عبد وهذه المرتبة فوق الثانية من حيثها لا بمعنى الابعد العبور على الثانية فان الرجوع لا يكون الا بعد العروج ثم أشار الى حظ صاحب المقام من التجلي فقال رضي الله عنه

﴿اذا طالع القلب الكريم صفاته * فلي أنس ذي أمن رهبة ذي ذعر﴾

هذا البيت أتى على سبيل المرجانية وطالع أي انظر من قولهم طالع الكتاب والمسئلة أي

اذا الحسارة على العبد كموج البحر فاذا أعطي العبد الشهوة والتوبة لم يقع منه اصرار فقط على مذموم ولا تحصل من آخر مأمل وكان سهل يقول كثير التوبة ان لا تنسى ذنبك وكان ذوالنون توبة العوام تكون من الذنوب وتوبة الخواص تكون من الغفلة عن الله تعالى وكان الثوري رحمه

نظرتها والقلب فاعل طالع والكريم نعت له ومعناه الرفيع القدر ذو الشرف والسودد وفيه اشارة للحديث لم تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع وفيه ايماء الى حضرة قلب هذا القلب عند مولاه وانه له ذلك ومازال من كلام القرب كريمة بني فلان لحضرة البيت عندهم ومنه قول الشيخ تاج الدين رضي الله عنه وانه لابد لهذا الوجود ان تنهدم دعائمه وتسلب كرائمه والصفات جمع صفة وهو المعنى القائم بالذات ومعنى القيام هنا الاختصاص الناعت أي بحيث يكون الذات منعوتا بما يجري عليه من المعاني والمراد بالصفات صفات الجلال وهي كل صفة تقتضي العز والكبرياء والعظمة والقهر والاستغناء ونحو ذلك وعنها تنشأ الهيبة وصفة الجمال وهي كل صفة تقتضي اللطف والرحمة والعطف والرأفة والكرم والحلم وغير ذلك وعنها ينشأ الانس وقوله صفات مفعول طالع ولي أنس ذي أمن مبتدأ وخبر والفاء جواب الشرط وهيبة ذي ذعر مبتدأ وخبر والجملة عطف على التي قبلها والذعر بضم الذال المعجمة الخوف وبالفتح التخويف وبالتحريك الدهش والأول أقرب هنا لمقابلته بالامن وليس بباطل حمله على الثاني والثالث وفي كلامه من أنواع البديع المقابلة لانه ذكر أولا الانس ثم قابله بالهيبة والذعر فالهيبة تقابل الانس والذعر يقابل الامن ﴿يقول﴾ والله اعلم اذا طالع قلبي الكريم على مولاه الحظي عنده عنايه أولاه الصفات الجمالية والاخلاق المرضية من الكرم والحلم والرفق والاحسان والرحمة واللطف والعطف والفضل والامتنان فلي انس صاحب امن واطمئنان واذا طالع الصفات الجلالية والنعوت المخوفة من البطش والسطوة والعزة والنقمة فلي هيبة ذي خوف فاذا ابدا متلون بهما فلا تشهد وصفا من الاوصاف الجمالية وخلقا من الأخلاق المرضية يروحني الا طالعت وراءه وصفا من الصفات الجلالية المخوفة يكربني وبالعكس ولا نظر أي قلبي طارئ من الخوف عن مشاهدة نعت من النعوت الجلالية المخوفة يفزعني الا شاهدت في خلاله خلقا من الأخلاق الجمالية المرضية يؤنسني قال الامام أبو حامد رضي الله عنه بعد كلام على أصل الشوق واذا غلب على الحب الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورا على مطالعة الجمال الحاضر غير ملتفت الى مالم يدركه بعد استبشار القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره انسا وان كان نظره الى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر امكان الزوال والبعد تألم قلبه بهذا الاستشعار فيسمى تألمه خوفا وهذه أحوال تابعة لهذه الملاحظات والملاحظات تابعة لاسباب تقتضيها لا يمكن حصرها والانس معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال حتى انه اذا غلب وتجرد من

معله ولو بالف الف ... امه اهلهم بل الا انه سهل قلبه بحقوق نفسه السلطان فحاسطاد به من يريد
ـ بهو من ذلك على القلب وهذا الواسطى يقول اذا اراد الله تعالى هوان عبد القاه الى هؤلاء الانسان
الذين عمل اليهم النفوس العوية ومن شأنه دوام المجاهدات في ترك الشهوات

ملاحظة ما غلب عنه وما يطرق اليه من خطر علم بعيه ولذته وقالت العوارف وقد سئل
الجنيد عن الانس فقال ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة وسئل ذوالنون عن الانس فقال انبساط
المحب الى المحبوب قيل معنا قول الخليل أرني كيف تحيي الموتى وقال موسى ارني أنظر اليك
واسدار وتم

سعلت فلبي عالذيك فلا * بملك طول الحيا من فكري
آنستني منك بالوداد وقد * أوحشني من جميع ذا البشر
ذكرك لي مونس يعارضني * يوعدني عنك منك بالظفر
وحيثما كنت يا مدى هي * فانت مني عوضع النظر

وروى ان مطرف بن الشخير كتب الى عمر بن عبد العزيز ليكن انسك بالله وانقطاعك اليه فان
لله عبادا استأنسوا بالله وكانوا في وحدتهم أشد استئناسا من الناس في كثرتهم واوحش ما يكون
الناس آنس ما يكونون وآنس ما يكون الناس أوحش ما يكونون وقال الواسطي لا يصل الى محل
الانس من لم يستوحش من الاكوان كلها وقال أبو الحسن الوراق لا يكون الانس بالله الا ومعه
التعظيم لان كل من استأنست به سقط عن قلبك تعظيمه الا الله تعالى فانك لن تزداد انسا الا ازددت
منه هيبة وتعظيما قالت رابعة كل مطيع مستأنس وانشدت

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي * وابحت جسمي من اراد جلوسي
فالجسم مني للجليس موانسي * وحبيب قلبي في الفؤاد انيسي

وقال مالك بن دينار من لم يأنس بمحادثة الله عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمي قلبه وضيع
عمره قيل لبعضهم من معك في الدار قال الله ولا يستوحش من أنس بربه وقال الخراز الانس
محادثة الارواح مع المحبوب في مجالس القرب ثم قال والأنس حال شريف يكون عند طهارة
الباطن وكانسه بصدق الزهد وكمال التقوى وقطع الاسباب والا ... ومحو الخواطر والهواجس
وحقيقته عندي كنس الوجود بثقل لا ... العظمة واستتار الروح في مبادئ الفتوح ولها استقبال
مسه يشمل على القلب فيجمعه عن الهمة وفي الهيبة اجتماع الروح وقوته الى محل النفس
وهذا الذي وصفناه انس الذات وهيبة الذات يكون في مقام البقاء بعد العبور عن ممر الفناء
وهو غير الانس والهيبة اللذين يذهبان بوجود البقاء لان الهيبة والانس قبل البقاء تظهر من
مطالعة الصفات من الجلال والجمال وذلك مقام التلوين وما ذكرناه بعد مقام البقاء في مقام
التمكين والبقاء من مطالعة الذات من الانس خضوع النفس المطمئنة ومن الهيبة خضوعها

لم أعرفه وسئل ابن عطاء ما ادرسني بحرا الى مقت الله تعالى قال والخضوع
ن ذلك طلب العوض على طاعتها وكان سفيان يقول مكث اشتهي أكل عدس أربعين سنة ثم
ى أعوان السلطان فاخذوني وقالوا هذا كسر جرار الخمر بالامس فضربوني ما ي جسم مر على

والخضوع والخشوع يتقاربان ويفترقان بفرق لطيف يدرك بإيماء الروح انتهى وما ذكر من الهيبة والانس اللذين يكونان من مطالعة الصفات هو المراد في البيت ثم قال رضي الله عنه

﴿وهذا مقام في الوصول وفوقه * مقام محب دونه رتبة السر﴾

هذا البيت يحتمل ان يكون على سبيل الترجمانية أو يكون الناظم رضي الله عنه قاله من عند نفسه مخبرا بانقضاء مقتضيات مقام عين اليقين ومخبرا ان فوقه مقاما أعلى منه طالبا من المخاطب بلطف الاشتياق اليه والمحاولة في اسباب توصل اليه وأكد ذلك التلويح بقوله دونه رتبة السر لان السر أشد الطيور علوا في الجو ومحدر اله من الوقوف مع مالديه فكلامه في غاية اللطافة على عادته ولنرجع للاعراب هذا هذا مبتدا وهو اشارة لحظ صاحب عين اليقين من التجلي ومقام خبره وفي الوصول متعلق بمقام وقد تقدم الكلام على الوصول في تجلي الافعال ومقام محب مبتدا ومضاف اليه ماقبله وخبره في الطرف قبله وهو قوله فوقه ودونه رتبة السر مبتدا وخبر والجملة صفة لمحب ﴿يقول﴾ والله أعلم وهذا التجلي الصفاتي الذي افدناه بقولنا اذا طالع القلب الخ مقام ومرتبة في الوصول الى العلم بالله على سبيل الذوق والوجدان وفوق ذلك مقام محب لله عز وجل الذي هو حق اليقين وهو المقصد الاقصى والمطلب الأعلى وليس وراءه غاية أو قربة اذ ليس فوقه مقام الا الزيادة منه والعروج في مراتبه وكل مقام علي أو حال أسنى أو مرتبة شريفة فهي دونه وتحته ولذلك قال الناظم دونه رتبة السر الذي هو أشد الطيور علوا في الجو تنبيها على علو هذا المقام وسمو رتبته وأصل هذا البيت والذي قبله ما نقلناه من العوارف في تجلي الفعل وهو قوله ومنهم من يوقف في مقام الهيبة والانس بما يكاشف قلبه من مطالعة الجلال والجمال وهذا تجل بطريق الصفات وهو رتبة في الوصول ومنهم من يرقى الى مقام الفناء مشتملا على باطنه أنوار اليقين والمشاهدة مغيبا في شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلي الذات لخواص المقربين الخ وهذا الكلام الأخير منه وما بعده هو الذي عنى بقوله وفوقه مقام محب دونه رتبة السر ولما فرغ من مقتضيات مقام عين اليقين أخذ في بيان مقتضيات حق اليقين لذي شوقه اليه بقوله وفوقه الخ فقال رضي الله عنه

﴿وذو الحق لما طالع الذات صاحيا * بروح سماوي من العالم الأمر﴾
﴿سقته براحات المحبة راحها * فلولا دوام الشرب لم يصح من سكر﴾

وذو الحق أي صاحب مقام حق اليقين واعرابه مبتدا وخبره وقوله لما طالع الخ وطالع الذات أي

بحفظه من آثارهم في ولوف كشف هو ذلك فإن آفاته تكذبه وفي كلام سيدي الشيخ عبد القادر الجيلي
لكن المريد يصدق شيخه كل الاعتقاد لا يسمع به وكان الإمام أبو الغنائم المسدد رضي الله تعالى عنه يقول

الله تعالى بالعنت من المبادئ وفي رواية كل مريد جلس مع شيخه على غير الأدب

نظرها وشاهدها وجوابه لما سبقه الخ والذات قال الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان
الأزدي المعروف بابن البناء رضي الله عنه هي كلمة عزيزة تدل على نفس الشيء وحقيقته
والذات موضوعة للصفات اهـ والسكر غيبة بوارد قوي والصحو الرجوع إلى الإحساس بعد الغيبة
بوارد قوي وقيل السكر غيبة الباطن في مشاهد الجمال لاستيلاء سلطان الجمال والصحو يصير
لتمييز الأحوال وترتيب الأعمال وتهذيب الأقوال وقد ذكرنا فيها غير ذلك فانظر عند قوله والسكر
من كاس المحبة وعند قوله وذوات من وصاحيا حال من فاعل طالع أي طالعها حال كونه صاحيا
من سكرات الصفات الواقع له في مقام عين اليقين كما يشعر بذلك الحالة التي قبلها مقام حق
اليقين وهي التي تضمنها قوله إذا طالع الخ وبروح معمول طالع أي طالعها بروحه بذاتها أو ببصرها
لأن آلة الإدراك في طور الولاية هو الروح والسر والقلب بذاتها أو ... بها أو ببصرها المخصوص
بها في عالمها وأما العقل فقاصر وعاجز عنها سواء كان بآلة أو بذاته وأما البصر الظاهر فللأئمة
إجماع على عدم الوقوع مع اختلافهم في جوازه واختلافهم في وقوعها لنبينا محمد صلى الله
عليه وسلم وموسى عليه السلام والخليل قال الشيخ أبو بكر الكلاباذي رضي الله عنه في كتابه
التعرف أجمعوا على أنه تعالى لا يرى في الدنيا بالأبصار ولا يعلم أحدا من المشايخ ادعاها ولا ورد
ذلك في الحكايات الصحيحة عن أحد منهم إلا طائفة غلاة لم يعرفوا أعيانهم ثم نقل أن المشايخ
أطبقوا على تغليظ مدعيها وتكذيبه وصنفوا في ذلك كتبا ورسائل وزعموا أن من ادعى ذلك لم
يعرف الله تعالى قال الشيخ علاء الدين القونوي رضي الله عنه في شرحه إن صح عن أحد من
المعتبرين وقوع ذلك فيمكن تأويله وذلك أن غلبات الأحوال تجعل الغائب كالشاهد حتى إذا كثر
اشتغال السر بشيء واستحضاره يصير كالحاضر بين يديه وهذا معلوم لكل أحد اهـ وقال الشيخ
أبو عبد الله القرشي رحمه الله حدثت عن أبي إبراهيم الورثاني عن أبي عثمان الورثاني أنه قال
رأيت الله يسمع عليه أهل فاس وقالوا خالفت أهل السنة فقال غاب بصري في بصيرتي فصار كلي
بصرا فرأيت من ليس كمثله شيء ومن هذا المعنى الحكاية المشهورة أن شابا ادعى أنه رأى الله ببصره
فأراد أهل بغداد أن يقتلوه فقال لهم الشيخ أبو محمد عبد القادر رضي الله عنه وكان ذلك في زمنه
ما معناه إنا نظر الله ببصره ولكن لما فاض نور غاب بصره في بصيرته فظن أنه رآه ببصره فتركوه
لأجل ما أجاب به الشيخ رضي الله عنه والروح يذكر ويؤنث وسماوي نعت الروح ومن العالم
الأمري أي لا الخلقي وهو نعت ثان للروح وهما نعتان لازمان لأن كون الروح من السماء نعت لازم
من الأوصاف ومن العالم الأمري لا الخلقي أمر لازم للروح وعالم الأمر عالم الأرواح فقال له باعتبار

بهذا الحجة ووجب عليه التوبة على أن الشيوخ قالوا عدم
كذا إن لا يفلح لسيده وكان أبو سهل الصعلوكي يقول من قال لأستاذه لم لم يفلح وكان بعض
له مجلس قوال ودام على ذلك فقال مريد له كيف تترك تفسير القرآن وأبدلته كلام الله ...
فقال المريد التوبة قلت ويحكى عن أبي سهل أنه عدل عن ... القرآن لعدم ... الداعية إلى

عدم الواسطة والسبب في خروج الاشياء من الوجود العلمي الى الوجود العيني ان ما بين أمر كن وائتمار فيكون الشئ وجودي أصلا وقد قال تعالى قل الروح من أمر ربي ويحتمل أن يكون احترز بقوله بروح سماوي من العالم الامري من الروح الحيواني البشري الذي هو من عالم الخلق قال في العوارف الروح الانساني العلوي السماوي من عالم الامر والروح الحيواني البشري من عالم الخلق والروح الحيواني البشري محل الروح العلوي ومورده والروح الحيواني جسماني لطيف حامل لقوة الحس والحركة ينبعث من القلب أعني بالقلب ههنا المضغة اللحمية الصنوبري الشكل المودعة في الجانب الأيسر من الجسد وتنتشر في تجاويف العروق الضوارب وهذا الروح لسائر الحيوانات ومنه تفيض قوى الحواس وهو الذي قوامه باجراء سنة الله بالغذاء غالبا ويتصرف بعلم الطب فيه باعتدال مزاج الاخلاط ولورود الروح الانساني العمري على هذا الروح تجنس الروح الحيواني وباين أرواح الحيوانات واكتسب صفة أخرى فصار نفسا محلا للنطق والالهام قال الله تعالى ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها فتسويتها بورود الروح الانساني عليها وانقطاعها عن جنس أرواح الحيوانات فتكونت النفس بتكوين الله من الروح العلوي في عالم الامر كتكون حواء من آدم في عالم الخلق وصار بينهما من التآلف والتعاشق كما بين آدم وحواء وصار كل واحد منهما يذوق الموت بمفارقة صاحبه قال الله تعالى وجعل منها زوجها ليسكن اليها فسكن آدم الى حواء وسكن الروح الانساني العلوي الى الروح الحيواني وصيره نفسا وتكون من سكون الروح الى النفس القلب اللطيفة التي محلها المضغة اللحمية من عالم الخلق وهذه اللطيفة من عالم الامر وكان تكون القلب من الروح والنفس في عالم الامر كتكون الذرية من آدم وحواء في عالم الخلق ولولا المساكنة بين الروحين اللذين أحدهما النفس ما تكون القلب ثم بعد ان ذكر كلاما في القلب وان منه ما هو متطلع الى الاب الذي هو الروح العلوي ميال اليه ومنه ما هو منكوس ميال الى الام التي هي النفس الامارة بالسوء قال فالروح العلوي يهم بالارتقاء الى مولاه شوقا وصبوا وتنزها عن الاكوان الى آخر كلامه فطالعه فيه ولا يبعد مع هذا كله ان يكون الناظم درج هنا على ما اختاره شيخه صاحب العوارف في السر الذي جعلوه فوق الروح وانه ليس ثم أمر زائد على الروح وانما هي روح سمت الى أوطان القرب وعرجت اليه كما قدمنا ذلك على قوله يشاهدها سر الذي قبله فأشار اليه مع ذلك بقوله سماوي على انهم اختلفوا في الروح ما هي وهل هي النفس والقلب واللب والعقل أو مغايرة لها وقد قدمنا كلام صاحب العوارف وان مذهبهما التغاير لان اللب لم يقع له ذكر عنده وقال الشيخ

أبو عبد الله محمد البكري رضي الله تعالى عنه بعد كلام وبالجملة فهذه الفعبارات على ما هو باطن الانسان وهو الروح والنفس والعقل والقلب وقد ترددت العلماء في ذلك هل هي مترادفة ترجع الى شيء واحد أو هي مختلفة والحاصل ان حقيقة الروح قد اختلف العقلاء فيه وكثرت أقوالهم في ذلك حتى قيل ان فيها الف مائة قول ونحصل من ذلك لاهل السنة والجماعة أقوال لانه القول الاول الروح جسم نوراني لطيف سارٍ في البدن كسريان الماء في الفحم والماء في الورد أجرى الله العادة بخلق الحياة في البدن باتصاله به وهذا قول المحققين منهم كامام الحرمين ونقل عن الشيخ تقي الاشعري الثاني انه جسم كجسم الانسان وعلى هيكله ذو يدين وعينين وبالجملة فهو على هيكل الانسان نحو وهذا نقل عن ابن حبيب الثالث انه مجرد ليس بجسم ولا جسماني وهذا قول حجة الاسلام أبي حامد والراغب هو أبو القاسم والحليمي هو أبو عبد الله وأبو زيد الدبوسي وجماعة الصوفية خصوصا المتأخرين وبالجملة فهو جوهر زائد على الهيكل المشهود وهل هو سار فيه أو باطن فيه أوهو لا متصل به ولا منفصل عنه ولا داخل ولا خارج أقوالهم دال على انه قد اختلف العلماء في جواز الكلام على مسئلة الروح أعني على البحث عن حقيقتها فمنهم من رأى الامساك وهو اختيار أكثر الفقهاء كابن رشد توقف مع قوله جل وعلا ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا لانهم فهموا ان الآية فيها اضراب عن بيان حقيقته ورد الامر فيها الى أمر الرب فيها اوهذا فيه نظر بل الصواب عند المحققين نعني كالشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ان الروح معقول حقيقته وليس في الآية ما ينهى عن ذلك بل فيها اشارة الى حقيقته وانه من عالم الامر الذي هو أصل الخلق كما قال جل وعلا يتنزل الامر بينهن بل في معرفة حقيقته الكمال الانساني اذ في معرفته معرفة النفس وفي معرفة النفس معرفة الرب الكمال ولم يحصل بالحقيقة على معرفة النفس الا الصوفي المحقق بما اراد الله من الالهام والذوق والكشف والشهود فانجلت له عند ذلك الحقائق ولم تجل له الحقائق حتى انجلت له نفسه وروحه والا فمن كان بنفسه جاهلا فهو بغيره أجهل ثم المنظر في ان الروح من قبيل المجرد أو من قبيل المتحيز ان كان بحسب النظر الفكري والطريق الصناعي فالحق ان الادلة في ذلك متعارضة متعادلة فالحق الوقف وان كان بحسب الدليل السمعي فالمفهوم منه اشارة التجريد وصريحا التحيز ولم يكن باعتباره ما يرجح عند العقل نفيه وهذا هو اللائق بنظر ذي العقل والسمع من حذاق الاشعري والمحدث وأما الوقف فيه في ذلك بلى ما وجدته كما أوذا ووجد وقد نبه الشيخ أبو حامد الغزالي على ذلك ونبه على ان الكمال كله في ادراك ذلك اه وقوله نفسه

لدى الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله تعالى عنه   اى

د الصادق اذا غاب عنه شخص شيخه يكاد يطلع منه روحه واذا اختلف في نفسه عن الخروج نرى لى عنه بأن شيخه مرمأخر وحه والمريد الكاذب بالعكس فرح لغيبة شيخه حتى ان بلغاه بداء المريد الصادق رؤية شيخه وعداء المريد الكاذب غيبة شيخه عنه واعلم ذلك وكان يقول

أي سقت الذات الاقدس هذا المحب براحات المحبة متعلق بسقته وشبه المحبة بالساقي بجامع الاسكار بما يفعل بكل منهما وأضاف اليها الراحات التي هي من لوازم المشبه به ففي الكلام استعارتان مكنية وتخييلية كما هو مقرر في فنه والمراد الخمر باعتبار تناولها بالراحات وهي الاكف وضمير راحها يحتمل عوده للذات ولعله المتبادر من التركيب أو المحبة والمعنى واحد فلولا دوام الشرب لم يصح من سكر أي فلولا دوام شربه المفرع عن سقيها اياه لم يصح من سكره وفيه اشارة الى انه عند أول مطالعة طلعتها واحتساء أول كأس من خمرتها يحصل له سكر ودهش وعلة وهو كذلك كما يأتي والشرب تقدم الكلام عليه في أول المحبة (يقول) والله أعلم وصاحب حق اليقين لما شاهد الذات الاقدس حال كونه صاحيا من سكر غلبات الصفات المتمزنه بها وانسه والفه اياها حتى تصابت روحه وصار يغلب وهو يطيق أنوارها بعد ان كان مغلوبا بها وكانت مشاهدته اياها بروح سماوي من عالم الامر سقته تلك الذات راحها وخمر جمالها الذاتي المطلق براحات المحبة بواسطتها أو سقته براحات المحبة خمرة المحبة وداومت على سقيه بذلك فلولا دوام شربه المفرع عن دوام سقيها اياه لم يصح ولم يفق من غلبات سكره الحاصل له قبل التدرب مع خمرها لانه في اول ما تفاجئه الذات وتجلي له يلحقه دهش وهيمان بل يتدكدك للحس ويورث في النفس صعقة وخرورا ويوجب ذهاب السكر وبرفعان التمييز لعظيم أمر التجلي كما قال في العوارف فاما الفناء الباطن وهو محو آثار الوجود عند لمعان نور المشاهدة تكون في تجلي الذات انتهى ثم يتدرج أيضا الى الافاقة من صعقته والصحو من سكره شيأ فشيأ بقدر دوام شربه وفي معناه قيل

وكاس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها

فاذا دام شربه بدوام شهوده حتى اذا ذهب ظلمة حدوثه ولوث وجوده الموجب لسكره ولم يبق فيه بقية لسريان الحال فيه وتجوهر سريرته ولم يشتد الامحاسة وأنس به لاعتياده يحصل له الصحو الثاني ويفيق من صعقته ويرجع الى حسه ويعطي كل ذي حق حقه ويوفي كل ذي قسط قسطه قال الشيخ جمال الدين القاشاني رحمة الله عليه بعد كلام ذكرناه في الشكر على قوله وذو العين وقلنا فجاءة لان صدمة نور الجمال في النظرة الاولى أكثر وفي النظرات بعدها تقل على التدريج لحصول الانس بوصول الجنس حتى اذا استمر نازل حال المشاهدة ورجع جزء من أجزاء الوجود الى أصله عاد شعاع العقل الى عالم النفس والحس وظهر التمييز بين المتعلقات من المعقولات والمحسوسات وتسمى هذه الحالة صحوا ولهذا المعنى في الشاهد نظير محبوب دخل على محبه فجأة فأذهله عما هو فيه من الامر بحيث غاب متحيرا في مشاهدته عن العقل والتمييز فلما كرر النظر

* واحفظ جميع ما قال عنه انما سبه اياك ان تسمعها * أمثاله كي سال الكاز فيها
* فالخرق انما اسمال أمر جميع ولا يهدنه مانه السداوى * واحمل له ما أتى سرا ناوى
* ١٨٦ دعه وخل حقه ودمه ولا عمل لم أن يهاب أوامر * من قالها ماداق في السر الثمر

الى محاسنه وجماله واستأنس بلقائه ووصاله والسرور وال الدهش والحيرة وهذا كما جرى لنسوة يوسف عليه السلام ننه على السوء فقطعن أيديهن لما أصابهن من الحيرة فى جماله والغيبة عن أوصافهن

غابت صفات القاطعات أكفها * فى شاهد هو للبرية أبدع

ولا شك ان رأنها كانت أبلغ محبته منهن لكنها لم تغب عن التمييز بشهود جماله بتمكن حال الشهود فيها اه وأصل قوله فلولا دوام الشرب لم يصح من سكر قوله فى العوارف قال الواسطى مقامات الواجدين أربعة الذهول ثم الحيرة ثم السكر ثم الصحو كمن سمع فى البحر ثم دنا منه ثم دخل فيه ثم أخذته الامواج فعلى هذا من بقى عليه أثر من شربات الحال فعليه أثر من السكر لارباب القلوب والصحو للمكاشفين بحقائق الغيوب اه ثم قال رضى الله عنه

﴿ولما شربت فى النفس ركبت وطهرت * وطارت روح البرق منهج البر﴾
﴿فجدت الله رحمه بتحادث * فاهلك من برو واهلك من سر﴾
﴿فهالك للاوصاف أشرف حلقه * عليه وللاخلاق خير على خير﴾

شربت فى النفس دبت فيها دبت الشارق الا دم والماء فى الاغصان وفاعل المحبة أو خمرها والنفس هنا مقابل الروح وهى الروح المتعلقة وصفاتها نار أمارة ونار لوامة ونار مطمئنة وتقدم شئ من الكلام عليها فى النسب له ركبت وطهرت من المشهور معارف المعنى وهو جواب عن قوله لما شربت والكلام فى فاعله كالكلام فى فاعل شربت قبله وفاعل طارت المحبة أرواحها كما تقدم فيما قبله والبر الاول والثانى بالفتح أو فيهما على الكسر الحسن والثانى من أسمائه تعالى و مدس وفيه مناسبة للمام لان معناه الذى بين عبادة و محسن التمييز بين قوله البر والبر المجنس التام كالعين والعين أى عين الشمس والعين الناصر والمنهج الطريق الواضح وجدت مفرع عن طارت الخ وفاعله الذات الاقدس لا المحبة لان المحبة المتقدمة الذكر من وصف للعبد لان اعتبار كونها من وصفه هو السبب المناسب فى نسبه وان كان فى الحقيقة كل من الحق سبحانه لكن لنسبت الاسماء اعتبارى نسبها وضمير السه عائد الى صاحب هذه الحالة ورحمه أى لاعتبت وهو مفعول لاجله هذا كله على ان رحمة منصوبة وهو المناسب للعوارف وأما على رفعه فهو فاعل جدت والمعنى جدت اليه رحمة محبوبه وتعطفه عليه وبتحادث متعلق جدت والحادث أحد الشئ وصاحبه المتحسا أو معنى والمراد هنا الثانى والمراد به قوله جدت اليه رحمه بتحادث التسمية على غاية المقربة والاصطفاء وهو من باب التمثيل الذى هو ابراز المعانى

ولا سكن نعمه لعله * فمل دار بذمل العله العقله

* نبى الحسام السراب القاطر والمحك والدصام والمشابه * امره دعهم وبالمسارعه
* مثل مفصل حالس فى هيئه وهذه دمحن الذى بدوحا * على المريد للذى يدعى انا

العقلية فى الصور الحسية قصدا الى كمال السائر والاقا المدو المد والجذب الحسيات مستعمة فى هذا المقام وناهيك كلمة تستعمل فى التفخيم والتعظيم ومعناها ان ما بعد لكماله فى مقامه يمهلك عن تطلب غيره فى ذلك المقام يقال هذا رجل ناهيك من رجل يعنى غاية فى كل ما تطلبه ينهاك بمعناه عن تطلب غيره والبر بالكسر الخير واتساع الاحسان والبشر بالكسر طلاقة الوجه والمقصود هنا تفخيم ما لصاحب هذا الحال من النوال وتعظيم ما لمولاه عليه من الرحمة والاقبال وهنالك اشارة الى قوله فمدت الخ وقرن الاشارة بالكاف الدالة على بعد المشار اليه واللام المؤكدة لذلك مع قرب ما أشير به اليه فى اللطف اشارة الى البعد المعنوى وان هذه الحالة عديمة المثل فقيدة الشكل والاوصاف أى الاوصاف القدسية الكمالية والاخلاق أى الاخلاق الالهية الربانية وفى البيت تقديم وتأخير وحذف وبرد ألفاظه لمولاه والتصريح باللفظ المحذوف يتبين معناه أى هنالك يكون للاوصاف وللاخلاق أشرف خلعة عليه ويقال خلع فلان على فلان خلعا وخالعه اذا أعطاه ثوبا وخلع ثوبه اداره عن بدنه فاستفاده معنى العطاء من لفظ الخلع انما هو بوصل حرف على به لا بمجرد لفظه ثم ان أصل قولهم خلع عليه ونحو ذلك من خلق الملك ما دحه مثلا الدم حرك منه مدحه وهذا قوله فأزال ما كان عليه وألقاه عليه وكذلك هذا العبد المحبوب لما جاد به الذات الاقدس وتخلق باخلاقه وعطى وصفه بوصفه وحلى نعته بنعته عن غيره بذلك تقريبا من باب التصوير والتمثيل ولما كان فى كل من خلع الاوصاف والاخلاق سودد وشرف لا يسع له تيار ولا يشق له غبار كان قوله بعد ذلك فخرا على فخر فى غاية التمكن وهو خبر مبتدأ مقدر أى وذلك فخر على فخر (يقول) والله أعلم ولما سرت ودبت هذه المحبة أوجرها فى نفس هذا العبد المحبوب زكتها وطهرتها عن الرذائل ونورتها بالفضائل فنفت ظلمتها وأذهبت جمودها وآلاتها وأحرقت رعنتها وقطعت عروق منازعتها وطارت حينئذ لما تخلصت الروح من وثاق ظلمة النفس تلك المحبة أوجرتها روح هذا العبد البار الكثير الخير المتقرب الى مولاه بالنوافل الظاهرة والباطنة على حسب مقامه وما أهله الحق فيه حتى أحبه فى طريق الله تعالى الذى هو المسلك فى توحيده الذاتى الى ان استفادت جوهرها وبلغت غايتها فتلقته الذات الكريمة العلية عند ذلك الطيران وبلوغ روحه فيه غاية الامكان ومدت اليه يد جاذب رحمة منها به وتعطفا عليه أو فدت اليه رحمة تحنو به وتعطفه عليه يد جاذب فناهيك بما أسدت اليه من النوال وناهيك بما نال منهما من البشاشة والاقبال ينهاك بكمالهما وعظمهما واشتمالهما على جميع الخيرات ونهاية المسرات من التطلع الى غيرهما وتطلب ما سواهما وفى هذا الموطن

عباده وفي شأن إصلاح نفسه فقط حتى يخرج من رعونتها وفي حديث الطبراني مرفوعا من تسمع
به ومن تسمع الله عز وجل به فضحه ولو في جوف رحله وكان الحسن البصري رضي الله عنه يقول والله

 عورات الناس فاحدث الله لهم عيوبا فيهم فكل من لم يستر على

بلغ عليه من أوصافها وغلبت عليه بدلا من حلمه عليها وذلك يخرج إلى خراب سوده على سودد
وسرف على سرف والى هذه الحالة أشار بعضهم بقوله

ليس من لوح بالاصل له * كالذي يسير به حتى وصل
لا ولا الواصل عندي كالذي * طرق الباب والذا ردخل
لا ولا الداخل عندي مثل من * سار زوارهم ولسر حمل
لا ولا من سار زوه كالذي * صار إياهم فدع علل العلل
ذاك من خص من الملك به * لو على منه للخلق قتل
كل فهم راس بداني فخودا * كل لا عج ماله فيها محل
كل عند ماله عند عتى * أنا عبد للحبيب يتصل
ناحيسى واسمها أعرفه * ليس بالا من أرادها ل أحل

واعلم ان هذا المحل غيب عن غيب عيان الخلق فمتى يعبر عليه السالكون لهذا الطريق الموقنون
للغيبي فلا يدرك حقيقته الا بالذوق والوجدان والشهود والعيان والعبارة لا تفصح عنه ولا توضحه
بل تزيده خفاء وصعوبة ولكن لما عرف الناس منه اجزاء فمن مال الى الظاهر مؤول
الاحاديث المشيرة لهذا المقام الكريم كقوله كنت سمعه وكنت حافظ سمعه عما لا يحل سمعه
وأمثال هذا ومن مال الى الباطن قال مشرف بسجادة والى الاتحاد والحلول راسا ان يذكر نعتي
كلام الائمة على سبيل الاشارة الى ما فهم عليه يقول قال الشيخ أبو الفضل تاج الدين بن عطاء الله
رضي الله عنه في قوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه تعالى وتقدس فاذا أحببته كنت سمعه
الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الخ المعنى به وجود الفناء بعد الفناء فمحى أوصافك
وطوى بطهور أوصاف المولى فيك ويمحقها أبا العباس رضي الله عنه يقول ان لله عبادا
محا أفعالهم بأفعاله وأوصافهم بأوصافه وذاتهم بذاته وحملهم من أسراره ما يعجز عامة الاولياء عن
سماعه وهم الذين غرقوا في بحر الذات وتيار الصفات فوادها أب فلا ينبغي ان يسئل عن الفالق
بأفعاله وعن أوصافك بأوصافه وعن ذاتك بذاته اهـ وقال الشيخ أبو محمد عبد السلام المهدي
رضي الله عنه بعد كلام فاذا نسب ذلك ردهب صفاتك فام بصفاته عن صفاتك وسمائه عن
عاملك وخلع عليك حلة في سمع وفي بصره كون فوتك وموالك وموالتك فان بطش فبذ كاره
وان نظر ب فبأنوار وان تحرك فبأقداره وان نطق فباقتدار ثم قال اعلم ان الحقيقة لطيفة
روحانية تستولي بلطيف روحانيتها على كثيف ظلماتها الحسية فيذهب اللطيف الكثيف

وأدى وأعلمه المواردين ولا تساكنوهن ذلك فعرف الراوية عن قرب ونتلاشى
ساب العراب سامونه في حلوة أبدا لان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ولو لم يكن عند
رعا الاب فهم يسئل ملتوثم وقلوب الفقراء لانه في لمحاوري ان تعرضوا على النفس في منع

وتتلاشى الجسمانية بالروحانية لقوة سلطان المحبة وذوب المحب تحت قهرها فان لها رها احكاما ولسلطانها اصطلاما فاذا آذنت بحر مها تدبر كل شئ بامر ربها فحال ان يثبت مع المحبة سواها أو ينوى مثواها وما مثال فناء المحب فى بقاء المحبوب الامثل النار اذا استولت بلطافة روحانيتها على كثافة جسمانية الخشب والحطب فتفنى بشريته الخشب وتبقى روحانية اللهب فالذى تشاهده من الدخان الصاعد من الخشب فى بداية استيلاء النار عليه فاذا استحكمت النار ذهبت ذاتية الخشب وانقطع الدخان فكذلك ما يتصاعد من بخارات حسك وحبالات نفسك فى بدايتك فاذا دام استيلاء نار المحبة ذهبت ذاتية صفاتك وقامت صفاتها عن صفاتك و بوجودها عن وجودك ومثال كمون المحبة فى ذاتية المحب وسلب ذاتية المحب عن صفاتها ككمون النار فى ذاتية الماء الحار فانت تظنه فى الصورة ماء يغرق وهو فى الحقيقة نار تحرق فلو دبيت منه شيأ لاحرقك فان قلت ان المحرق هو النار فاين الماء وان قلت المحرق هو الماء فاين النار ثم قال فان قلت كيف ينبغى للقديم ان يحل فى الحادث وكيف يجوز لمخلوق ان يتصف بصفة الخالق وما وجه قوله كنت له سمعا و بصرا فبى يسمع و بى يبصر فاقول ألا ترى ان النار كيف كست صفتها للماء بواسطة الحجاب حتى عاد الماء فى الصورة ماء وفى المعنى نارا يفعل فعل النار فى احراقها من غير ان تحيز النار فى ذات الماء ولا اتصلت به ولا مازجته وهى متصلة بالصفات منفصلة بالذات وانما بواسطة قرب الماء من النار كسته صفاتها النارية فصار محرقا وكذلك الحق سبحانه وتعالى صفاته الباقية من غير تحيز ولا اتصال ولا انفصال ثم قال بعد كلام على وفى يسمع ولم تسعنى أرضى ولا سمائى الحديث فاذا سمعت و وسعنى قلب عبدى المؤمن فاعلم ان القلب غيب والرب غيب فاطلع الغيب على الغيب قال واعلم ان اطيفة ذلك واشارته ان القلب خلق كامل الوصف فله وجهان ظاهر و باطن فظاهره ترابى أرضى طبيعى مظلم جسمانى وباطنه سماوى علوى نورانى روحانى فكثافة ظاهره ظلمته لمباشرة القوى الطبيعية البشرية ولطافة باطنه لوجاهة الملكوتيات العلوية الربانية الروحانية واستغراقه فعلى قدر مواجهته لها ومقابلته اياها انعكست عليه اشعة أنوارها وتجلت باسرارها فشاهدها بالانوار التى قد أفاضت عليه وأدركها بالاسرار التى أبدتها اليه فهو يشهد جمالية محبوبه فى مرآة قلبه من غير حصر ولا تحيز ولا حلول ولا انفصال وهو فى المثال كمرآة لها وجهان ظاهرها كثيف مظلم وباطنها لطيف مضىء فلو قابلها من الكائنات ما قابلها من صغير أو كبير رأيته متمثلا فيها مع صغر جرمها وكبر المرئى فيها ولو كان جبلا وجبلا رأيته بكل أجزائه فيها بغير حلول فيها ولا اتصال بها ولا تحيز فى شئ منها فكذلك الحق سبحانه وتعالى اذا

امى أسارالعوب سيدى الشيخ أبومدين رضى الله تعالى عنه فى قصيدته بقوله

* هم السلاطين والسادات والامرا فاصحبهم وتأدب فى مجالسهم * وخل حظك مهما خلفوك ورا
امعهم ١٩ * واعلم بان الرضا يخص من حضرا ولازم الصمت الاان سئلت فقل

يجلى على قلب عبد المومن شاهده بعين نفسه وبحليته يشير بصيرته من غير حلول ولاتغير ولا اتصال ولاانفصال وأوضح من هذا المقال ماأشرحه فى هذه الابيات

وانا تجلى من أحب تكرما * وأشهدنى ذاته الجمال المعظما

تعرف لى حتى شهدتنى * أرا نفسى جهرا لاتوهما

وفى كل حال أجتليه ولم يزل * على طور قلبى حيث كنت مكلما

وماهو فى وصلى بمتصل ولا * بمنفصل عنى وحاشا مهما

وما قدرتى ان يحيط بقدره * وان البرايا من طلعه البدر انما

أشاهد فى صورتى فاجتلى * جمالا تعالى عن ان يتسمى

كما ان بدرالتم ينظر وجهه * بصفو غدير وهو فى أفق السما

(وهذا امام فى الوصول وحفظه * شائق سوق من فؤاد على جمر)

هذا اشارة الى ماتقدم من قوله وذوالحق الى آخر قوله هنالك النسب والامام أصله المخلص والمراد هنا ماذكر فى الابيات السابقة فى الوصول وقد تقدم الكلام على الوصول وحفظه أى وحراسته وكلاءته وضميره للامام وشائق سوق متعلق بحفظه وهو من اضافة الصفة الى الموصوف أى سوق شائق ويحتمل ان يكون الاضافة بيانية أى شائق الذى هو السوق والسوق لغة نزوع النفس الى الشئ ومن فؤاد صفة لسوق أى سوق ناشئ من فؤاد على جمر صفة لفؤاد أى من فؤاد كان على جمر من نار المحبة (قوله) والله أعلم وهذا التوحيد الذاتى والتجلى نظيرها الذى أفدناه بقولنا وذوالحق الخ مقام ومرتبة فى الوصول الى العلم بالله الحقيق الذى على سبيل الذوق والوجدان وحفظ هذا الامام وحراسته والثبوت فيه بين يدى الملك العلام بحيث لايسلى ويكون سببا وقوته أورجوعه القهقرى يكون بشائق سوق وطلب ناشئ من فؤاد على جمر ملتهب من نار المحبة الخاصة الدائمة ويكون دائم السيار لايقر له قرار ولا يفتر عن طلب المزيد ولا يسلى الا لطف حديدا أبدا طالب زيادة الى غير غاية ونهاية لعلمه ان الامور الالهية والكمالات القدسية الازلية ليس لها حد ولاغاية عنده وأصل هذا النسب والله أعلم قوله فى العوارف وسئل الجنيد عن المحبة فقال دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب فحمل هذا على معنى قوله فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا وذلك ان المحبة اذا صفت وكملت لايزال يجذب بوجهها الى عموم ما قاد التهيب الى غاية جهدها وصفت والرابطة متأصلة متأكدة وكمال وصف المحبة أزال الموانع من المحب وبكمال وصف المحبة يجذب صفات المحبوب متسلطا على المحب المخلص من موانع قادحة

على موارد لم ألوبها كدرا
فى
فهى وخصوصا منهم نفرا قوم كرام السجايا حيث ماجلسوا * يبقى المكان على آثارهم عطرا
دم * ممن تجرد ولو العز مفتخرا قلت هكذا ينبغى للفقير ان يرى أحواله بالنظر الكاملة

فى صدق المحب ونظره الى تصوره بعد استيفاء جهده ويعود المحب بفوائد اكتساب الصفات من المحبوب ويقول عند ذلك

أنا من أهوى ومن أهوى انا * نحن روحان حللنا بدنا
فاذا أبصرتني أبصرته * واذا أبصرته تبصرانا

وهذا الذى غيرها حقيقة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلقوا باخلاق الله لانه براءة النفس وكمال التزكية يستعد للمحبة والمحبة موهبة غير معللة بالتزكية ولكن سنة الله جارية ان يزكى نفوس احبائه بحسن توفيقه وتأييده واذا صح براءة النفس وطهارتها ثم جذب روحه بجذب المحبة خلع عليه خلع الصفات والاخلاق ويكون ذلك عنده رتبة فى الوصول فتارة يبعث الشوق من باطنه الى ما وراء ذلك لكون عظيم أمر الله غير متناه وتارة يتسلى بما صح ويكون ذلك وصوله الذى يسكن نيران شوقه وباعث الشوق تستقر الصفات الموهبة المحققة رتبة الوصول عند المحب ولولا باعث الشوق ورجع فهقرى وظهرت صفات نفسه المحيلة بين المرء وقلبه ومن ظن الوصول غير ماذكرناه أوتخايل له غير هذا القدر فهو متعرض لمذهب النصارى فى اللاهوت والناسوت واشارات الشيوخ فى الاستغراق والفناء كلها عائدة الى تحقيق مقام المحبة باستيلاء نور اليقين وخاصة الذكر على القلب وتحقيق حق اليقين بزوال اعوجاج البقايا واماطة اللوث الوجودى من بقاء صفات النفس ولما كان من جملة ما تحف به صاحب هذا المقام خلع الاوصاف الربانية والاخلاق الالهية عليه وكان مقامه من المحبة كما قدمناه خول أوصاف محبوبه على المدل من أوصافه وهذا مقام عظيم ولكن خطره جسيم ويخاف على من طمه أو سمعه اذا لم تداركه العناية اعتقاد الحلول الذى أحالته الانقال والعقول حذر من ذلك ونبه عليه مقتديا بشيخه كما قدمنا آنفا فقال رضى الله تعالى عنه

﴿وان اعتقادات الحلول ضلالة * اذا لم يكن كفرا فلا يخل من كفر﴾

الحلول يقال بمعنى القيام بالغير كحلول الاعراض بمحالها أى بالاجزاء وكحلول اللون بالجسم ويقال بمعنى الاستقرار كحلول الجوهر أو الجسم فى الحيز وهو الفراغ المتوهم الذى يشغله شئ ممتد أو غير ممتد وقد يقال على الاتصاف كحلول الصفة بالموصوف وقد يقال على التقدم كحلول الصورة فى المادة والجميع باطل ومحال على الحق سبحانه ولذلك جمع الناظم الاعتقاد والضلال الخروج والعزول عن الطريق والطريق هنا التوحيد الحق والتنزيه المحض والكفر بالضم وبفتح التغطية هو لغة وفى الشرع خلاف الايمان وقد تقدم الكلام عليه مستوفى على قوله ولا ترى فى

علم بالحق ونهى الله تعالى وأبان لعباد وذا المقع به علماء الدارين لاجرما ان محبة أعمارين الله تعالى
ن واجوهم عون كبير على سلوك طريق أهل الله تعالى والوصول الى كمال معرفة الدوية قال تعالى
وقال تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم وقال تعالى باتي الذين ادمهاى العار ادموا

الارض البتة ولا في قوله لاتحل من كفر باهمه ولذا حرم ما بعدها لعدى آخر وهو نهى عن ان يعتقد فيه انه لا يقول الكفر الصراح ان سلم انه ليس منه ولا الباقية تحوز دخولها على فعل الغائب
﴿يقول﴾ والله أعلم وان اعتقادات الحلول في الحق تعالى وتقدس بجميع أقسامه ووجوهه ضلالة وخروج عن التوحيد الحق والايمان المحض اذا لم يكن ذلك الاعتقاد كفرا صراحا منافيا للالوهية بالاولية ولا يخلو من كفر مكني يؤول لذلك بالآخرية فلا يعتقد انه خال من الكفر بالكلية وبيانه ان الحال في شيء محاط به محصور بما حل فيه وكل حاصر اي يقوله قاهر والمقهور لا يكون الها فعد آل القول بالحلول لنفي الالوهية بالآخرية وأيضا انما يلزم على كل وجه من الوجوه المذكور في الحلول من الافتقار ضرورة افتقار الحال لما حل فيه ولا شيء من المفتقر باله فكيف وهو الغني على الاطلاق وكذا لو كان الغير محل فيه لانه يكون مفتقرا اليه وانما جعلت الكفر في كلام الناظم على ذلك للبرهان القاطع على فساد اعتقاد الحلول ولمنافاته نفي الالوهية المستلزم لكفر معتقد وقد نص الحافظ أبو نعيم الاصبهاني بالفا بخط المؤلف رضي الله عنه والامام أبو حامد رضي الله عنهم وغيرهم على كفر القائلين بالحلول وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله احتجب عن اهل السماء كما احتجب عن أهل الارض واحتجب عن أهل العقول كما احتجب عن أهل الابصار وانه ما حل في شيء ولا غاب عن شيء وان الملأ الاعلى يطلبون الله كما تطلبونه أنتم ثم ذكر برهانا على استحالة الحلول فقال رضي الله عنه

﴿وليس محل الحادثات منزه عن النقص والتغيير واقهر دوي المكر﴾

المنزه المقدس والنقص عبارة عن كل ما يشين والتغير تبدل الحال واقهر أي ارتض والمكر بضم الميم وسكون الجيم الفجور وفي النسب بعدم وتأخير لضرورة الوزن والتقدير وليس منزه عن النقص والتغير محل الحادثات ووجه كونه برهانا ان كونه منزها معتقدا كان مفروغ منه ولا غالب فيه وعدم اجتماع ذلك مع حلول الحادثات مدرك بضرورة العقل لا يلتبس لمن تجده بالقول بالحلول باطل وقوله واقهر دوي المكر أمر على سبيل الاستنان بهجران أصحاب الاعتقاد الذي هو الحلول واصل النسب قوله في العوارف في باب من انتمى الى الصوفية وليس منهم ومن جملة أولئك قوم يقولون بالحلول ويزعمون ان الله تعالى يحل فيهم ويحل في أجسام يصطفيها ويسبق الى فهومهم معنى من قول النصارى في اللاهوت والناسوت ومنهم من يستبيح النظر الى المستحسنات اشارة الى هذا الوهم ويخال له ان من قال كلمات في بعض علمائه كان مضمرا الشيء مما زعموه مثل قول الحلاج أنا الحق وما يحكي

1 * سقط قدرا عن علاك وعمرا واعلم أن الالهة
عن
سوء الخلق فالخلق الحسن زين فيه وجه الصواب والمآكم والخلق الذي يشين يوجه الناعس
ث لا يخفى فضله قال العرمس قائل في مدح نبيه صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم فالخلق الحسن

عن أبي يزيد سبحاني حاش لله ان يعتقد في أبي يزيد انه يقول ذلك الا على معنى الحكاية عن الله تعالى وهذا ينبغي ان يعتقد في الحلاج قوله ولو علمنا انه ذكر ذلك القول مضمرا الشئ من الحلول رددناه كما نردهم وقد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشريعة بيضاء يستقيم بها كل معوج وتدل على العقول ما يجوز وصف الله تعالى به وما لا يجوز والله منزه عن ان يحل به شئ أو يحل بشئ اهـ واعلم ان ما وقع من الانكار مما يوهم بظاهره الحلول فانما هو على معنى ما قدمناه في الاتحاد وقد رأيت ما أجاب به صاحب العوارف عن بعض ذلك وانه على سبيل الحكاية لا غير وللشيخ أبي عبد الله محمد المكي رضي الله عنه في هذا المعنى كلام طويل أجاد ما شاء قال اعلم ان المخالفين لهذا المعتقد يعني امتناع الاتحاد والحلول وتنزيه الله عنهما بالتحقيق هم النصارى لما ادعوه في عيسى عليه السلام وغلاة الشيعة لما ادعوه في علي كرم الله وجهه كما هو مسطور في كتب المغالاة وقد أخرج النسائي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه يا علي ان فيك مثلا من عيسى بن مريم الذي قال فيه بنو اسرائيل من أجله ما قالوا ثم انه قد تبع هؤلاء الغلاة طائفة تنسب الى التصوف تسمى أوهم الاباحية اذا خاض السالك لجة الوصال فربما حل واتحد به وحينئذ يرتفع الأمر والنهي وهذا كله كفر صراح واعلم ان من الناس من ينسب القول بالاتحاد والحلول الى الصوفية بل الكمل منهم كما وقع للجنيد لما سئل عن التوحيد فانشد

رق الزجاج ورقت الخمر * ولون الماء لون انائه

وقول أبي يزيد المشهور عنه والشبلي وابن منصور الحلاج وسهل وغيرهم وهذا انما يتوهمه فيهم من ليس له اطلاع ولا استشراف على أحوالهم وتحقيق اصطلاحهم وذلك ان لسانهم لسان صدق وعن وجه حق منطقهم تابع لوجدهم ووجدهم تابع لحالهم وحالهم العلم والمعرفة ومعلومهم الله تبارك وتعالى من حيث ذاته وصفاته وأفعاله اذ قلوبهم لم تسع علما الا ذلك قال الله سبحانه لم تسعني أرضي ولا سمائي وانما وسعني قلب عبدي المؤمن وهذا الحال العلمي يختلف بحسب تجلي الحق عليهم ولهم اذ الحال ثمرة التجلي وتجليات الحق تختلف بحسب شؤنه الذاتية والصفاتية والفعلية فلهم عند كل تجل حال وعند كل حال لسان ومنهم من يتحد عليه الحال الوارد فلا يكون له متسع لغيره فيكون ذلك الحال غالبا عليه ومنهم من تجتمع فيه الأحوال فيقول بمقتضى كل منها ويعطي كل ذي حق حقه فان جمع بين علمي الأفعال والصفات فهو يقوم بمقتضى العبودية فرقا وبمقتضى الربوبية جمعا ومن جمع له العلم الذاتي والصفاتي والفعلي فهو يقوم بمقتضى العبودية فرقا وبمقتضى الربوبية جمعا وبمقتضى الألوهية جمع الجمع من حيث البداية أعني بداية الوصول

معلق بالمساجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل
ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال
فقال إني أخاف في الأدبيات الأولى لمؤلفها الأديب الفاضل أبي زيد عبد الرحمن

واحدية الجمع من حيث النهاية وهؤلاء هم الذين يكون الفرق في ظواهرهم موجودا والجمع في
بواطنهم مشهودا وأما من انفردت له حالة من هذه فهو بحسبها فإن كانت ذاتية وهي عين
أحدية الجمع فلسانها الإخبار عن الله فقط إذ الإخبار عن غير فرع العلم بغير ولا علم بغير
وصاحب هذا المقام صاحب مقام أحدية الجمع والتوحيد الذاتي وإن كانت تلك الحالة أسمائية
فهي جمع الجمع وهي شهود الخلق بالحق ولسانها الإخبار عن أسماء الله وصفاته وتعلقاتها إذ
الإخبار إنما يتفرع عنها فرع العلم بها وصاحب هذا المقام صاحب مقام الواحدية والتوحيد
الصفاتي وإن كانت حالة فعلية وهي الجمع وهي شهود الحق من حيث إبداع الخلق وإيجاده
وتصويره فلسانها الإخبار عن أفعال الله وأحكامه فقط إذ الإخبار عن غير فرع الشعور بغيره
وعليه فهذه الأحوال عندما ترد هاجمة على قلب العبد تسمى اصطلاما وسكرا والدخول في تلك
الحالة يسمى فناء ومحوا فإذا ... ولسان أولها الله يقول سبحاني وأنا الحق وأنا هو أو غير ذلك
ولا يتوهم أنه يقول ذلك لنفسه بل الإنابة إلى أخرجها الغاية إنابة الحق جل وعلا
وإنما إنابة الفوقية فلا شعور له بها لعدم شعوره بما من ذاته وحسه ويكشف عنه ما يشعر له
به بل ذلك النطق الحقيقي هو نطق الذي أنطق كل شيء مخبرا عن ذاته جل وعلا كما قال تعالى
منبها على هذا السر الإلهي فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من
الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين فهذه الأحوال المفردة التي توجب الاصطلام إنما
هي حالة من يعرض له الكمال وأما من تم له الكمال كالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام
وورثتهم الذين جمعوا الحقائق وسلكوا الطريق واستمروا على الحقائق فامتزجت النسبة
بأحوالهم وانسحبت الأنوار من أفعالهم وأقوالهم فهم الهداة الذين يهتدى بهم كل قاصد ويسكن
إليهم كل شارد ثم لكل منهم إرث منه بقدره ويحدو حدوه وهم الأئمة المرشدون والعلماء الخاشعون
وأولو الألباب الذاكرون فهذا حال القوم فكيف يتوهم فيهم أو يتهم حلول أو اتحاد وهم قد تبرؤوا
من ذلك كله بالدليل والحال والمقال وما ذكره الشيخ أبو حامد رضي الله عنه أن ذلك كان منه
فيهم فقيل إن حقق دعواه بما ادعوا قياسه في تعلوم الصوفية في آخر عمره تشهد لذلك كتابه
المنقذ من الضلال وهذا هو اللائق به وإن كان قد قال ذلك عنهم في بعض كتبه إلا من ...
يريد بذلك ما هو المتبادر من الكامنين وكأنه أراد أن يفصح عن أسرارهم بالعبارة عن ذلك
والعبارة يتدرج في الأسرار ولهذا قال العبارة جناية على أنه لم يرد في اصطلاح القوم شيء من ذلك
الإطلاق إلا ما ورد في اصطلاح المتأخرين كالشيخ ابن الفارض رحمه الله لأجل ما ذكر المتأخرون

شيء وقيل أكثر الخير من الناس من فرط في كسب ... في
باطنه منهم وقال بعض الناس إن لا شيء المفرط في صحبة الصلحاء والعلماء فتمنعهم سعادتهم
عبد الله بن عباد رضي الله تعالى عنه والحاصل من هذا أن صحبة الصوفية هي التي يحصل بها كمال

فى الاصطلاح الذى الكل به موجود فيتحد به الكل من حيث كون كل شئ موجودا به معدوما بنفسه لا من حيث ان له وجودا خاصا اتحد به فانه محال وبالجملة فمعناه شهود اتحاد تعلق الموجودات كلها به جل وعلا اذ هى به موجودة لا بها وهذا هو مراد الغزالى من حيث كلامه فى التصوف وكل من له نسبة فى هذا الشأن وهو المسمى عندهم بالفناء فى التوحيد كما صرح به الشيخ أبو حامد الغزالى فى احيائه فى كتابه الصبر وغيره ولقد سمع سعد الدين رحمة الله عليه حيث قال فى شرح مقاصده ان السالك اذا انتهى فى سلوكه الى الله وفى الله يستغرق فى بحر التوحيد والعرفان بحيث تضمحل ذاته فى ذاته وصفاته فى صفاته ويغيب عن كل ماسواه ولا يرى فى الوجود الا الله وهو الذى يسمونه الفناء فى التوحيد واليه يشير الحديث الالهى من ان العبد لا يزال يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به وحينئذ ربما صدرت عنه عبارات تشعر بالحلول والاتحاد لقصور العبارة عن بيان تلك الحال وتعذر الكشف عنها بالمقال ونحن على ساحل التمنى نغترف من بحر التوحيد بقدر الامكان ونعترف بان طريق الفناء فيه هو العيان دون البرهان والله الموفق للصواب اه وانما أطلنا فى هذا المقام حرصا على تحسين الظن بأولياء الله وتصميم الاعتقاد فى أهل الله جعلنا الله منهم ومن علمائنا من عليهم انتهى وكانه لنفيه ان الحلول لم يطلقه أحد يحفظ اطلاق الشيخ أبى الحسن الششترى له مع ان كليهما سعيني الطريقة وذلك قوله فى مقطعة له

حل من ذاتى بذاتو * وحياتى بحياتو وصفاتى بصفاتو * انا فيه وهو فيا

ثم قال حل ربى بطورى * وظهر فى سطورى * واعترانى سورى وتجلى لى

الى آخرها انتهى ما قاله الشيخ أبو العباس زروق رضى الله عنه وذلك فيما رأيت بخطه وكتبه فى الهامش بخطه طرره قلمه ولفظ الحلول حسى والا فالمراد عن طريق العلم والمعرفة كما فى حديث ويسعنى قلب عبدى المؤمن واليه اشار بقوله يعلم بيت قلبك مكان ولما كان الحياء والانس على مراتب لتعدد المشارب أشار الى ما يخص صاحبها هذا المقام منها فقال رضى الله عنه

﴿ وللروح اطراق لاجل جلاله * واجلاله ان الحياء لذو حصر ﴾

الاطراق ارخاء العين نحو الأرض من هيبة أو حياء يقال اطرق فلان أعمى كانه صارت عينه طارقا للارض أى صار باهدابها مطرقة والمراد بها الاخبار عما يصيب الروح من شدة عظم المقام من شبه النكوص الى وراء ورجوع القهقرى أدبا وتعظيما ونوع دهش لا ملالا أو هو عبارة عن اغضاء ناظر الروح دهشا من شعاع نور الذات وتعظيما لها كل ذلك محتمل ولاجل جلاله

واجلالا هو علة للاطراق والمراد الجلال هنا العظمة وضميرها للذات الاقدس أضافة عليه يكون المصدر مضافا للمفعول أو هو عائد للروح أى تعظيم الروح اياه فيكون المصدر مضافا للفاعل وهو الموافق للعوارف والحصر هنا الحسن والمقتبس في تعول والله اعلم أو روح هذا الحب المحبوب او سمى هنا اطراق واغضاء لاجل عظمة الله التى شهدت وتعظيمه اى تعظيم لله أو تعظيم الروح اياه أن الحياء لصاحب حسن له عن المباسطة بالمشاهدة والمكالمة والاقدام الى المعنى والاحجام أولا وحسن لما اطر الروح واطمأن أحجامه عن التطلع الى أنوار تلك الطلعة قال فى العوارف بعد كلام فى الصبر وعندى فى معنى الصبر عن الله وجه ولكونه من أشد الصبر على السالكين وجه وذلك ان الصبر عن الله يكون فى أحسن مقامات المشاهدة أن يرجع العبد عن مولاه استحياء واجلالا وينطوى بصبره خجلا ودونا ويقف فى مقار انكماشه ويحبسه لاحساسه بعظم أمر التجلى فهذا من أشد الصبر لوداد امه هذا الحال بأينه لحق الجلال والروح تود ان يكحل بصيرتها باستماع نور الجمال وكان للنفس منازعة لعموم حال الصبر والروح فى هذا الصبر منازعة فأشد الصبر عن الله تعالى لذلك اهـ وأنشدوا أبيات عمل عبد الله الانصارى ثم الهروى رضى الله عنه

اسائله اذا ابدا * أطرف من اجلاله لاخيفة لى هيبة * وصيانة لجماله
الموت فى ادباره * والعيش فى اقباله وأصدعنه اذا ابدا * وأروم طيف خياله

وأصل البيت والذى بعده ما ذكره فى العوارف فى حد الحياء والانس ونحن نذكر كلامه بأجمعه قال بعد ان ذكر الحياء العام الذى هو من المقامات وأما الحياء الخاص من الاحوال وهو ما نقل عن عثمان رضى الله عنه انه قال اغتسل فى البيت المظلم فانطوى حياء من الله ثم ذكر بسنده عن السرى انه قال احفظ عنى ما أقول لك ان الحياء والانس يطوفان بالقلوب فاذا وجدا فيها الزهد والورع حطا والا رحلا والحياء اطراق الروح اجلالا لعظم الجلال والانس التذاذ الروح بكمال الجمال فاذا اجتمعا فهو الغاية فى المعنى والنهاية فى العطاء قال بعض الحكماء من تكلم فى الحياء ولا يستحى من الله فيما يتكلم به فهو مستدرج وقال ذو النون الحياء وجود الهيبة فى القلب مع حشمة ما سبق منك الى ربك وقال ابن عطاء الله العلم الهيبة والحياء فاذا ذهبت عنه الهيبة والحياء لا خير فيه وقال أبو سليمان ان العباد عملوا على أربع درجات على الخوف والرجاء والتعظيم والحياء وأرفعهم منزلة من عمل على الحياء لما أيقن ان الله تعالى يراه على كل حال استحيا من حسناته أكثر مما استحيا العاصون من سيئاتهم وقال بعضهم الغالب على قلوب

ـلو ساوحوقا من ان سرق الطبع من الطبع والصحبة لها أمر عظيم وهى ركن من طريق أهل الله
ـج أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه لا تصحب من تؤثر نفسه عليك فانه لئيم ولا من يؤثرك على نفسه

المستحقين الاجلال والتعظيم دائما عند نظر الله اليهم انتهى ثم قال رضي الله عنه

﴿وان لديه في كمال جماله * للذة أمن أمنت طارق الذعر﴾

لدى بمعنى عند وضميره لصاحب هذا المقام وفي كمال جماله أي في شهود كمال جمال مولاه فيكون ضمير جماله للحق والكلام على حذف مضاف ويحتمل ان يكون الضمير في جماله للعبد ولا يكون في الكلام حذف وأضاف الجمال اليه للملابسة والاضافة تقع بأدنى سبب ولذة أمن اسم ان وقرنه باللام للفصل بينهما بالخبر وأمنت الخ صفة للذة والطارق في أصل اللغة السالك في الطريق مطلقا ثم حصر في المتطرق بالآتي ليلا على غفلة والمراد هنا مجرد الاتيان والذعر بضم الذال المعجمة وسكون العين المهملة الخوف وبفتح الذال التخويف ومراده انما حصل له من الانس قد أمنه وجعله في حصن حصين من طوارق الخوف فلا تجد اليه سبيلا ﴿يقول﴾ والله أعلم وان عند صاحب هذا المقام المتقدم الذكر في حال شهود كمال الجمال المطلق الذاتي لذة أمن وسكون أمنته تلك اللذة من طوارق الخوف لانه قد ارتفع عن محله وحل في منزل الانس لشهود جمال مولاه فلا يبرح عنه وكان الخوف شخص ينظر اليه على بعد ولا يقربه ولا يلم به وانما يعتريه مما قد يتوهمه من لا علم عنده خوفا وهيبة والفرق بين الخوف والهيبة ان صاحب الخوف اذا أمنته يأمن لان سبب خوفه توقع حصول العطف وهو يرتفع بالتأمين وصاحب الهيبة لا يرتفع عنه ما به وان أمن بل ربما كان التأمين تقوية لما به لان منشاه المحافظة على الأدب لمعرفته بجلال الله وعظمته وكبريائه وهذا ان لم يقوه التأمين لم ينقص منه شئ والحاصل ان الخائف يخاف الفعل وهو يزول بالتأمين والهائب انما يهاب الذات وهي لا تزول بالامن لانها مستحقة للرب بوصف التعظيم والاجلال وهذا واجب له على الدوام فكذلك الذي يهابه لا تنقضي هيبته قال صاحب محاسن المجالس ومن كان مستغرقا في المشاهدة جاريا في بساط الانس فلا يبقى للخوف بساحته المسام لان المشاهدة توجب الانس والخوف يوجب القبض ثم قال بعد كلام في هذا المعنى فالخوف اذا من منازل العوام فللخواص الهيبة وهي اتهاد رحمة بشارا اليها في غاية الخوف بزول بالامن ومنتهاه خوف الشخص على نفسه من العقاب فاذا أمن العقاب زال الخوف والهيبة لا تزول أبدا لانها مستحقة للرب بوصف التعظيم والاجلال وذلك الوصف مستحق له على الدوام وهذه الهيبة تعارض المكاشف أوقات المناجاة وتصون المشاهد في أحيان المشاهدة وتقصم المعاين بصدمة العز انتهى ولما فرغ من ذكر مقام حق اليقين وبعض مقتضياته أشار الى جمل مما كان ينازل هذا السائر الواصل في اثناء طريقه فذلكة لما تقدم ومقدمة لما بعدها فقال رضي الله عنه

الوصل الى مقاصده مذمومة فهو حب مذموم والا فهو مباح والثالث ان يحبه لغرض اخروى كمن
العلم والعمل ان كان قصد الفوز فى الآخر فهذا من جملة المحبين فى الله وكذلك من يحب تلميذه لينال
العلم الاسعلم وكذلك من يحب خدمته ليتفرغ بذلك للعلم والعمل لله تعالى فهو

﴿وقد كان فى كشف الصفات شاو • يغيب به عن عالم الخلق والامر﴾
﴿وفى النور رمهما شاهد النور سر • ولو انه بين المعمعة السمر﴾
﴿وقد الاول الاقرب فى الوصل رتبه • ولكنها من دون لمن فى القدر﴾
﴿وكان وجود الحجر هجرا احسار • فما وافنا البقاء عن الحسر﴾

قوله وقد كان فى كشف الصفات البيت هو حكاية لما طرأ له فى مقام عين اليقين وقوله وفى النور البيت هو حكاية لما كان وقع فى أول مقام حق اليقين قبل ان يتدرج مع سرمها و يحوز به السعادة ذلك من قوله فلولا دوام السر لم نصح من سكر وقوله وكان وجود الهجر البيت حكاية لما كان نزل به فى مقام علم اليقين عند تجلى الفعل وما هو عليه الآن من الوجود بانه والاسلاخ من وجود نفسه الذى يجب معه ترك الاحسار وهذه الابيات من القصيدة كالجامع و يقع فى بعض النسخ بدل وقد كان وما كان ولا فرق بينهما الا ان نسخه وقد اهدى فيها المراد وفى كون الجرا حسيد يكون مرفوعا وهو حسن وان كان الجر م احسن وعالم الخلق ما يكون من القدر الالهيه بعضه من بعض بالتدريج وتحته المعبر كالاجسام ونحوها وعالم الامر بعدم وفى النور هو على حذف مضاف أى فى شهود النور وأراد بالنور وصفا مخصوصا للذات ولذلك اورده على الصفات قال الشيخ أبو طالب رضى الله عنه فى قول بعضهم كل المقامات من أنوار الاعمال والصفات الا المحبة فانها من نور الذات الخ اعتبار بذوقها مخصوصا من الذات هو وجهه المحبين وعند معرفة العارفين والا فالصفات كلها متصلة بالذات والمعمعة المعمعة والسمر بضم السين وسكون الميم جمع أسمر وهو من كان يقرب لونه الى السواد وصف بذلك الرماح لانها زرقها الاهما اذا بلغت غايتها يقرب لونها الى السواد وهو أجود الرماح واشدها ذا قاما لمن أحاطت به ولذلك عنى بها موصوفه بهذا الوصف وهذه اشارة لهذه الصفة المحكية فى البيت ولكنها من دون ذلك اشار الى ما قبل البيت مما هو عليه فى حالة الراهنة صاحب حق اليقين من الصحو والبقاء والتمكين والرسوخ فى اليقين ودون تقدم الكلام عليها ﴿يقول﴾ والله أعلم وقد كان فناء صاحب هذا المقام قبل الآن فى كشف الصفات العليه الجلالية والجمالية وفى شهود نور عظمة الذات الاقدس حتى ما شاهد نور هاسر ر ما اشتد ذلك الفناء لقوته وعلته من عالم الخلق والامر الجامعين للوجود العلوى والسفلى غيبه كله ليس له شعور بهما حتى انه ولو كان بين معمعة سمر الرماح كما قال الشيخ أبو سعيد بن الاعرابى رضى الله عنه لما سئل عن الفناء هو ان يبدو العظمة والاجلال للعبد فينسيه الدنيا والآخرة والاحوال والدرجات والمقامات

ن ذلك ادر الاموال موارث المحبة والاخر والثواب فى المحبة فى الله والاذكار
يجيء والالفة فيهم ن عند من شروط يعتبر فى الصاحب وهى العقل والخلق والصلاح والرشد
له الامام أبو حامد الغزالى رضى الله تعالى عنه فى الاحياء وبداية الهداية منهم أهلها

والادكار تفنيه عن كل شئ وعن عقله وعن نفسه وفنائه عن الاشياء وعن فنائه عن الفناء لانه لايفرق فى التعظيم وهو أحسن شئ قيل فيه وهذه الحالة وان كانت رتبة فى الوصول والقرب من الحق تعالى وتقدس ولكنها من دون ماقدمنا فى صفة صاحب حق اليقين من محوه بدوام شربه حتى تخلص من لوث وجوده الواقع عليه فناؤه وسكره وصار بالله لا بنفسه ولربه لالنفسه باقيا بربه وكان أيضا صاحب هذا المقام فى مقام علم اليقين وتجلى الأفعال هاجرا اختياراته فانيا عن مراداته وأفناه البقاء بالله الحاصل له عند تمكنه فى مقام حق اليقين بدوام شربه حتى تحوهر به وتخلص من وجوده بنفسه عن ذلك الهجر الذى تقدم له فى ذلك المقام المتقدم لانه اضمحل وجوده وتلاشى وانسلخ منه عند لمعان نور شهوده وأنشاه الحق انشاء ثانيا ورد اليه اختياره باختيار الله وكان فى الأشياء بالله لا بنفسه من أهل القبضة المحققين بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه تعالى وتقدس فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا فبى يسمع وبى يبصر الحديث وأصل هذه الأبيات قوله فى العوارف بعد كلام فى الفناء الظاهر الذى قدمنا فى تجلى الافعال والفناء الباطن ان يكاشف تارة بالصفات وتارة بمشاهدة آثار عظمة الذات فيستولى على باطنه أمر الحق حتى لايبقى له هاجس ولا وسواس وليس من ضرورة الفناء ان يغيب عن احساسه وقد يتفق غيبة الاحساس لبعض الأشخاص وليس ذلك من ضرورة الفناء على الاطلاق وقد سألت الشيخ أبا محمد بن عبد الله البصرى وقلت له هل يكون بقاء المخيلات فى السر ووجود الوسواس من الشرك الخفى وكان ذلك عندى من الشرك الخفى فقال لى هذا يكون فى مقام الفناء ولم يذكر انه هل هو من الشرك الخفى أم لا ثم ذكر حكاية مسلم بن يسار انه كان فى الصلاة فوقعت اسطوانة فى الجامع ارتعج لهدتها أهل السوق فدخلوا المسجد ورأوه فى الصلاة ولم يحس بالاسطوانة ووقوعها فهذا هو الاستغراق والفناء باطنا ثم قد يتسع وعاؤه حتى لعله يكون متحققا بالفناء ومعناه روحا وقلبا ولا يغيب عن كل ما يجرى من قول وفعل ويكون من أقسام الفناء ان يكون فى كل فعل وقول مرجعه الى الله وينتظر الاذن فى كليات أموره ليكون فى الأشياء بالله لا بنفسه فتارك الاختيار منتظر لفعل الحق فان صاحب الانتظار لاذن الحق فى كليات أموره راجع الى الله بباطنه فى جزئياته فان من ملكه الله اختياره وأطلقه فى التصرف يختار كيف شاء وأراد لا منتظرا الا الفعل للاذن هو باق والباقى مقام لايحجبه الحق عن الخلق ولا الخلق عن الحق والفانى محجوب بالحق عن الخلق والفناء الظاهر لأرباب القلوب والأحوال والفناء الباطن لمن أطلق عن وثاق الأحوال وصار بالله

فادعدوا كلا ولكن بعزل على كل حال لبس نحوطر بفهم * مطمع لسد ملان عوى وادل
عما عن البدر المنير المكمل راهم اذا حلت مرآ مل الى * دعانها محجوبه سفل
فاحدا ابيت حوى كل أدهل ٢ وجدعهم وصف الكمال لعلى أن *

لاناالاحوال وخرج من القلب نظر مقلبه لامع قلبه اه ولما كان حال صاحب هذا المقام من الفناء الحق والوجود به كما وصفنا حتى انه ملك الاحسار وكان وجود الفناء في الفناء هو لما مانعه من وجوده والاكان عز براو مطلوبا الا انه احتجبه الوجود المذموم فادارع المذموم من الوجود وسلب العيوب وصار العبد به لا بنفسه قد وهب له وجود آخر مطهر لم يكن للفناء عليه سلط لعدم محله ولم يبق فيه عز ولا حاجة وكان الفناء والوجود أم لمريب الافعال ومذهب الاقوال أشار الى ذلك معللا لصحة دوامه فقال رضي الله عنه

﴿ ولا عدم بعد الوجود فانه * عودع سر العين في باطن السر ﴾

قوله ولا عدم بفتح مربوط بانه مع لا على الفتح واء باربعة اصفر ور الوزن وال في الوجود للعهد والمعهود ما تقدم في البيت قبله من ذكر البقاء وقوله فانه بيان وعلة لما ذكر في صدر البيت وضمير عائد للوجود وعودع بالو سنه واسم مصدر الموديع و سر العين خالص الشهود وفي د عن الشيخ سر الكشف أي خاصه وقوله في باطن السر متعلق بمودع وال في السر معاقبه للضمير العائد للشخص المتكلم عليه ﴿ يقول ﴾ والله أعلم ولا عدم ولا فناء نظرا بعد الوجود بالله والبقاء الحق لان ذلك الوجود سابيب توديع سر الذات الذي هو خالص شهودها في باطن سرها الذي بلغ هذا المر ه وصار مكانا له ومستقرا وبرى منه واقام به لا يبرح عنه وتمكن ودخل الى سويداء به وحسبه العميقه بقوله باطن السر ومازجه وخالطه ولم يبق فيه بقيه للغير وذهب عنه لذلك العلل والمعانا الموجبه للفناء والسكر واذا كان هذا المودع دائما فتابعه كذلك فكلما شرب هذا الواصل زاد صحو وكلما غاب زاد حضور وأصل البيت قوله في العوارف ثم في مقام المشاهد أحوال وزيادات ورقيات من حال الى حال اعلى منه كالصعق بالفناء والتخلص الى البقاء والترقي من عين القلب الى حق القلب وحق القلب بازل يخرق شغاف القلب وذلك أعلى فروع المشاهدة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني أسألك ايمانا يباشر قلبي قال سهل بن عبد الله للقلب عينان أحدهما باطن وفيه السمع والبصر وهو قلب القلب وسويداؤه والعين الثاني ظاهر القلب وفيه العقل والقلب مثل النظر في العين هو مثال الموضع مخصوص فيه بمنزلة الضمال الذي في سواد العين ومنه يتسع الاسناد المحيطة بالمرآة وكذا يتسع من نظر العقل أشعه العلوم المحيطة بالمعلومات وهذه الحالة الى خرق شغاف القلب ووصلت الى سويدائه وهو حق القلب أسنى العطايا وأعز الاحوال وأشرفها ونسبة هذه الحال من المشاهدة كنسبة الاجزاء من التراب اذ تكون زبانا

ي الله تعالى عنه أنوار الحكماء تسبق أقوالهم لان الكلام اذا كان تعبر
ثم
قال ابن عطاء الله رضي الله تعالى عنه كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز وهذا النور
سيدي الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه والله ما سبق و بين الرجل الا وانظر اليه نظر

ثم طينا ثم لسا ثم آخرا فالمشاهدة هي الأولى في الأصل يكون منها الفناء كالطين ثم البقاء كاللبن ثم هذه الحالة وهي آخر الفروع اهـ ثم أشار الى بعض مقتضيات الوجود بالحق تعالى فقال رضي الله تعالى عنه

*(وانى به فى جمع جمع مؤيد * ومحو واثبات الى منتهى عمرى)*

هذا البيت أيضا على سبيل الترجمة وضميره يحتمل عوده لمضمون البيت قبله و باؤه سببية اذا لوجود المذكور فى قوله طالع الذات صاحيا الخ و باؤه للمصاحبة وفى جمع جمع حال من ياء المتكلم على الاحتمال الثانى فى قوله به أى وانى كائن فى محو فى حال كونى كائنا فى كذا ومؤيدا أى مقوى محفوظ منصور وهو خبر مبتدا مضمر أى وأنا مؤيد ومحو واثبات الظاهر جرهما بالعطف على جمع المجرور يعنى و يجوز رفعهما على معنى ولى محو واثبات والمحو هنا رفع الأوصاف البشرية عينا وأثرا وذهاب العلة والاثبات اثباتها بالحق حسبما يأتى والى منتهى عمرى مطلوب لكل من قوله فى جمع جمع وقوله ومحو واثبات *(يقول)* والله أعلم وانى مع محو فى حال كونى حالا ونازلا فى مقام جمع الجمع الذى هو شهود الحق والخلق واعطاء المراتب حقها وانى بسبب الظفر بالوجود بالله والبقاء فى جمع الجمع الى منتهى حياتى وحلولى فى رمسى مؤيد ومنصور ومقوى لكونى لما استولى سلطان الحقيقة على حتى أفنيت وجودى ومحيت رسومى وأذهب ظلمة حدوثى وتحققت لذلك بالفناء متجردا عن الاغيار منغمسا فى الأنوار ونبئت بذلك الى مقام البقاء ورد الحق الى وجودى مطهرا عن لوث نفسى وصرت لا آ الف الحقيقة وتمكنى فيها بذهاب موجب استتارها وتلونى فيها نعطى فيها كل ذى حق حقه ونوفى كل ذى قسط قسطه نعطى الشريعة حقها فى ظاهرى ونوفى الحقيقة قسطها فى باطنى الجمع فى باطنى مشهود والفرق على ظاهرى موجود لا يحجبنى الخلق عن الحق ولا الحق عن الخلق لرؤيتى ان الكل منه وبه واليه وهذا من أعظم التأييد والتسديد وقال الشيخ جمال الاسلام القاشانى رحمه الله بعد كلام ذكرناه فى عين الجمع ولعدم استقرار حال الجمع فى البداية يتناوب فى العبد الجمع والتفرقة فلا يزال يلوح له لائح الجمع ويغيب الى ان يستغرقه بحيث لا يفارقه أبدا فلو نظر بعين التفرقة لا يسلب نظر الجمع ولو نظر بعين الجمع لا يفقد نظر التفرقة بل يجتمع له عينان ينظر باليمنى الى الحق نظر الجمع وباليسرى الى الخلق نظر التفرقة وتسمى هذه الحالة الصحو الثانى والفرق الثانى ومحو الجمع وجمع الجمع وهى أعلى رتبة من الجمع الصرف لاجتماع الضدين فيها ولان صاحب الجمع الصرف غير متخلص عن شرك الشرك والتفرقة

صح انسانه لسادلی سمع منه اللهم انا نوصل البك به ان تجعلنا واحبنا من انعمت له والمحو من
معنی طاهرا وباطنا آمین واما ن مدحه ومدح طريقته رضی الله تعالى عنه من الاولياء والعلماء في
المفاخر ٢ ٢ العلمه فی المآثر السادلیه وانوار علمه الشیخ صفی الدین بن ابی منصور فی

بالكلمه الاخرى ان جمعه فی مقابله الفرقه وهذه مسئله على الجمع والفرقه ولا عامل بفرقه ولهذه نسب جمع الجمع وصاحب هذه الحالة يسوى عند الغلطه والوجد ولا عدح المخالطه مع الخلق فی حاله ثم قال وصاحب الجمع الصرف فان حالته يرتفع بالمخالطه والنظر الى صور اجزاء الكون وصاحب جمع الجمع لو نظر الى عالم المعرفه لم يتصور الاكوان الا آلات يستعملها فاعل واحد الى آخر كلامه الذی قلناه فی عين الجمع وهو قوله والجمع الصرف يورث الزندقه والالحاد ويحكم باحكام الظاهر الخ وقوله ومحو واثبات الى منتهى عمرى نعنی والله اعلم وانی مع محوی فی حال كونی فی محو واثبات اوانی بسبب الوجود والبقاء بالحق فی حاله واحد فی محو لا وصاف البشريه لا معلولا فی النفسه والروحه واثبات لی باسماء الحق لی وجودا آخر الى منتهی حياتی وانا احلی وصرت بالحق فی جمع سوی واموری لا نفسی قد عدت الى نفسی بدواعيها وصفاتها مظهر موهوبة مه وله مطلوب بها صار عین الداء دواء وصور الاعلال سماء ايكونی بالله لا بنفسی واصل هذا قوله فی العوارف المحو ومحو رسوم الاعمال بنظر الفناء الى نفسه وتمامه والاثبات اثباتها اثبات الحق له من الوجود فهو بالحق لا بنفسه باثبات الحق انا مستأنفا بعد ان محا عن اوصافه قال ابن عطاء محو اوصافهم وثبت اسرارهم اه واما اصل قوله وانی به فی جمع جمع مؤيد فقد قدم عند قوله وانی به فی عين جمع فراجعه هنالك ولما ادرج رضی الله عنه من معه فيما بحق العين على العموم اشار الى حاله منه هی اعز ما يوجد من اقسام العلم بالله يكون منها لبعض خواص الخواص فی الدالة بسر وقال رضی الله عنه

﴿وللنورى كلمة العهد سارى * سرايته ماء الزهر فی ورق الزهر﴾
﴿فيعطی بها روحا وقلبا وقالبا * ونفسا الا اكرم بذلك من سر﴾
﴿وهذا لاهل القرب اشرف رتبه * ومن دونها ما لم يمر على فكر﴾

والنور مجرور باللام فی كلمه العهد يفسرها قوله فيعطی الخ والمراد بالعهد المتقدم الذكر فی قوله وذو الحق الخ الذی خلص من البقا او لم يبق عليه عبوديه اى سوى عبوديته قال فيه للعهد ادعوا المؤهل لهذه المنزله والمستعد لهذه الدرجه وسارى نعت لمنعوت محذوف اى مدد سارى واظهر ياءه فی حاله الرفع لضروره الوزن وسرايته ماء الزهر مفعول مطلق والزهرها النوار وفی ورق الزهر اصل فی ورقه وضميره الزهر والظهر لاجل الروی والورق وماء الزهر يحتمل ان يراد به ما يخرج منه عند تقطيره فانه كان ساريا فی ورقه ويحتمل ان يقصد به

افدی علينا بالوجود وكلنا * لوجوده من كل سوء نفتدی
* عين الوجود لسان سر الموجد * ساد الرجال فصرت عن ساوه * هم المنوب للعلی والسند
لی بروح القدس نعم مؤيدی * واذا مررت على مكان ضريحه * و تمرغ المقدس من تربه يدی
[illegible]

ما ينزل عليه من ماء المطر والنداء ويقف على ورقه فانه يسري فيه حتى يصير عضا من سريانه فيه فيعطي الخطو الظاهر بالشيء وضميريه للنور لان لفظه مفرد وفي بعض النسخ بها وهو عائد اليه أيضا باعتبار معناه لان أل فيه جنسية وكذلك اختلف نسخ العوارف في تذكير الضمير وتأنيثه وحيث كان مذكرا فهو عائد للنور والسريان وان كان مؤنثا فهو المشاهدة حسبما يأتي ولكن الذي عندي في نسخة منها احدى وثلاثين سنة عليها خطه وقرئت عليه مرارا وعلى تلامذته وتلامذة تلامذته بتذكير الضمير وروحا الى آخر المنصوبات الأربعة تمييزات والأحرف تسعة وأكرم بذلك صيغة تعجب بمعنى ما أكرم ذلك والاشارة لقوله وللنور الخ ومن يكسر الباء تمييز أي ما أعظم ذلك خيرا وهذا اشارة لهذه المنزلة المشاهدة وضمير قوله ومن فوقها الخ لهذه المشاهدة

﴿يقول﴾ والله أعلم ولنور المشاهدة مدد سار في كلية العبد الحر من رق الاغيار والانوار الممحض الفؤاد للواحد القهار كسريانه ماء الزهر في وروده حتى تغمر به جميع معانيه وعوالمه ولطائفه وكثائفه ولا يتميز جزء منها على الآخر ويرتفع حكم التقايد بينهما فيعطي المذكور بذلك النور روحا وقلبا ونفسا وقالبا الفيضان النور من روحه على قلبه ثم على نفسه كفيضان نور السراج على الزجاج والمشكاة فالقالب مشكاة والقلب زجاج والروح مصباح انظر واتنبهوا واما أعظم ذلك من خير لكونه غمر نور المشهود كله وبعضه ولم يختلف عنه منه ذرة وهذا الذي ذكرنا أشرف رتبة فالها أهل القرب من محبوبهم وفوق هذه المرتبة من المراتب مالا عبر لي على فكر ولم يخطر لي ببال لكون كمال الله وجماله وجلاله لا نهاية له ولا يحيط بماديه وعجائب أحواله وصف الواصفين وبحر المعرفة لا ساحل له فيدرك الواصل الى هذه المرتبة في عين وصوله ويعلم أنه لا يدرك قطرة من بحره وان وراء ما ادركه بحارا تحار فيها فهوم الأولين والآخرين من الأكابر وأولي العزم من المرسلين صلى الله عليهم أجمعين قال الأستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه واذا كان حق الحق العز والوصول اليه في التحقيق محال فالعبد أبدا في ارتقاء أحواله فلا معنى يوصل اليه الاوفي مقدوره سبحانه مافوقه بقدر أن يوصله اليه اه وقال الشيخ أبو طالب رضي الله عنه ولا نهاية لعلم التوحيد ولا غاية لمزيد عطاء الموحدين ولكن لهم نهايات يوقفون تحتها وغايات يصدرون عنها تحمل أماكن لمزيدهم ويزدادون في وسعها ويمدون بعلوم يطلبون ما يكاشفون عما وراءها أبد الآباد بلا آخر ولا أمد اه وأصل الابيات قوله في العوارف آخر كلامه على الوصول ونحن نذكره بجمعه تكميلا للفائدة قال فيها واعلم أن الاتصال والمواصلة أشار اليه الشيوخ وكل ما وصل الى صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان فهو في رتبة من الوصول

ويكرعون من لذة الخصوص أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون اذا ظهر سر الله على
ان خالف الشريعة والطريقة هجروه وان اقترف ما ... وان وقع اليهم
عليهم من لا يعرفهم عذروه وكيف لا وأجسامهم في الارض وقلوبهم في السماء

ثم يتفاوتون فمنهم من يجد الله بطريق الافعال ويذوق رتبة التجلي فيتولى فعله ويعلم عجز قوته
مع فعل الله فيخرج في هذه الحالة من التدبير والاختيار وهذه رتبة في الوصول ومنهم من يوقف
في مقام الهيبة والانس بما كاشفه ولبسه من مطالعة الجلال والجمال وهذا تجلي بطريق الصفات
وهو رتبة في الوصول ومنهم من يرقى الى مقام الفناء لاستيلاء اليقين على باطنه أنوار المعنى والمشاهدة فغيبا
في شهود عن وجود وهذا ضرب من تجلي الذات لخواص المقربين وهذه رتبة في الوصول وفوق
هذا حق اليقين ويكون من ذلك في الدنيا للخواص لمح وهو سريان نور المشاهد في كلية العبد حتى
يحظى به روحه وقلبه ونفسه حتى قالبه وهذا من أعلى رتبة في الوصول واذا تحققت الحقائق يعلم
العبد مع هذه الاحوال الشريفة أنه بعد في أول المنزل فأين الوصول هيهات منازل طريق الوصول
لا ينقطع أبد الآباد في عمر الآخر الابدي فكيف في العمر القصير الدنيوي اهـ وقد تحرر والحمد لله
ما أردنا وبلغ الغرض فيما قصدنا ونحن نستغفر الله مما ارتكبناه من الامر العظيم واقتحمنا
من الخطر الجسيم من الكلام فيما لم نبلغه أبدا ولا نحصيه أبدا مع تشوش فكري وضعف
وهمي وتكلف ما ليس لي لكني حاولت في الجمع بين ما ذكرت من الامر الذي تعين عليه وبين
هذا الامر المحتم عليه أن اقتصر على ما أمكنني من حل الكلام وربطه فقط وغير ذلك مما لا بد منه
وذلك على حسب ما فهمته من كلامهم وانتهى الى علمي من مذاهبهم رأيت في العالم نصوص
الائمة وعيون الامة مكتفيا بها من الكلام في ذلك ورأيت أن ذلك من أقرب طريق الى الادب
وأسلم من العطب ومع ذلك نحن نستغفر الله من ذلك ونسأله سبحانه أن يسلك بنا أجمل المسالك
انه ولي ذلك والقادر عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والحمد لله
أولا وآخرا والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله
الطيبين الطاهرين وصحابته المنتخبين الاكرمين والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين وسلام
على المرسلين والحمد لله رب العالمين قال مؤلفه العبد الفقير الى الله الكريم أحمد بن يوسف بن محمد
ابن يوسف الفاسي أصلح الله حاله وبلغه فيما لديه آماله فرغت من هذه النسخة بعد الزوال من
يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شهر شوال عام واحد وألف سنة من الهجرة النبوية
عرفنا الله خيره وبركته بمنه وكرمه وذلك بمدينة فاس حرسها الله
من كل باس والحمد لله رب العالمين وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

(فصل) ... ترفه والتكسب حتى كان الاستاذ سيدي الشيخ أبو العباس
... ل الاشاعة عليكم بالسبب والكسب وعمل الصنائع والحرف ولعمل أحدكم ... خير له أو ...
... خير له لما ورد في ذلك من الاحاديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل ما أكل العبد من
... والسلام اليد العليا خير من اليد السفلى وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأن أحدكم يحتطب

الساعات والازمان فلما علم منهم تبارك وتعالى الصدق فى ذلك أثابهم عما يقتضيه كرمه من الفتح فى
عزوجل فلما سمع أهل الرياضة عما حصل لهؤلاء من الفتح جعلوا ذلك هو مطلو

٣ (فصل) فى اختلاف المسالك والمقصود واحد وان مسالك القاصدين مختلفة لاختلاف أحوالهم أى القاصدين ومقامات السالكين (فمنهم) من سلك طريق العبادة ولازم الماء والمحراب واشتغل بكثرة الذكر والنوافل وواظب على الاوراد وهى أسلم الطرق أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب (ومنهم) من سلك طريق الرياضات والمكابدات وقهر النفس فى المخالفات وهى أصح الطرق أولئك ما عليهم من سبيل (ومنهم) من سلك طريق الخلوة والعزلة طالبا للسلامة من المخالطة وهى أفضل الطرق أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا (ومنهم) من سلك طريق السياحة والاسفار والاغتراب عن البلدان وخمول الذكر وهى أوضح الطرق أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيآتهم فى أصحاب الجنة (ومنهم) من سلك طريق الخدمة وبذل الجهد للاخوان وادخال السرور عليهم وهى أعز الطرق أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه (ومنهم) من سلك طريق المجاهدات وركوب الأهوال ومباشرة الأحوال وهى أطرق الطرق أولئك يجزون الغرفة بما صبروا (ومنهم) من سلك طريق اسقاط الجاه عند جميع الخلق وقلة الالتفات اليهم وترك الاشتغال بشرهم وخيرهم وهى أوفر الطرق أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون (ومنهم) من سلك طريق العجز والانكسار قال الله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله أن يتوب عليهم (ومنهم) من سلك طريق التعلم والمسئلة ومجالسة العلماء وحفظ العلوم وهى أطهر الطرق أولئك لهم الأمن وهم مهتدون وكل طريق يحتاج فيه الى موقف يأخذ بيده ليسلم من الحيرة والفتنة قيل لبعضهم ان فلانا قد رجع فقال ما أراد رجع الا لوحشة الطريق من قلة سالكيها

﴿تمت الأقسام﴾

والالتجاء الى الله تعالى فى الحركات والسكنات والتباعد عن الغفلات المتخللة بين أوقات الحضور وبالجملة
بالله عزوجل والدوام على ذلك وان كان الظاهر غير متلبس بكثير عبادة ولذا كان صاحبها يصوم وي
النساء ويأتى بسائر وظائف الشرع التى تضاد رياضة الابدان قلت وهذا الذى ذكره سيدنا الشيخ عبد الع

الله الموفق والمستعان ...
الله فاسعى به وتوكل عليه واجلس على بساط الصدق مشاهدا ذاكرا له بالحق وانتظاما ملك بالعبودية
... ولازم الذكر والمراقبة والفكر والتوبة والاستغفار وانا اشرح لك هذه الجملة لئلا يقع الغلط فيها على
الله مثلا   ٣٦   او ما شاء الله من الذكر مراقبا للقولك بالقوى فى الدفع عن نفسك عن

﴿وهذه القصيدة المسماة بانوار السرائر وسائر الانوار﴾

اذا ما بدا من باطن حاله الزجر * فما هو الا السر من معدن السر
ومن حكم حال الانسان اذا بدا * سهو ذلك حال النفس فى غاية الفقر
نستعمر الرحمن من كل زلة * وساله عفوا يرى السرق السر
وان ذكر بدنيا اعتبرت وان جرى * لاجرا لذكر كيف مسرح الصدر
وان ذكر المبارح حل جلاله * سرت على العلماء أنوبه الفجر
ومن بعد الحال الذى هو بعطه * ورود برد الكسر فى غاية الجبر
شاهد اجاء الحيا سعى * على مه ما ادس بالملك الوعر
فيبدو مقام القرب وهو مشهد * فدونك فادرع بانه درع مصطر
ومن بعد السمع الذى هو وجده * تلقى مراد الحق فى السر والجهر
فقم واحسب ما دمه العلم واجلب * لما حصته بالمدح بهو حسى الدر
وان تسم نحو الفقر نفسك فاطرح * هواها وجانب مجانبة الشر
وصفها بحجر السبع طفلا فتالها * حروح بلا دلم عن الجسر والحجر
ومن لم يكن سلب الارادة وصفه * فلا يطمعن فى نيل راحته الفقر
وهذا وان كان العزيز وجود * ولكنه فى العزم حالمن العسر
وللسمع آداب اذا لم يكن له * فما هو الا فى لبالى الهوى يسر
اذا لم يكن عالم لديه بظاهر * ولا باطن فاضرب له لجج الحصر
وان كان الا انه غير جامع * لوصفهما جمعا على اكمل الامر
فاقرب احوال العليل الى الردى * اذا لم يكن منها الطبيب على حذر
ومن لم يكن الا الوجود اقامه * واظهره مسرور انوبه النصر
* فاول ارباب الارادة نحو * يصدق تحلى النفس فى حلة الفقر
وآدابه ان لا يميل الى الهوى * فلله ساه فى طى واجراه فى نشر

... عليه وسلم فى كل يوم سبعين مرة بعد البشارة والتمكين بغفر ما تقدم من ذنبه   وان
... بساط وقد عصمه الله من كل ى فاطلك عن لا تخلو عن ذنب او عيب فى اى وقت من الاوقات
... فى تهوان تحقق اوصافك من الفقر والضعف والعجز والذلة واجلس عليها واسأ ناظر لاوصافه تعالى
... [illegible]

وان كان داجمع لأكل طعامه * مريدف لا تصحبه يومامن الدهر
وأما بيان الشيخ عنه لسا * وتعيينه يغنى عن البحث والسير
ولا تسألن عنه سوى ذى بصيرة * حلى من الأهواء ليس بمغتر
فمن صدئت مرآة ناظر فهمه * أرته بوجه الشمس من كلف البدر
ومن لم يكن يدرى العروض فربما * يرى النقص فى التطويل من أظهر الكسر
ولا تقدمن فسل اعتقادك انه * مرب ولا أولى بها منه فى العصر
فان رقيب الالتفات لغيره * يقول لمحسوب السراية لاتسر
ولا تعترض يوما عليه فانه * كفيل بتشتيت المريد على هجر
ومن يعترض والعلم عنه بمعزل * يرى النقص فى عين الكمال ولا يدرى
ومن لم يوافق شيخه فى اعتقاده * يظل من الانكار فى لهب الجمر
فذو العقل لا يرضى سواه وان نأى * عن الحق باى الليل عن واضح الفجر
ولا تعرفن فى حضرة الشيخ غيره * ولا تملأن عينا من النظر الشزر
ولا تنطقن يوما لديه فان دعا * اليه ولا تعدل عن الكلم البرر
ولا ترفعوا أصواتكم فوق صوته * ولا تجهروا جهر الذى هو فى قفر
ولا ترفعن بالضحك صوتك عنده * ولا فيح الا دون ذلك فاستقر
ولا تقعدن قدامه متربعا * ولا باديار حلا فبادر الى الستر
ولا باسطا سجادة بحضوره * ولا قصد الا السعى للخادم البر
وسجادة الصوفى بيت سكونه * ولا وكر الا أن يطير عن الوكر
* ومادمت لم تفطم ولا درجية * عليك ولا تلوى عليها بمستحجر
ولا ترين فى الأرض دونك مؤمنا * ولا كافرا حتى تغيب فى القبر
فان ختام الأمر عنك مغيب * ومن ليس ذا خسر يخاف من المكر
ولا تنظرن يوما الى الخلق انه * يحلى طليق الصفو فى كدر الاسر
وان نظم الحق الكرامات أسطرا * فلا تبدين حرفا لغيرك من سطر
سوى الشيخ لا تكتمه سرا فانه * بساحة كشف السر يجرى على بحر

ب من أول قدم وانصامي طريقه الجمع على الله وعدم المعرفة وكثير من كلام الشيخ ما يدل على ذلك اذا
في طلب العلم وكثر الذكر مع الحضور ليسلم اختصار من التصورات الفاسدة ولذلك لم ما حبب الله سبحانه
وكاسهدا ٢٨ الاستحضار الذي هو الجمع اسهل الطرق وأقربها وليس فيها كثير مجاهدة لان

وفي الكشف ان كوشف راحته انه * لا ينصاح سر الكشف مبسم الثغر
* ولا يفرد عنه نوائبه حزب * في عساعسات والسمع في وقر
وفي الي‍ه في المهمات كلها * فانك تلقى النصر في ذلك الفقر
ولابد ممن يحسن العقل عنده * فيقصد الآيات بعد الى الذكر
ومن حل من صدق الامانة منزلا * يرى الغيب في أعماله وهو مستتر
وان مقام التوب فيه لحفظه * مجاهد لاتنجي سوى الصبر
وصبر على المفروض رب أدائه * وصبر مع الازمان عن مورد الخطر
وصبر على المندوب كل حاله * وصبر على المكروه من غير ما نهر
ومنه بذلك الحفظ حفظ مقامه * محاسبة لاوزر تبقى مع الاجر
محفظك للانفاس في كل لحظة * ووصف الحواس الخمس بالضبط والحصر
وان لك للاوقات راع ومورا * لكل مهم في السماحة والقهر
وفي التوب حال الخوف والصبر والرضا * وأكرم به للحق من نائبر
ومنه مقام الخوف والصبر والرضا * كذلك الرجاء المداولي من العصر
* ولزم عنه ان راعى سر * ولا خاطر مر علي‍ه بذي أمر
ملاحظة للحق في كل لحظة * وفي لفظه لولم بقه سوى عمرو
وهذا مقام لا يقوم بدركه * سوى ورع في صفو باطنه سر
* ولاورع حق ولا ميورع * اذا لم يكن بالصبر يقصد الازر
نصبر على النعماء منه اذا اسمت * البلية والطير في البر والبحر
وصبر على الضراء يطلع ان يرى * سواء البلية واراد النفع والضر
* فيا سيدي الاعمال أصله * ولولم يكن الاليالي في السهر
* فلابد من لا يفارق حبره * بدعه بجود الحق دائمة القطر *
وفي الناس من لا يبتغي ليورع * ويكفيه عند الجوع من يؤوي البر
وأي يقين في اختيارك كثير * اعدحسب شاعت من أصعب الدر
* وأبدع منه ان تقدم للمرى * سواها وسدى الشكر فيه بانه بقر

سول الله صلى الله عليه وسلم وذلك من الفرق الناسع فمن كانت له حاجة فليرضها - وان
وسلم فانه باب الله الاعظم ومامن ذرة حجر من حجرات السماء والآخر في الباطن والظاهر والحسي والمعنى
علي‍ه وسلم وبنيه علي‍ه أفضل الصلاة والسلام كامل في تصليته سيدي عبد السلام بن مشيش رضي الله

وان كنت فى الاسفار كان مكانها * امامك دون الكل من سفر السفر
* وهذا وان لم يبد منك لظنة * فلا بد من ان جانب غير مرور
ولن يخلص الاخلاص يوما لتارك * طعاما لما ضاهاه كالارز والبر
وفى كل مطعوم وفى كل ملبس * تورع أصحاب التورع لو تدر
فلا تك ممن خص بالبعض حكمه * واهمله فيما سوى ذلك القدر
وفى البقل يجرى حكمه وهو ظاهر * وفى الملح والكمون والسعتر البر
وفى الخل والماء الذى هو لازم * ولاسيما ماء الصهاريج فى الثغر
ومن كان هذا عن يقين مقامه * فلا يشترى شيأ بنقد ولا يشر
وقد جاء وقت الزهد أهلا ومرحبا * مكانك بين السحر منى والنحر
خلوت عن الاملاك طرا ولا أرى * أميل الى ملك ولو كان ذا خطر
لك الصبر عن حمد الورى ولك الثنا * ولا خير فى عز يفارق فى الحشر
وان مقام الزهد ما حله سوى * برىء من التدبير والحول والجبر
يشاهد وعد الحق عين يقينه * فلا أمن فى وفر ولا خوف فى فقر
ففى التوب والزهد المقامات كلها * فروضهما من طيبه عبق النشر
* ولم يبق الان تداوم كل ما * تكون به عبدا الى آخر العمر
وتكمل أركان الولادة فاخترق * بها ملكوت السبع من غير ما حجر
ومن خير ما تعطى الدوام ولا تزل * تطير الى العليا بأجنحة الشكر
* فلا تك الا تاليا أو مصليا * ودائم ذكر القلب أيد من ذكر
وأفضل ذكر المرء حين لقلبه * حضور يغيب الذكر فيه عن الذكر
فان يك تلوين فذو العلم حبه * محاصرة من خلف منسدل الستر
وان يك ذا عين اليقين فحظه * مكاشفة جلت عن النظر والفكر
وان يك تمكين فذو الحق حقه * مشاهدة من غير حجب ولا ستر
يشاهد أنوار التجلى حقيقة * ولا خوف يوما من حجاب ولا ستر
يشاهدها سر الذى ذكر قلبه * عتيد وان كف اللسان عن الذكر

الى عنه وعانه وهو الذي علمه المولى هذا الطارق كما تقدم ان السادلة عولهم على الهمة السالك
اده مع الاقتداء وقال سيدي الشيخ ابن عما في الماخر العلمه والما رالسادلة و نسع الاتباع

وللكل من كاس المحبة شربة • شربت به مرى الماء فى الغصن النضر
فذو العلم طوع الحب والحب عنده • مواهبه المحبوب فى العسر واليسر
فلو قال طاف النار والنار جرها • لهلم ترى النيرانه كالقمر
لما كان الا السرق أسرع مارى • فاسرع مسى فى امتثالى للامر
ولى منه سرى لوحلت سعرها • أبت لى ان أدرى سرد ولا امر
وان وجودى ان أرى فلا فانيا • ولاحظ لى من دون ذلك فى امر
فطاعته قربى وأنسى عادتى • ولا أنس الا فى العبادة للحسر
ارى نظرى فى الفعل فى كل لحظة • وجود معنى وجودك فى سر
فانى سدور الفعل عن كل ممكن • وانى على حكم المشيئة فى أمر
وهذا مقام فى الوصول وفوقه • مقامات أقوام علا قدرهم قدر
وان اسفاف عنها لتطلبنى • لامر مقامى باحدية السر •
وذو الفس لاستيلاء سلطان حاله • عليه له سكر يزيد على السكر
أدار عليه الحب كاس مدامة • فلا سكر الادون ذلك من خمر
• ولا سط الا فى أوائل حاله • فلا يدرى نفس ولا قبض فى صدر
وفى علمات الوحدة كون سره • مداع فلا يدل سرعلى سر
ومظهر هذا الحب ذلك ان ترى • فلا المحبوب بغار على السر
• وان وجودى فى معانى بابه • فمامن صفات النفس من حكم السر
• ونسبه لما عدوا بثانى • فطلوع كؤس الحب كالانعم الزهر
عرفت عن كلى وعن كل خاطر • لم سوى المحبوب القلب والفكر
تعرفت منه القرب وهو مؤيد • به دون وجود القلب طاهر السر
ولى منه ستر بدو ستر بدعات • عن الكتب لا يدرى بمع ولا وزر
• وما أنا منه حاضر غائب • ولى عنه بالمنى عن كل ما تسر
وانى به فى غيبى جمع وان أغب • لديه بلا فرق فانى فى حسر •
• وان اعتاد الاشياء جهالة • بل عنه من بدريه ان كنت لا ادرى

وان لم تكن بينه وبينه عهد ولا عقد ونزل لدى ان ادا
لك اذا اشتهر الشيخ المعتد به المشيخة وعرف سيرته وآدابه وأوراده وما يأخذه به

وسأل الله أن يستجاب الدعاء ... قدس الله تعالى سره الطاهر ...
الحكمة ما نصه وصية وإياك ومعاداة أهل لا إله إلا الله فإن لهم من الله الولاية العامة فهم أولياء الله
الأرض خطايا لا يشرك بالله شيئا ألقيهم الله بمثلها مغفرة ومن ثبتت ولايته فقد حرمت
ذكر الله جزاءه في الدنيا والآخرة وكل من لم يطلعك الله على عداوته لله فلا تتخذه

اذا كان من لا تقبل التعدد ذاته	* بحال محال ان يرى قابل الصير
* وليس بخير الاتحاد بربه	* سوى فاقد العقل أو جاهل غمر
اذا طالع القلب الكريم صفاته	* فلي أنس ذي أمن وهيبة ذي ذعر
وهذا مقام في الوصول وفوقه	* مقام محب دونه رتبة البسر *
وذو الحق لما طالع الذات صاحيا	* بروح سماوي من العالم الامر
* سقته براحات المحبة راحها	* فلولا دوام الشرب لم يصح من سكر
ولما سرت في النفس زكت وطهرت	* وطارت بروح السر في مهمه البر
فدت اليه رحمة يد جاذب	* فياهيك من بر وياهيك من بشر
هنالك للاوصاف أشرف حلعة	* عليه وللاخلاق فخر على فخر
وهذا مقام في الوصول وحظه	* ساعة شوق من فؤاد على جمر
وان اعتقادات الحلول ضلالة	* اذا لم يكن كفر فلا يخل من كفر
وليس بحل الحادثات منزه	* عن النقص والتغيير فاهجر ذوي الهجر
وللروح اطراق لأجل جلاله	* واجلاله ان الحياء له حصر
وان لديه في كمال جماله	* للذة امن أمنت طارق الذكر
وقد كان في كشف الصفات وشأوه	* يغيبه عن عالم الخلق والامر
وفي النور منهما شاهد النور سره	* ولو أنه بين المثقفة السمر

من تنكر فعله وهو المؤمن أو من تحول خاتمته ممن ليس مسلم في الوقت واحذر قوله تعالى في الصحيح عنه
بالحرب فانه اذا جهل أمره وعاداه فما وفى حق الحق في خلقه فانه ما يدري علم الله فيه وما بينه الله له حتى
علم حاله الظاهر وان كان عدو الله في نفس الامر وأنت لا تعلم فوالله لاقامة حق الله ولا تعاده فان الاسم
الله ولا تجعل لله عليك حجة وتركك فان لله الحجة البالغة فعامل عباد الله بالشفقة والرحمة كما ان الله ...
عليهم وما رزقهم الا العلم بأن الذي هم فيه ما هم فيه بل هم فيه بما قد ذكرنا بلسان العموم الى
[illegible]

نصرمن الخلق من برى الحق فعالا لهم وكيف يدع أولياءه من نصرته سبحانه وتعالى وهم قد القوا
رانه لا يلزم ان يكون انصار الحق لهم محلا وقد كان رجل من بنى اسرائيل اقبل على الله ثم أعرض عنه
ادمى فاوحى الله الى نبى ذلك الزمان ان قل لفلان كم عاملتك ولم تشعر ألم أسلبك حلاوة ذكرى ولذاذة
لى على جمع هذه الرسالة المباركة ان شاء الله تعالى الاحب القوم وانقاد العدل عليهم واللوم ولعلى
ن المحسوبين عليهم والمنسوبين اليهم فانهم أهل حضرة الله تعالى الخاصة وحضرة رسوله صلى الله تعالى
يهم يرحم الله تعالى العباد والبلاد وبهم يدفع البلاء والوباء لانهم قائمون بالحجة فلا يكون للحجة لقول
سلم لا يزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من ناوأهم الى قيام الساعة وقد قال أمير
سلين الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه مخاطبا لحمد كميل بن زياد اللهم لا تخل
أولئك الاقلون عددا الاعظمون عند الله قدرا قلوبهم معلقة بالمحل الاعلى أولئك خلفاء الله فى عباده
فكيف ساقوا ما اظهر الشوق لهم الا لمحبة فيهم لان المحبة من أجل مقامات القوم

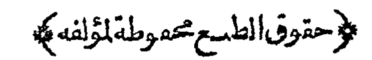
وهذا الاهل القرب فى الوصل رتبة * ولكنها من دون ذلك فى القدر
وكان وجود المحو رهن احتجاره * فناء بأوصاف الصفاء عن المحو
فلا عدم بعد الوجود فانه * عودع سر الغيب فى باطن السر
وانى به فى جمع جمع مؤيد * ومحو واثبات الى منتهى عمر
وللنور رى كله العبد سارى * سرائه ماء الزهر فى ورق الزهر
فعطى بها روحا وقلبا وقالبا * ويغنا الا أكرم بذلك من بر
وهذا الاهل القرب أشرف رتبة * ومن دونها مالم يمر على فكر

﴿ تمت القصيدة المعروفة بتائية السرسى ﴾

ه السكندرى الشاذلى رضى الله تعالى عنه حيث قال فى المعنى
الوصل منهم * فلما أتانى العلم وارتفع الجهل * تيقنت ان العبد لا فعل له
بعد واعدل * وان أظهروا لم يظهروا غير وصفهم * وان ستروا فالستر من أجلهم يحلو
ان شاء الله تعالى على قطع أوهام المنكرين الجهسريد كر رب العالمين وحالات المعرضين على
هم سبل نجاتهم وواضح البينات فانى لم آل جهدا فى جمع هذه الرسالة وترتيبها على أكمل حالة وطريقة
ان مذهب الامام الاعظم أبى حنيفة النعمان ونقلى ما ينسب اليه مما هو برىء منه وأسوق ذلك حسب
قليل البضاعة ولست من أهل هذه الصناعة ولكن الله سبحانه وتعالى المسؤول ان يكون بها سدد
القلوب لهاديد فانه لا يخيب من دعاه ولا يرد من سأله ورجاه والله المسؤول ان يجمع به الاخوان ومن
ه قدر من رأى خللا فاصلحه أو مبهما فاوضحه فان البشر لا يخلو عن السهو والنسيان والخطا والعفو
سمة العطاء ولا يرد به ومع ذلك فانى لست بأهل الا من كلام المحققين وما ظهر لى فى أثناء ذلك هو

الحمد لله الذى من على خلقه بانارة السبيل اليه وجعل أفضل بريته الهادين لرضاه والدالين عليه والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف داع وأكرم هاد وعلى آله وأصحابه وكل مقتف لسبيله الى يوم التناد ﴿أما بعد﴾ فقد تم بحمده تعالى طبع شرح العلامة الفاضل والملاذ الكامل العارف بالله تعالى الشيخ أبى العباس أحمد بن يوسف بن محمد الفاسى رحمه الله وأثابه من جزيل عطائه فوق متمناه على منظومة القدوة الشهير والعارف الكبير الشيخ أبى العباس تاج الدين أحمد بن محمد البكرى المعروف بالشريشى فى التصوف الآتى فيها من النصائح وشرح المقامات ما تنشرح به الصدور وللآذان يشنف وجاء الشرح يحل منها محل الحلى من الحسناء بل محل الروح الموصل لكل هناء فتم كتابا لم ينسج على منواله ولم تتمتع العينان بمثاله وأكمل الطبع محاسنه وسهل السبيل أن تقتنى الناس معادنه خصوصا وقد حليت طرره ووشيت غرره برسالة النصرة السويه لاهل الطريقة الشاذلية الدرقاوية المدنية الفاسيه للوذعى العلامة والفاضل الفهامة الاستاذ الشيخ مصطفى بن اسماعيل حشيش المدنى حفظه الله وأدام كماله وعلاه على ذمة ذى الهمة العاليه والمآثر الشريفة والمكانة الساميه ذو الجناب المنيع والمقام الرفيع المحترم الحاج محمد بن قاسم الحلو المعتمد السلطانى من لدن دولة الغرب الاقصى بالديار المصرية القاطن بمصر المحروسة لازال ملحوظا بعين العنايه الربانيه محفوفا بتوالى النفحات والالطاف الالهيه بجاه سيدنا محمد خير البريه وآله ذوى النفوس الزكيه وصحبه ذوى الاخلاق المرضيه وحضرة سلالة المجد والشرف وخلاصة الاماجد من خلف وسلف الحسيب النسيب السيد محمد الدباغ القاطن بمكة المشرفة وحضرة عين الفضل ومعناه وسر المجد الرفيع ومغزاه السرى الوجيه الفاضل الشيخ عبد العزيز جحوم القاطن بجدة كان الله للجميع حافظا ومعينا وجعل هممهم على الدوام متوجهة لنشر ما يصير به الدين قويا وطيدا وذلك بالمطبعة العامرة الشرفيه الكائنة بشارع الخرنفش بمصر المحروسة المحميه سنة ١٣١٦ هجريه على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحيه





(تمت)